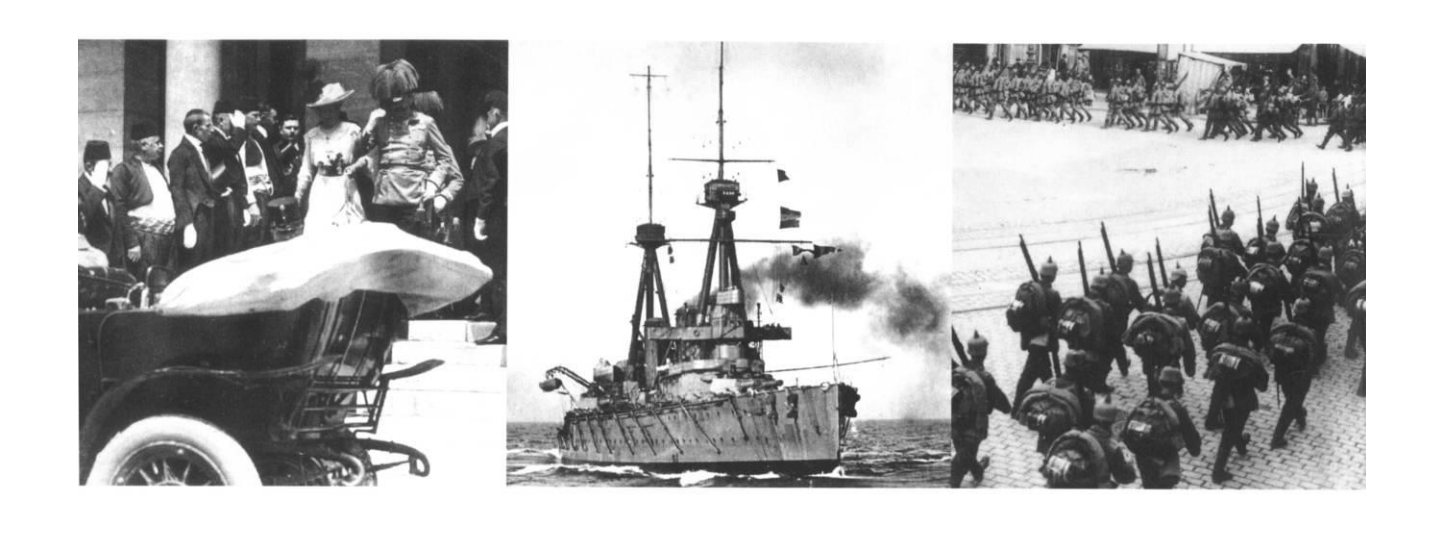
موسوعة الحرب العالمية الأولى

التاريخ في صور



موسوعة
الحرب العالمية الأولى



تاليف: ج . هـ . ج . اندريشين

ترجمة: أ. نسيم واكيم يازجي

موسوعة الحرب العالمية الأولى

تأليف: ج . هـ . ج . اندريشين
ترجمة: الأستاذ نسيم واكيم يازجي
الطبعة الأولى: ٢٠١١.
عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة.
الترميز الدولي (ISBN): ٩٧٨-٩٩٣٣-٤٣٩-٢٠-٠
جميع العمليات الفنية والطباعية تمت في:
دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار مؤسسة رسلان

للطباعة والنشر والتوزيع

سوريا ــ دمشق ــ جرمانا

هاتف: ٥٦٢٧٠٦٠ ١١ ٠٩٦٣

فاكس: ٥٦٣٢٨٦٠ ١١ ٠٩٦٣

ص. ب: ٢٥٩ جرمانا

مقدمة الناشر

نشــبت الحرب العالمية الأولى في مرحلة من التاريخ الإنســاني بلغت فيها الإمبريالية ذروتها، حيث تســابقت الدول الأوروبية المتقدمة إلى احتلال المســتعمرات وتكوين الإمبراطوريات التي كانت تؤمن النمو المســتمر للدول الأوروبية من خلال كون المستعمرات مصادر للمواد الأولية الرخيصة وأسواق لتصدير المنتجات المصنعة....

في بدايات القرن العشرين كان في العالم عدد من الإمبراطوريات أهمها: بريطانيا العظمى والتي سيطرت على البحار بأسطولها الذي كان لا يقهر وامتدت مستعمراتها في مشارق ومغارب الأرض حتى وصفت بأنها الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس...

كذلك فرنسا والتي أفاقت من كبوتها وحاولت تعويض ما فاتها باحتلال أجزاء كبيرة من إفريقيا.

كما كان هناك في الشمال الإمبراطورية الروسية الشاسعة وكان في وسط أوروبا إمبراطورية النمسا ــــ هنغاريا والإمبراطورية الألمانية الناشئة.

في بدايات القرن العشــرين اصــطدمت مصــالح هذه الإمبراطوريات مما أدى إلى اندلاع الحرب العالمية الأولى.

وللمفارقة التاريخية فهذه الحرب لم تتميز كثيراً بالانتصــــارات العســــكرية الباهرة أو بالقادة الأفذاذ بل تميزت بأنها حرب استنزاف كان فيها لسوء الإدارة نصيب كبير من قبل جميع القيادات حتى تحولت الحرب إلى مجزرة راح ضحيتها ملايين الشباب...

جيل كامل في ريعان الشباب ذهب ضحية الأطماع الإمبريالية والتي لم تجلب الرخاء والازدهار للشعوب الأوروبية ولا حتى لقيادتها. حيث انتهت الحرب بثورات عارمة والقضــــاء على ســــلالات حاكمة عريقة والأدهى من ذلك فقد حملت هذه الحرب في نهايتها البذور المؤكدة لنشوب حرب عالمية جديدة.

فقد كانت شروط الصلح مجحفة مما حمل المهزومين التحضير للثأر، بينما اندفع المنتصرون إلى احتلال المزيد من المستعمرات متناسين أسباب هذه الحرب...

في الواقع لا يمكن إلقاء اللوم على أي طرف كمسؤول وحيد عن نشوب هذا الصراع. فبريطانيا كانت مهتمة بالقضاء على النمو المتسارع للاقتصاد الألماني والذي معه بدأت المنتجات الألمانية تغزو جميع الأسواق العالمية وحتى الأسواق البريطانية التقليدية. وألمانيا كانت راغبة في إثبات وجودها وقوتها واحتلال مستعمرات جديدة تضمن لها النمو الاقتصادي المستمر مما وضعها في صدام مباشر مع بريطانيا العظمى.

إمبراطورية النمسا ــ هنغاريا كانت تطمح إلى توسيع نفوذها في البلقان وسيطرت على البوسنة والهرسك مما وضعها في صدام مع صربيا التي كانت حليفة الإمبراطورية الروسية والتي بدورها كانت تطمح بتوسيع نفوذها في البلقان والوصول إلى المياه الدافئة والمقصود هنا مياه البحر الأبيض المتوسط.

فرنسا كان لديها أسبابها الخاصة للرغبة بالحرب فقد كانت تطمح إلى رد الاعتبار من الهزيمة التي منيت بها في عام ١٨٧٠ على يد الألمان واستعادة مقاطعتي الإلزاس واللورين.

جرّت الحرب العديد من الأطراف إلى الاشتراك في خضمها فقد اشتركت إيطاليا ورومانيا إلى جانب الحلفاء وتركيا في الطرف الآخر وجرت المعارك على أراضي بلجيكا واللوكسمبورغ وبقيت العديد من الدول على الحياد رغم ميلها بشكل غير مباشر إلى أحد فريقي الصراع، كالولايات المتحدة والتي قررت دخول الحرب في نهاية المطاف مما حسم النزاع لصالح الحلفاء نظراً للقدرات الاقتصادية الكبيرة التي تمتعت بها الولايات المتحدة وليس نظراً لقدرة جيشها فقد كان جيشها في تلك الفترة صغيراً نسبياً ويفتقر إلى الميزات كباقي الجيوش الأوروبية.

كان للمستعمرات نصيبها أيضاً في هذه الحرب فقد استعان الحلفاء بفرق كاملة جُندت في المستعمرات فجاء الفرنسيون بالجنود من أنحاء إفريقيا وجاء البريطانيون بالجنود من الهند وغيرها. وحارب العرب في الجيش التركي كما واشتركوا لاحقاً في الثورة العربية الكبرى ضد الأتراك. واعتمد الحلفاء على اقتصادات المستعمرات مما جنبهم الهزيمة المؤكدة على أيدي الجيش الألماني والذي أثبت كفاءة قتالية عالية.

لم تخلو هذه الحرب من البطولات الفردية والجماعية وقاتل الجنود بضراوة في شروط شديدة الصعوبة، بين المستنقعات والغابات، في ثلوج الشتاء وحر الصيف، قدم الجنود في جميع الجبهات أمثلة نادرة من التضحية في سبيل الوطن ولكن في أغلب الأحيان ذهبت تضحياتهم سدى، وقام عددٌ من القادة بانتصارات رائعة لكنها لم تُستثمر بل وللمفارقة الأطراف التي حققت عدداً من الانتصارات في بداية الحرب هي التي انهزمت وذلك بسبب عدم استثمار النجاحات وعجز وضعف الإدارة السياسية والعسكرية في الدول المتصارعة.

فقد حقق القائد العسكري الروسي "بروسلوف" انتصارات رائعة ووصلت قواته إلى أواسط أوروبا قاضية على قدرات النمسا ـــ هنغاريا، إلا أن نجاحه لم يتم استثماره، وفي نهاية المطاف نشبت الثورة في روسيا وقد أطاحت بالإنجازات العسكرية الروسية ووقعت القيادة الجديدة البولشيفية في روسيا بقيادة "لينين" صلحاً مذلاً مع ألمانيا لم يكن لأي حاكم لديه وطنية أن يقبل به...

حقق الأتراك انتصارات مهمة في "غالبولي" مستعينين بالدعم الألماني إلا أنه في نهاية المطاف انهزمت تركيا وفقدت كل البلاد العربية التي كانت تحت سيطرتها بل وهُدد وجود دولة تركيا ولولا بروز "كمال أتاتورك" وتحريضه للأتراك لمواجهة الغزو الفرنسي والبريطاني واليوناني لكانت تركيا قد اندثرت من الخريطة.

ألمانيا بدورها حققت انتصـــارات مهمة في الجبهة الشـــرقية في بروســـيا الشـــرقية وفي الجبهة الغربية واقتربت قواتها من باريس وبرز عدد من القادة الألمان "كالوديندورف وهندنبرغ" إلا أنه وفي نهاية المطاف ونظراً للتفوق العددي للحلفاء الناتج عن دخول الولايات المتحدة الحرب وبســـبب الحصـــار البحري الذي فرضته أساطيل الحلفاء وبالأخص الأسطول البريطاني على ألمانيا مما أدى إلى حالة من النقص في احتياجات السـكان أدت إلى نشـوب الثورات مما دفع القيصـر الألماني للتنحي وطلبت الحكومة الألمانية الجديدة الصـلح ولكن الحلفاء أصروا على فرض شروط صلح أشبه بالاستسلام.

جرت هذه الحرب كما في البر كذلك في البحر، وقد أثبت الأســـطول الألماني رغم حداثته قدرات قتالية عالية وحقق انتصـارات كبيرة على الأسـطول البريطاني وبخاصـة في معركة "جوتلاند" إلا أنه لم يتمكن من فك الحصـــار البحري الذي فرضـــته بريطانيا على ألمانيا كما وأدت حرب الغواصـــات التي اعتمدها الألمان وإغراقهم للسـفن التجارية المحملة ببضـائع متجهة إلى بريطانيا إلى وقوف العديد من الدول المحايدة ضـدهم وبالأخص الولايات المتحدة...

وفي نهاية الحرب اضـــطر الألمان إلى تســـليم أســـطولهم للحلفاء وقام ضـــباط البحرية الألمانية بإغراق الأسطول مُسطرين صفحة خالدة في تاريخ التقاليد البحرية لألمانيا.

كان من النتائج المباشرة للحرب تفكك النسيج الاجتماعي في البلدان المتصارعة، ففي روسيا وصلت فئة البولشـيفيين (الشـيوعيين) إلى السـلطة ورغم أنها حركة راديكالية متطرفة وغير مدعومة من أغلبية السـكان تمكنت من قيادة الاتجاه الإصـــلاحي المتمثل بعدد كبير من الأحزاب الاشـــتراكية وغيرها وثم الانقلاب عليها والسيطرة على البلاد وإطلاق حملة من الإبادة والإرهاب للشعب الروسي وقواه، قضت على أغلبية المثقفين في البلاد وهنا لا ننسى المقولة الشهيرة

للينين "أنه على استعداد أن يُفني تسعين بالمئة من الشعب الروسي مقابل أن يبني نظامه الشيوعي مع العشرة بالمئة المتبقين".

لا شك أن ظهور الشيوعية في روسيا بالشكل العنيف الذي ظهرت به كان نتيجة مباشرة لتفكك النظام الاجتماعي للبلاد نتيجة المجهود الحربي وسوء إدارة الأوضاع الداخلية من القيصر وحاشيته وتأخيرهم الإصلاحات الضرورية منذ مدة طويلة.

ألمانيا شعرت بذل الهزيمة ونشبت فيها ثورات عديدة تم قمعها ثم وصلت النازية إلى السلطة وبدأت التحضير للحرب العالمية الثانية.

النمسا ـ هنغاريا تفتتت إلى عدد من الدول.

فرنسا وبريطانيا انطلقتا بشكل مسعور لاستعمار ما بقي من بلدان العالم، ونشأ جيل في فرنسا وبريطانيا عاش ما بين الحربين أطلق عليه اسم "الجيل الضائع".

أمريكا وقد استفاد اقتصادها بشكل كبير من دعم المجهود الحربي للحلفاء أثناء الحرب، رجعت وانكفأت على ذاتها ثم ما لبثت أن دخلت في الكساد العظيم ولم يعد دورها يتعاظم في العالم إلا مع بداية الحرب العالمية الثانية.

لا شك أن كل حرب هي شر مطلق، ولكن الحرب العالمية الأولى بعبثيتها وشرورها واستهانتها بالحياة الإنسانية تقدم لنا صورة يجب أن لا ننساها ونأخذ العبر منها لكي لا تتكرر الشروط المواتية لنشوء هكذا نزاعات في يوم من الأيام.

رسلان علاء الدين
دمشق ٢٠١١

مقدمة

النزاع الرهيب الذي نشب بين عامي ١٩١٤-١٩١٨ وسمي الحرب العالمية الأولى هو الآن من التاريخ.

ما ســـبب بقاء هذه الحرب ماثلة في الذاكرة مع أن الحرب العالمية الثانية كانت حتماً أرهب؟ العبرة المرجوّة مما حدث في ١٩١٤-١٩١٨ هي حتى يومنا هذا أبرز من أي شـــيء، والكتابات المتعلقة بهذه الحقبة من الزمن تلقى اهتماماً لا يمكن إهماله.

لمدة مديدة، كان مؤرخو هذه الحرب بريطانيين. فقد لعبت بريطانيا العظمى دوراً هاماً في هذا النزاع الذي دفعت ثمنه كل أسرة بريطانية تقريباً ضريبة باهظة. ينطبق هذا أيضاً على فرنسا وألمانيا، اللتين خسرتا في ساح القتال جيلاً كاملاً في زهرة العمر.

بالطبع، اهتم المؤرخون الفرنسـيون والألمان بهذه الحقبة من القرن العشـرين ونشـروا عدة أبحاث. ومع ذلك، بقيت المؤلفات البريطانية أوســع حضـــوراً عبر العالم، كان إذاً لا بد تقريباً من قبول أن الرؤية العامة للأحداث تقدم بصبغة بريطانية.

بالفعل، كان المؤرخون يرجعون، منطقياً، بخاصة إلى المناهل البريطانية، باللغة التي ـــــ خلافاً للفرنسية والألمانية ـــــ كانت أوسع انتشاراً في أوروبا. كانت التراجم والسير تنهل عادة من منابع بريطانية، وهي في الغالب ليست المصادر الأصل.

وفي العام ١٩٢٠، تحدث عدد من المؤرخين المعروفين عن شـــكوكهم، بصـــدد صـــحة المادة ٢٣١ من معاهدة فرساي، التي تقول إن ألمانيا هي وحدها المسؤولة عن نشوب الحرب. اطّلع الأمريكان بزمام المبادرة. ليس فقط الكونغرس الأمريكي

رفض توقيع هذه المعاهدة، بل أيضــاً، نشــر مؤرخون ذائعو الصـيت مثل سـيدني فاني، برنس ور أوين، انتقادات جارحة تدين هذه المعاهدة.

ومن الجانب الألماني أيضاً، شكلت الحكومة الألمانية لجنة بمهمة تمحيص قضية المسؤولية الجنائية.

وثمة أخيراً مقالات لكتاب ومؤرخين فرنســيين، بريطانيين وإيرلنديين وضـــعوا حجر الأســـاس لمراجعة تاريخ هذه المرحلة.

وكان علينا أن ننتظر العام ١٩٦٠ ليعود هذا الموضوع إلى الحلبة، يوم نشر المؤرخ الألماني فريتز فيشر كتاباً يبحث فيه دور ومسـؤولية ألمانيا في نشـوب الحرب العالمية الأولى، مثيراً مرافعة بين أنصـار وخصـوم هذه الأطروحة، النقاش الذي لم ينتهي حتى اليوم.

مع ذلك، خلال هذه الســنين، تبدلت الآراء حول أصـــول وتلاحق أحداث الحرب العالمية الأولى، بالفعل، تبدلاً بسيطاً.

إن وجُهاتِ نظر جديدة، مصـــــادر جديدة وتناولاً أكثر دقة، وجيلاً جديداً من المؤرخين، في بريطانيا، وخارج المملكة – المتحدة،كلها يظهر أن تأريخ الحرب العالمية الأولى يتغير رويداً رويداً. ولا مهرب إذاً من أن انصــرام أعوام أخرى ضــروري قبل أن تحل رؤيا جديدة محل وجهات نظر الماضــي، وبالتالي أكثر دقة حول دور مختلف البلدان المساهمة بالحرب العالمية الأولى.

في كتاب "موســـوعةالحرب العالمية الأولى"، حاول المؤلف عرض هذه الآراء الجديدة و هذه المراجع الجديدة و تبيان حقيقة الأوهام الرائجة خلال القرن المنصرم.

ونؤكد أن هذه الآراء حول الحرب ودور بعض الحكومات خلال أحداثها لا تنفي أبداً تضحية، إقدام وجرأة الجندي في الجبهة أياً كانت جنسـيته. بل بالعكس، فقد أتم جنود "الحرب العظمى" غالباً أعمالاً مجيدة وبرهنوا على جاهزية غير مسبوقة من حيث التضحية، الصلابة والرفاقية لا نقدر على تصور

مداها في القرن الواحد والعشـرين. لذا يُأمل للعديد من الصـور التي يضـمها هذا الكتاب أن توضـح جيداً الآلام الضـخمة غير العادية في أغلبها، التي واجهها الجندي في الجبهة وأن وجهات النظر هذه ترسـي اهتماماً جديداً بهذا النزاع وتناولاً دقيقاً لحدود ونتائج حرب ١٩١٤-١٩١٨، التي تركت ٨ ملايين قتيل، أبادت وأسالت دم جيل من الشباب وبدلت كلياً وجه العالم.

ج، هـ، ج، اندريشين

عشية النزاع
حرب لا مهرب منها

الحرب الفرنسية ـــ الألمانية ١٨٧٠-١٨٧١

كانت أسباب الحرب ١٨٧٠-١٨٧١ بين فرنسا وبروسيا، هي العجرفة في غير مكانها، الحاجة لتأكيد الدور السياسي والشخصي، وأخيراً سوء تقدير وفقدان الامكانات الواقعية. نشبت بعد أن عارضت فرنسا أطماع الأمير البروسي الذي أراد الصعود إلى عرش إسبانيا الشاغر، لم تشأ فرنسا أن يسقط جار لها تحت النفوذ البروسي وطلبت أن يقف الملك البروسي في وجه هذه الخطوة. بذل الملك فعلاً كل ما يستطيع ووضع الأمير، على مضض، نهاية لأطماعه، لكن هذا لم يرضِ فرنسا كما يبدو، وطلبت أن يعطي ملك بروسيا ضمانة بألاّ يصعد بروسي أبداً إلى عرش إسبانيا. كان مستحيلاً قبولُ هذا الطلب الذي، لم يرضخ له الملك، طبعاً، موفراً هكذا لفرنسا سبباً لإعلان الحرب على بروسيا. كان هذا القرار شؤماً، لأن الجيش الفرنسي مُزق شزراً بعد معارك طاحنة، أُسر فيها الأمبراطور نابليون الثالث، واحتلت العاصمة، باريس، من قبل الألمان، وكللت بالعار والخزي . كما أعلن في قاعة المرايا من قصر فرساي عن إلحاق مقاطعتي الإلزاس واللورين الغنيتين بألمانيا، واللتين سلختهما فرنسا من قبل. وبذلك ولدت الإمبراطورية الألمانية وسُحقت الدولة الفرنسية كما يظهر إلى الأبد.

مع ذلك حملت هذه الأحداث بذرة حرب جديدة، حرب ألهبت كل أوروبا بالنار والدم وستُعرف تحت اسم "الحرب العالمية الأولى".

والشعب الفرنسي، المصدوم والمهزوم، فقد الثقة بجيش دمر بعمق وتوجب انتظار العام ١٨٨٠ لينكب مجدداً على الدفاع عن البلاد.

وفي الأعوام التالية، خضعت الحدود الجديدة مع ألمانية إلى نظام دفاع يقتضي إقامة حصون رائعة القدرة، عصية على الاحتلال، وأخذ العسكريون يعدون العدة لغزو الإلزاس واللورين ثانية.



الاجتماع الأخير لرؤساء أوروبا المتوجين في العام ١٩١٠ أثناء دفن الملك ادوارد السادس.
هالكون (النروج)، فردناند (بلغاريا)، مانويل (البرتغال) غليوم الثاني (ألمانيا)، جورج (اليونان)، ألبير (بلجيكا)، ألفونس الثالث (إسبانيا)، جورج الخامس (بريطانيا – العظمى) وكرستيان (الدانمرك)

إمبريالية الدول العظمى

فرنسا

في فرنسا، لم يتبنّ كل الشعب مع ذلك روح الانتقام. كان بعض السياسيين يعتقد أن حرباً جديدة ضد ألمانيا ستكون مدمرة، عددوا البلدان المتواجدة على المسرح الدولي، مثل أمريكا، إنكلترا وروسيا، كلها أسست إمبراطوريات استعمارية ضاربة أو وسعت نفوذها. على فرنسا، أعلنوا، أن تسارع إلى الاقتداء بهم ما استطاعت، قبل ضياع الفرصة السانحة، وبدت السياسة الاستعمارية في عيونهم الحلّ الأمثل الوحيد. وظهروا راضين مؤقتاً، لأن الفرنسيين لم يتخلوا نهائياً عن فكرة الانتقام. وقد أدرك الشعب أن فرنسا حاولت بداية توسيع عدد مستعمراتها، والتفكير بعد ذلك باستعادة الإلزاس – اللورين، وهكذا عُززت سلطة البلاد كما كان يقال ببطء إنما بثقة، وتركزت السياسة الخارجية الفرنسية على ضم وإلحاق مستعمرات جديدة، وتوجهت الأنظار طبعاً إلى إفريقيا التي تتمتع بأراضٍ شاسعة يجب غزوها.

مؤتمر برلين، وضع خريطة جديدة.

وضحت المحاولات الأخيرة للتوسع الفرنسي في إفريقيا في العام ١٨٧٨خلال انعقاد مؤتمر برلين الشهير الذي ضم عدداً كبيراً من البلدان، بزعامة المستشار الألماني بسمارك،
لمعالجة "المسألة الشرقية" أو "مسألة الشرق".



الإمبراطور غليوم الثاني
إمبراطور ألمانيا الشاب في لباس الاستعراض العسكري

وجدت هذه القضـــية تعبيرها في حرب ١٨٧٧-١٨٧٨ بين روســيا وتركيا. حيث هَزَمت روســيا تركيا، وألحقت شــطراً هاماً من الأرض التركية وقســمتها على أصـــدقائها في البلقان. هكذا ولدت بلغاريا الكبرى، ملحقةً بروسيا، امتدت أرضها حتى بحر ايجه.

تحرك الإنكليز على الفور ونقضــوا مشــروع الهيمنة الروســية في البحر الأبيض المتوسـط، واقتفت بها إيطاليا، بينما نظرت النمسـا – هنغاريا بعين الغيظ لتوسـع النفوذ الروسـي على بلدان البلقان بصـورة خاصـة. فطُلب آنئذ من روسيا تغيير مشـاريعها جذرياً الأمر الذي رفضـته بلباقة إنما بعنف. هددت بريطانيا – العظمى والنمسا – هنغاريا تسوية هذا الخلاف بالسلاح، عرض بسمارك وساطته وانسحبت روسيا. واضطرت لقبول عقد لقاء مخصص لحل القضايا الناجمة عن هذه الحرب واللجوء إلى إعادة تقسيم الأرض التركية المحتلة. لم يبق من بلغاريا الكبرى الشـــيء الكثير، لأن جزءاً منها أعيد إلى الأتراك، وجزء إلى صـــربيا التي رأت هكذا أرضها تتوسع خمسين بالمئة.

وتلقت روسيا حصتها من الكعكة. وسميت بلغاريا الجنوبية مجدداً روماليا ووضعت تحت سلطة السلطان التركي بصفة منطقة مستقلة على رأسها حاكم مسيحي وأنشأت جيشاً خاصاً بها. كُلفت النمسا ـــــــ هنغاريا بحماية البوسنة – الهرسك رغم إغضاب الصرب الذين طالبوا بهذه الأرض، التي يقطنها العديد من مواطنيهم. سـيكون هذا القرار مصـدراً للعديد من الإشـكالات في المسـتقبل. في أثناء اللقاء، حصـلت بريطانيا – العظمى على حق الإشـراف على قبرص، طبعاً، عكس إرادة السـلطان التركي، إنما مع الاهتمام بالظروف، لم يثر هذا الأمر المطالبة بشيء – هام، وكان لا بد من اعتبار البعض هذا الأمر "لصوصية".



الجنرال كتشنر خلال حرب البوير في جنوب إفريقيا وقد أصبح وزير الحرب البريطاني في عام ١٩١٤



السلطان التركي محمد (١٨٤٤ – ١٩١٨) استلم الحكم وعمره ٦٥ سنة بعد أن حبس في قصره خلال سنين، مات قبيل إنهيار

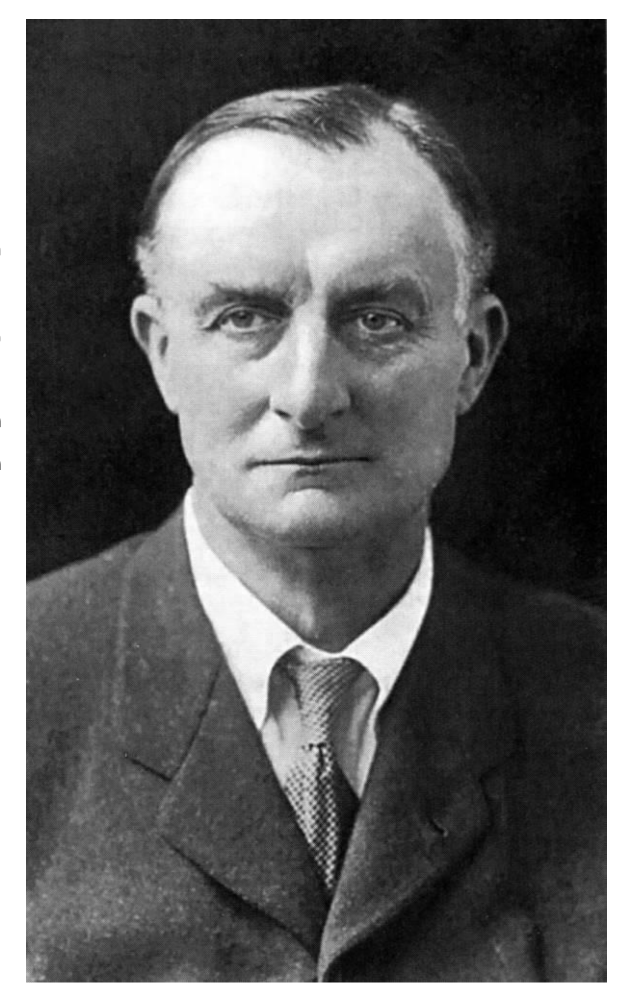
بقي الآن إرضـاء روسـيا التي، رغم انتصـارها في الحرب، خسـرت تقريباً كل فتوحها. لكن بريطانيا ـ العظمى الكريمة عندما يخص الأمر أرض الغير، عرضـت، كتعويض، القفقاز على الروس. وطالبت فرنسـا عندئذ بنصيبها.

بما أن بريطانيا ـــــ العظمى حظيت بالسيطرة على قبرص، وجب التعويض على الفرنسيين بمستوى معادل. ومن قبيل الكرم، اقترحت بريطانيا – العظمى أرضـاً تخص الغير أيضـاً، تونس. قبل الفرنسـيون العرض برحابة صدر. هكذا، من دون مقاومة، كان ملتقى برلين مسرحاً لإعادة اقتسام الكثير من الأراضـي، المخصصة مجاناً ومن دون تردد للبلدان المشاركة، والذي بدل جزئياً شكل العالم.

فرنسا في إفريقيا، "المستعمرون" في السلطة.

لدى اختتام مؤتمر برلين، بدا السلم قد عاد إلى أوروبا. ففي فرنسا، عزز أنصار التوسع الاستعماري نفوذهم في وجه "طلاب الثأر". كما ثمرة ناضجة، صارت تونس، القطر التركي، الآن، في متناول اليد. عُرضت، كقطر في شرق الجزائر، المنطقة الفرنسية منذ ١٨٣٠، على فرنسا من قبل مجموعة الدول الكبرى.

تردد الفرنسيون مع ذلك بقبول هذا العرض. وبسمارك فضل أن يحتل الفرنسيون تونس على أن يراهم يكررون أفكار الانتقام المرة، وهدد بالاستجابة لمطالبة الإيطاليين بهذه المقاطعة. تسارعت الأحداث. في ٢٤ نيسان ١٨٨١، أرسلت باريس مايربو على ٣٠٠٠٠ جندي إلى تونس، بذريعة مؤازرة الحكومة التركية على سحق تمرد حدودي صغير، وفرض وجود وزير مقيم فرنسي استناداً إلى معاهدة بوردو (١٢ أيار ١٨٨١).



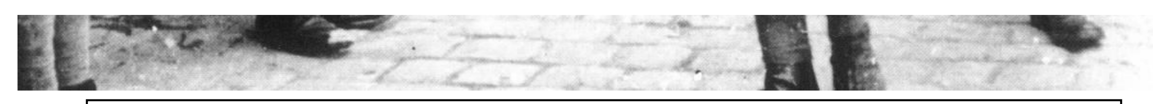
سجلت الحماية على تونس بداية التوسع الفرنسي في إفريقيا، وفي صبيحة حرب ١٩١٤-١٩١٨، ستكون فرنسا قد عادت ثانية ثاني دولة استعمارية في العالم. انخرطت الحكومة الفرنسية إذاً في سياسة إمبريالية ونقلت على عجل نظرها إلى مصر ووادي النيل، الأرض التي داسها جنود نابليون الأول. إن هذا الاهتمام بمصر سيفضي بها حتماً إلى الدخول في نزاع مع بريطانيا – العظمى التي احتلت هذا البلد.

فاشودا، تطور خطير

أُرســل وفد عســكري فرنســي إلى أعالي النيل في العام ١٨٩٨، والحكومة الفرنسـية في أشـد خلاف مع الاحتلال الانكليزي للسـودان، الذي أتى بعد احتلال مصـر كلها. كانت فرنسـا ما تزال مهتمة جداً بهذا الشـطر من إفريقيا ومغتاظة بهذا الوجود البريطاني في السودان، الذي أتى من دون أن تتشاور بريطانيا أو تتبادل الرأي معها.

بقيادة النقيب مارشـاند، وصـل العسـكريون الفرنسـيون في ١٠ تموز ١٨٩٨ إلى فاشـودا حيث رفعوا العلم الفرنسي. رد الإنكليز على الفور بإرسال كوكبة مدفعية إلى النيل. وصلت سفن الحرب الإنكليزية في

الجنرال البريطاني هنري ويلسن منظم إعداد القوات الفرنسية البريطانية



الجنرال البريطاني هنري ويلسن منظم اعداد القوات الفرنسية البريطانية



غليوم الثاني وفون مولتكه (الثاني إلى اليسار)، القائد الأعلى الألماني، خلال المناورات

مواضعهما للتشاور مع حكومتيهما.

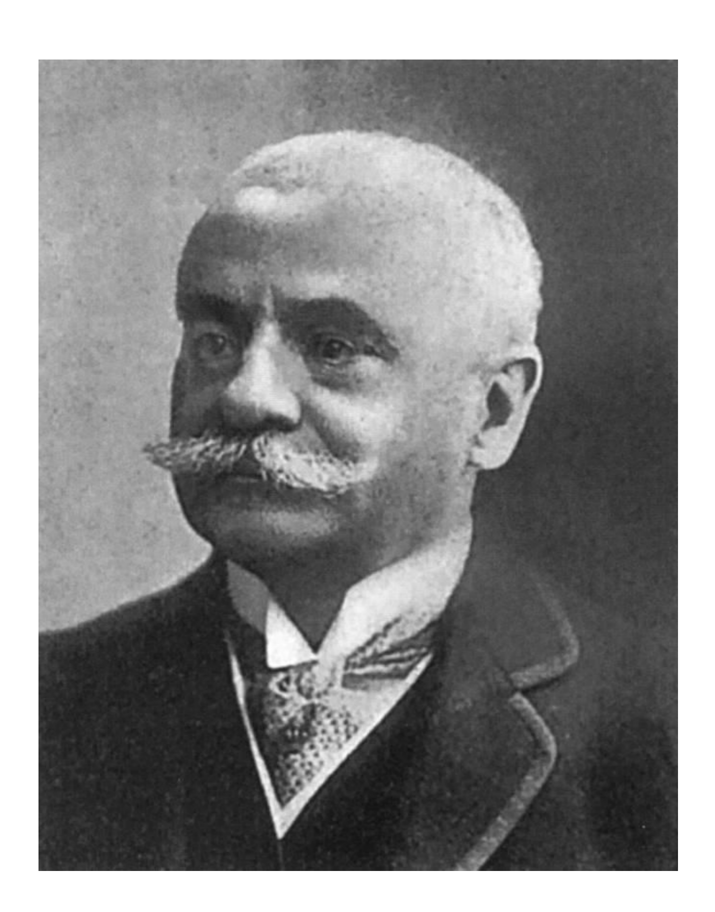
أنذر نزاع جاد منذئذ بالانفجار بين البلدين، واقترح دلكاسيه، وزير الخارجية الفرنسي التفاوض. رفض الإنكليز وأرسلوا بلاغاً نهائياً إلى الفرنسيين، يبلغهم الرحيل من الموقع. لاحت الحرب في الجو، استمر الوجود الفرنسي واستدعت القوات إلى فاشودا. تدهورت العلاقات بين البلدين على أثر هذا الحادث، لكن الإنكليز أرسلوا في العام ١٩٠٢، كظاهرة تقارب، الملك إدوارد لزيارة باريس زيارة رسمية. سجلت هذه الزيارة بداية تحسن العلاقات الرسمية بين البلدين. انفرج الجو، ليبلغ

أخيراً في العام ١٩٠٤ توقيع معاهدة صـــداقة عززت علاقاتهما التجارية. وبعد هذا أيضـــاً، ســـتعطي هذه العلاقات الجديدة ولادة اتفاق عسكري سري، يهدف إلى تعاون عسكري بين البلدين في حال احتمال حرب ضد ألمانيا، حرب ليست آنئذ في تصور ألمانيا نفسها، على الأقل.

متابعة التوجه الاستعماري الفرنسي، اعتزال وزير الخارجية.

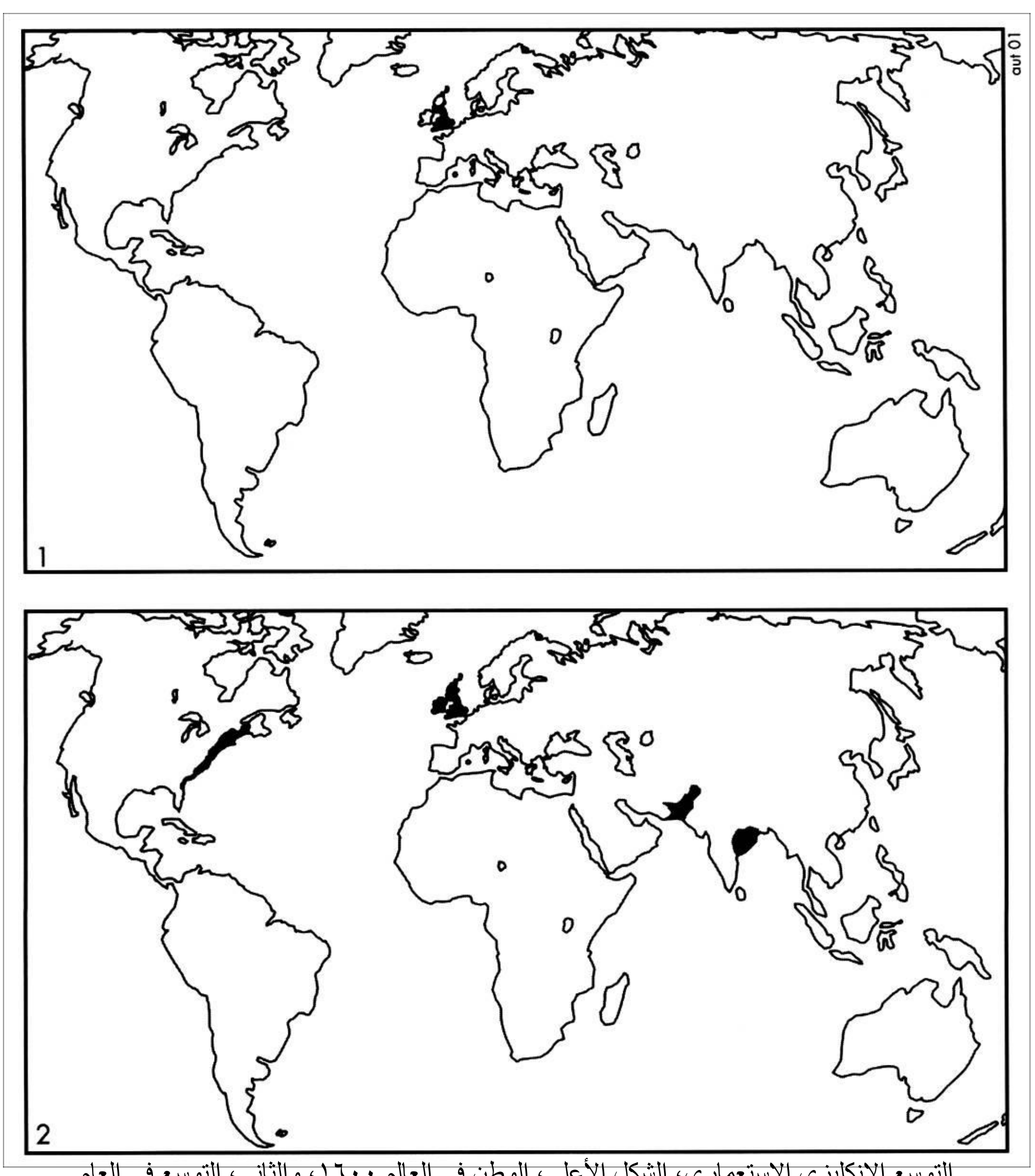
في فرنسا، خلال هذا الوقت، كانوا يتطلعون إلى إلحاق أراض أخرى إفريقية. كانوا يحلمون بإمبراطورية استعمارية شاسعة تبدأ من المحيط الأطلسي حتى تونس وتشمل مراكش. أجرى الساسة الفرنسيون مباحثات سرية مع إيطاليا، إسبانيا، وبريطانيا – العظمى بخصوص توسيع المصالح الفرنسية في إفريقيا، بينما كان الجميع، بما فيهم ألمانيا قد مهروا معاهدة مدريد، التي كانت توطد وتؤمن سلامة الأراضي المراكشية. استبعد المفاوضون الفرنسيون قصداً ألمانيا من المباحثات، عارفين أن هذه تسعى إلى مكافآت.

حيث أن ألمانيا صاحبة علاقات تجارية مع مراكش منذ العام ١٨٨٦، وخلقت فيها ثلاث روابط من الصف الثالث من وجهة النظر التجارية فلن تسمح طبعاً لفرنسا أن تهدد حقوقها الاقتصادية والسياسية من دون الحصول على مكافآت. ولما علمت ألمانيا، في العام ١٩٠٤، المخططات الفعلية الفرنسية، أبدت اعتراضاً حاداً واعتبر الموقف الفرنسي غير مقبول ومهين.



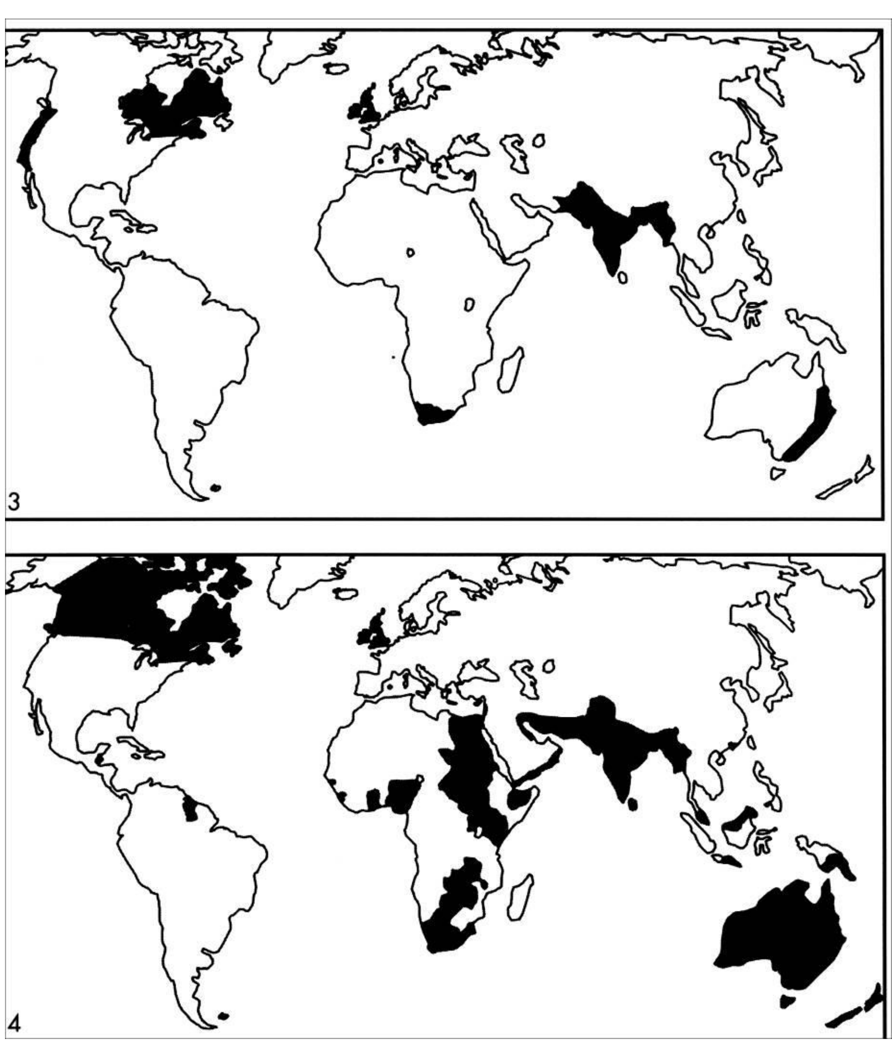
يتوفيل دلكاسيه
وزير خارجية فرنسا

قررت الحكومة الألمانية إذاً توجيه ضربة توقف توسع النفوذ الفرنسي في مراكش. طلب مستشار الدولة من الأمبراطور الذي يطوف في البحر الأبيض المتوسط، زيارة طنجة زيارة قصيرة. لكن غليوم الثاني رغم أنه لم يرغب في هذه الزيارة، لم يكن أمامه خيارات أخرى، وفي ٣١ آذار ١٩٠٥، توجه إلى طنجة، لمواجهة السلطان المغربي، وأعلن أنه



التوسع الإنكليزي الاستعماري، الشكل الأعلى، الوطن في العالم ١٦٠٠، والثاني، التوسع في العام ١٧٠٠، الثالث، التوسع في العام ١٨٠٠، الرابع، التوسع في العام ١٩١٨

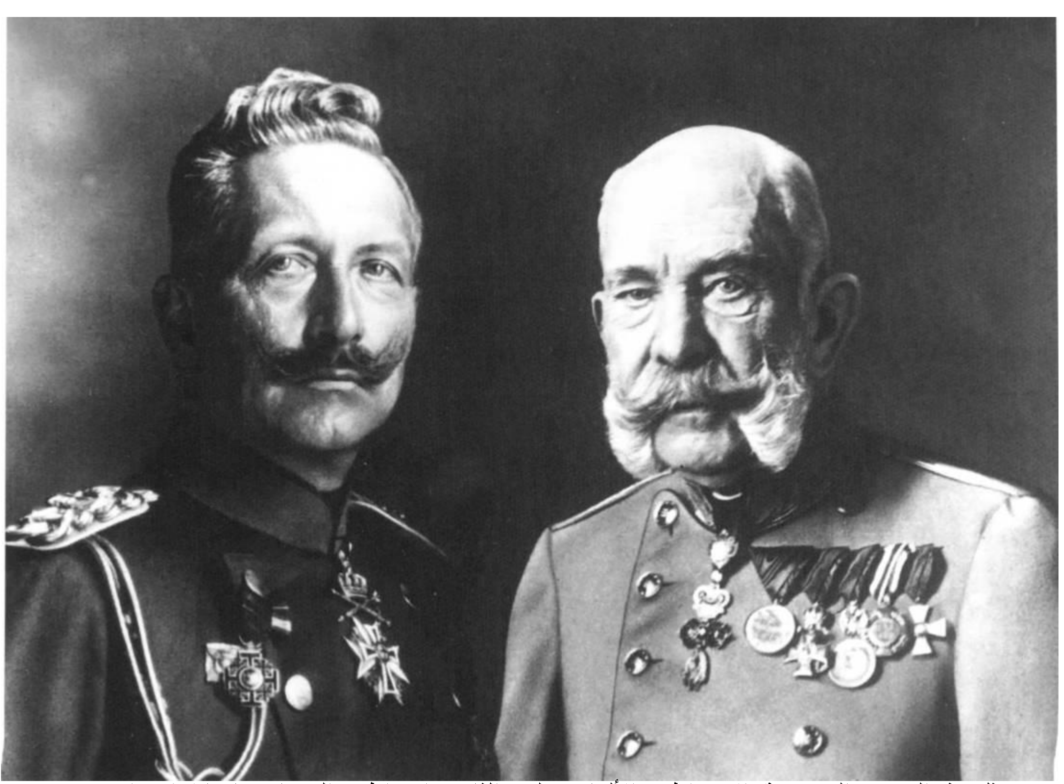
...يعتبر حامياً لسلامة الأرض المراكشية، وهكذا سحب البساط من تحت أقدام الفرنسيين. كانت هذه الزيارة مصدر خلاف عميق بين رئيس الوزارة الفرنسي، روفييه، الذي كان يخشى نزاعاً جدياً مع ألمانيا، ووزير خارجية فرنسا، دلكاسيه. كان هذا الأخير يرى أن زيارة غليوم ليست سوى محاولة إرهاب، وابتغى متابعة سياسته التوسعية. ولدعم وتوطيد هذه السياسة، ودَّ أن يرسل إلى طنجة عدداً من سفن الحرب. ولدى رجوع روفييه إلى الرئيس الفرنسي، ونتيجة لتوصية من الوزارة الغاضبة، وُبّخ دلكاسيه جدياً وتوارى مؤقتاً من المسرح السياسي.



أدركت الحكومة الألمانية الوضع بسرعة. طلبت عقد مؤتمر دولي لمزيد من المناقشة حول القضية المراكشية، عقد المؤتمر من كانون الثاني حتى نيسان في جزيرة "**Algésiros**". انتهى بمعاهدة كرست والتي تنص على تدويل مراكش وتوطيد الوضع المتميز لفرنسا في هذا البلد.

شكل هذا المؤتمر خيبة أمل عميقة لألمانيا: ببعض التفاصيل التقريبية، جنى الفرنسيون السيادة على طول هذا الخط. تحققت ألمانيا بألم ألاّ أصدقاء لها، وأنها مهددة بعزلة تامة، ووجهات نظرها غير مقبولة نهائياً. وقفت النمسا ـ هنغاريا فقط إلى جانبها، إنما تركتها البلدان الأخرى، بما فيها إيطاليا التي كانت مرتبطة بحلف مع الإمبراطوريتين الألمانية والنمسا ـ هنغاريا.

عززت الصدفة إحساساً أليماً، سيما أن ألمانيا لم تكن تنتظرها. ولمست آنئذ أن وضعها كدولة كبرى لم يحن بعد.



تمثل هذه الصورة الشخصية: الإمبراطور الألماني غليوم الثاني وإمبراطور النمسا هنغاريا فرانسوا – جوزيف

الأزمة المراكشية الثانية، ألمانيا ترسل سفينة الحرب "الفهد"

في العام ١٩١١ انبثقت أزمة جديدة، لما أرسلت فرنسا قوات إلى مراكش بذريعة حماية مواطنيها، من الاضطرابات المتفجرة. استشارت بريطانيا – العظمى وتركت ألمانيا خارج اللعبة. رأت هذه الأخيرة في إرسال التشكيلات العسكرية محاولة إضافية من طرف فرنسا لعرقلة المصالح الألمانية في مراكش، وردت بإرسال سفينة الحرب الفهد، دلالة أنها لا تميل إلى الاستسلام.

في هذه المرة أيضاً لم يكن للحادث حصيلة ما. لم تجرؤ فرنسا ثانية على خوض الحرب، لكن هذا كان للمرة الأخيرة. لم تحصل ألمانيا على دعم دول أخرى وبدت عزلتها التامة واضحة. وقد دعم إرسال السفينة "الفهد" العلاقة بين فرنسا وبريطانيا فلم تجنِ ألمانيا منه شيئاً.

وكانت ألمانيا وسط عالمٍ معادٍ، ولن يؤول هذا الوضع إلا إلى نزاع رهيب.

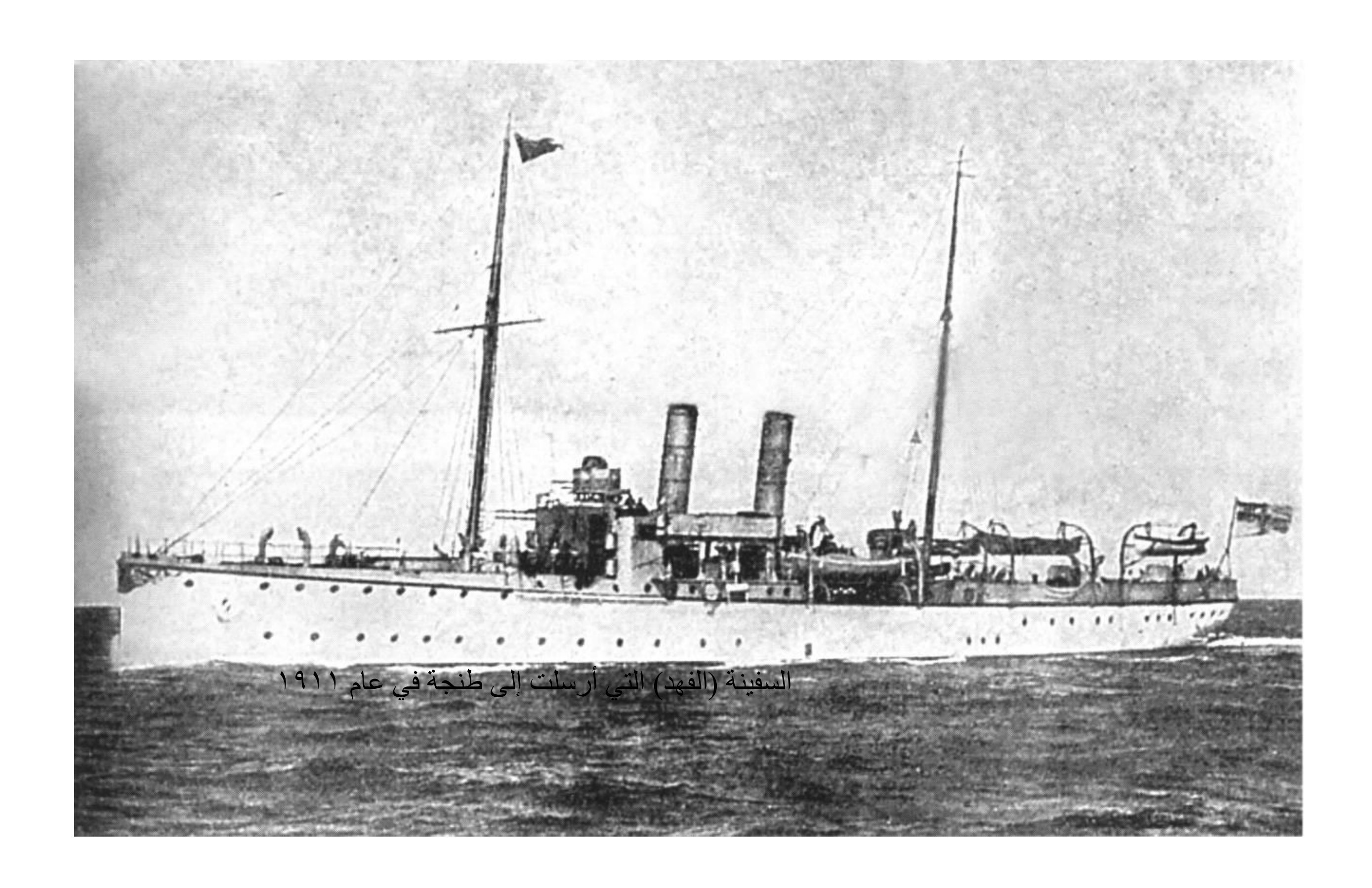
لم تغز الدبلوماسية الألمانية سوى مرة واحدة. رأى وزير الخارجية الألماني، الفريد فون كدرلند – ويختر، أنه يفضل الانسحاب من مراكش، رغم المكاسب الاستراتيجية الهامة التي يوطدها الوجود في هذا البلد، الذي يمكن أن يكون مستعمرة إمداد وقاعدة مرفئية أطلسية للبحرية. وكان يعتقد بالفعل أن حضوراً ألمانياً دائماً في مراكش كان سيفضي إلى تقارب بين فرنسا وإنكلترا، الأمر الواجب تجنبه أياً كان الثمن. ورأى أيضاً أنه يجب تركيز الضغط أولاً على فرنسا ما يبرر طلب المكافآت والتخلي عن كل وجود في مراكش.

إذا كان وصول سفينة (الفهد) إلى طنجة قد أثار الكثير من الاضطراب، فقد كان لطلب ألمانيا بمكافآت فعل قنبلة. طلبت ألمانيا بالفعل كل الكونغو الفرنسي لقاء مصالحها المراكشية وعرضت التوغو أو جزء من الكامرون الألماني. التفتت فرنسا فوراً نحو روسيا وبريطانيا العظمى. وردت هذه الأخيرة بعنف. ألقى الوزير البريطاني لويد جورج خطاباً وصل حتى التهديد بالحرب ضد

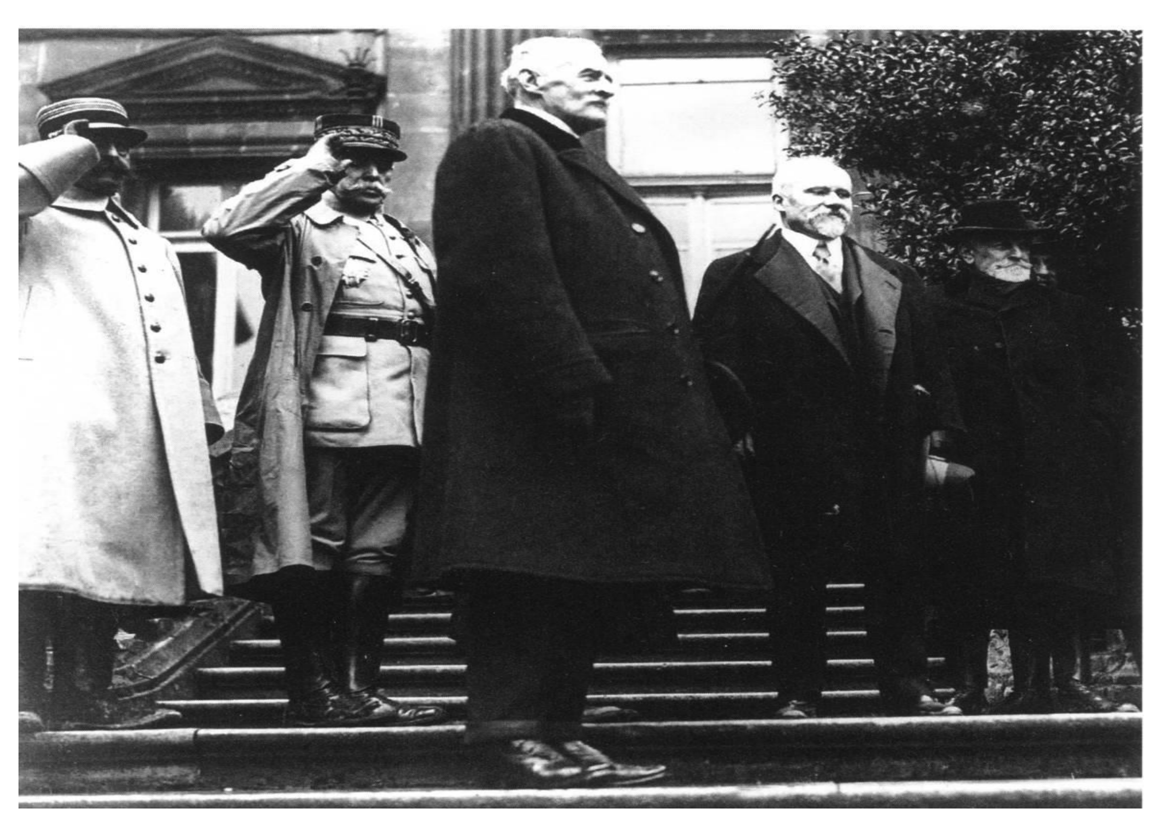
ألمانيا إن وضـــعت هذه تحت الخطر وضـــع الإنكليز في الحلبة العالمية. وفي تلك الفترة قرر الإنكليز الإعداد للحرب، ووفد الجنرال هنري ولسـن إلى باريس للمسـاهمة بالأعمال العسـكرية المحتملة الفرنسـية – البريطانية.

صدم الإمبراطور الألماني الذي لم يكن راغباً في إرسال سفينة (الفهد) برد الفعل الإنكليزي، وأفهم وزيره أن القضية المراكشية لا تستحق بالتأكيد نشوب حرب ولم يسمح له بمتابعة عمله.

وبغيظ احتملت فرنسا قضية الفهد. وخوفاً من حرب جديدة ولما كانت



السفينة (الفهد) التي أرسلت إلى طنجة في عام ١٩١١



الرئيس الفرنسي بوانكاريه (الثاني إلى اليمين) الذي لعب دوراً بالغ الأهمية في نشوب الحرب العالمية الأولى

...الحكومة الفرنسـية قليلة الثقة بروسـيا وبريطانيا العظمى في إعلان الحرب، قررت مفاوضـة ألمانيا حول المكافآت المطلوبة. وفي تشـرين الثاني ١٩١١، اتفق البلدان. وافقت ألمانيا على حرية العمل الفرنسـي الدائم في مراكش، وعلى التدخل العسـكري إن شـاءت فرنسـا. لقاء هذا حصـلت ألمانيا على ٢٥٠ ألف كم في الكونغو الفرنسي. أفضت هذه الملحقات إلى جعل فرنسا دولة استعمارية من الدرجة الأولى.

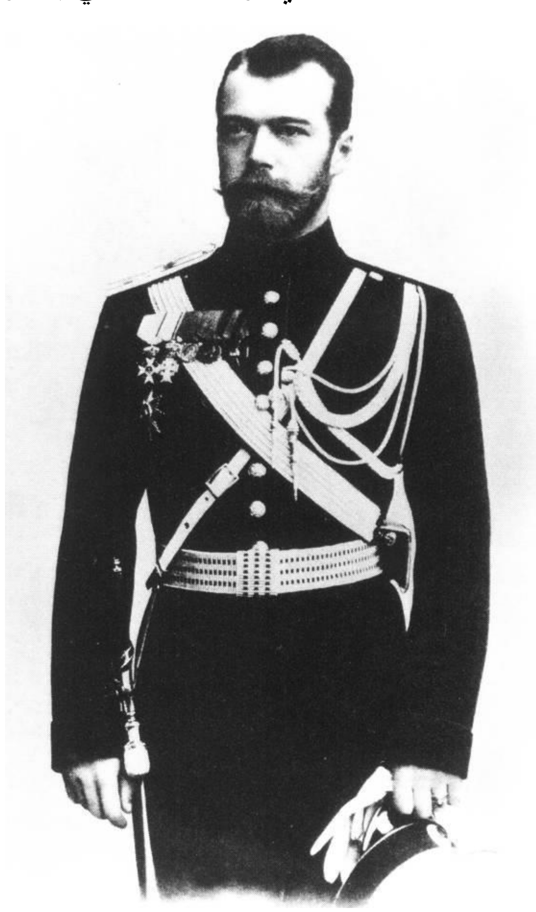
جنت قضية (الفهد) ثمارها وقطف كدرلن – وختر ما أراد. وظلت الحكومة الفرنسية راضية أيضاً، طالما انطلقت يدها في مراكش. وفي إنكلترا، بعد حقبة من الاضـطرابات الحادة، هدأت الأمور بسـرعة بعد التوقيع على الاتفاقات

الفرنسية ـــ الألمانية، وسويت العلاقات بين البلدان الثلاثة. واستمر السلم العالمي أيضاً لعدة أعوام، حتى ولو اكفهرت الغيوم في الأفق.

التوسع الاستعماري الألماني، مزاحمة سياسية واقتصادية.

في نهاية القرن الـ ١٩، كانت ألمانيا أمة في قمة التطور والنمو. كان ثلث شعبها في نمو سريع، في عمر يناهز الـــ ١٥ عاماً. والنمو العاجل الهام لصناعتها، المنتجة باستمرار منتوجات جديدة، دفعتها إلى البحث عن أسواق جديدة. لكن الأسواق كانت نادرة. وكان جلب المواد الأولية الضرورية للإنتاج يزداد تعقيداً. ولتكوين فكرة عن هذا النمو بين عامي ١٨٨٧ و ١٩١٢ كانت الواردات قد زادت أكثر من ٢٤٤% والصـــادرات ٢١٥%. وقد تجاوز نمو هذه النســبة المئوية في تلك الحقبة مثيله في الولايات المتحدة (١٧٢%)، وبريطانيا العظمى (١١٣%)، وفرنسا(٩٨%). وأنتجت ألمانيا أيضاً مزيداً من الفحم الحجري، الحديد والفولاذ. وصنّفت صناعتها الكيميائية الأولى في أوروبا. ونمت مشاريعها الضخمة الوليدة بوتيرة جامحة.

كان النمو الاقتصادي قريباً جداً مما في إنكلترا. وكانت أراضي التصدير البريطانية الخالصة سابقاً تغمرها الآن المنتجات الألمانية، في الأغلب جيدة النوعية وعالية السعر في سوق الأجهزة الكهربائية، المنسوجات والتعمير البحري. في بعض الحالات، كان الألمان يصدرون من السلع نحو الأسواق البريطانية أكثر من الانكليز بالذات. ولما شرعت ألمانيا بإنشاء أسطول تجاري (سابقاً كانت السفن التجارية الإنكليزية تحمل الشطر الأكبر من المنتوج الألماني)، قلق البريطانيون. قالوا إن ألمانيا تشكل الآن تهديداً حقيقياً ليس



القيصر الروسي، نقولا الثاني

عسكرياً بل اقتصادياً، هم عاجزون الآن عن مضاهاته.

مع ذلك، اتضح للحكومة الألمانية أن التصنيع والتصدير أصبحا لا بد منهما إن أرادوا الاستمرار في تغذية شـعب سـريع التكاثر ومسـتمر في العمل. وإن شـاؤوا تأمين المواد الأولية الضـرورية بهذا الهدف من دون الخضوع المستمر للإرادة البريطانية، صار امتلاك مستعمرات خاصة بهم أمراً محتوماً. لم تكن هذه المقدمات مع ذلك مسـتسـاغة لدى كل العالم وفي كثير من الحالات نوهضـت المشـاريع الألمانية. فحيثما أرادت توسـيع نفوذها، كما في الصين مثلاً في العام ١٨٩٧، عند استئجار كيو شاو، أو لدى محاولة البقاء في جزر سالومون في العام ١٨٩٨، أو أيضاً لما حاولت تأسيس مؤسسة تجارية في الفيلبين، أو عند محاولة إقامة أنبار ومراكز أو محطات تجارية في عدن / اليمن، وعلى طول الشـاطئ الفارسـي وعلى درب الهند، وجدت في دربها روسيا، اليابان أو إنكلترا. وهكذا صار التوسع السلمي للاقتصاد الألماني عملياً مستحيلاً.



الجحافل الروسية تستعرض أمام الرئيس الفرنسي عندما زار بطرس بورغ في تموز ١٩١٤م

عملياً، كان منطقياً أن تتضخم حاجتها الضرورية لامتلاك مستعمرات وأسطول حربي ينهض لحماية الدروب البحرية، يلائم شدة وحدّة تطور مقاومة البلدان الأخرى. في ذات الوقت، كانت بريطانيا – العظمى، تعتبر أن امتلاكها أقدر أسطول في العالم شرطٌ لا مهرب منه لمستقبلها، وأن تشعر في هذا الوضع بأنها مهددة ليس فقط من وجهة النظر التجارية، بل أيضاً العسكرية. مع ذلك افتقرت المناورات التكتيكية والدبلوماسية الألمانية غالباً للتبصر والتعقل فخلّفت إحساساً بالانزعاج المتزايد لدى البريطانيين.

بريطانيا – العظمى، دولة ضاربة

يرجع بناء إمبراطورية استعمارية بريطانية إلى القرن الـ١٧. نشبت الحرب العالمية الأولى في العام ١٩١٤، يوم كانت بريطانيا العظمى قد صارت أعظم إمبراطورية استعمارية في العالم. إذ كانت تضم فيما تضم، أُستراليا ونيوزيلندا الجديدة، هونغ كونغ، سنغافورا، ماليزيا، الهند، إفريقيا الجنوبية، مصر، السودان، نيجيريا، شاطئ الذهب، إفريقيا الشرقية البريطانية وأوغندا، الصومال، رودسيا، سيراليون، الهند الغربية وكندا. لكن كل هذا لم يكفها.

كان الإنكليز يهدفون لابتلاع شطر من فارس، وشطر من الإمبراطورية العثمانية، أي الشطر الأكبر من ما بين النهرين مع بغداد، خليج حيفا وعكا في البحر الأبيض المتوسط، وحتماً المستعمرات الألمانية في إفريقيا بغية فتح طريق من جنوب إفريقيا إلى القاهرة عبر القارة كلها.

ولتأمين حماية مستعمراتهم وإبقاء الطريق مفتوحاً بين بلدهم وأراضيهم وراء – البحر، كان الإنكليز يملكون أسطولاً ضخماً طيلة قرون، هو الأعظم في العالم، وليس لأي بلد أن ينازع التفوق البريطاني في البحر. كانت بريطانيا – العظمى، منطقياً تريد المحافظة على هذا الوضع. إن كل من يهدد بجعل هذا الوضع مطرح نقاش يُعتبر عدواً للملكة ويجب أن يُصارع ويُقهر. كانت بريطانيا – العظمى تقود سياسة تهدف للحفاظ على التوازن في العالم. وما إن يهدد بلد ما

أن يكون أقوى، حتى ترد بريطانيا – العظمى على أعدائها بشـكل يجعل المغامر يفكر مرتين قبل أن يبدأ يعكر صفو عظمتها.

خلال أعوام، نجحت بريطانيا – العظمى بهذه الطريقة باسـتتباب السـلم في أوروبا. مع أن التطورات التي حاولت سراً وضع حد لهذا السلم النسبي بدأت تظهر. وبدافع توسـعها الاقتصـادي كانت مشـاريع ألمانيا في تعمير أسطول ضارب، وبذلك أصبحت واحداً من البادئين بالتفوق.



هالدان وزير الخارجية البريطاني الذي كوّن الجيش البريطاني الذي أرسل إلى فرنسا في العام ١٩١٤

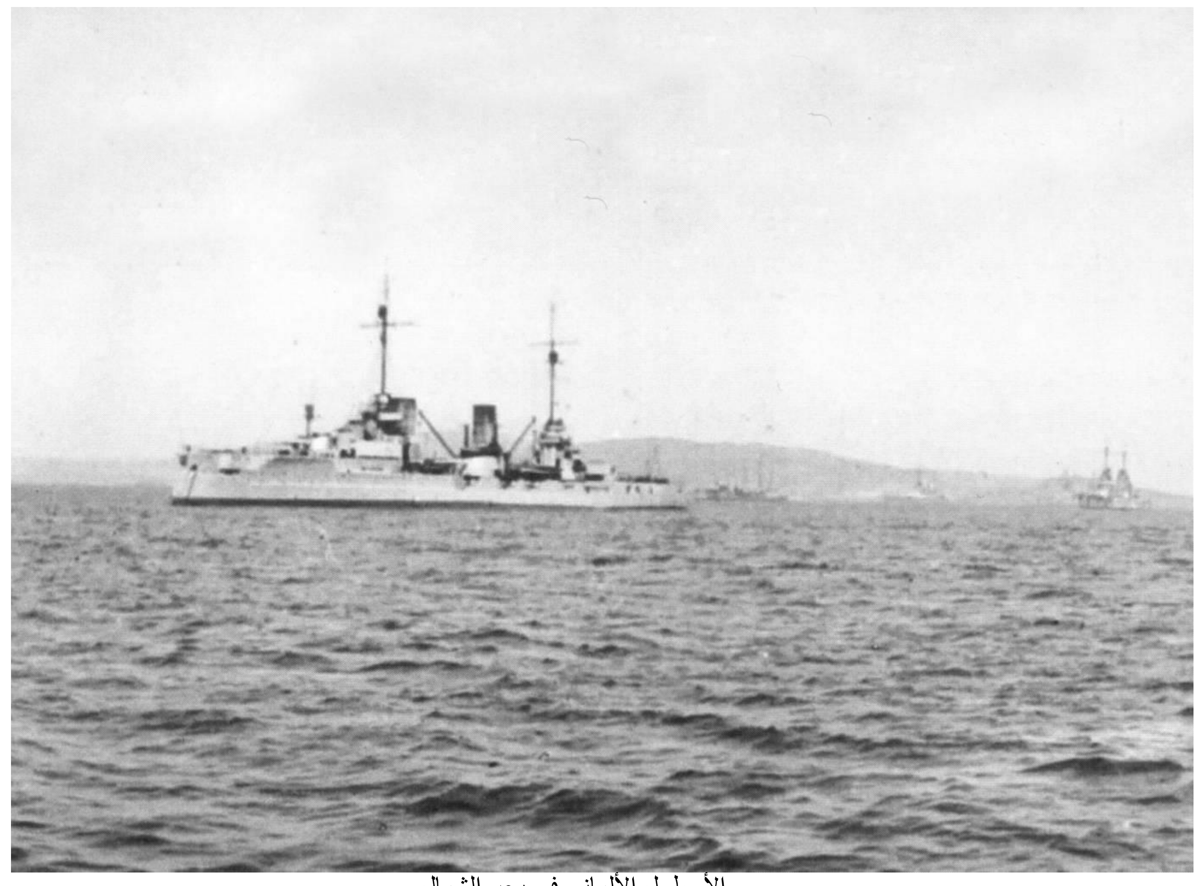
نهج الأحلاف

* ألمانيا

إثر الحرب الفرنسية ـــ الألمانية، بذل بسمارك كل جهد من أجل عزل فرنسـا سـياسـياً. لم يكف عن منعها من اسـتعادة مكانها بين الدول الكبرى، الأمر الذي يخولها بالتأكيد من الوقوف ضـد ألمانيا وتشـكيل خطر جديد. وبالتالي فعل كل ما يسـتطيع لأجل حرمان فرنسـا من تشـكيل حلفاء أقوياء. أحد هؤلاء الحلفاء ربما كانت روسـيا. فسـعى بسـمارك إذاً إلى الاتصـال بالسفير الروسي في برلين واقترح عليه تشكيل محور مع النمسا – هنغاريا في العام ١٨٧٣، وعقد حلف "الأباطرة الثلاثة". وعقد المتحالفون العزم على تبادل الرئاسة وبصورة رسمية على التحالف وقيادة سياسة مشتركة في حالة التهديد الخارجي".



وزير الدفاع الروسي يعيد تشكيل الجيش الروسي بعد هزيمته مع اليابان ١٩٠٥ والذي سقط ضحية العزل



الأسطول الألماني في بحر الشمال

غير أن العلاقات بين البلدان الثلاثة لم تكن جيدة باســـتمرار. ففي العام ١٨٧٩ لاحت القطيعة لما احتج القيصر الروسي ضد وقوف ألمانيا منهجياً إلى جانب النمسا – هنغاريا، في جميع الشؤون الهامة.

شعر بسمارك بضعف الثقة تجاه الروس. ومن دون أن يخطرهم عقد بالسر في ٧ تشرين أول ١٨٧٩ حلفاً عسكرياً متفرداً مع النمسا – هنغاريا يقضي أن يقدم البلدان المساعدة المتبادلة إن هاجمت روسيا أحدهما. ظل هذا الحلف سراً مدة مديدة، ولم تسمع روسيا حديثاً عنه إلا بالصدفة، بعد تسعة أعوام.

وفي العام ١٨٨١ و ١٨٨٤ جددت المعاهدة الثلاثية، إنما في العام ١٨٨٧ اهتزت العلاقة بين ألمانيا وروسيا فتركت هذه الأخيرة الحلف بمثابة اعتراض. وعلى الفور حاول بسمارك حصر الأضرار إلى أضيق حد وعرض حلفاً منفرداً على الروس، سمي فيما بعد "معاهدة تغطية".

التزم بسمارك البقاء على الحياد إن هوجمت روسيا من قبل النمسا – هنغاريا وأعلن استعداده لقبول النفوذ الروسي في البلقان، وحافظ على سرية هذه المعاهدة، التي كانت مناقضة تماماً لتلك التي عقدت مع النمسا – هنغاريا.



كان لابد من من الانتظار فعاجلا او اجلا سيصبح هذا الوضع مصدر عقبات انما عبر هذه الاتفاقات , اصر بسمارك على عزلة فرنسا ليحرمها من وجود حلفاء.

وفي عام ١٨٨٢ انضمت إيطاليا إلى محور ألمانيا والنمسا ـ هنغاريا، فعرف هذا بالمحور الثلاثي. حيث أن توسع النفوذ الفرنسي في شمال إفريقيا حيث كان لإيطاليا مصالح أقلقها. بالانضمام إلى ألمانيا والنمسا ـ هنغاريا قصدت إيطاليا ترجيح كفّة الميزان كي تزعزع مشروعات فرنسا حينما يكون ذلك ضرورياً. وقد أرادوا أن يبقى هذا الاتفاق طي الكتمان، لكن اشتراك إيطاليا كشف الأمر. عند وصول هذا الأمر إلى فرنسا، حاولت إقناع إيطاليا بالانسحاب من المحور الثلاثي بالتلويح باقتسام محتمل لمنطقة النفوذ في إفريقيا. مع أن إيطاليا للنظرة

الأولى لم تقبل العروض الفرنسـية شـكلياً، تمت اتفاقات عديدة بسـرية تامة وفي عام ١٩٠٢، عقد البلدان معاهدة بالغة السرية وعدت إيطاليا أن تكون بموجبها محايدة عند مهاجمة فرنسا من قبل ألمانيا، البلد الذي مددت معه المعاهدة القائمة، بعد بعض الوقت. مذّ تلك الفترة سـيسـحب شـريكا إيطاليا في المحور الثلاثي الثقة بها، لأنهما ارتابا بموقفها، وقد دلل التاريخ فيما بعد صـحة هذا العمل. وكان هذا تحولاً تاريخياً رغم طيب قصـد غليوم الثاني، لأنه سحق العزلة الفرنسية، لا بل دفعت ألمانيا فيما بعد غالياً نتيجة فعل الإمبراطور.

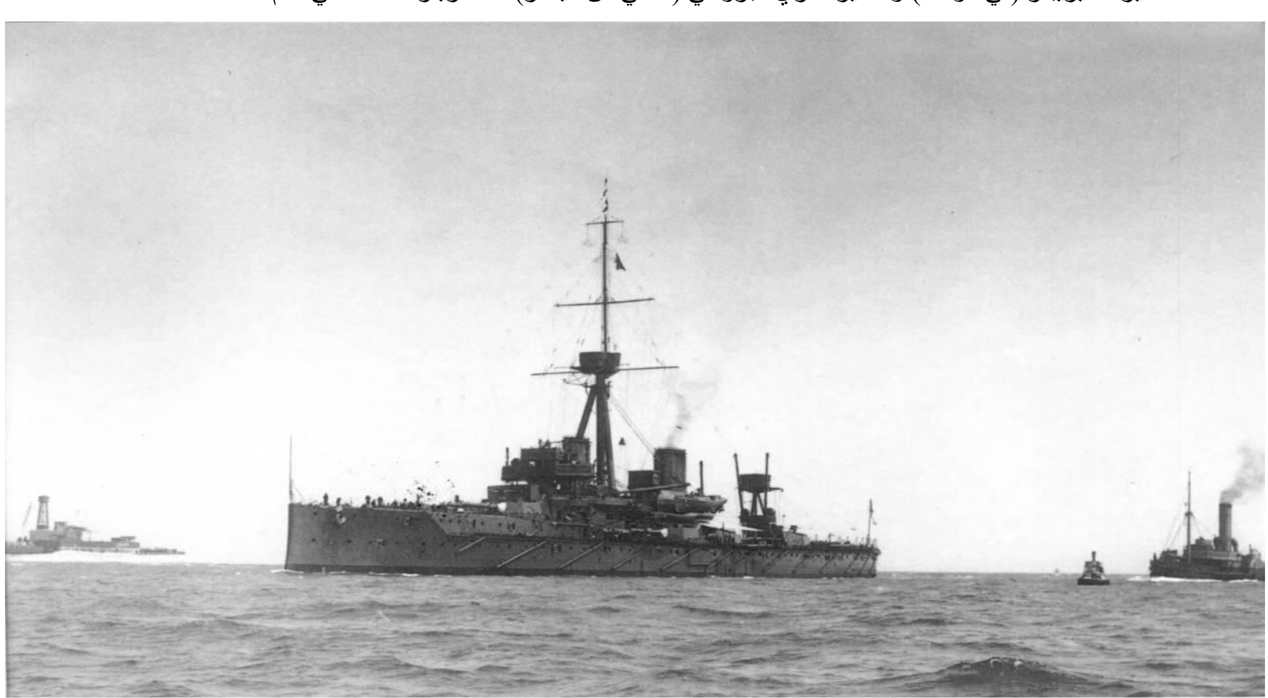
حينما استقال بسمارك في العام ١٨٩٠، خلفه الكونت كابريفي. رأى كابريفي أن اتفاق التمويه السري مع الروس كان متعارضاً مع المعاهدة النمساوية – الهنغارية وأنها غير مقبولة لهذا السبب. واعتبرها خيانة فعلية (وقد كانت هكذا فعلاً) ونصح الإمبراطور ألا يمدد هذه المعاهدة عند الاستحقاق. لبّى غليوم الثاني النصيحة.

الحلف العسـكري السـري الفرنسـي – الروسـي للعام ١٨٩٤، فاتحة ومقدمة الحرب العالمية الأولى.

ورد أعلاه أن فرنسا التي هزمها الجيش البروسي في العام ١٨٧٠ والتي عُزلت دبلوماسياً تماماً، مررت بعض الوقت قبل أن تصـحو من هذه المحنة ولكي تفكر بحماية حدودها. وفي حوالي العام ١٨٨٠ مع ذلك بدأت ببناء حزام دفاع جديد، يحول دون اختراق البلاد إن هي هوجمت. وفي تلك الفترة أيضـاً، عادت روح الانتقام إلى الميدان وفي العام ١٨٨٧، وقبيل تجهيز آخر استحكام من خط الدفاع، حددت خططها الأولى، التي كانت تهدف حتماً لاستعادة الألزاس – اللورين من يد المحتل.



الأميرال تيربيتز (في الوسط) والأمير هنري البروسي (الثاني من اليسار) أثناء زيارة خاصة في عام ١٩٠٠



عجّل بناء "سفينة (دريدناوت)" في الترسانات البريطانية من سباق التسلح البحري مع ألمانيا.

لم يكن في هذه الخطط استراتيجية دفاعية وتحول الجيش إلى قوة متجهة كلياً نحو الهجوم.

كان الهجوم المبدأ الوحيد، ودفع الجندي الفرنسي إلى الهجوم أياً كان الثمن وبكل الوسائل. وشُطبت كلمة الدفاع من قاموس المفردات الحربية الفرنسي.

بينما كان المقاتلون يتأهبون لغزو الإلزاس ــــ اللورين "المقدسة"، لم يكن الدبلوماسيون من دون نشاط. وضعت كل الوسائل في العمل لإلغاء عزلة فرنسا التي حرض عليها بسمارك، وعاد البلد مرتاحاً إلى خريطة أوروبا كدولة عظمى

صورة نابليون الثالث (١٨٠٨-١٨٧٣) إمبراطور الفرنسيين

استقبل الروس بواسدفري **Boisdeffre** بالترحاب. كانت أمنيتهم القديمة المرور بحرية من البحر الأسود حتى الدردنيل والبوسفور في البحر الأبيض المتوسط، ما تزال قوية. كانت هذه المضائق مع ذلك محرمة على سفن الحرب على أثر القرار الذي اتخذته الدول العظمى آنئذ ـــ بريطانيا ـــ العظمى، فرنسا، بروسيا والنمسا نتيجة حرب القرم وحددته معاهدة باريس في العام ١٨٥٦. وهكذا بقي الأسطول الروسي محاصراً في البحر

الأسود. من يريد أن يبدل هذا الوضع، عليه أن يحصل على كل التواقيع. إذاً، حتى آنئذ، كان لامهرب من بقاء المعاهدة. كان الروس يأملون إذاً، من الفرنسيين، فتح الثغرة الأولى في جدار المعاهدة، وبالنظر إلى أن القضايا مع بريطانيا ـ العظمى المطروحة بخصوص بلاد فارس تجعل التحالف مع فرنسا مغرياً جداً.

فعل الفرنسيون الكثير لتغيير الوضع مع روسيا. ففي تموز من نفس العام أرسلوا عمارة بحرية بصفة زيارة رسمية، تعمل بإلحاح على التقارب بين البلدين. وبعد عام، أوفد وزير الخارجية الروسية، جبيرس **Giers**، إلى باريس لعرض

المفاوضـات. كان يجب انتظار ١٨٩٣ للوصـول إلى عقد نهائي. طلب قيصـر روسـيا، الذي وقع العقد أن يبقى سرّاً لا يطلع عليه سوى رئيس الفرنسيين ووزير خارجيته. عقدت فرنسا إذاً معاهدة عسكرية سرية مع روســيا من غير علم البرلمان الفرنســي. تُبرز دراســة معمقة بوضــوح لهذا التعاقد الحربي أنه بالرغم من الحضــور الســلمي للمعاهدة لا يمكن الارتياب باحتمال النوايا العدوانية لدى البلدين. كانت فرنســا راغبة في اسـتعادة الإلزاس ـــ اللورين، وروسـيا ترغب في حرية عبور البحر الأبيض المتوسـط. لكن البلدين لن يبلغا هدفهما إلا بالتعاضد وقد قررا هذا. ثم التزمت فرنسا وروسيا القتال ضد ألمانيا حينما تكونان جاهزتين ويكون الوضع مؤيداً وملائماً. في ذلك الوقت عملتا على تطوير الجيش والأسطول، وضعتا خططاً مشتركة واستعدتا "للخطة العاصفة"، التي، كما ظنوا، ستأتي، حوالي العام ١٩١٧.

هكذا بفضـل عملها الحذر والحاذق في وقت معاً، نجحت فرنسـا ليس فقط بجذب حليف قوي، روسـيا، بل أيضاً بإضعاف المحور الثلاثي بعقد اتفاقات سرية مع أحد أقطابه، إيطاليا، فكان الحلف إذاً أقل قوة مما ظنوا. لكن الموقف كان عرضــة للتبدل، لأن فرنسـا الملتفتة الآن نحو بريطانيا ـــ العظمى لتتحالف معها أيضــاً في المعركة الكبرى ضد ألمانيا.

بريطانيا، أفول العهد الفكتوري

سجل موت الملكة فكتوريا في العام ١٩٠١ نهاية حقبة الازدهار في بريطانيا ــ العظمى. وإدوارد السابع، الذي خلفها، كان ذا شعور سلبي من ألمانيا والإمبراطور، وكان بالمقابل مظاهراً كبيراً للثقافة والحياة الفرنسية وعالمها.

في نهاية العام ١٩٠٥، سقطت حكومة المحافظين البريطانية وأخلت المكان للأحرار. واستلم ادوار غريّ وزارة الخارجية. كتب هذا الرجل العدو اللدود لألمانيا في العام ١٨٨٥ أن هذه الأخيرة هي العدو الرئيس لبريطانيا. وكان غريّ نصيراً هاماً لمعاهدة الصداقة الموقعة مع فرنسا في العام ١٩٠٤. ولحظ أن هذه

المعاهدة يجب أن تشمل ميادين أخرى (عسكرية). وكتب فيما كتب أن أوروبا كانت مقسومة إلى شطرين، المحور الثلاثي (ألمانيا، النمسا ــــ هنغاريا وإيطاليا). والحلف الثنائي (فرنسا وروسيا) أما الآن كان واضحاً لكل الناس أن إنكلترا مصنفة إلى جانب فرنسا. ودعم إذاً بقوة المداولات العسكرية السرية التي رُبطت بها الحكومة البريطانية تجاه فرنسا ولما صار وزير الخارجية في العام ١٩٠٥، تابع هذه المفاوضات من دون توقف.

لم يكن الشعب الإنكليزي، والبرلمان وأغلب أعضاء الحكومة مع ذلك مطلعين على هذه المفاوضات العسكرية الفرنسية ــــ البريطانية وجعلها غريّ في غاية السرية لأنه كان يعلم أن هؤلاء سيبرزان مقاومة عنيفة.

فقط رئيس الوزارة أسكيس، ووزير الحرب هلدان، الجنرالان والموظفان الكبيران شاركا غري في سرّه وكانا هما اللذان توصلا بسرعة إلى حصيلة تقول إن بريطانيا ــــ العظمى يجب أن تمتلك جيشاً ضارباً قادراً على الفور أن يُرسل إلى فرنسا عند احتمال وقوع الحرب مع ألمانيا.

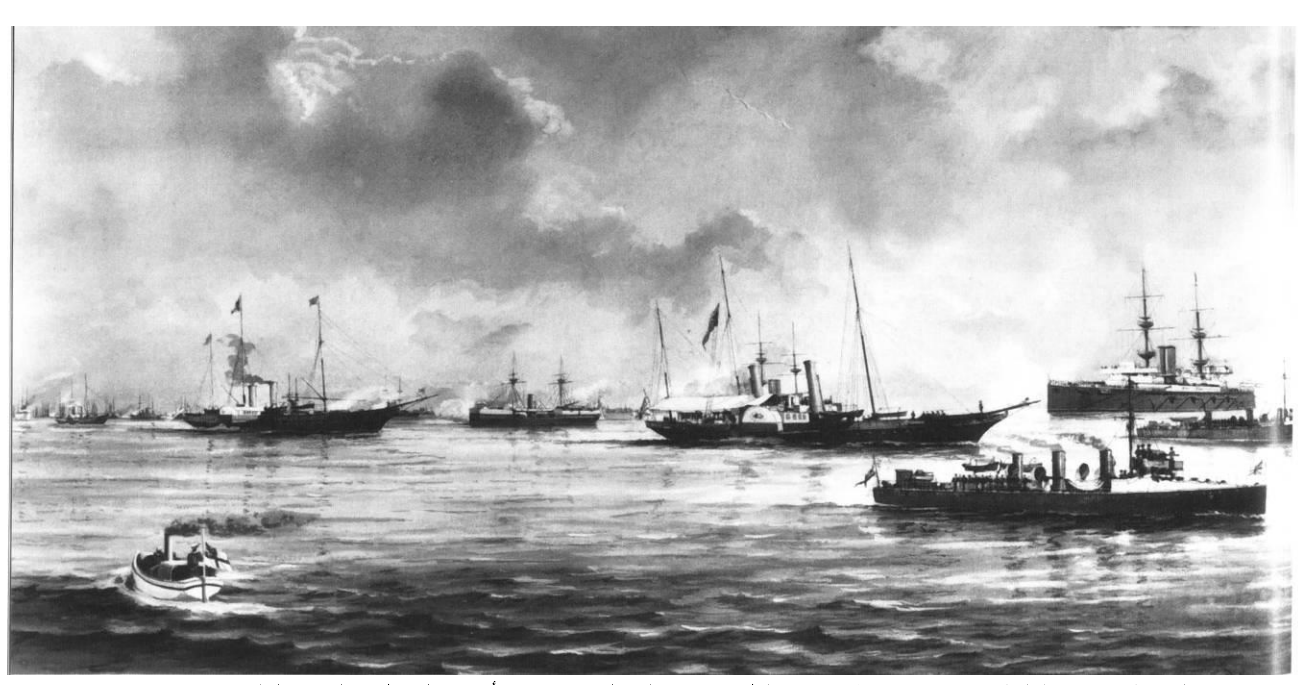
في ١٠ كانون الثاني ١٩٠٦، قدم الوزير هلدان خطة تشكيل حملة قادرة على الإبحار إلى فرنسا أو إلى بلجيكا خلال خمسة عشر يوماً وعكف على تطوير جيش كفء للوصول خلال أسبوعين إلى بلجيكا أو فرنسا لمؤازرة الفرنسيين متوقعاً احتمال حرب مع ألمانيا.

في هذا الوقت، حاول الجنرال البريطاني غريرسون بدء مفاوضات عسكرية مع البلجيكيين، ورغم أن الحكومة البلجيكية كانت ملتزمة احترام الحياد الذي فرضته المعاهدة على البلد، شارك مع ذلك الجنرال البلجيكي دوكان سراً بالمفاضات، ووعد

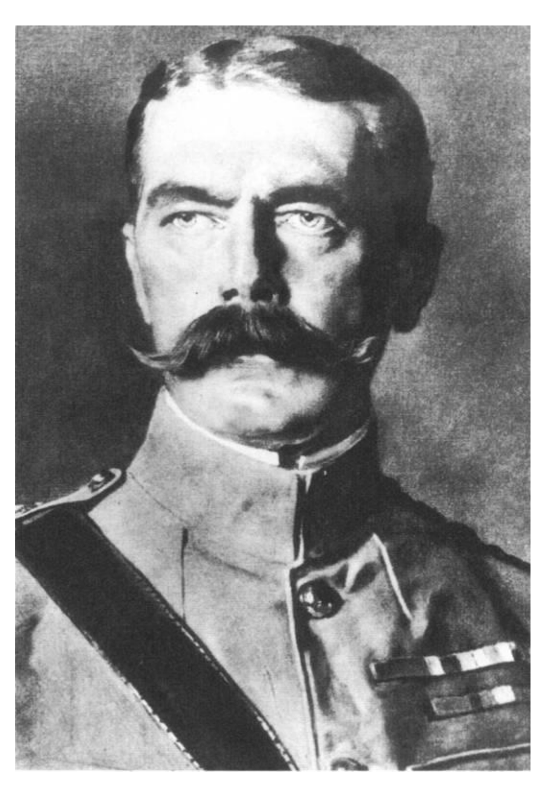
الجنرال الفرنسي بواس دلفر، أحد المبادرين للاتفاق الفرنسي الروسي في العام ١٨٩٤

الإنكليز أن الألمان إذا حركوا وجمعوا جيشاً قرب ايكس ـــ لا ـــ شابل، يهاجم الجيش البلجيكي على الفور.ووعد غريرسون أن يضع ١٠٠ ألف جندي بريطاني في تصرف البلجيكيين. وفي ١٩١٠ رفع خليفة غريرسون، الجنرال هنري ولسون هذا الرقم إلى ١٦٠ ألف رجل. وفي العام ١٩١٢ لما أخذت الحكومة البلجيكية الأمر بجدية وحالت دون عقد أي اتفاق عسكري مع الإنكليز. وضع ولسون خططاً جديدة، ولم يقم البلجيك بأي رادع يذكر، وفي حال الضرورة، يتم الإبحار رغم معارضتهم. من الغريب أن الأركان البريطانية قبلت خرق حياد بلجيكا، لضرورة الوضع العسكري، الحياد الذي ضمنته آنئذ فيما ضمنت بريطانيا ـ العظمى، وأن هذا الخرق سيدان كجريمة غير مقبولة إذا اقترفتها ألمانيا. ووضع الفرنسيون بدورهم خططاً للغزو المحتمل لبلجيكا، من دون رضى حكومتها، إذا رأته مفيداً من وجهة النظر العسكرية، ومع ذلك، تماماً قبل إعلان الحرب، في ١٩١٤، قدمت الأركان الفرنسية طلباً بهذا المعنى إلى الرئيس الفرنسي بوانكاريه.

في ١٩١٠، عين الجنرال ولسون قائداً للعمليات الحربية وصار هكذا العنصر المحرك الأهم في التعاضد الحربي الفرنسي ـ البريطاني، الذي شمل القوات البحرية.



نهاية حقبة: تجريد الملكة فكتوريا في إنكلترا من سلطاتها وإرسالها إلى مسكنها الأخير على ظهر اليخت الملكي (تاميز)



وفي آذار ١٩١١، كانت خطط إبحار أربع فرق إنكليزية إلى فرنسا وبلجيكا جاهزة جاهزية كاملة وفي ٢٠ حزيران من هذا العام، وقع ولسون اتفاقاً مع الجنرال الفرنسي دوبيل **Dubail** الذي ارتأى أن يُرفع هذا العدد إلى ست. كل هذه المفاوضات وهذه الاتفاقيات كانت سراً على البرلمان وأغلب الوزراء الإنكليز. الأسئلة المطروحة كان الجنرال غريّ يجيب عليها بعدم وجود أي اتفاق مع الحكومة الفرنسية يقسر الإنكليز على الحرب مع ألمانيا. وانتهى الأمر بعدم تصديق هذا الإنكار لأن بعض التفصيلات انتشرت.

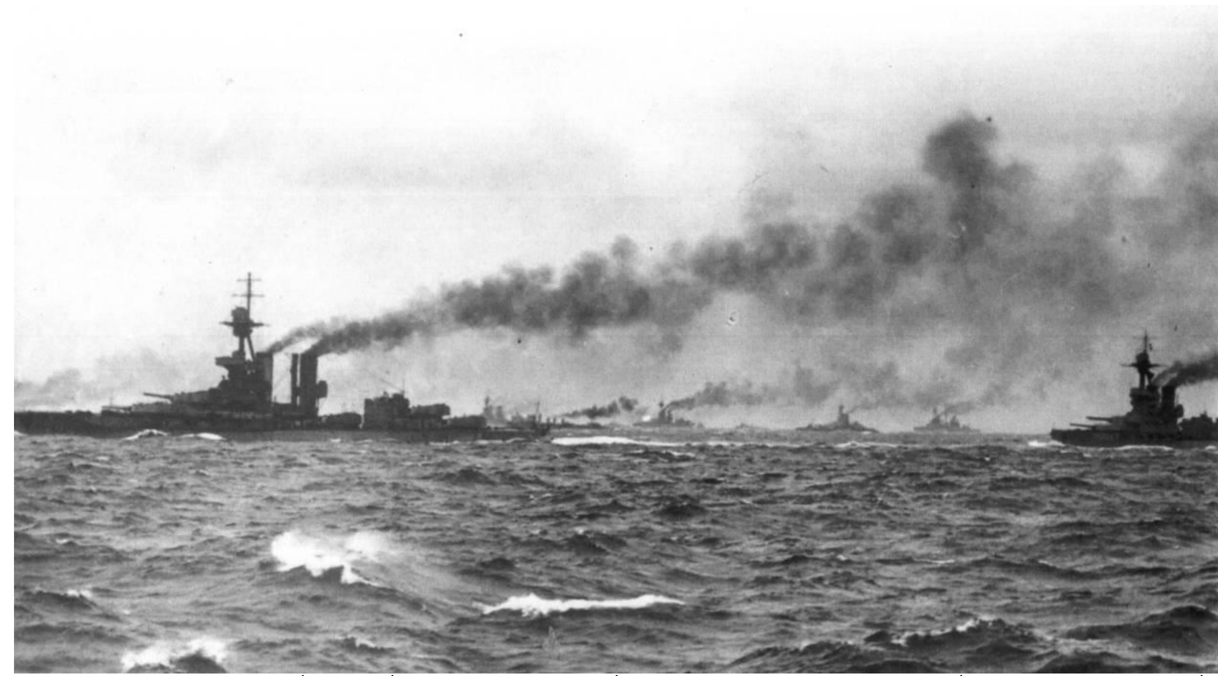
الوزير كتشنر، وزير حرب المملكة المتحدة. جابه نزاعاً طويلاً وارتأى ضرورة وجود جيش جرار

وهدد العديد من الوزراء بالاستقالة إذا لم تعمم الحقيقة. وطُلب تعهد مكتوب من رئيس الوزارة بعدم خوض أي مفاوضات فرنسية ـــ إنكليزية بصدد تعاضد حربي من دون علم البرلمان وموافقته التمهيدية. كان يجب نشر هذا التصريح لكن الجنرال غريّ لم يبال به واستمرت المفاوضات كالسابق. وفي العام التالي، ناقش الفرنسيون والبريطانيون وضع قواتهم البحرية. وقرر السحب التام للأسطول الفرنسي من بحر الشمال إلى البحر الأبيض المتوسط. والحصيلة انسحب الأسطول الإنكليزي من هذا البحر تقريباً كله لحماية الشواطئ الفرنسية من هجوم ألماني محتمل. هكذا، غادرت الأساطيل: الفرنسية، الإنكليزية، الروسية
بصورة جذرية ما أمكن ولكل منها تركيز عمله، على أرضه.

بعد تسوية وتنظيم العلاقات الحربية مع فرنسا، لم يوقع غريّ شيئاً، صارت الاتفاقات تتم شفاهاً، في سرية بالغة، وقرر توطيد الصلات مع روسيا. مع أنها خرجت ضعيفة جداً قتالياً من حربها ضد اليابان في ١٩٠٤،فكرت أن تلعب دوراً هاماً في حلف مع فرنسا وبريطانيا ـــ العظمى، موجه ضد ألمانيا. وفي حالة الحرب، كان هذا التحالف شؤماً عليها. وفي ١٣ آب ١٩٠٧، وقع البلدان معاهدة تنظم

عدداً من النزاعات، وفيما بعد، زار الملك البريطاني القيصر، على رأس عدد من كبار العسكريين.

في أثناء المداولات التي تلت، ألح البريطانيون على تعزيز الروس لقواتهم الحربية لكي تقدر أن تلعب دوراً حاسماً في الحلبة العالمية إن تطلب الموقف، إلى جانب فرنسا وبريطانيا العظمى. ولقد أدرك الإنكليز بوضوح أنهم يتوقعون وضعاً مأزوماً خلال سبع إلى ثماني سنوات، إن تابع الألمان تعمير أسطولهم القتالي. في هذه الحالة، تقدر روسيا أن تلعب دوراً هاماً، كما أكد الناطق الحربي البريطاني. رد الروس بالإيجاب على هذه الدعوة، وبدعم وزير الخارجية البريطاني تقدموا خطوة جديدة نحو العزل العسكري والدبلوماسي لألمانيا. وفي حالة الحرب المحتملة، سيضطر هذا البلد أن يخوض حرباً على جبهتين معاً قبالة ثلاثة خصوم كبار. فلن تستطيع ألمانيا أن تنتصر في مثل هذه الحرب التي كانت نتيجتها منتظرة من الطرفين.



الأسطول البريطاني المعتبر أنه لا يقهر، والذي، على هذا، لم يقدر أن يهزم "هوشيز" من الأسطول الألماني في معركة جوتلند في العام ١٩١٦



في العام ١٩١٤، تكونت كتلتان وجهاً لوجه، من جهة الحلف الثلاثي، أي روسـيا، فرنسـا وبريطانيا ـــــ العظمى، ومن الطرف المقابل المحور الثلاثي المؤلف من ألمانيا، النمسـا ـــ هنغاريا وإيطاليا، حلقة ضـعيفة وغير موثوقة. اتضـــح لألمانيا ولعدة أعوام تفوق الخصــم كثيراً، فالحرب ســتكون إذن شــؤماً عليها. دعم العســكريون نشــوب الحرب المنتظرة ما دامت ألمانيا تنتظر الفرصـــة، لأن هذه الحرب، التي ينتظرها كل العالم، لا يمكن كسبها إلا الآن. رفض الإمبراطور ومستشار الإمبراطورية مع ذلك الاستجابة لهذا الطلب.

الخصومة البحرية بين إنكلترا وألمانيا

خلال هذا الوقت، سبب برنامج تعمير الأسطول الألماني على يد الأميرال تريبتز والهادف إلى رفع ألمانيا إلى دولة كبرى بحرية واستعمارية، بعض الضيق عند الإنكليز، بالأخص عند مركز القيادة البحرية.

منذ العام ١٩٠٠، اهتمت الحكومة البريطانية بســرعة تطور القوة الاقتصـــادية الألمانية. ماذا يطرأ إذا منعت ألمانيا وصول المواد الأولية القادمة من المستعمرات

الإنكليزية، مثلاً في أثناء الحرب ؟ عزز برنامج تعمير الأســطول الألماني هذا التوجه وفكرت الحكومة البريطانية القيام باستعراض واستنتجت أن ألمانيا إذا قدرت أن تقطع الصلة بين بريطانيا ومستعمراتها، فأن بريطانيا ســتكون أمام كارثة حقيقية. ولوحظ في ذات الوقت أن العكس يمكن التفكير به ودراســته. وقد قرر إقامة حصـــار كامل للمرافئ الألمانية في حال نشـــوب الحرب. وفي العام ١٩٠٧ جهزت الخطط ورغم أنها متعارضة كلياً مع الأصول البحرية التي وضعها الإنكليز أنفسهم، اعتبرت في عام ١٩٠٩ "ضرورة قتالية ".

رأى الاميرال تريبتز أن إمكانية قيام حصار إنكليزي هي أحد الأسباب الرئيسة لمتابعة تجهيز الأسطول، لأن هذا الأســطول إن كان على أتم اســتعداد، ســتتردد بريطانيا فعلاً قبل أن تقيم حصـــاراً. وقد شــوطر هذا الإحساس على نطاق واسع .

خلال هذا الوقت، باشر الإنكليز تعمير دردونج نموذج جديد كلياً لســفينة حربية من حيث الفاعلية، التصــفيح والتســليح كانت تترك وراءها وعلى مسافة كل سفن الحرب المتوفرة. إن بناء هذا النموذج من المراكب سيؤمن لعدة سنين، لبريطانيا ـــ العظمى التفوق على كل القوى البحرية في العالم. كان لهذا الوضـــع حتماً نتائج، وكان واضحاً أن سباق التسلح البحري مع ألمانيا قد بلغ وتيرة عالية جداً.

لتعطيل هذا الســباق، تمنى الإنكليز آنئذ عقد مؤتمر حول هذا الموضـــوع، يمكن عقده في "لاهاي" واقترحوا تخفيض أهمية كل الأســـاطيل، بما فيها أســـطولهم. كانت هذه المبادرة الإيجابية لأول نظرة مع ذلك ساذجة بعض الشيء.



جندي إنكليزي يودع ذويه قبل الذهاب إلى الجبهة

لأن بريطانيا ـ العظمى بعد تجهيز دردونج تقدر أن تسمح لنفسها بإبعاد عدد من السفن القديمة وتعويضها بدردونج أقل عدداً، وأقوى. فليس مدهشـــاً إذاً أن ترفض ألمانيا هذا الاقتراح الإنكليزي. لما اطلع الألمان على المعاهدة الإنكليزية – الروسية التي عقدت في العام ١٩٠٧ اعتبروها بحق ائتلافاً. آنئذ بدأوا يقلقون لاسيما لما زار الرئيس الفرنسي في العام ١٩٠٨ بريطانيا ـــ العظمى زيارة رسمية بعدئذ ألحت بعض الصحف الفرنسية على إعلان الخدمة الإلزامية ـــ خدمة العلم ـــ في بريطانيا العظمى. ولم تفض زيارة ملك بريطانيا لروسيا في ذات العام، برفقة عســـكريين من الصـــف الأول، إلى طمأنة ألمانيا. فبدأت الريبة من عقد معاهدة بين البلدين تنبلج. ورأت ألمانيا نفســها أكثر فأكثر بين فكي كماشـــة بلدان معادية وتعززت إرادتها في أخذ الدفاع بشـــكل جدي.

اسـتغل مركز الشـؤون البحرية البريطانية القلق الذي أثاره تطور تعمير الأسـطول الألماني في بريطانيا، لكي تجني تقدماً في تنفيذ خططها. ففي كانون الثاني، نشـــر تقرير يشـــير أن ألمانيا ليس فقط بدأت برنامج دردونج بل أيضــاً سـيكون عندها في ١٩١٢ عشـرون مركباً من هذا النوع. وللحفاظ على تقدمها على ألمانيا، طلب مركز الإدارة البحرية ميزانية جديدة لتجهيز ثمانية دردونج إضافية تسلم في ١٩١٢.

هذه المرة تحمل مركز الإدارة البحرية انتقادات من مصدر غير منتظر، وهو تشرشل، رئيس آنئذ **Board of Trade** (غرفة التجارة)، والذي عارض هذا الاقتراح الســابق لوقته حســب رأيه. صـــرح أن هذا الطلب كان نتيجة تصـور أحداث تحت تأثير الرعب، من أجل دوافع سياسية محددة حزبية، ومساهمة بسياسة طارئة،



استخدمت الحكومة الإنكليزية هذا الشكل من الدعاية كتحذير من تعطش سلطة الألمان للسيطرة على أرضٍ جديدة

مثيرة، عدوانية وهروب إلى الأمام". تحدٍ واضـــح، أولته الصــــحافة حذراً فريداً ودعمته. وتابعت البحرية البريطانية مع ذلك نشـر تحذيرات غير واقعية بخصـوص القدرة الضـاربة للأسـطول الألماني، وظهر خطأهم لما اتضـح أن ألمانيا لا تملك واحداً وعشـرين بل فقط اثنتا عشـر دردونج. بالفعل، ولم يشـكل الأسـطول الألماني تهديداً جدياً على البريطانيين.



قتل ملك صربيا ألكسندر وزوجته أدهش العالم كله. وود خلفه الملك بطرس الأول في ١٩٠٣ تحقيق صربيا الكبرى وأقام صلات ووشائج متينة مع روسيا.

في بريطانية ذاتها تطور كثيراً نقد طريقة سباق التسلح مع ألمانيا. طرحت الصحافة بوضوح مسألة معرفة ضـرورة التعاون قبل دعم الاعتراضـات. صـار هذا النقد شـديد اللهجة ما جعل الحكومة غير قادرة إلا على شـيء واحد، في الأقل فيما يخص الخارج، هو محاولة تخفيف التوترات بين البلدين. أيضـاً، لما بادرت ألمانيا في العام ١٩١٢ فتح مفاوضـات بهذا الشـأن، أرسل غريّ، وزير الخارجية البريطاني، هلدان، وزير الحرب، إلى برلين مع تعليمات رسمية ووحيدة هي طمأنة الألمان، على ألا يُجر إلى عقد اتفاقات.

إن استقبال هلدان التحببي في برلين أدهشه جداً. فالإمبراطور بذل قصارى جهده ليبدو مرحباً وفعل المستشار ما أمكن ليصـل إلى حل مشـرف. أعد الرجلان بروتوكول اتفاق كتب بصـدده هلدان فيما بعد: "لم آت إلى ألمانيا بمهمة توقيع معاهدة. هذا النوع من الأشياء يتطلب كثيراً من الإعداد، لكني هنا بهدف تمحيص إمكانية عقد معاهدة. أنا لا أعرف طبعاً ماذا ترى الحكومة البريطانية في نتائج مفاوضاتي. لكنها حتى الآن ناجحة بالصورة التي لم تكن منتظرة، ولا متوقعة".

طبعاً للأسـف، غريّ الذي فوجئ بنجاح هلدان، أشـعل على الفور ناراً متقدة مشـكلاً مطالب جديدة وأرجأ الجواب. بعـث هـذا التكتيـك خيبـة أمـل كبرى لـدى الإمبراطور الـذي كـان يرتـاب بعـدم قبول البريطـانيين الاقتراحات الألمانية أو باهتمامهم الفاتر بالجواب عليها. وفي نهاية المطاف توارت التطورات الإيجابية ما أعاد هلدان إلى نقطة الصفر. إن إرادة غريّ، الذي أطلع السفير الفرنسي على زيارة هلدان في ألمانيا وأسرّ له أن "أيّاً كانت النتيجة، سـأسـهر على ألاّ تبلبل المفاوضـات بأي طريقة العلاقات الطيبة مع فرنسـا"، ما كوّن السبب الرئيس لتراجع التوترات.

إن سباق التسلح بين البلدين أخذ آنئذ مداه مقلقاً هكذا من إمكانية دوام السلم حسب مرور الزمن.

صربيا مصدر التوترات، إغتيال ألكسندر اوبرنوفك.

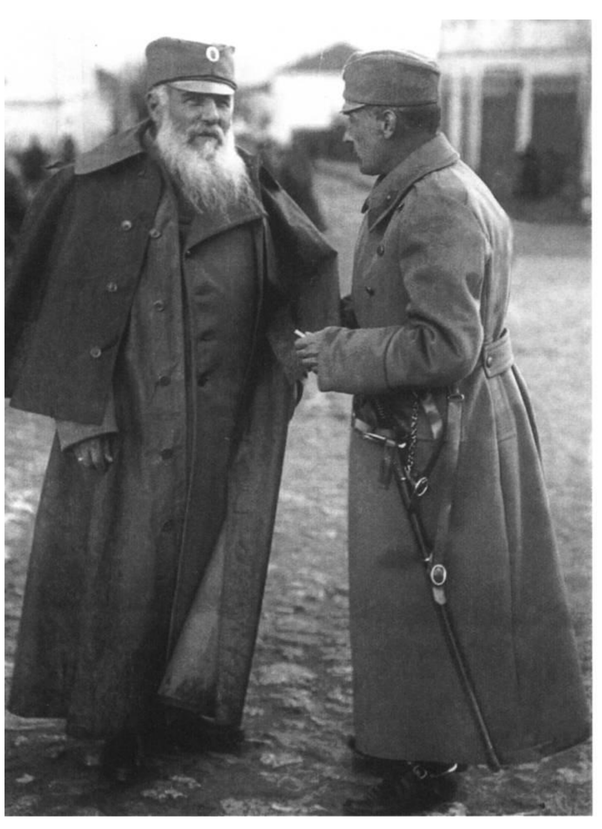
بينما تفاقمت التوترات على المسرح الدبلوماسي الدولي، ازداد اضطراب الوضع في البلقان أكثر فأكثر. فبعد تمردات أعوام ١٨٠٠ و١٨٠٧ يوم نجحت صـــربيا جزئياً بدحر الهيمنة التركية، عاد البلد في العام ١٨١٣ جملة إلى رقابة تركيا. وفي العام ١٨٢٩ ألزم الروس السلطان التركي بإعطاء صربيا استقلالها. ما أفضـــى إلى بســط نفوذها بعنف على هذه المنطقة. وفي العام ١٨٦٧، تمكن ملك صـــربيا ميلان أوبرنوفك، بمساعدة النمسا – هنغاريا من طرد آخر القوات التركية نهائياً من صربيا، واعتبرت آنئذ مستقلة كلياً. وعلى عجل مع ذلك خضعت كلياً لرقابة النمسا – هنغاريا من حيث الاقتصاد. بالفعل فرضت هذه البلاد على صربيا نوعاً من الحماية، مستغلة بحذق ضعف الملك ميلان أوبرنوفك. أثار هذا الالحاق الغضب في البلد وتنامى وأفضى إلى مكيدة وانقلاب.

وفي العام ١٨٨٩ أكره ميلان على التخلي عن السلطة لابنه ألكســندر أوبرنوفك. "كما الوالد، كذلك الابن "، كما يقول المثل، كان هذا صـــحيحاً مع الملك الجديد. تابع ألكســندر ذات السياسة تجاه النمسا – هنغاريا ولم يخرج عن رضـــاها. وفي حزيران عام ١٩٠٣، في أثناء مكيدة حاكها ضـــباط الجيش اغتيل بوحشـــية مع قرينته وأخو



الملك بطرس ورئيس وزرائه بازيك (الملتحي) والذي لعب دوراً هاماً في الحرب العالمية الأولى.

الزوجة ووزير الحرب، ما أدى إلى خروج عائلة أوبرنوفك من الوجود السياسي. أملت النمسا – هنغاريا التي ساندت المكيدة سراً اعتراف النظام الجديد بفضلها. إنما خاب ظنها ورجاؤها. فبعد الاغتيال بثمانية أيام، تسنّم العرش الصربي ابن الستين عاماً بطرس كرادجورجفيك الذي عاد من منفاه في جنيف، والذي اعترفت به فوراً روسيا. بث بطرس فكرة صربيا الكبرى نصيرة للحلف البوسني – الهرسكي. أب الوطن الصربي. وعقد وشائج متينة مع روسيا التي لم تطلب سوى هذا. تطور النفوذ الروسي في صربيا مسبباً ضرراً كبيراً لنفوذ النمسا – هنغاريا. بهدوء إنما بقوة تخلصت صربيا من الروابط الاقتصادية المتينة التي جعلت من التجارة والصادرات الصربية ملحقة


بازيك وولي العهد الصربي ألكسندر ملك يوغسلافيا المقبل

كلياً بالنمسا ـ هنغاريا تقريباً. ردت فيينا بعنف على هذه التصرفات الصربية الهادفة إلى استعادة استقلالها الاقتصادي، وناهضته منهجياً، في محاولة أخيرة لاستعادة نفوذ راجح ووضع متميّز.

وفي العام ١٩٠٦ نشب ما دُعي "حرب الخنزير"، حرب اقتصادية خولت صربيا أن تبيع نتاجها الرئيس من الصادرات، الخنزير، ليس للنمسا ـ هنغاريا، بل رأساً نحو أسواق جديدة في فرنسا، ألمانيا، إيطاليا، مصر وبلغاريا. وهكذا وضعت حداً نهائياً لوضع النمسا ـ هنغاريا الاحتكاري.

لما نجح بطرس بإنقاذ بلده من الهيمنة الاقتصادية النمسا ـ هنغارية، باشر

أيضاً بإزالة الدلالات من وجهة النظر السياسية لاستخدام البوسنة ـــــــ الهرسك وسيلة للمعركة. تحولت إدارة هذه الأرض التركية سابقاً إلى النمسا ــ هنغاريا عند انعقاد مؤتمر برلين. كان يقطنها الكثير من السلاف وأثار فيها بطرس حركة تُوجت باتحاد مع صربيا. وصار شعارها الرسمي "كل السلافيين تحت سقف واحد"، وســرعان ما وافق الجيش، الحكومة والشــعب على هذه الخطة، الأمر الذي كان شــأناً روســياً. ودعمت هذه الأخيرة بفعالية تطلعات الصرب.

على أثر تسلم بطرس كرادجورجفيك العرش تبدل وضع البلقان إذاً على حساب النمسا ـــــ هنغاريا، التي خسرت حليفاً، بينما اتسع النفوذ الروسي في البلقان بشكل ملحوظ.

القائد الأعلى الصربي بتنك في عام ١٩١٤



وضعت أسس نزاع المستقبل وبدأت النمسا ــ هنغاريا تقلق على سلامة حدودها، ليس من دون مبرر كما سنرى فيما بعد.

وعقد الآن اتفاق بين روسيا وصربيا وشكلت هذه الأخيرة خطراً مؤقتاً على سلامة االنمسا ـ هنغاريا لا بل على السلم في كل أوروبا.

بفضل نهج الأحلاف، كان النزاع على البلقان، حتى بنظرة متواضعة، يؤدي إلى نتائج واسعة. طمحت صربيا بتشكيل دولة كبرى تضم كل الصرب. كانت النمسا ــ هنغاريا تراقب البوسنة ــ الهرسك التي يسكنها عدة ملايين من الصرب الذين، كانوا تحت نفوذ متطور من التحريض والدعاية الصربيين.



ملك إمارة مونتنغرو نقولا (الجبل الأسود) الذي دخل الحرب يوم انضمت إليها صربيا وروسيا

إن روسيا، التي كانت تسعى إلى توطيد وبسط نفوذها في البلقان، خولت صربيا أن تلعب دور المحرض الدائم للإضرار بوضع النمسا ـــ هنغاريا في هذه المنطقة. هكذا، تجمعت كل الشروط لنشوب نزاع ضخم، إذ كان هذا الوضع المتوتر يمثل تهديداً دائماً.

كانت في روســـيا كل الأوراق الرابحة. فكان يكفي أن تدعم صـــربيا وطموحاتها في دولة كبرى لتأزيم الموقف وإثارة النزاع. فرض نزاع كهذا بين صـربيا والنمسـا ـــ هنغاريا على ألمانيا أن تدعم حليفتها، بلعبة الأحلاف. سـتنضـم فرنسـا وربما بريطانيا ـــ العظمى إلى روسـيا إن دخلت هذه الأخيرة في نزاع أو حتى الحرب، خلال فترة قصيرة.

كان ثمة إحســاس دقيق بأن رجال الدولة الفرنسـيين والروس اسـتحضــروا جاهزيتهم ووضــعوا خطط التحالف سعياً وراء انضمام بريطانيا ـ العظمى إليهم: حرب أوروبية، فيها ثلاثة أعداء لألمانيا دفعة واحدة.



شخصية نسوية بعيدة عما يدور: الرقيب فلورا صاندس قاتلت مع الجيش الصربي، جرحت عدة مرات وتلقت تقديراً عالياً، صليب كاراجورج

حرب أعطت التفوق الكبير للطرف الخصـم، سـتفشـل المانيا فيها من دون أدنى شـك. حرب تعيد الإلزاس واللورين إلى فرنسا، وتخول روسيا دخول البحر الأبيض المتوسط وتأمن لها نفوذاً دائماً وأساسياً في البلقان، وتخلص بريطانيا ـــ العظمى من عدو مهدد اقتصـادياً وسـياسـياً. إذاً كانت حوافز بلدان الحلف الثلاثي بليغة بوضوح.

طبعاً، إن حرباً كهذه، لا يمكن أن تنشـب إلا إذا كانت أطرافها مسـتعدة. في هذه الحال فقط، قد تبدأ تسـوية الحسـاب الكبير، ووجب الانتظار أيضـاً عدة سـنين، ربما حتى العام ١٩١٧، وخلال هذا الوقت وجب إقامة السلم في البلقان والتأهب للمعركة.

وانسـجاماً مع الظرف القائم تأسـس "حزب جذري جديد" في صـربيا بدعم مالي روسـي. هدف هذا فيما هدف دعم الحركات الثورية في النمسا ـــ هنغاريا وفي منطقة البوسنة ـــ الهرسك. عدا هذا الحزب السياسي، ولدت مؤسسـات ومنظمات أخرى، هدفت جميعها الترويج لفكرة صـربيا الكبرى بين الشـعوب السـلافية، منها "نارودني أودبرانا" والـ "يد السوداء". كانت هذه الأخيرة، بقيادة رئيس إدارة معلومات الجيش، العقيد دمتريفك، هي أخطرها ولم تتردد عن ممارسـة أعمال إرهابية. أقسـم أعضـاؤها الإخلاص الأبدي والسـرية المطلقة، تحت طائلة عقوبة الموت. توصلت هذه المنظمة، التي كانت تتطلع إلى "تحرير" البوسنة ـــ الهرسك، إلى التغلغل في صفوف كل فئات الشعب. وقد تواجد مريدوها في الدوائر الأعلى والمنزلة ـ الأغنى، وأخيراً، نجحوا باحتلال كل مراكز الجيش الهامة، والأمن والحكومة.

كانت صربيا تمارس آنئذ وبشكلٍ مكشوف وبكل قواها العدوان، البلبلة، الاضطراب والإرهاب تجاه النمسا ـــ هنغاريا وكانت مدعومة بقوة وبالسر من قبل روسـيا. بلغ عدد الانقلابات وأعمال الإرهاب في البوسـنة ـ الهرسـك نقطة الأوج، وهكذا صـارت صـربيا، شـيئاً فشـيئاً، تهديداً فعلياً للتاج. كان الوضـع إذاً حاسـماً بشـكل فريد.





تغيير الطبيعة تغييراً كاملاً بفعل الحرب

زار زميله الروسي اسوولسكي وأبلغه أن النمسا ـ هنغاريا قررت إلحاق وضم البوسنة ـ الهرسك، مفسحة هكذا المجال للجيش التدخل لتهدئة الوضع. ثمن المساعدة الروسية، ستدعم النمسا ـــــــ هنغاريا لدى الدول الكبرى أمنيتها في فتح الدردنيل والبوسفور لسفن الحرب.

انطلت الحيلة على اســـوولســـكي الذي فكر بعقد مؤتمر دولي لمناقشـــة الأمر، لكنه لم يكد يتلقى الجواب بالإيجاب حتى أُبلغ أن أهرنتال عمم الإلحاق، وأن التشكيلات النمسا ـ هنغارية دخلت المنطقة. لم تتمسك الدول الكبرى الأخرى بالمؤتمر، ظل اســـوولســـكي صـــفر اليدين لكن القطيعة النهائية كانت قد تمت مع النمســـا ـ هنغاريا.

رأى الصـرب كل الآمال التي بنوها على خلق صـربيا الكبرى تتبدد، بشـراسـة وبغضـب مكهرب وجهوا تهديدات حربية. وبتوســـط الدول الكبرى فقط أمكن الحؤول دون تأزيم الوضـــع واضـــطرت صـــربيا للقبول بالإلحاق. عززت هذه العملية التعاون بين روسيا وصربيا وألهبت الوضع تجاه النمسا ـــ هنغاريا.

خلال الحربين البلقانيتين اللتين تلتا (١٩١٢-١٩١٣)، تبدل الوضـع السـياسـي في هذه المنطقة، لمصـلحة تغيير الحدود. تشكل تكتل صربي حميمي وسمح مجدداً لصربيا توسيع أرضها، وانضمت رومانيا إلى روسيا وصربيا ـ سراً، بينما قبلت بلغاريا الضعيفة مع الشكر يد النمسا ـ هنغاريا الممدودة لها ووقفت إلى جانبها.

أزمة العام ١٩١٤

التوتر يتصاعد، أوروبا تستنفر

وضع النمسا ـ هنغاريا وروسيا

كما قيل، وضع النمسا ـــ هنغاريا لم يتغير بعد حربي البلقان. لقد هوجمت فيينا بتكتل سلافي تحت الهيبة الروسية التي فعلت الكثير من أجل إلهاب المواقف بخاصة في البوسنة ـ الهرسك التي كان الشعور القومي الصربي أفضى بها إلى وضع متفجر. تتالت الانقلابات والاغتيالات، وكانت الحكومة البوسنية تؤكد أن تدابير تعسفية فقط تنقذ البلد من الكارثة. كان وضع النمسا ــ هنغاريا كدولة ضاربة وحتى وجود الملكية المزدوجة في خطر، والحكومة تدرس التدابير الواجب اتخاذها. ألحّ القائد الكبير، الجنرال كونراد فون هوتزاندورف بشدة على الحكومة لتحريضها على استنفار الجيش، وغزو صربيا، ووضع نهاية للنظام الإرهابي فيها. إن "صربيا"، يقول، "لا يمكن اصلاحها سوى بقوة السلاح. طول الانتظار لا يفضي إلا إلى تفاقم الخطر الذي تؤلبه روسيا بشكل مكشوف. لذا يجب الهجوم الآن، قبل فوات الأوان، بخاصة لأن روسيا لم تستعد بعد للحرب".

واستناداً إلى تحليل الموقف يمكن اعتباره انطلاقة حاسمة. وكان يؤكد أن "النمسا ـــــ هنغاريا" كانت مهددة من الداخل ومن الخارج. من الداخل من قبل التناقض بين الشرائح الأثنية في البوسنة، الصرب الذين يريدون توحيد صربيا؛

والتشيك الذين يتمنون دولة مستقلة؛ والمسلمون الذين يسعون إلى الانضمام إلى تركيا؛ والمسيحيون الذين يبغون البقاء إلى جانب النمسا ــــــ هنغاريا. أضف إلى أن الشريحة الهنغارية في الإمبراطورية شديدة البلبلة".



الأرشيدوق فرانسوا فرديناند النمساوي ـ الهنغاري وأسرته قتل عام ١٩١٤ عندما زار البوسنة

من الخارج يأتي التهديد من:

١-رغبة الروس في ممارسة نفوذهم في اسطنبول، ولعب دور موجه في البلقان ودحر خطط ألمانيا في آسيا.

٢-إيطاليا الراغبة في ضم الأراضي النمساوية إلى حدودها وتأمين سيطرتها على بحر الأدرياتيك.

٣-آمال الصرب في تشكيل صربيا الكبرى والاضطراب الذي ينشرونه في البوسنة والهرسك لبلعهما.

٤-رومانيا التي تتطلع إلى ضم الأرض النمساوية التي يسكنها رومان.

٥-تفاقم عداء فرنسا تجاه حليف ألمانيا.

واضح أن كونراد فون هوتزاندورف كان يرسم لوحة قلقة جداً وأن وضع النمسا ــ هنغاريا لم يكن مضيئاً أو مطمئناً. كانت المشاكل تتكدس ورجال الدولة الكبار وحدهم من بيده حلها. فكان السؤال المطروح هل لدى النمسا - هنغاريا رجال دولة من هذا الوزن!

في هذا الوقت، كان الروس يعرفون القضايا التي كانت تواجه النمسا ـــ هنغاريا، والتي كانت النتيجة المباشرة للسياسة التي تنفذها الحكومة الروسية تجاه جارها.

بعد إلحاق البوسنة والهرسك بالنمسا ــ هنغاريا، تبدل بالتأكيد موقف وزير خارجية روسيا. شعر أنه أُهين شخصياً مما سمي "خيانة" أهرنتال وباشر كل ما تخوله سلطته لإنزال ما يستطيع من أفدح الأضرار بخصمه. ففي عام ١٩٠٩، بدأ مفاوضات مع بلغاريا وعقد معها معاهدة حربية. نقرأ في مادتها الخامسة: "إن



صورة وحيدة للأرشيدوق أثناء المناورات في البوسنة التقطت في ٢٧حزيران ١٩١٤ قبل عدة أيام من الاغتيال



إنجاز المثل العليا المقدسة للشعوب السلافية في دول البلقان الواقعة كلياً مع روسيا لا يتم حصراً إلا بالحصيلة الإيجابية لمعركة روسيا ضد ألمانيا والنمسا ـــــ هنغاريا (.....) إشارة إلى ذكر الأهداف الروسية وخططها للمستقبل.

في تشرين الثاني من نفس العام، عقد إيسوولسكي أيضاً اتفاقاً سرياً مع إيطاليا فيه يحدد البلدان بالتبادل مناطق نفوذهما والسعي إلى إضعاف المحور الثلاثي. وهكذا حصل إيسوولسكي على ما يرضيه. كما وطد أسس إضعاف واضحة للمحور الثلاثي ودعم موقف روسيا في البلقان. لكن كان لا بد من التريث. حيث سافر إلى باريس بصفته سفير روسيا، وتابع دون تأخر العمل لهذه الحرب.

صورة شخصية كتب تحتها:

القائد الأعلى النمسا ـ هنغاريا، المارشال كونرادفون هوتزاندورف (١٨٥٢-١٩٢٥). نادى باستمرار بحرب وقائية عاجلة ضد إيطاليا وصربيا. ولما نشبت الحرب في عام ١٩١٤، اتضح أن جيشه لم يكن مستعداً. ما جعلهم يؤخرون الاستنفار والتعبئة



برانسيب فرانسوا قاتل الأرشيدوق فرانسوا ـ فرديناند وزوجته مات في سجنه مسلولاً.

في روسيا سازونوف خَلَفَ إيسوولسكي كوزير خارجية وتابع، بالخطوط العريضة، نفس السياسة. جهد في تشكيل جامعة للبلقان، أي اتحاداً للبلدان البلقانية تحت الإشراف والحماية الروسية. نجح في توطيد الصلات بين صربيا وبلغاريا ووضع بداية اتحاد بين صربيا والجبل الأسود. خلخلت حربا البلقان ما تم لما صارت صربيا وبلغاريا عدوّين لبعضهما وغزت بلغاريا حليفتها السابقة صربيا. لكن القوات المقاتلة البلغارية هُزمت بشكل مخجل، ودارت بلغاريا، المدحورة، ظهرها إلى روسيا، وقبلت إدارتها مصافحة يد النمسا ـــ هنغاريا، التي لم تشكل مكسباً هاماً لها لأنها خرجت من المعركة. لكن سازونوف نجح في بتر العلاقة بين النمسا ـــ هنغاريا ورومانيا، التي ساعدت الصرب في نزاعهم مع البلغار، والمحور الثلاثي الذي كان أحد أطراف معاهدة حربية وسياسية سرية عقدت في العام ١٨٨٣. ولما نشبت الحرب في العام ١٩١٤ بقي هذا البلد على الحياد وفيما بعد انضم إلى الحلفاء.



كابرنوفيك وغرابير، اثنان من الثلاثة المتآمرين الذين حاكوا مؤامرة اغتيال فرانسوا ـ فرديناند

انكب سازونوف أيضاً على الشؤون البحرية. وفي ١٦ حزيران ١٩١٢ عقد معاهدة مع فرنسا نصت على إعادة نشر الأسطولين، وانضمت إلى الاتفاق الحربي القائم.

رحّلت فرنسا أسطولها إلى البحر الأبيض المتوسط وعززت روسيا أسطولها في البحر الأسود. وكان من الأنسب لبريطانيا العظمى ترحيل أسطولها من

البحر الأبيض المتوسط إلى بحر الشمال ووعد الإنكليز بحماية الشواطئ الفرنسية إن هاجمتها ألمانيا. قبل هذا، في العام ١٩٠٧، عقدت روسيا وبريطانيا ـــ العظمى معاهدة سياسية حلّت الإشكالات بين البلدين بخصوص إيران، أفغانستان والتيبت، مع هذا طُلب من البريطانيين حماية شواطئ البلطيق أيضاً. وكانت المفاوضات أيضاً دائرة لما أعلنت الحرب في آب ١٩١٤ وهكذا صارت مشاركة بريطانيا أمراً واقعاً. وفي تموز ١٩١٢، عقد سازونوف أخيراً اتفاقاً سرياً مع عدوّه اللدود، اليابان، بحيث يمكن لروسيا أن تطمئن من هذه الناحية، في حال دخولها حرب ضد النمسا ـ هنغاريا وألمانيا.

خلال هذا الوقت، وقد وصلت الاضطرابات في البوسنة ـــ الهرسك إلى وضع حرج، صرحت حكومة البوسنة أن تدخلاً حربياً فقط قادرٌ وحده على تجنب الكارثة. في هذه الظروف أعلن الأرشدوق فرانسوا ـ فرديناند وزوجته صوفيا، عن زيارة رسمية لعدة أيام إلى البوسنة لحضور المناورات السنوية.

حادثة اغتيال في سراييفو، ونتائجها الدرامية على السلم العالمي.

في ٢٨ حزيران ١٩١٤، عبر نزهة وتطواف في سراييفو، اغتيل الأرشدوق فرانسوا ـــ فرديناند، وريث عرش النمسا ـ هنغاريا وزوجته صوفيا. من هم القتلة وما أهدافهم؟.

بدأت هذه الدراما، التي كانت المصدر المباشر للحرب العالمية الأولى، في قرية ساباك على ضفة نهر ساف.

في صبيحة ٢٨ أيار ١٩١٤، وصل ثلاثة شباب طلاب بوسنيين؛ برانسيب، غرابير وكابرنوفيك، من بلجيكا إلى مرفأ صغير على متن مركب واتصلوا بشخص اسمه بوبوفيك، عضو الرابطة السرية الصربية "اليد السوداء"، التنظيم الإرهابي الهادف ضم البوسنة ـــ الهرسك إلى صربيا. كانت "اليد السوداء" هي المسؤولة الأولى في تنظيم العصيانات والأعمال الإرهابية في البوسنة وقد أقسم أعضاؤها على كتمان السر المطلق تحت طائلة الموت. كان التنظيم زائدة

أخطبوطية وله أعضـاء في المراكز السـياسـية والعسـكرية الرفعية. كان يقوده العقيد الصـربي في إدارة المعلومات، دمتريفيك، متورطاً سـابقاً في اغتيال ملك الصـرب وزوجته. كان للطلاب الثلاثة مشـاكل معقدة في البوسنة، نتيجة نشاطاتهم الفوضوية والمعادية للنمسا والهروب من الاعتقال، وقد هاجروا بطريق غير مشروع نحو صـربيا حيث سيكونون أقل قلقاً. كما ازداد عددهم بسرعة في الروابط الفوضوية ولما تسرب خبر زيارة الأرشدوق إلى سراييفو، رأوا فيها سانحة استثنائية لخدمة وطنهم وتوجيه ضربة إلى النمسا التي يمقتونها. تمت خطة اغتيال فرانسوا ـــ فرديناند وبدأت خطة التنفيذ. بسرعة، أقاموا اتصالاً مع الرائد جانكوفيك، الساعد الأيمن للعقيد دمتريفيك، الذي أعطاهم أسـلحة وألغاماً واعتنى بضـمهم إلى خدمته. ورتب ما يفسـح لهم مجال تجاوز حدود البوسنة ـ الهرسك بسهولة ووضعهم في صلة مع بوبوفك الذي تلقى مهمة مساعدتهم فيما بعد.

وأعطاهم بوبوفك بدوره رسـالة توصـية لشـخص اسمه برفانوفيك، رئيس جمارك لوزنكا، محطة الحدود الأقرب. وأيضاً كعضو في "اليد السوداء" ساعدهم هذا الأخير على تخطي الحدود مع البوسنة ـــــ الهرسك.

وفي ٦ حزيران، وصل الطلاب الثلاثة إلى سراييفو وأقاموا عند أعضاء من أسرتهم. صادف برنسيب هنا صديقه "إليك"، رفيقه الثوري وأطلعه على مشروع اغتيال الأرشدوق. طيلة الأسـابيع التالية، ناقش برنسـيب وشـركاؤه في الجريمة أسـاليب الاغتيال واسـتعرضـوا عدة سـناريوهات. وفي ٢٧ حزيران قبل يوم من وصول فرانسوا فرديناند إلى سراييفو، نشرت الصحف برنامج الزيارة. بانتظار الموعد انضم إليهم ثلاثة رجال إضافيين.



الإمبراطور فرانسوا ـ جوزيف (١٨٣٠-١٩١٩) حكم ٦٨ سنة. قاوم الحرب مع صربيا، لم يعط أمر التحريك إلا بعد ترددات عديدة



فرانسوا فرديناند وزوجته صوفيا أثناء وصولهما إلى فندق المدينة في سراييفو

ولما بُثّ البرنامج، قرروا الانتشار على طول الطريق، وحسب الظروف، أعدوا أسلحتهم.

وفي اليوم التالي، الأحد في ٢٨ حزيران ١٩١٤، نهض فرانسوا فرديناند وزوجته. وصلا إلى سراييفو بالقطار الصباحي وامتطيا عربة واتجها إلى فندق المدينة حيث يتم الاستقبال. كان الجمهور منتظراً على طول المسافة، أخذ القتلة الثلاثة، مكاناً بفاصل بين الواحد والآخر، بين الجمهور. وفضلاً عن أسلحتهم، زود كل واحد منهم بقارورة سم في حال فشل المحاولة والاعتقال.

مرّ الموكب أمام كابرنوفيك الذي لم يتردد أبداً، نزع صمام الأمان ورشق القنبلة باتجاه فرانسوا ــ فرديناند. وصلت القذيفة للسيارة، تدحرجت وانفجرت في الأرض. سارع سائق فرانسوا ــ فرديناند على الفور بينما حاول



بعد الزيارة فرانسوا فرديناند وزوجته تركا الفندق وبدأا جولتهما الأخيرة

كابرنوفيك ابتلاع السم (السيانور ـــ ملح الحامض الأرزق)، لكن القارورة وقعت من يديه وسال ما فيها. فوق هذا وغطس في النهر لكنه نجا فانتشل وأوقف بعيد هذا.

التفت فرانسوا ـــ فرديناند، ورأى أن عربة الموكب أوقفت وجُرح الركاب، أسرع السائق مباشرة، ومرت العربة أمام برنسيب ثم أمام غرابير اللذين كانا بعيدين جداً ولم يتمكنا من التصرف. بدت المكيدة وقد فشلت، وقرر فرانسوا ـ فرديناند متابعة البرنامج. بعد زيارة قصيرة للفندق، صعد الزوجان إلى المركبة، واتجها نحو الفندق العسكري وهنا تمنيا زيارة الجرحى من المارة. وآنئذ مرت العربة أمام برنسيب حيث كان منتظراً. أخرج المسدس وأطلق عدة طلقات باتجاه

الزوجين الزائرين. أصابت الطلقات هدفها، انهارت صوفيا على الفور وسقط الأرشدوق بعد ثواني. أوقف القتلة جميعاً، لكن الكارثة وقعت. وأغرق الاغتيال العالم في اضطراب رهيب.

ردود فعل الدول، إرجاء التعبئة في النمسا ـ هنغاريا

أثار الاعتداء على وريث عرش النمسا ـــ هنغاريا موجة من الرعب في العالم قاطبة ولو في تلك اللحظة، دخلت النمسا ـ هنغاريا صربيا، لما ناهضت أي دولة في العالم هذا العمل. لكن النمسا ـ هنغاريا لم تهاجمها.

بالفعل لم تكن الجيوش جاهزة للمعركة. كان الحديث يجري دوماً حول حرب وقائية منذ سنين، إنما عندما توفرت الفرصة، فوجئ البلد. كان هذا فشلاً قاسياً بالنسبة للنمسا ـــ هنغاريا التي لم تنتهز السانحة الفريدة لتحقيق أهدافها فيما يخص صـــربيا وتجنبت في الوقت ذاته حرباً عالمية. بالمقابل تم تداول ســلســـلة من المفاوضات، وكانت نتائج سياسية، ولقاءات بين الوزراء لم يأتوا بسوى منع حل سريع للقضية.

طيلة هذه الفترة، توفر الوقت للعالم للعودة إلى الصدام وعلى الفور، عاد إلى الحلبة العداء الفائت للنمسا ـ هنغاريا وانتقلت المبادرة إلى الخصـــوم. في اليوم التالي للإعتداء، قدم الجنرال كونرادفون هوتزانـدورف للإمبراطور ورقـة تطلـب التعبئـة العـامـة. رفض الإمبراطور الاقتراح وكتـب فون هوتزانـدورف في يوميتـه أنهم في بلـده وفي ألمـانيـا، كـانوا بوضـــوح يفتقرون للإرادة الســـياســـية لما وجب الشـــروع بالعمل الوحيد المواتي. كان وزير الخارجية برختولد أيضـــاً ظهيراً لرد فعل عاجل، لكنه وجد رئيس الوزارة الهنغاري تيســـا عكس رأيه. أراد هذا الأخير تقديم البرهان على وزر



برانسيب المنفذ الرئيس للاعتداء

ومساهمة حكومة صربيا بالاعتداء. بل رأى أن يتم التأكد من الوقت ملائم للشروع بحرب ضد صربيا لأنه خشي ألاّ تحافظ إيطاليا ورومانيا على التزاماتهما الواردة في الحلف، بينما لم تنضم بلغاريا بعد بصورة رسمية. رأى بعد تمعّن ضرورة تأكيد الدعم الألماني لدى بدء العمل ضد صربيا.

كان الوزير برختولد توصل إلى قرار أن السياسة الخارجية الحذرة التي مارسها حتى الآن لها نتائج مؤذية لبلده أكثر منها إيجابية.

وكان دوماً معارضاً للقائد هوتزاندورف لما يلح هذا الأخير على الشروع بحرب وقائية. لم يتدخل في حربي البلقان وسمح بحدوث تبدلات كثيرة أجرتها صربيا وروسيا، مع الحصيلة الوحيدة التي لم تتخذها النمسا ــ هنغاريا بجدية ولم يعد يؤمن بالبقاء، دولة كبرى. كان يخشى، عندما توارت تركيا عملياً من أوروبا، أن يكون بلده هو الثاني على اللائحة. تأكد هذا الخوف في اليوم التالي للاعتداء على ولي العهد، وتوصل إلى حصيلة أن الوقت مؤاتٍ لاشتراك الجميع بالعمل من أجل تحييد حكومة صربيا، المسؤول الرئيس عن الاضطراب والتشويش والمكائد ضد النمسا ـ هنغاريا.

لم يكن برختولد وحيداً في تبني هذا الرأي. حتى العجور المسالم الإمبراطور فرانسوا ــــ جوزيف كان توصل إلى الحصيلة ذاتها، مع الاستمرار في العمل بحذر شديد. كتب الإمبراطور رسالة إلى حليفه إمبراطور ألمانيا غليوم الثاني يعلمه فيها أن الوضع صار لا يطاق. يقول إن جهود صربيا بمحاولاتها تشكيل صربيا الكبرى ستفضي ولا بد إلى نزاع مع بلده، وأن القومية الصربية تمثل خطراً دائماً على الملكيّة. وانتهى إلى طلب مساعدة الحليف الألماني في النزاع القادم وأرسل لجنة إلى برلين بقيادة الكونت هويس **Hoyos** ليدعم طلبه.



موكب تشييع جنازة الزوجين الملكيين آب ١٩١٤ في تريستا

الرصيد المفتوح "لألمانيا"

في ٥ تموز، استقبل غليوم الثاني هويس. وصرح الإمبراطور أن ألمانيا لن تسمح بسقوط حليفها، ووصله بمستشار الإمبراطورية. وألحّ الإمبراطور على الشروع بعمل فوري، بينما كان العالم تحت صدمة الاغتيال ما أكسب النمسا ـ هنغاريا تعاطفاً هاماً. وأضاف أن روسيا، في رأيه، غير مستعدة للحرب. وفي ٦ تموز، أكد المستشار الألماني برسالة أن ألمانيا مقتنعة أن حليفها في خطر وأنها إلى جانبه بكل قواها. ودعا المستشار أيضاً إلى عمل عاجل. دعيت هذه الرسالة "الرصيد المفتوح" في ألمانيا للنمسا ـ هنغاريا.

في فيينا اعتبرت مهمة برلين ناجحة بإمتياز وفي ٧ تموز عقد لقاء وزاري أعلن المستشار خلاله نبأ دعم الألمان. اقترح منذئذ غزو صربيا ولم يستبعد خطر تدخل روسيا. "لكن، يقول، روسيا فعلت الكثير من أجل وحدة بلاد البلقان بهدف وحيد هو استخدامها ضد الملكيتين. انفجرت حرب شاملة، وراح الوضع يتفاقم."

جدد رئيس الوزارة الهنغاري تيسا، بعقد جديد التعبئة ضد روسيا وطلب ضمان منع ضم أي جزء من صربيا حتى في أثناء الحرب. انتهى اللقاء من دون اتخاذ قرار. فألحّ برختولد على الإمبراطور إرسال إنذار إلى حكومة صربيا، لكن الإمبراطور رفض: كان يرى أن كل السبل الدبلوماسية لم تستنفد بعدُ فضلاً عن أن البرهان على جرمية الحكومة الصربية لم يكتمل. لم يبالِ برختولد وأرسل إنذاراً شخصياً. أبلغ شفهياً السفير الألماني المطالب التي يمكن أن تطلب من صربيا موظفاً كبيراً للتحقيق وبالتالي إثبات الجرمية الصربية.



رئيس الوزراء النمسا ـ هنغاري برختولد قرر إعلان الحرب على صربيا حتى لو أدى الأمر إلى إعلان حرب عالمية

عبر هذا الوقت، كان التوتر يتفاقم باستمرار في النمسا ـ هنغاريا. وكانت

الصحافة تصب الزيت على النار. ونشر لقاء مع سفير روسيا في بلغراد، أجراه صحافي بلغاري، صرح فيه السفير أنه متأكد أن بلغاريا ستحتل مقدونيا إذا ما احتلت صربيا البوسنة ـ الهرسك. أثر هذا التصريح كثيراً على تيسا الذي بدأ شيئاً فشيئاً يراجع مواقفه، متخلياً أيضاً عن الضغوط الملحة التي تمارس عليه.

وفي ١٤ تموز عقد برختولد من جديد مجلساً للوزراء وآنئذ وافق تيسا على إعلان الحرب على صربيا، مع بعض الشروط: أكد طلبه ـ عدم إلحاق أراض صربية لتجنب ما يدفع الروس للتدخل.

إنذار فيينا

اتخذ مجلس الوزراء هذه المرة قراراً إجماعياً بإرسال إنذار إلى صربيا. كانت موافقة تيسا حاسمة. حتى آنئذ استمرت كل الجهود لمنع الحرب. لم يتخلّ تيسا عن موقفه إلا بعد تردد طويل وتحمل الضغوط العاصفة، كان صعباً دعم مبدأ تصرف النمسا ـ هنغاريا بصورة هادئة ومتوازنة في مسألة تطور الحرب ضد صربيا.

لم يبدل الإمبراطور وتيسا رأييهما إلا في آخر دقيقة، وفقط بعد قناعة شخصية بضرورة قرار كهذا، إذ كان عليهما الاختيار بين دمار الملكيتين والحرب. كان هذا الخيار صعباً جداً.



الإمبراطور العجوز فرانسوا – جوزيف أثناء عرض عسكري في فينا



الامبراطور العجوز فرانسوا جوزي لدى استقباله في فينا

في ١٩ تموز، حُرر النص نهائياً لإنذار النمسا ــ هنغاري لصربيا. كانت المطالب الواردة فيه ضخمة جداً، ما جعل صربيا، كما يقال أمام الرفض فقط. كان أحد المطالب أن تحتفظ النمسا ـــ هنغاريا بحق قيادة حملة إلى الأرض الصربية. البلد الذي يحترم ذاته لن يقبل ذلك. لم يعد أحد يصدق وعود صربيا. وكان الإنذار قد كتب بالصـــورة التي تقول الحرب واقعة لا محالة. وقد نقلت هذه العبارة إلى الصـــربيين في ٢٣ تموز ١٩١٤ في الساعة ١٨. وقع المتوقع، رُفض الإنذار في ٢٥ تموز. مهر الإمبراطور أمر التعبئة المختزل، وأتبعه في ٢٨ تموز بإعلان الحرب على صربيا. تمت الالتزامات على عجل. وأطلقت مدفعية الأسطول النار على عاصمة صربيا، بلغراد، وأنزلت خرائب تدميرية. كانت هذه الضربات أيضاً الأولى في الحرب العظمى، التي ألهبت العالم لأربع سنين وكلفت ملايين الأرواح.



في ٢٣ تموز السفير النمساوي ــ الهنغاري سلم بلغراد مذكرة الشؤم التي تعلن نشوب الحرب العالمية الأولى



أثناء إعلان بدء الحرب اجتماع لفيف من الناس المتحمسين

تعبئة الدول الكبرى

ألمانيا تستنفر

منذ أن علم نص الإنذار في صـــربيا، عاد منها إلى برلين ســـفير ألمانيا. قال وزير الخارجية الألماني، جاكوب، عن الإنذار إنه "لاذع مر المذاق" متذمراً من التأخر الكبير (في اتخاذ ما يســـتوجب الموضـــوع). وصـرح أيضـاً أن فيينا بهذا الإنذار أوصـدت كل الأبواب خلفها، لكن هذا كان قصـير الأجل. ففي ٢٧ تموز، طيّر برقية إلى برختولد يخبره فيها أن الأيام التالية ربما حملت اقتراحات مصالحة من قبل برلين، لكن أحداً لم يبال بهذا الكلام لأن ألمانيا في هذه المرحلة أرســـلت هذه الاقتراحات فقط لئلا تعكر علاقاتها مع بريطانيا العظمى.

في ٢٨ تموز، نصح برختولد مع ذلك أن يجري مفاوضات مباشرة مع روسيا.

لم يهتم برختولد بهذا الرأي وأثار خوف المستشار الألماني الذي صرح في الغد أن ألمانيا مستعدة طبعاً لمساندة حليفتها، لكنها تود ألا تنخرط في حرب إذا ردت النمسا ــ هنغاريا بلباقة ولا تنوي أن تسمع نصائحه. بخوف، التمس برختولد سفيره أن يلتقي بالوزير الروسي للشؤون الخارجية لكنه تبين أنه "سبق السيف العزل". وفي ذات اليوم، كتب القائد الأعلى الألماني فون مولتكيه إلى زميله، الجنرال كونراد فون هوتزاندورف ملتمساً إياه بإلحاح عدم إرجاء تعبئته، لأن هذه هي الفرصة الوحيدة لبقاء النمسا ــ هنغاريا. فوعدته ألمانيا، بخوض هذه الحرب من دون أي تأخير.

في ٣١ تموز في الساعة ١٢,٣٣، مهر الإمبراطور فرانسوا ــ جوزيف أمر التعبئة العام، وكذلك روسيا، لكن هذا الأمر لم ينفذ إلا في ٤ آب. علم أن روسيا في تلك الفترة، قررت هي الأخرى التعبئة العامة في ٣١ تموز، ما همز النمسا ــ هنغاريا إلى إمكانية التعبئة الجزئية، أي ضد صربيا فقط. كانت هذه التعبئة الروسية، التي تقدمت إذاً تعبئة النمسا ــ هنغاريا، دافع ألمانيا لتقرير "موقف التهديد بالحرب". ثم وجهت إنذاراً إلى روسيا، راجية إياها تأخير تعبئتها مدة اثنتي عشرة ساعة، وإلا وجب على ألمانيا التعبئة بدورها ما أفضى حتماً انسجاماً مع الاتفاقات سارية المفعول. حولت التعبئة الروسية إذاً النزاع الإقليمي بين النمسا ــ هنغاريا وصربيا إلى نزاع عالمي دخلته فيما بعد، حسب نهج الأحلاف، فرنسا، بريطانيا ــ العظمى وألمانيا، كل منها تدعم حلفاءها.



القوات الألمانية تذهب
إلى الجبهة تحت أنغام
الموسيقا العسكرية



سلاح الفرسان الروسي في طريقه إلى الجبهة

التعبئة الروسية

مع أن التعبئة العامة في روسيا أضافت بعداً عالمياً إلى النزاع الوليد، لا يمكن أن ننكر أن النمسا ـ هنغاريا أُبلغت منذ ٢٢ تموز، عن طريق الوزير الروسي للشؤون الخارجية سازونوف، عدم بدأ الشروع بأي عمل ضد صربيا خوفاً من الأخطار التي قد يحملها.

وفي ٢٣ تموز، غادر الرئيس الفرنسي بوانكاريه الذي كان يزور روسيا رسمياً لعدة أيام، غادر المياه الروسية ليرجع إلى فرنسا. بعد المغادرة بساعات، وصل إنذار النمسا ـ هنغاريا إلى بلغراد. عُلم أن هذه اللحظة بالذات اختيرت بأمل ألا يكون الإنذار هدف المداولات بين الرئيس الفرنسي والروس. كان الأمل عبثاً. كان الرئيس بوانكاريه أعطى "رصيداً مفتوحاً" للروس مع تأكيد نهائي أن يدعم الروس وتغطي فرنسا بالتدريج التزاماتها كحليف. وفي ٢٤ تموز، انتشر نبأ صربيا في العالم قاطبة. "هذا يعني الحرب في أوروبا"، كتب سازونوف لما وصله النبأ.

ودعا على الفور مجلس الوزراء للانعقاد وأعطى في الوقت عينه معلومات لوزير المالية ليسحب أرصدة الدولة الروسية، من المصارف الألمانية حسب الإمكانية. قرر مجلس الوزراء بداية تعبئة جزئية في أربع مناطق لأن القيصر عارض التعبئة العامة.

وفي الأيام التي تلت، انتهت الضغوط على القيصر إلى قبوله. وفي ٣٠ تموز، أعلنت التعبئة العامة، إعلان قرر نهائياً مصير العالم. أجبر هذا التدبير ألمانيا والنمسا ـــ هنغاريا أن ترد بالمثل. وبموجب المعاهدة بين فرنسا وروسيا، التي كانت سارية المفعول آنئذ، كانت التعبئة تعني قرار الحرب. وهكذا جرت الأمور.



في بريطانيا ـ العظمى أيضاً ردوا بطريقة حماسية، كما يشهد مكتب تموين الجيش. أكثر من مليون متطوع أيدوا المعركة. بدت الحرب آنئذ كمغامرة مظفرة وقصيرة الأمد.

مليون متطوع في بريطانيا ـ العظمى

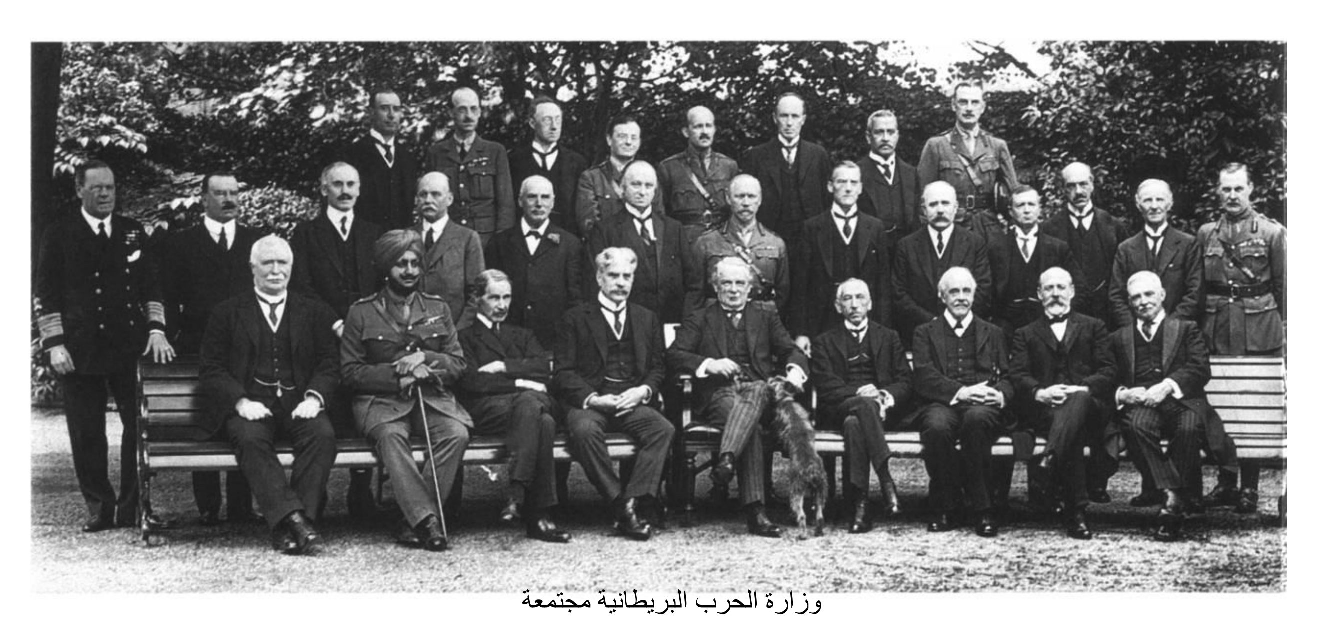
في ٣ آب ١٩١٤، ألقى ادوارد غريّ، وزير الخارجية الإنكليزي خطاباً شهيراً في مجلس العموم الإنكليزي بصدد إعلان الحرب على ألمانيا بعد أن احتل هذا البلد بلجيكا. إن بريطانيا، قال غريّ، كانت مكرهة على مدّ يد العون لبلجيكا، تنفيذاً لمعاهدة عام ١٨٣٩ بين الدول العظمى و هذه الدولة، ولا تقدر أن تسمح بأن يشطب من الخريطة على يد ألمانيا هذا البلد "الصغير المقدام".

كان التأكيد الذي ألزم بريطانيا ـــ العظمى بمساعدة هذا البلد استجابة لهذه المعاهدة خاطئاً. كان موقعو هذه المعاهدة ملزمين بالتأكيد على عدم نقض حياد بلجيكا نقضاً جماعياً أو فردياً، إنما ليس أبداً التدخل العسكري إذا خرق هذا الحياد. وقد لاحظ لورد لوربورن، الذي كان لورداً مستشاراً، أن إنكلترا ما كانت بالفعل ملزمة بالتدخل، لا على أساس معاهدة عام ١٨٣٩، ولا استجابة لأي معاهدة أخرى، لأن بريطانيا ـ العظمى، النمسا، بروسيا، روسيا



طليعة الجنود البريطانيين يغادرون ثكناتهم نحو فرنسا الكتيبة الأولى من الحرس الإيرلندي آب ١٩١٤

وهولندا قد عقدوا اتفاقاً احتاط فقط لأن تكون بلجيكا دولة محايدة. لكن غريّ تصرف على أساس أن التزام التدخل قد أُقر واســتخدم هذه الذريعة لإقناع الشــعب البريطاني بوجوب دخول الحرب ، إن من وجهة النظر الأخلاقية ــ المعنوية والحقوقية ــ القانونية. قدم القضية على أن عدم تنفيذ هذا الالتزام يمس الشرف الانكليز، وأنها حرب نبيلة ومبررة لإنقاذ بلد صغير أعزل، حرب تهدد الحضارة الأوروبية كلها. وأن هذا المبرر يمس بعمق الشـعب البريطاني ويصـنفه كرجل واحد خلف قادته. مما لم يدع لأحد مجالاً للشـك دقيقة واحدة في نبل غريّ، وإذا تفكك الموقف الأوروبي، يجب بذل كل الجهود والإمكانات لصـــيانة الســـلم. ولقد قدم عدداً من اقتراحات التوسـط رفضـتها ألمانيا كلها. وكثير من المؤرخين يتبنون هذا الرأي حتى الآن، إنما من المعروف أن أغلب هذه الاقتراحات لم يقدّمها غريّ إلا بعد ٢٥ تموز، يوم قررت روسـيا التعبئة. وكان غريّ يعرف أن تعبئة كهذه وفي ذلك الوقت تعني الحرب. وفي ذلك اليوم قدم له موظفو وزارته مذكرة تقول أن الثابت أن الوقت قد فات على محاولة الضـغط على روسـيا بواسـطة فرنسـا لاتخاذ موقف معتدل في النزاع بين صـربيا والنمسا ـ هنغاريا. لأن الجلي أن فرنسا وروسيا قررتا قبول المجازفة بحرب عالمية. وتقول المذكرة إنه خطر على بريطانيا ـ العظمى تغيير هذا القرار ولمصلحة البلاد، اختيار الانضمام إلى فرنسا وروسيا.


وزارة الحرب البريطانية مجتمعة



بواخر الحرب الألمانية غوبين وبرسلو دخلت البوسفور ورست أمام القسطنطينية.

لدى تأمل هذا الموقف، يمكن طرح أسئلة بصدد طروحات الوساطة الإنكليزية. ومن الواضح أن غريّ كان يحاول كسب الوقت، وذات الطريق اتبعته فرنسا وروسيا. وصحيح أيضاً أن الحكومة الإنكليزية مجتمعة والشعب البريطاني أيضاً ما كانوا يرغبون في الحرب. وقد عرف في العام ١٩١٢ بالصدفة أن غريّ قد أجاز، منذ سنوات، إجراء مداولات حربية سرية مع فرنسا من دون علم البرلمان ولا أغلب زملائه، وقد عبر الرأي العام عن عدائية كبيرة نحو وزير الخارجية. وقد هدد عدد من الوزراء بالاستقالة إن لم يتصرف غريّ على الملأ وفي وضح النهار وفرض عليه إبلاغ فرنسا أن المفاوضات لا تلزم بريطانيا ــــ العظمى بنفس المصير مع فرنسا. كتب المؤرخ المعروف ألبريتني في العام ١٩٥٣ في كتابه (أسباب حرب ١٩١٤: "لا مجال للشك أن غريّ مسؤول لعدم إقامة وزن للمفاوضات الفرنسية ـــ البريطانية وبصورة غير مباشرة أيضاً للمداولات الإنكليزية ـ الروسية،

ما وضـع بريطانيا ــــ العظمى في وضـع معقد. [...] أيمكن القول أن غريّ وضـع كل ثقله لمنع الخطوة المشؤومة نحو الحرب؟ الجواب لا. لا يمكن تبرئة غريّ."

فوراً بعد كلمة غريّ القصيرة في مجلس العموم، بدأت بريطانيا العظمى التعبئة وخلال الخمسة عشر يوماً التالية، أرسلت تشكيلاتها المقاتلة البرية إلى حيث أعد الأمر لاستقبالهم ونقلهم إلى الأمكنة المعينة لهم. خلال هذا الوقت، باشر كتشنر، الذي سمي وزيراً للحرب، حملة ضخمة من التجييش، لأنه كان واحداً من المبشرين بالحرب التي ستدوم أعواماً وتترك وراءها آلاف الضحايا. أراد زيادة القوات المسلحة مليون رجل. كانت حماسة الشعب قد تجلت بسهولة تجنيد هذا المليون عسكري خلال وقت يسير. سقط عدد كبير منهم في المعارك على كل الجبهات. وفرضت هذه الخسائر على بريطانيا ـ العظمى تشريع الخدمة العسكرية الإلزامية لتوفير عناصر كافية.



أنور باشا وزير الحرب التركي وصديق ألمانيا (الثالث من اليسار)

فرنسا تفرض التعبئة

كان دور الرئيس الفرنسـي بوانكاريه هاماً في نشـوب الحرب العالمية الأولى. يبرز هذا مع غيره مثلاً في رسالة أرسلها السفير الروسي في باريس إلى وزير خارجيته بعد تسنم بوانكاريه رئاسة الجمهورية في العام ١٩١٤: "لقد أجريت حديثاً طويلاً مع بوانكاريه الذي أبلغني أنه إن انتخب للرئاسـة يقدر آنئذ أن يمارس نفوذه دونما عائق في السياسـة الخارجية الفرنسية. وسيعمل إذاً خلال رئاسته لسبعة أعوام لمتابعة علاقة طيبة مع روسـيا. وقال إن أهمية كبرى توليها الحكومة الفرنسـية للهيمنة الكافية على الرأي العام لإقناعه بالمسـاهمة بحرب تخص البلقان. لذا تطلب منا الحكومة الفرنسـية بوضـوح ألاّ نبدأ أعمالاً متفردة قد تفضـي إلى حرب كهذه، من دون تداول مسبق معها بالذات."

في ٢٩ تموز ١٩١٤، عاد بوانكاريه ووزير خارجيته فيغاني إلى باريس بعد زيارة رسـمية إلى روسـيا، حيث اطلعوا على الأحداث. منذ الخامس والعشرين منه، يوم إطلاق روسيا التعبئة، دعي الضباط الفرنسيون من إجازتهم، وانكبوا على نقل التشكيلات الحربية الاستعمارية نحو فرنسا. طيرت روسيا برقية معلنة أنها رفضت الإنذار الألماني بوضع حد لإعدادات التعبئة، وطلبت من فرنسا ممارسة إلحاح على بريطانيا ـــ العظمى لتنضم إلى روسيا وفرنسا. لتجنب اعتبار فرنسا كمعتدٍ، ما يسحب شرعية المؤازرة البريطانية. أمر بوانكاريه أن تكون القوات بعيدة ١٠كم عن التخم الفرنسـي ـــ الألماني، رغم تحفظ رئيس الأركان. وفي ٣١ تموز وقع الرئيس الفرنسـي أمراً بالتعبئة المحدودة. وبعث الملحق العسكري الروسـي رسالة إلى سان بطرسبورغ بهذا الصدد، يقول فيها: "أبلغني وزير الحرب الفرنسـي، بانشـراح، أن فرنسـا أخذت قراراً نهائياً بدخول الحرب وطلب مني أن أبلغكم أن الأركان العامة الفرنسية تأمل أن تنصب الجهود الروسية نحو ألمانيا ووجوب اعتبار الأعمال ضد النمسا ـ هنغاريا ليست الأولوية الأولى ".

وصلت برقية أخرى من إيطاليا، تتضمن أنها لا تشعر بالاهتمام بالمعاهدة مع ألمانيا والنمسا ـــ هنغاريا. وبريطانيا العظمى لم تعرب عن رأيها بعدُ. وفي ١ آب الساعة ١٦، تلقى رئيس الأركان العامة الفرنسي مهمة تقرير التعبئة العامة، بدأوا في اليوم التالي. دخلت فرنسا الحرب بحماس.



الجنرال الألماني ليمان فون ساندرز (الثاني من اليسار) رئيس البعثة العسكرية الألمانية إلى تركيا قبل الحرب .

موقف تركيا وإيطاليا

إيطاليا

في العام ١٨٨١، طلبت إيطاليا الانضمام إلى الحلف الألماني ـ النمساوي. كان البلد يبحث عن حليف، لأنه كان يحس بأنه مهدد بالتوسع الفرنسي. لم يكن المسعى الإيطالي غريباً لا سيما أن علاقاتها مع النمسا ـ هنغاريا لم تكن ثابتة ومحددة بوضوح. كانت إيطاليا طامعة بالفعل ببعض الأراضي التي تخص الملكيتين. كان رئيس الأركان النمسا ـ هنغاري، من جهته، يرى في إيطاليا عدواً محتملاً لا حليفاً، وقد أظهر التاريخ أخيراً أنه على حق. فضلاً عن هذا، لما دفعت إيطاليا ثمن مغامرتها في العام ١٨٩٦ ضد أثيوبيا هزيمة مدوية، ألقت مسؤوليتها على ألمانيا، التي رفضت مد يد العون عسكرياً.



الإمبراطور غليوم الثاني في أثناء زيارة السلطان في العام ١٩١٧ الثاني إلى اليمين: ليمان فون ساندرز الذي كونه قائداً للجيش الخامس التركي، لعب دوراً هاماً في انتصار الأتراك على البريطانيين في غالبولي.

اهتمت إيطاليا الخائبة بالتقارب مع فرنسا. بعد تمديد المعاهدة مع ألمانيا والنمسا ــ هنغاريا، عقدت إيطاليا في العام ١٩٠٢ اتفاقاً آخر بسرية بالغة مع فرنسا تعهدت فيه البقاء على الحياد في حالة نشوب حرب بين فرنسا وألمانيا. وحتى ولو كانت فرنسا هي المبادرة إلى الحرب. كان واضح أنه هذا خرق فظ لمعاهدة التحالف التي مهرتها سابقاً. لكي تكون مطمئنة لكل الجهات، وتجديد معاهدة التحالف كل سنة، وقعت إيطاليا في العام ١٩١٣ اتفاقاً بحرياً سرياً مع النمسا ــ هنغاريا وداولت أيضاً حلفاً متيناً بين التشكيلات البرية لبلدان الحلف. خلال هذه المداولات اقترحت إيطاليا أن تهاجم فرنسا إذا دخلت في حرب ضد ألمانيا والنمسا ـ

هنغاريا، ودحرت هاتان الدولتان الأسطول الفرنسي في البحر الأبيض المتوسط، وتزج الجيش الإيطالي في جبال الألب الغربية، وترسل جيشين إلى جنوب ألمانيا لدعم المقاتلين الألمان. لم تنتهِ هذه المحادثات إلا مع نشوب الحرب. ظهر الطابع المراوغ للحليف الإيطالي بسرعة، حينما طلبت إيطاليا على وجه السرعة مكافآت في حالة احتمال توسع الأرض النمسا ــ هنغارية. لم يبالِ النمساويون، فأعلنت الحكومة الإيطالية عدم موافقتها على الإنذار الموجه إلى صربيا وهي تتمنى أن تبقى محايدة. بحثت إيطاليا آنئذ، دون تأخر، الاتصال بالحلف المعادي، الذي قرر نهائياً إعطاءها مكافآت في الأرض النمسا ــ هنغارية طبعاً. وأيضاً في أيار ١٩١٥، أعلنت إيطاليا الحرب على حليفتها النمسا ــ هنغاريا، وعلى ألمانيا في آب ١٩١٦. بعد الحرب أفادت فعلاً من الأراضي التكميلية، استريا، مقابل ٤٦٥ ألف قتيل و ٩٠٠ ألف جريح. إن اشتراك إيطاليا بالحرب كان بالتأكيد ذا تأثير على حصيلتها، ووجه ضربة قاصمة للمحور الثلاثي.



العائلة المالكة في إيطاليا قبيل الحرب



الحرب بدأت. تشكيلات بريطانية تصل إلى الهافر وتبدأ المسير نحو مواقعها.

تركيا

كان النفوذ البريطاني في تركيا دائماً هاماً وفي أيام حرب القرم، مدت لها بريطانيا ـ العظمى يد العون في معركتها ضد روسيا. وقبل بدء حرب ١٩١٤، كان تشكيل حربي بريطاني ينشط في تركيا وكان آدمرال بريطاني يرأس الأسطول التركي. وقد بذل الألمان كل نفوذهم لكي تصطف تركيا إلى جانبهم، وقد نجح السفير الألماني، البارون فون ببرستيان، بإقامة نفوذ مهيمن على الحكومة والجيش التركيين. أضف إلى هذا تشهير الصحافة الإنكليزية ببربرية الأتراك تجاه بعض الأقليات. وأيضاً، لما عقدت بريطانيا ـ العظمى وروسيا معاهدة تنظيم مناطق نفوذهما المتبادل في عام ١٩٠٧، اتضح للحكومة التركية أن الصداقة البريطانية مع تركيا انتهت. أعلن انتهاء هذه الصداقة على الملأ لما رفضت بريطانيا ـ العظمى وفرنسا إقراض تركيا. فسارعت ألمانيا إلى إقراض الحكومة التركية ما طلبت من أموال، الأمر الذي متّن العلاقات بينهما. وعرضت برلين تدريب الضباط الأتراك في ألمانيا والذين تأهلوا حتى يومئذ في بريطانيا ـ العظمى وفرنسا، لكن وجودهم أنئذ لم يعد مقبولاً، ورحبت بطلب إعادة تأهيل الجيش التركي. من أجل هذا، أرسل الألمان الجنرال ليمان فون ساندرز الذي عُيّن قائداً للجيش التركي الأول في القسطنطينية. نجم عن هذا نزاع مع روسيا التي شعرت بالتهديد لأن جنرالاً ألمانياً قاد الجيش التركي في أرض، تعتبرها روسيا جزءاً من دائرة نفوذها. احتج الوزير الروسي للشؤون الخارجية سازونوف بعنف وهدد باتخاذ التدابير الواجبة. لم تشترك ألمانيا بالنزاع بل كانت داعماً خلفياً، طلبت من الترك.

تسمية الجنرال فيلد مارشال ـ في مركز رفيع جداً لقيادة الجيش وسقط التوتر الآخذ كل مداه. ونسي الأمر في الحال.

في العام ١٩١٣، تسنم "الشباب الترك"، أي لفيف من الضباط المتمردين، السلطة. كان أحدهم، أنور باشا قد تلقى تعليمه العسكري في ألمانيا وكان

ظهيراً هاماً لألمانيا. كانت سلطاته واسعة كونه وزير حرب والسفير الألماني الجديد وانجنهم، الذي كان يتابع بدقة سياسة سلفه، نجح بنيل ثقته. تآزر الرجلان بصدق وانهار النفوذ البريطاني بلمحة بصر. في بداية النزاع، كانت تركيا، مع ذلك على الحياد رسـمياً. والإنكليز الذين أهملوا أهمية تركيا والدور الذي يمكن أن تلعبه في نزاع ما، ارتكبوا مرة أخرى خطأً فادحاً بمصـادرة باخرتين تركيتين كانتا تعبران في بريطانيا ـ العظمى. إن فداحة الحدث، من دون تقديم عذر كانت القطرة التي فاضـت بالكأس. ردت ألمانيا على الفور بإهداء باخرتين حربيتين ألمانيتين، غوبين وبرسـلو، كانتا صـدفة في البحر الأبيض المتوسـط وتوجهتا في الحال إلى الدردنيل براية ترفرف عالياً. قبلت الحكومة التركية الهدية الألمانية وسـمحت للباخرتين أن تبحرا إلى اسـطنبول. وصـنّفت الحكومة التركية هكذا إلى جانب ألمانيا في النزاع العالمي ولعبت دوراً هاماً على حساب بريطانيا العظمى كما سنرى فيما بعد.

الحرب تنفجر

إعداد خطط الهجوم

الخطط القتالية

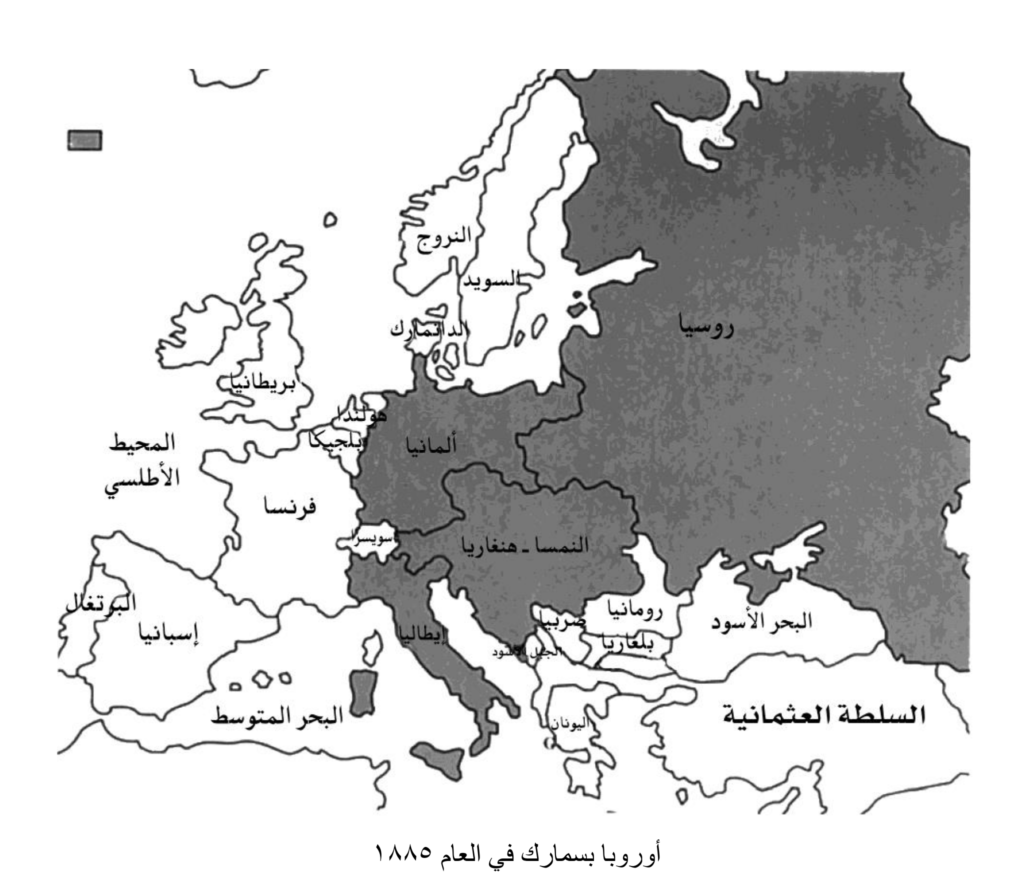
لم تنفجر الحرب العالمية الأولى بصورة غير منتظرة، بل يمكن أن نؤكد أن هذه الحرب كانت متوقعة منذ حقبة بعيدة وكانت الدول المنخرطة فيها مهيأة حربياً منذ ســنين. بعيد حرب ١٨٧٠-١٨٧١ بين فرنســا وبروسيا، والتي حقق بسمارك فيها ضم الالزاس ـــ اللورين الذي آل إلى نزاع جديد مع فرنسا. وأيضاً، كانت سـياسـته تبغي عزل فرنسـا ومنعها من أن تكون تهديداً حربياً لإمبراطورية ألمانيا الناشـئة. لهذا الهدف، عقد عدداً من المعاهدات السرية مع النمسا ـــ هنغاريا وروسيا وغيرهما، ولم يكف عن جعل ألمانيا دولة سياسية وحربية لا تقاوم. لم يتبع خليفة بسمارك



خارطة أوروبا في عام ١٩١٤.

السـياسـة ذاتها. لم يجدد المعاهدة مع روسـيا، لتخرج فرنسـا من عزلتها محققة عام ١٨٩٤ توقيع حلف عسكري سري مع روسيا، موجه ضد ألمانيا.

بدءاً من هذا التاريخ أعدت الأركانات الفرنسـية والروسـية خططاً مشـتركة تهدف لتأمين النصـر في حرب ضـد ألمانيا. ومنذ عام ١٩٠٤، شـرع الفرنسيون أيضـاً بمداولات مع البريطانيين تبغي التعاضـد القتالي في حال النزاع مع ألمانيا. وقدم وزير الخارجية غريّ دفعة جديدة لهذه المحادثات في عام ١٩٠٦ عند وصـول وزارة جديدة من الأحرار إلى السلطة. ومن هذه البرهة، تفاوضـت الأركانات الفرنسـية والإنكليزية بسـرية بالغة، وفي إنكلترا، قرر إرسال تشكيلات حملات بريطانية

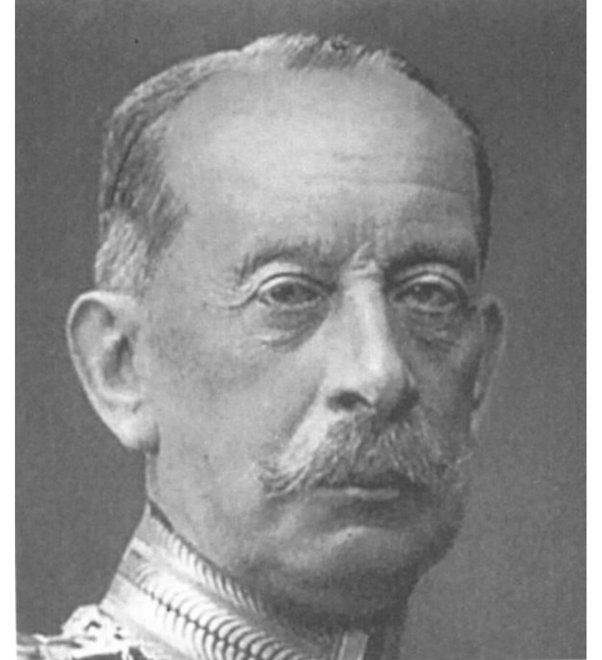


أوروبا بسمارك في العام ١٨٨٥

قوية **(British expeditionary forces)(BEF)** لتهيأة الجيش الفرنسي في حالة نشوب حرب ضد ألمانيا.

وفي العام ١٩٠٨ بدأ البريطانيون أيضــاً محادثات مع الروس، هدفت للتعاون بين قواتهما البحرية. وكانت هذه المفاوضات دائرة عند انفجار الحرب في العام ١٩١٤.

الأهداف



ألفريد فون شلفن، جنرال وفيلدمارشال ألماني. كان رئيس الأركان في العام ١٨٩١ وفي العام ١٩٠٥ رسم خطط الهجوم الألماني. اعتمد على حرب على جبهتين وقدر نصراً سهلاً على فرنسا حتى قبل أن تجهز التعبئة الروسية.

ما الســـبب الذي جعل كلاً من الدول قانعاً أن النزاع الذي يلوح في الأفق بصورة مهددة صار حتمياً لا مهرب منه.

في نظر فرنسا، الإلزاس ـ اللورين، انتزعت من فرنسا على يد الألمان في العام ١٨٧١. وأصـــبحت عودتها إلى حضـــن الأم، الجمهورية الفرنســـية مبدأً فرنســـياً. قدرت فرنســـا طبعاً أن هذا الغرض لن يتم من دون أحلاف. هكذا، كان الميثاق الفرنســـي ـ الروســـي الســـري للعام ١٨٩٤ الخطوة الأولى نحو إمكان تحقيق الخطة الفرنسية، استعادة الإلزاس ــ اللورين.

وكان غرض الروس الدردنيل والبوســـفور. فمنذ حرب القرم، صارت هذه المنطقة محرمة على بواخرها الحربية. بموجب هذا المنع، أُغلق البحر الأسود وحبس فيه الأسطول الروسـي، وحرمت حركته بصـورة فعلية، مما أثر سـلبياً في العام ١٩٠٤ على نتائج الحرب الروسـية اليابانية. كانت النقطة الأسـاسـية في السـياسـة الخارجية الروسـية إذاً حرية دخول البحر الأبيض المتوسط، حرية عبور الدردنيل والبوسفور. لكن هذه الأمنية غير قابلة للتحقيق من دون رضـــى الدول الكبرى. بالتعاون مع فرنســـا أمل الروس تلقي الدعم لجني حرية العبور. وكانت روسيا في ذات الوقت تعتمد على

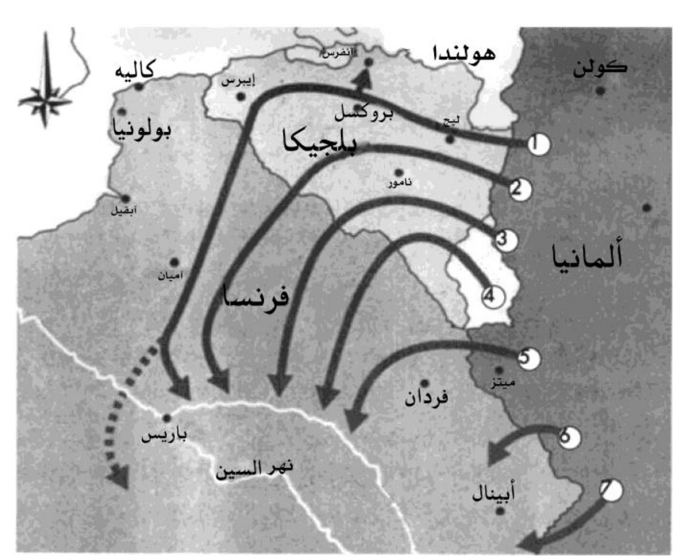
مساندة فرنسا في نزاعها القادم مع خصمها الأكبر في البلقان النمسا ـــ هنغاريا، كان هذا البلد حليفاً لألمانيا، إذاً تفضي الحرب إلى نزاع مع ألمانيا، ما لا تقدر روسيا عليه وحدها. فالمعاهدة الحربية أيضاً مع فرنسا تغير وضع روسيا بشكل جذري.

في ألمانيا، كانوا يتوقعون منذ أعوام خطر القتال في يوم ما على جبهتين، أي ضد فرنسا في الغرب وروسيا في الشرق. وكانت ألمانيا تعرف أنها لن تنتصر على جبهتين. ولما عززت فرنسا وروسيا بشكل جدي جيوشهما، ألحت القيادة الألمانية على شن حرب وقائية بغية وضع حد لهذا التهديد يوم كانت ألمانيا في جبروتها. مع ذلك رفض الإمبراطور الخضوع للضغوط، لكن لما تحددت الحرب في آخر المطاف في البلقان، مورطة النمسا ـــ هنغاريا، قررت ألمانيا دعم هذه الأخيرة تحت طائلة نشوب نزاع عالمي، لأن ألمانيا في تلك الفترة كانت تعتقد أنها ما تزال قادرة على الخروج مظفرة من هذه المعركة.

بالنسبة لبريطانيا ـ العظمى، كانت الأشياء تبدو مختلفة كلياً. فالقوة الاقتصادية لألمانيا المتسعة طرداً كانت تشكل لها تهديداً خطيراً. كان يضاف إلى هذا طموح برلين الاستعماري. وكان تجهيز أسطول حربي قوي لألمانيا دافعاً للاستدارة نحو فرنسا وروسيا. فبعد زيارة ملك إنكلترا للقيصر، كان غريّ، وزير خارجية بريطانيا يرى أن الاتحاد مع فرنسا وروسيا يمكنه من وضع الدولة العظمى الألمانية تحت الرقابة، ولهذا السبب اختار الوقوف إلى جانب فرنسا وروسيا عند نشوب الحرب. على هذا، كان لكل دولة معنية أهداف كافية لدخول الحرب لكن لن تجني أي منها سوى استمرار النزاع لأربعة أعوام كارثية، سببت ثمانية ملايين ضحية وتغيير وجه العالم.

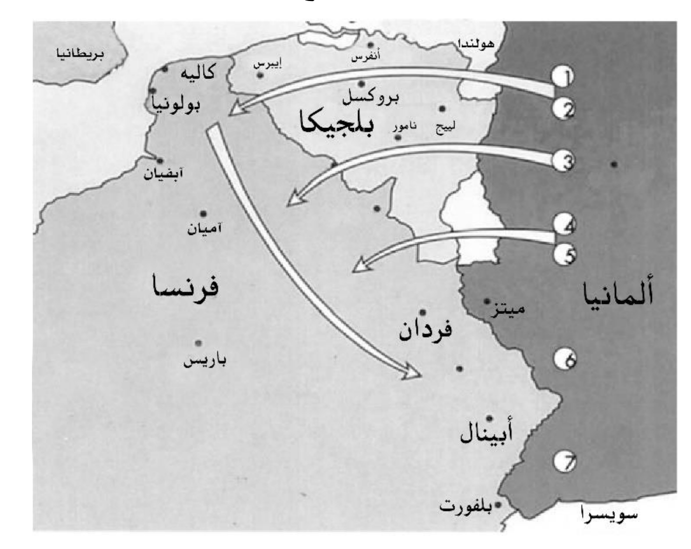
خطة فون شلفن

فوراً بعد الانتصار على فرنسا في حرب ١٨٧١، أدرك الفيلدمارشال فون مولتكه، رئيس الأركان الألماني، أن بذرة الحرب القادمة كانت جاهزة وأن



يوماً آتياً يتطلب مجدداً الدفاع عن الأرض "المحتلة". وحدس في تلك اللحظة أن فرنسا ستجني الدعم الروسي. وضع فون مولتكه خطة تخول الألمان الحرب على جبهتين. اعتمد في هذه الخطة على دفاع صلب ما أمكن عن حدوده مع فرنسا. بدأ الفرنسيون بناء خط التحصينات التي، حسب آخر الأخبار، كان تدميرها صعباً جداً. بل أن هجوماً على هذه الاستحكامات ربما أفضى إلى الإضرار بالألمان، لأنها ستضطر أيضاً أن تقاتل في الشرق الدب الروسي، وقدر إذاً وضع نصف جيشه للقتال على الحدود الفرنسية ويبدأ هجوماً وقائياً ضد الروس بالنصف الثاني، ثم يدحر روسيا، ليواجه أخيراً فرنسا بكل قواته. أمل هكذا تجنب حرب على جبهتين والخروج مظفراً من المعركة.

رفض الفيلدمارشال فون شلفن الذي خلف فون مولتكه في العام ١٨٩١، بصفة رئيس الأركان، خطة هذا الأخير، الخطرة جداً حسب رأيه. رأى مثله أن روسيا تشكل أفدح خطر على ألمانيا، وكان واثقاً أن روح الانتقام التي تبرز أكثر فأكثر وضوحاً في فرنسا ستفضي أخيراً إلى الحرب. وتحقق أن هذه الحرب تؤول إلى هزيمة ألمانيا، لأن جنودها غير كافين لتأمين حرب طويلة الأمد على جبهتين دفعة واحدة. وفون شلفن كان يرى أن خطة مولتكه تفضي إلى الكارثة إن تغلغل الألمان في روسيا الشاسعة، لا سيما إذا وضع نصف الجيش على حدود فرنسا ـ ألمانيا.



تنفيذ خطة شلفن. عدم الذهاب إلى غرب باريس، يعطي إمكانية للفرنسيين مهاجمة الخاصرة الألمانية

فوضع خطة جديدة، مؤسسة على السرعة وعلى وسائل النقل الحديثة والتي تناقض خطة مولتكه.

كانت الخطة تقوم على اتخاذ مواقع هجومية مباشرة على فرنسا ودفاعية على الجبهة الروسية.

كان العنصر الأهم في خطته عدم محاولة الهجوم المباشر على الحدود الفرنسية، بل التغلغل بسرعة البرق في البلدان المنخفضة وبلجيكا باتجاه شمال فرنسا بعد تعبئة سريعة. وبالتالي، بحركة معاكسة لعقارب الساعة وأخذ ميتز نقطة تمركز. الامتداد على طول الشواطئ الفرنسية غرب باريس والعودة السريعة نحو الشرق لمهاجمة المواقع الفرنسية على الحدود مع ألمانيا في الظهر. وتقر الخطة أن يكون الجناح اليميني قوياً جداً يستوعب حوالي تسعين بالمائة من القوات المسلحة الألمانية، وعلى هذا الجناح أن يجتاز فرنسا. والباقي يتوضع دفاعياً قرب ميتز وعلى طول الحد الشرقي. كان شلفن يقدر أن الفرنسيين يبدأون على الفور هجوماً نحو الإلزاس لأن القوات الألمانية المكلفة بالدفاع عن الحدود قليلة العدد ولم يشأ معاكسة هذا الهجوم في الفترة الأولى. بل بدفاع مرن، يمكن منع القوات الفرنسية من القتال في الشمال وفي الغرب، ما يعزز سرعة تقدم ألمانيا، وقدر أيضاً فقدان مؤقت لشطر من الأرض الألمانية. كانت السرعة في رأس الأهمية، لأن عليه، أن يستغل الفرق بين أوقات تجهيز القوات الفرنسية والروسية. كانت تقارير شعبة العمليات تقول إن الفرنسيين كانوا أهلاً للتعبئة خلال أسبوعين، بينما يحتاج الروس ستة أسابيع على الأقل. فعلى الفرنسيين أن يكونوا إذاً جاهزين للقتال قبل أن تتم التعبئة الروسية، والأساس أن تقدر التشكيلات الألمانية الانسحاب من فرنسا من أجل احتلال جبهة الشرق.

بهذا الأسلوب، كان شلفن يبغي تجنب حرب على جبهتين. ومن الواضح أن الشطر الأخطر في خطته يتجلى بأن يستغل عنصر الوقت. لأن الألمان إن لم يقدروا على بلوغ أهدافهم في الزمن المقدر، أو الأسوأ، أن يحقق الروس التعبئة بأسرع ما

قدر، كان على شلفن أن يواجه وضعاً خطيراً جداً يريد أن يتجنبه أياً كان الثمن. كان هذا يقلقه بوضوح، لأنه حتى بعد انسحابه، لم يكف عن دفع الأركان إلى العمل على تنفيذ هذا الرأي، وفي العام ١٩١٢ أيضاً أرسل ملاحظات تؤكد متابعة تعزيز الجناح اليميني.

الخطة الفرنسية رقم ١٧

حمل العديد من الوثائق البرهان على أن الفرنسيين اطلعوا منذ بعض الوقت على مضمون خطة شلفن. ففي عام ١٩١١، قدم الجنرال دوبيل **Dubail** إلى بطرسبورغ وأبلغه الروس أنهم يستعجلون الزمن تماماً للإسراع بالتعبئة ليقدروا أن يهاجموا بروسيا الشرقية حتى قبل إنجاز التعبئة العامة. كان هذا القرار ذا أهمية كبرى لأن خطة شلفن كانت تستغل بالضبط الأربعة أسابيع التي تفصل التعبئة الفرنسية عن التعبئة الروسية. وفي عام ١٩١٢ استطاع الروس الذين سيهاجمون بروسيا الشرقية أن يجندوا ٨٠٠ ألف رجل ونقص زمن تعبئتهم أسبوعين.

من المعروف أن الفرنسيين أيضاً وضعوا خطة للحرب. بعد عدة تعديلات قرر نهائياً تبني الخطة الشهيرة رقم ١٧، خطة قليلة الوضوح إذ ربطت أموراً عديدة بالظروف. كانت النقطة الرئيسة في الخطة تقدر أن الجيش الفرنسي مضطر أن يأخذ المبادرة بهجوم مستمر. ظلّت الخطة الفرنسية شديدة الغموض، لأنها لم توضع بعدُ على الورق. وبعد الحرب سُئل الجنرال جوفر عن الخطة من قبل لجنة برلمانية، فأعطى إحساساً أنه فاقد الذاكرة. إذ أكد أن الخطة ١٧ فعلاً لم



الكونت برختولد، وزير الخارجية النمساوية، الذي قرر مهاجمة صربيا، تحت طائلة انفجار نزاع عالمي.



سلطان تركيا في العام ١٩١٤

توضـــع على الورق، لكنها في رأســـه وأنه لم يعد يتذكر مع مَنْ مِنْ ضـباط الأركان العامة تحدث عنها عند انفجار الحرب.

أمام اللجنة ذاتها، صـــرح رئيس أركانه المؤقت، الجنرال كاستلو، أنه لم يرَ أبداً هذه الخطة. لكن هذا كان يبدو بوضـــوح أنه غير صـــحيح. على هذا، وراء هذه المماطلة، كان ممكناً إعادة كتابة الخطط الفرنســية الفعلية، كما تم فيما بعد.

اســتناداً إلى ما عرف من خطة شــلفن يمكن قراءة الأمور بالشكل التالي:

منذ نشوب الاعتداءات، تغزوا القوات الفرنسية الإلزاس ـــ اللورين حيث تلاقي مقاومة بسيطة، انسجاماً مع خطة فون شلفن. من أجل اسـتثمار ما يمكن من هذا المكسـب، وجب أن تكون القوة التي تزج في الهجوم كثيرة العدد والعدة ما أمكن. لم يتم هذا الهجوم مع ذلك إلا بعد غزو بلجيكا من قبل ألمانيا وفي تلك اللحظة بدأ عمل البريطانيين. سـيكون الهجوم الألماني إذاً أمراً لا مهرب منه، وعلى ألمانيا أن تسـهر على ألاّ تعتبر معتدية. لذا سـتوضـع القوات في حالة انسـحاب من الحدود لتجنب أي سـوء فهم حول هذا الموضوع.

٢-تبحر التشـكيلات البريطانية إلى فرنسـا وبلجيكا وتؤخر التقدم الألماني ما أمكن. هكذا سيكون الألمان بمعنى ما أسرى في هذه الأراضي ويعجزون إذاً عن تحرير قوات معينة لتذهب إلى جبهة الشرق لتدعم النمسا ـ هنغاريا، وهذا ضروري كما يرى الفرنسيون.

٣-بالفعل، بأسرع ما يمكن، أي بعد خمسة عشر يوماً من التعبئة، سيغزو الروس بروسيا الشرقية بـــ ٨٠٠ ألف رجل، ويقيمون فيها الجبهة الثانية. هذا يعني أن كل القوات الألمانية تقريباً تقع في كماشة في بلجيكا.

٤-جهدت فرنسا هكذا في أن تتباهى على خطة فون شلفن التي قدرت الوجود المؤقت للقوات الفرنسية في الإلزاس، لكنها ظنت أنها قادرة أن تحول هذا الاحتلال المؤقت إلى احتلال دائم.

٥-بداية، عهدت فرنســـا للبريطانيين مهمة الدفاع عن بلادهم، ونوت أن تنقل الحرب ما أمكن إلى الأرض البلجيكية.

يمكن العثور على عناصـــر إعادة التكوين هذه في محاضـــر اللقاءات الســـنوية بين الأركان الفرنســـية والروســـية، لقاءات طور خلالها البلدان خططهم بصـــورة دقيقة ودرســـوها بالتفصـــيل. إنما كما نعرف الآن، جرت الأمور بالفعل بطريقة مغايرة تماماً. في الحق، هاجم الروس باكراً لكن تقدمهم أوقف في الحال. أبحر البريطـانيون إلى بلجيكا كما هو متوقع، لكن، وهم في البحر، اضـــطروا أن يقاتلوا في حالـة التراجع أمام الألمان، وتتمة الخطة الفرنسية، في شطرها الأكبر لم تفضي إلى النجاح.

خطة الهجوم البريطانية

بعيد الاتفاقات الفرنسية ـــــ البريطانية في العام ١٩٠٤، شرعت القيادات العسكرية الفرنسية والبريطانية مفاوضـــات تهدف إلى تعاضـــد حربي في حال دخول فرنســـا الحرب مع ألمانيا. قاد هذه المفاوضـــات وزيرا الحرب وكانا لديهما غطاء سياسي. وفي ٢٠ حزيران ١٩١١، عقد الجنرال الإنكليزي، هنري

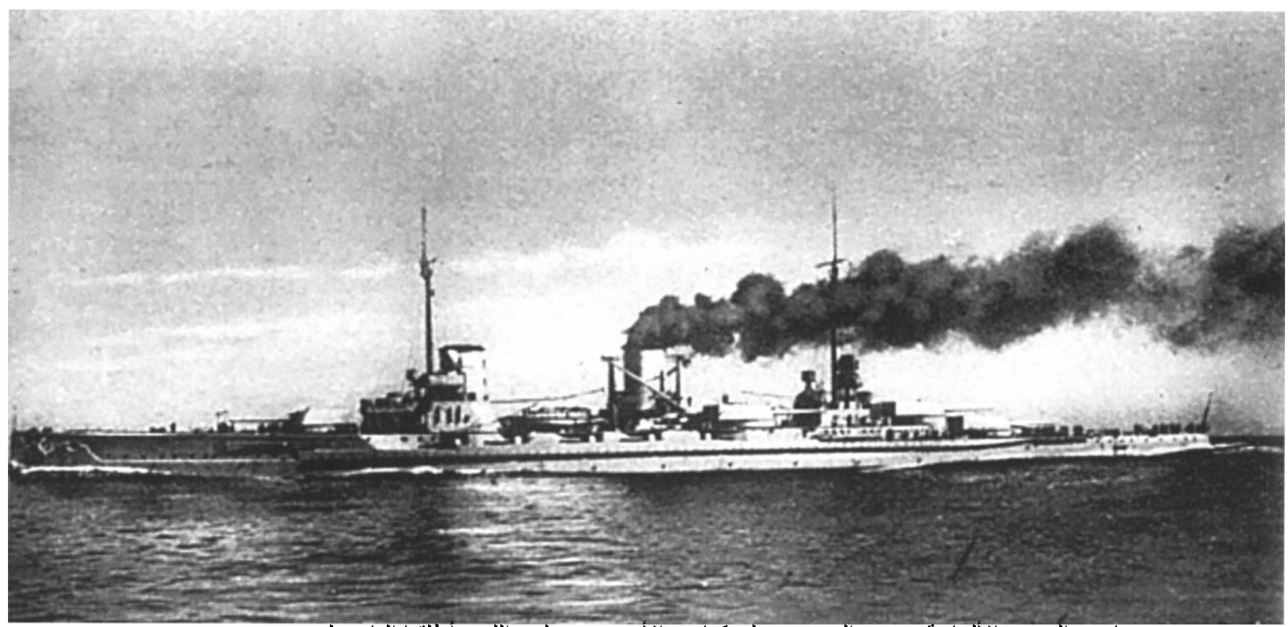


أنور باشا، وزير الحرب التركي.

ولسون، قائد العمليات الحربية، اتفاقاً مع الفرنسيين وعد فيه، في حال الحرب، بإرسال ١٥٠ ألف رجل و٦٧ ألف حصان إلى بولونيا والهافر لحماية الخاصرة اليسرى للجيش الفرنسي المحاصر. كان هذا بالتحديد وفي هذا المكان هو الأمر الأساسي للهجوم الألماني، وكان البريطانيون يقصدون إن لم يكن إيقاف التقدم فعلى الأقل تأخيره حتماً. وهكذا تتمكن فرنسا من زج آلاف الفرنسيين على حدودها الشرقية وقطع الجناح الأيمن الألماني عن باقي الجيش.

وفي عام ١٩١٢ حددت بريطانيا ـــ العظمى أن تحمي بحريتها شاطئ فرنسا الغربي، وفكروا آنئذ بتوزيع الأساطيل مجدداً، سحبت بريطانيا القسم الأهم من أسطولها في البحر الأبيض المتوسط، ليحل محله كل الأسطول الفرنسي.

أُعدت الخطط البريطانية بالتفصيل وفي آذار ١٩١٤، جرت مناورات خدمية وعسكرية فرنسية ـــ بريطانية على الأرض الفرنسية، كان غرضها بخاصة، تحقيق وتحديد وقت الانطلاق ووصول التشكيلات البريطانية من مرافئ انطلاقها ووصولها، نحو مواقعها في المعركة.



باخرة الحرب الألمانية غوبين التي بيعت لتركيا مع الأخرى برسلو واللتين أطلقتا النار على المرافئ الروسية في البحر الأسود.

خطة الهجوم النمسا ـ هنغارية

كانت النمسا ــ هنغاريا أيضاً متأهبة للحرب. وبشكل غريب مع ذلك، كان ثمة قناعة أن هذه الحرب يمكن أن تبقى محلية وتحدد بنزاع ضد صربيا.

كانت مختلف الخطط مؤسسة على هذه الفكرة. وإذا مع هذا، تدخلت روسيا، يمكن الرد على هذا بوقف المعارك فورا ضد صربيا. وثمة بالفعل خططان، "خطة حرب البلقان" و"خطة حرب ضد روسيا"، لن تصبح هذه الأخيرة سارية المفعول إلا إذا دخلتها روسيا فعلاً. لم يواجه أحد فرضية الحرب على جبهتين في وقت معاً. يمكن إجلاء وجهة النظر هذه على ضوء أن القائد الأعلى النمسا ــ هنغاري، الجنرال كونراد فون هوتزاندورف، المنطلق من مبدأ أنه هو أيضاً يمكن أن يعتمد على تعبئة طويلة في روسيا. كان يفكر أنه بالإمكان أن تندحر صربيا قبل تدخل عسكري روسي. كانت "خطة حرب البلقان تقدر أن قتالاً لخمسة أيام ضد صربيا ربما يعيد القوات المحاربة إلى حيث انطلقت. بدءاً من اليوم السادس لم يعد هذا ممكناً وأن احتمال هجوم روسي لا يمكن مقاومته أو إيقافه إلا بمساعدة الحليف الألماني.

إن دراسات لاحقة دلت أن خطة الحرب النمسا ــ هنغارية وبخاصة خطة حمل القوات تتضمن ثغرات عديدة وعميقة تفسر فشل الحملة على صربيا وضرورة مؤازرة الحليف الألماني منذ البدء. ولما انسحبت إيطاليا في آخر دقيقة، من الحلف، وخانت رومانيا التزاماتها، صارت النمساـ هنغاريا في موقف صعب للغاية واعفيت كلياً عن مساعدة الألمان على المستوى الحربي.

خطط الحرب الروسية

بدأت خطة حرب روسيا أساساً بمساعدة فرنسا وعقد حلف معها. كمنت مهمة روسيا في فتح جبهة ثانية لغزو بأسرع وقت ممكن بروسيا الشرقية وأخذ منها الخيرات التي تأخذها ألمانيا. حددت الأركان الروسية هذا الهدف وقدرت أن تكون جاهزة له في العام ١٩١٧. فبعد هزيمتها في حربها ضد اليابان أُعيد تجهيز

الجيش الروسي بقيادة وزير الحرب سوشوملينوف. إن أمكن تحقيق هذه الخطط، سيكون الجيش الروسي أضـــخم وأقوى جيش في تلك الحقبة. لكن تحديثه كان بعيداً جداً عن الجاهزية لما بدأت الخطوة الأولى في سـياسـة الحرب في العام ١٩١٤ واتخذ القرار، في اتفاق مع القوى الأخرى المتحالفة ـــــ فرنسـا وبريطانيا العظمى ــ بوضع حد للطاقة المطلقة الألمانية وتحقيق الأطماع الروسية في البلقان وتدمير إمبراطورية النمسا ــ هنغارية. إنما كما هو معروف، لم تكن الخطط العملياتية الروسية مستعدة بعدُ، والتسلح، والإدارة والخدمات الأخرى، لم تكن مرضية. وتقنياً، لم تكن روسيا مستعدة للقتال، وتم الاستعجال في تقويم الأحداث التي ستعقب.



الأمير نيقولاي القائد الأعلى للقوات الروسية ١٩١٤

حرب الحركات

أول الالتزامات

غزو ألمانيا لبلجيكا ولوكسمبورغ

في مساء الأول من آب ١٩١٤ ـــ مهر إمبراطور ألمانيا في الساعة الخامسة أمر التعبئة العامة ـــ تصل برقية، أرسلها ليخنوفسكي، سفير ألمانيا في لندن. كتب يقول إن الوزير البريطاني للشؤون الخارجية، ادوارد غريّ، أطلعه أن بريطانيا ـــ العظمى كانت جاهزة للتعهد بحماية حياد فرنسا إذا التزمت ألمانيا بعدم مهاجمة هذا البلد.

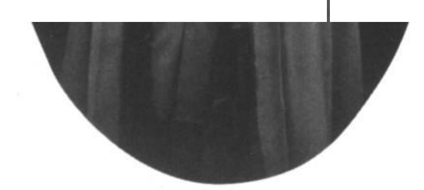
الجنرال فون مولتكه، الذي سافر لتنفيذ التعبئة، استدعي على وجه السرعة. ومستشار الدولة بثمان ـــ هولويج قدم لملاقاة فون مولتكه. "ظل البريطانيون بعيدين عن النزاع"، أعلن على الملأ كالمنتصر بإعادة البرقية إلى فون مولتكه. "بقي وحيداً عدونا الأكبر روسيا، طلبنا عودة قواتنا المسلحة وإرسالها إلى الشرق".



الجنرال فون مولتكه رئيس الأركان الألماني في بداية الحرب



الإمبراطور الألماني غليوم الثاني







ملك البلجيك ألبير الأول في مقرّه العام

..أضاف الإمبراطور واشترك بالحديث. إنهار عالم مولتكه. كان الطلب إلى الجيش بالعودة صعب التنفيذ جداً، وربما نجم عن هذه الخطوة خلاصات كارثية. أضف، أنه عرف أن أمر التعبئة العامة، صدر في فرنسا أيضاً. والبرقية الواردة من بريطانيا كانت موضع ريبة وشك.

فون مولتكه، نقل شكوكه إلى الإمبراطور وكتمان أمر إخلاء الحدود مع فرنسا. رفض غليوم الثاني الإصغاء له. "أعطاني عمك جواباً آخر، أضاف بلهجة مرة مخاطباً مولتكه. ملمحاً إلى العجوز فون مولتكه الذي حقق نصر ألمانيا على فرنسا في الحرب الفرنسية ـــ الألمانية في العام ١٨٧٠ – ١٨٧١. انخرط بثمان ـــ هولويج أيضاً بالحديث وحقق رغبة فون مولتكه. تابع هذا الأخير الدفاع عن رأيه ورفض



الجنرال فون كليك، قائد الجيش الأول الألماني.

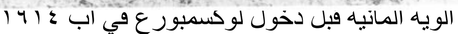
أن يكون مسؤولاً عن هذا القرار ذي الأهمية التي لا تحسب عقباها.

صرح أن خطة الهجوم الألماني أسست على مبدأ هجوم ساحق ضد فرنسا، ونشر قوات ضعيفة دفاعية في الشرق، ضد روسيا. وسيكون إحداث تبدلات مفاجئة وبدون دراسة كارثياً. وبعد أحاديث طويلة نجح فون مولكته بإقناع الإمبراطور أن خطط التعبئة يجب أن تنفذ أولاً وبعدئذ فقط يمكن دراسة إرسال وحدات ضخمة نحو الشرق.



مدفعية الحملة الألمانية أمام مدينة لييج في بلجيكا





الويه المانيه فبل دخول لوكسمبورع في اب ١٦١٤



سلاح المشاة الألماني يشن حملة في أرض مكشوفة

أنهك الحديث مع الإمبراطور ومستشار الدولة فون مولتكه. وكانت التوترات خلال الأيام التي سبقت بدء الحرب قاسية، وقد صرح فيما بعد أن شيئاً ما سحقه في أثناء هذه المداولة، شيئاً لن يرمم. كان همه الأول أن يطلب من بثمان هولويج عدم إرجاء احتلال لوكسمبورغ الذي يضع في خطر خطة الهجوم الألماني برمتها لأن احتلال نقطة هامة خاصة بالسكك الحديدية كان ذا أهمية فريدة تتعلق بنجاحها. كان بثمان ــ هولويج يرى أن هذا الاحتلال يمثل تهديداً مباشراً لفرنسا، وأن عملاً كهذا، يؤول إلى سحب فوري للعرض البريطاني. ومن دون استشارة فون مولكته هذه المرة، استدعى الإمبراطور مساعده العسكري إليه وأملى عليه أمراً للفرقة ١٦ بتوقيف مسيرها إلى لوكسمبورغ فوراً.



رجال ميليشيا بلجيك



جندي بلجيكي في أثناء الراحة خلف الجبهة

رغم الاحتجاج الملح لفون مولتكه، أصر الإمبراطور على هذا الأمر وطرد الجنرال، ولما وصل هذا إلى موقعه العام، سبقه الأمر، لكن فون مولتكه تصدى للأمر ورفض توقيعه. وفي الساعة ١١ مساء، تلقى أمر عودته ثانية إلى الإمبراطور. استقبله هذا الأخير في غرفة نومه وسلمه برقية من ملك إنكلترا تعلمه أن تصريح ليخنوفسكي يستند إلى سوء فهم وألاّ مجال لتعهد بريطانيا الحفاظ على حياد فرنسا. وأضاف الإمبراطور بمزاج غاضب إلى رأي فون مولتكه: (الآن تقدر أن تفعل ما تشاء)، هذا ما مكّن مولتكه من الانسحاب.

واللحظة الشؤم، الدراما المأساوية كانت في نقطة الانفجار. عاد فون مولتكه إلى موقعه العام، أرسل أمراً إلى الفرقة ١٦ بدخول لوكسمبورغ دون تأخر واحتلال عقدة سكة الحديد.

بدء المعارك

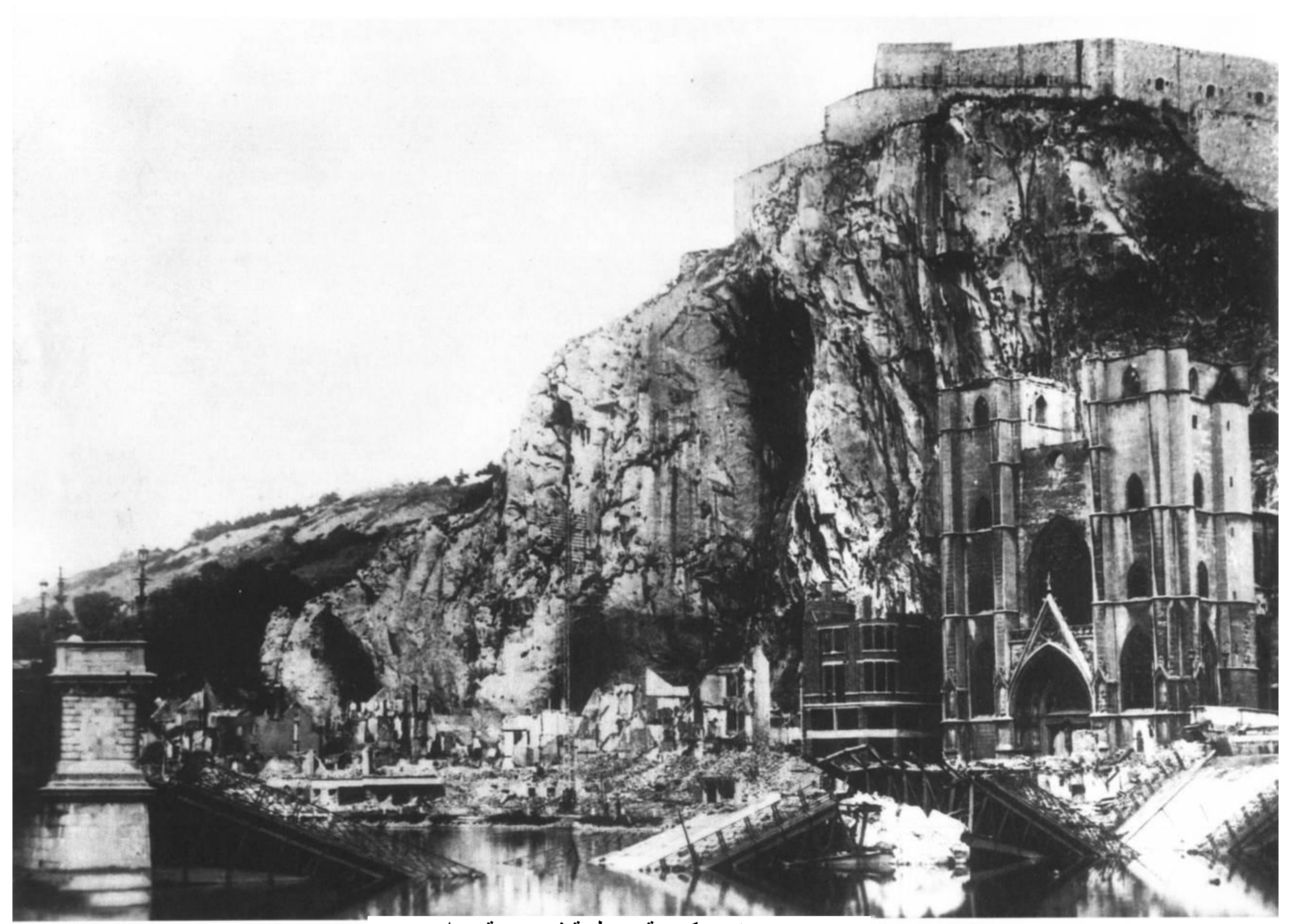
ثمانية جيوش ألمانية كاملة، سـبعة مخصـصـة لجبهة الغرب، وواحد لجبهة الشـرق، بدأت المسـير لتنفيذ خطة فون شلفن.

كان الجيش الأول الألماني بقيادة الجنرال فون كليك، الثاني بقيادة فون بولو والثالث بقيادة فون هوزن، تدخل بلجيكا. الرابع بقيادة دوق ألبرخت كان هدفه السـير إلى اللوكسـمبورغ. الخامس بقيادة الأمير الوريث، السـادس مع الأمير روبرخت دي بافيير والسـابع مع الجنرال فون هرنجن على أهبة الاسـتعداد بين سـابريك وبال.



منهل ماء مشترك للبلجيك والبريطانيين في آخر نقطة من الحدود البلجيكية

وفي الصــباح الباكر من ٢ آب ١٩١٤، دخل الألمان لوكســمبورغ. قبيل هذا، تلقت حكومة هذا البلد برقية تبلغها أن ألمانيا علمت من مصــدر موثوق أن الجيش الفرنســي يتجه نحوكم ولهذا الســبب للأســف، رأت ألمانيا نفســـها في الحالة الشـــرعية للدفاع عن النفس، رأت أنها مكرهة على خرق حياد اللوكســـمبورغ والدفاع عن عقدة سكة الحديد الموجودة هنا. احتجت حكومة البلد احتجاجاً صــارخاً، لكن سبل الدفاع عن أراضيها غير موجودة وسقط البلد بسرعة بيد الألمان.



جسر مدمّر وكنيسة محطمة في مدينة دينانت

بدأت الحركة الكبرى للجيوش الآن. بين ٢ و٤ آب، أكثر من ٢٢٠٠ قطار نقل عسـكري اجتاز كولونيا باتجاه الغرب. كانت نقاط الهجوم معروفة. الجيش الأول والثاني هدفهما بروكسـل، وعلى الثالث أن يتخطى نهر الموز قرب نـامور ودينـانـت والرابع يراقـب البقعـة الممتـدة حتى طرف جنوب بلجيكـا، المحـاذيـة اللوكسـمبورغ. الجيش الخامس للأمير الوريث الألماني، أخيراً زج قرب ميتز، بينما بقي جيشـان للعمل على الجناح اليساري، لمواجهة الفرنسيين.

الأحد ٢ آب، سـلم السـفير الألماني إنذاراً للحكومة البلجيكية، طالباً حرية المرور عبر بلجيكا للتشـكيلات الألمانية. في حال الرد الإيجابي، تتعهد الحكومة الألمانية التعويض عن الأضرار المحتملة، والإخلاء التام



الجنرال الألماني فون إميخ الذي قاد الهجوم إلى مدينة لييج

للأراضـــي البلجيكية ما أن تضـــع الحرب أوزارها. نناشـــد الحكومة البلجيكية عدم المقاومة، لتجنب إراقة الدماء مجاناً، وأضاف أن ألمانيا لا تقصد سوى الدفاع المشروع عن النفس ولن تشرع بإحتلال بلجيكا بصورة دائمة. وطلب جواباً خلال ١٢ ســاعة. رفضــت الحكومة البلجيكية الإنذار رفضـــاً باتّاً، وفي صـــبيحة ٣ آب، دخلت التشكيلات العسكرية بلجيكا، في طريقها نحو فرنسا.

معركة لييج

كانت مدينة لييج أول أهداف الألمان. كانت المدينة نفسـها محمية بقوات كاملة الجاهزية تهيمن على منطقة شرق بلجيكا، وقد بدا احتلالها السريع أساسياً، إن لم يُشاء أن يورط تقدم الجناح اليميني للجيش الألماني، وإذاً نجاح خطة فون شـلفن كلها. كانت السـرعة إذاً أسـاسـية وقد وضـعت الأركان خطة منفصـلة من أجل احتلال المدينة منذ بداية المعارك. وفي ٤ آب، اقترب أكثر من ٣٤ ألف رجل وحوالي ١٢٥ مدفعاً من المدافع الأكثر فاعلية، من حزام التحصـينات المحيطة بالمدينة. بين هذه الاسـتحكامات التي تفصـل بين الواحد والآخر ٤ كم، هنا تمركزت الفرقة البلجيكية الثالثة المؤلفة من ٢٣ ألف رجل أوأكثر. كانت هذه الدفاعات بقيادة الجنرال ليمان، الذي يدير أيضاً ساح المعركة.

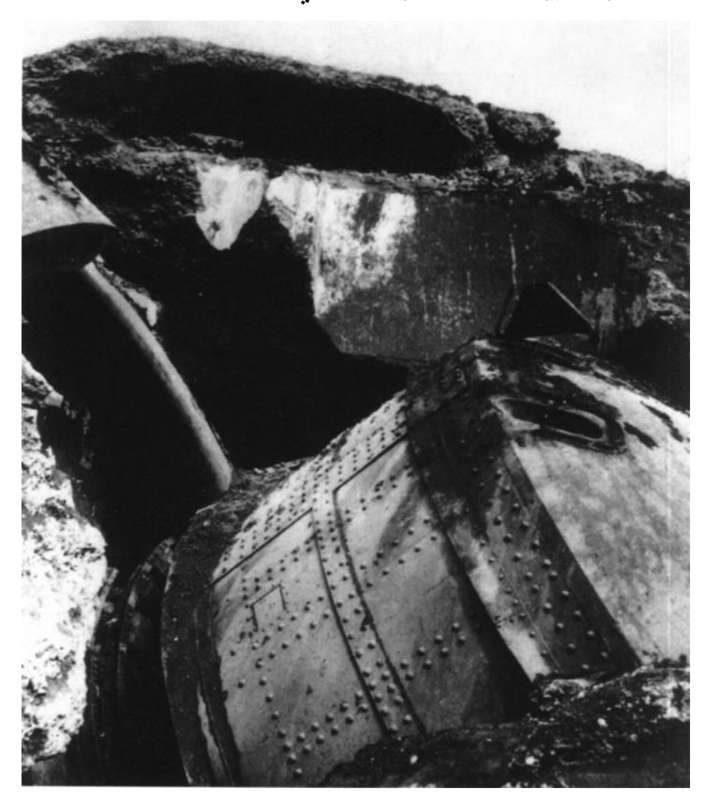


قوات ألمانية في الميدان



ضابط مراسم الماني يستقبل التعليمات المعطاة للقوات قرب لييج

قبل الحرب، بث الألمان رجال الاستطلاع، الذين لحظوا أن الفواصل بين استحكام وآخر ضعيفة. فأشارت الخطة إذاً إلى هجوم ليلي على العديد من النقاط الواقعة بين الاســـتحكامات. كان الهدف مفاجأة المدافعين، التغلغل داخل المواقع من أجل احتلال مدينة لييج، فتضطر الدفاعات على الاستسلام. على رأس القوات لتنفيذ هذه الضربة المحكمة كان الجنرال فون إمّيخ، يساعده الجنرال إريش لودندورف، الذي سيلعب فيما بعد



لا شي قدر على مقاومة المدفعية الألمانية الضاربة.
أنقاض حصن لونسين قرب لييج.

دور تنفيذ أول خطة في تاريخ الحرب العالمية الأولى.

في ليل ٥-٦ آب. بدأ تنفيذ الخطة، ووجه الهجوم على الحصـــون من ثلاث جهات دفعة واحدة. أفواج من اللواء ١٤ الألماني نجحت باختراق دفاعات فليرون وإفينيه. لم ترَ هذه الأفواج من قبل نقاط المراقبة بســـبب الظلمة التي حالت دون عمل المدفعية. صـــادفت مع ذلك رجال الفرقة الثالثة البلجيكية الذين قاوموا ببســـالة وإقدام، مع هذا لم يستطيعوا الصمود في وجه الألمان. لما قتل القائد الألماني فون إمّيخ في أثناء هذا الاشتباك، استلم لودندورف القيادة وقاد الرجال حتى هضاب شرق الكاتدرائية[1] حيث أمكن رؤية الجسور التي تمر فوق نهر الموز. فاحتلها لودندورف دون طلقة واحدة.

في صباح ٧ آب، أعطى أمر دخول ليبج، وقاد بنفسه مباشرة قواته إلى القلعة. كان طريق الدخول إلى هذا الحصن مغلقاً. قرع لودندورف الباب مراراً، وفجأة فتح المدخل. أمر الحرس بالاستسلام، ثم دخل على القائد الذي استسلم مع جنوده. وسمت هذه الضربة العاتية بداية مقدمة برّاقة. يمكن الحديث مطولاً عن لودندورف.

صارت مدينة ليبج الآن في يدي الألمان وانثنى المدافعون عنها نحو لوفان لينضموا إلى ما بقي من الجيش البلجيكي.

إنما الثكنات المحيطة بليبج بقيت في أيدي البلجيك. وشـــكلت مدفعيتهم خطراً جدّياً لكبح التقدم الألماني. إن مدفعية ثقيلة جداً ســـارت لتدمير هذه الثكنات، بخاصـــة مدفعية الحصـــار النمســـاوي من عيار ٣٠٥مم والأثقل أيضـــاً، قاذفات ٤٢٠مم كروب المعروفة باسم "غروس بيرتا". في آخر المطاف، دمرت الثكنات دكاً منهجياً، وقتل رجالها أو أجبروا على الاســتسـلام. وسـقط آخر حصــن من الحزام، هو ثكنة لونســين، في ١٥ آب بعد ضربة قصدت مخزن الألغام. وصرع الانفجار أغلب الجنود. وبقي حياً القائد البلجيكي الذي انتشل من

---

١ - الكنيسة الضخمة

تحت الأنقاض من دون وعي. ولما استعاد رشده كانت كلماته الأولى: "لن أستسلم"، ولما أُسر طلب من الضابط الألماني أن يسجل هذه الكلمات في تقريره.

وفي ١٦ آب، سقط آخر استحكامين، ولم يصمد أي استحكام إذاً أمام التقدم الألماني نحو السهول البلجيكية.



سلاح المشاة البلجيكي أثناء التراجع نحو أنفرس في 20 آب 1914



جنود بلجيك في طريقهم للدفاع عن الدفاعات قرب أنفرس

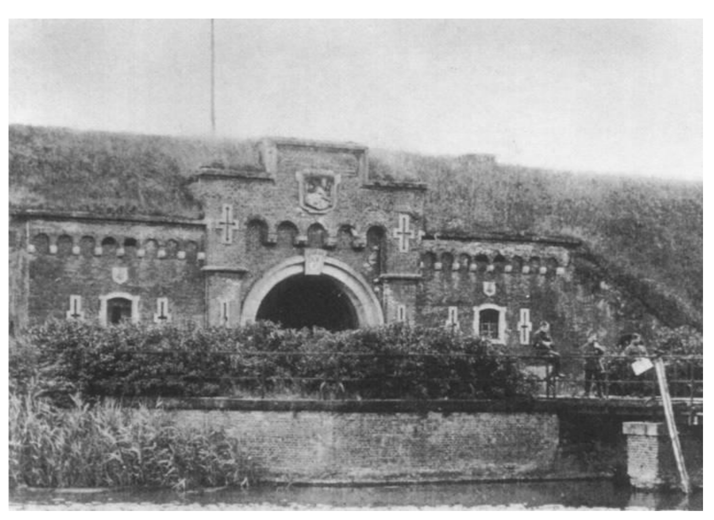
معارك قرب نامور

بعد انطواء الفرقة الثالثة البلجيكية إلى لوفان، تتابعت المعارك نحو الغرب، قرب جدول جيت الصـــغير، احتل البلجيك خطاً دفاعياً قبل الحرب على طول خط نامور، دينانت وجيفيت. فدعمت الفرقة الرابعة حامية نامور. انطلقت قوات ألمانية مجهزة بمدفعية ثقيلة، ســـت بطاريات منها قياس ٤٢٠ مم وأربع بطاريات نمساوية قياس ٣٠٥مم، نحو الدفاعات المحيطة بنامور ودمرتها دشمة تلو الآخرى.

في اللحظة ذاتها، نجح الألمان في اجتياز نهري ســامبر والمور، وهُددت نامور بالحصـــار. في ٢٢ آب، بدأت الفرقة البلجيكية الرابعة الانسحاب من منطقة نامور باتجاه ماريمبورغ حيث كان حوالي نصف الثلاثين ألف رجل مستعدين للانطلاق. بعد أسبوع، انثنوا نحو أنفرس حيث انضموا إلى ما بقي من الجيش البلجيكي في ٢ أيلول. سقطت دينانت أيضاً بيد الألمان. حاصرتها أفواج من الجيش الثالث ودخلتها في صباح ٢٢ آب باكراً.



سكان أنفرس هربوا من المدينة عند اقتراب القوات اللألمانية



أحد الحصون في أنفرس قبل أن تدمرها

المدفعية الثقيلة الألمانية

فرنسيون لبوا طلب المساعدة من البلجيك

والبريطانيون أرسلوا قوة دعم استقبلت بحماس



خلال هذا الوقت، تغلغل الجيش الأول الألماني بقيادة الجنرال فون كليك والجيش الثاني بقيادة فون بولو، أي (حوالي نصف مليون رجل) إلى الأمام في بلجيكا، إلى شمال نهر الموز. وهذه المرة أيضاً، أبدى البلجيك مقاومة شرسة. قرب سانت ـــ مرغريت، فقد الجيش البلجيكي أكثر من نصف مقاتليه. كان التفوق الألماني عددياً كبير الأهمية وفي ١٨ آب، قرر ملك البلجيك سحب جيشه إلى وراء جدول ديل الصغير، لإعداد خط دفاع جديد باتجاه أنفرس. وفي صـباح ٢٠ آب، اضـطر الجيش البلجيكي على الانسـحاب أيضـاً نحو العمق إلى سـاحة أنفرس الحصينة. وفي ذات اليوم، وصل الجيش الرابع الألماني بقيادة الجنرال سيكس فون ارنيم إلى بروكسل واحتلها، وتغلغل الجيش الأول والثاني والثالث أكثر عمقاً في بلجيكا. خلال هذا الوقت، كان الفرنسـيون والإنكليز قد سارعوا إلى مساعدة بلجيكا. تمركز الجيش الخامس الفرنسي بقيادة الجنرال لانزاك، ليبدأ



أسرى بريطانيون ينتظرون نقلهم في منيف



بطارية من الرشاشات الخفيفة الألمانية قدمت التحية العسكرية للأميرال شرودر عند دخوله بروكسل

لكنها اصطدمت بتفوق عددي ضخم، سبب الإعداد السيء خسائر فادحة. وفي ٢٣ آب، لم يكن الوضع أمتن، أعطى الجنرال لانزاك أمر الانسحاب العام. عبر هذا الوقت، انتشر البريطانيون على جبهة طولها حوالي ٣٥كم، بين هرمجني، كوندي وبانش. وسرعان ما هددهم الجيش الثاني، الرابع والثالث الألماني، ولما هاجم هؤلاء في صباح ٢٣ آب خط الجبهة البريطانية اضطروا على

التراجع العاجل. وبعيد هذا في ذات اليوم، أخليت مونس أيضـاً، وفي المسـاء، لما علم الجنرال فرانش أن الجيش الخامس الفرنسي قاتل أيضاً متراجعاً، خشي الحصار وأعطى أمر الانسحاب باتجاه كاتو، وفي مساء ٢٤ آب بعد معارك طاحنة وصـلت مؤخرة الجيش. وهاجمت أفواج فون كليك رجال فرانش في صـباح ٢٦ منه.



الأميرال الألماني شرودر قائد القوات البحرية الألمانية في فلاندر

إن المعارك، التي استمرت سحابة اليوم وخلالها تلقى الجيش الثاني الإنكليزي، بقيادة الجنرال سـميث دوريان، ضربات قاصمة أجبرت البريطانيين

على الانسحاب مرة أخرى، فاقداً أكثر من ٨ آلاف رجل لكن متملصاً من حصار حقيقي.

كان وضع جيوش الحلفاء سيئاً. رأى الجنرال فرانش بخاصة الوضع مقلقاً وأبلغ لندن في ٣١ منه ضرورة الانسحاب إلى خلف السين غرب باريس مع جيشه لأنه ما عاد يؤمن بنصر فرنسي وخشي سقوط كامل الجيش في يد الألمان.



القوات الألمانية مدينة بلجيكية

معارك أنفرس

تلهف الألمان أن يبلغوا الآن وبأسرع ما يمكن الشاطئ البلجيكي، قبل وصول الحلفاء. تقدموا على عجل باتجاه أنفرس حيث تمركز الجيش البلجيكي في الميدان الحصين. فمنذ ولوج الألمان بلجيكا، كان ميدان أنفرس الحصين في حالة دفاعية. وكان عدد من الدفاعات البلجيكية قد دعم بالإسمنت للصمود للمدفعية الثقيلة الألمانية والمؤونات القتالية لتقاوم الحصار الطويل. أعطت هذه الاستعدادات الطمأنينة للجنود المكلفين بالدفاع عنها. ظناً منهم أن الألمان لن يقدروا على احتلال ميدان انفرس المحصن.

بدأ الهجوم الألماني في ٢٧ أيلول. في ذلك اليوم، احتل الجيش الألماني، بقيادة الجنرال فون بيسلر مدينة مالين. وفي اليوم التالي، انصبت قنابل المدفعية الثقيلة على أول التحصينات، التي سقطت الواحد تلو



الجنرالان: هندنبرغ ولودندورف أثناء زيارة إلى بروكسل



غليوم الثاني يزور قاعدة غواصات زيبروج

...الآخر بفعل مدفعية من عيار ٤٢٠ و ٣٠٥مم. وفي ٢٩ أيلول، وصـــلت الأفواج الألمانية ميدان انفرس الحصين المعزز، تحت نيران المدافعين العاصفة. ردت المدفعية الألمانية فثقبت قنبلة مخزن الألغام والذخيرة، مدمرة الحصن. قصف حصن سانت كاترين مدة ثلاثين ساعة وأصيب مركز الذخائر بقنبلة وأخلي. وبينما كانت المدفعية تدك كل الدفاعات الأخرى، مدمرة إياها الواحد إثر الآخر، كان المدافعون يأملون وينتظرون عون الحلفاء، إنما في مســاء ٢٩ اعتبر هذا الأمل عبثاً. كان الحلفاء بعيدين جداً عن أنفرس بأمل باهت للوصـول في الوقت المناسب. وفي ٢ تشـرين أول تأكد لديهم أن الجيش البلجيكي عاجز عن الاسـتمرار في الدفاع عن ميدان أنفرس الحصين وأمر الملك ألبير الجيش

بالاســتعداد للانســحاب والتمركز في اوســتاند حيث حددوا خط الدفاع الجديد. وهذه المرة أيضــاً كانت المقاومة البلجيكية مثيرة للإعجاب أمام التفوق الســاحق الألماني. كان البلجيك يقاتلون كالأبالســة مفضــلين الموت على الاستسلام للألمان. بل بدأوا العديد من الهجمات المضادة. فاستعادوا بعض نقاط الاستناد، لكنهم اندحروا، وتراجعوا بفعل الفارق العددي.

تندرج مآثر الجيش البلجيكي بين أعظم البطولات في تاريخ الحرب العالمية الأولى.



الجنرال فرانش رئيس أركان القوات البريطانية في فرنسا، انسحب أكثر بعداً مع قواته، حتى لحظة تلقيه أمراً من المارشال كتخنر بالمحافظة على مواقعه.

في ٣ تشـــرين أول وصـــلت أخيراً المســـاعدة المنتظرة. أبحرت الجحافل البريطانية إلى اوســـتاند وانطلقت لملاقاة البلجيك. بعد يومين، وصلت قوة بريطانية أيضاً، لتشكل جيشاً من ٦ آلاف رجل، أساساً من البحارة. أثار وصولهم حماس أبناء انفرس. زار تشرشل المدينة شخصياً لتعزيز معنويات السكان. إنما سبق السيف العزل، التقدم الألماني لا يمكن دحره وفي ٦ تشـــرين أول أُجبر البريطانيون على التقهقر. وفي الليل، أخلى الجيش البلجيكي أنفرس تحت جنح الظلام واجتاز اســـكوت. وفي صـــباح ٧ تشـــرين أول، غادرت الحكومة البلجيكية والجهاز الدبلوماسي أنفرس أيضاً باتجاه اوستاند. حرك سفرهم غضب أبناء المدينة الذين حاولوا ترك المدينة جمهرة. في يوم الثلاثاء ٩ تشرين أول، استسلمت انفرس للألمان. وفي الغداة فقط، دخلت القوات الألمانية المدينة وتجمعوا منتصرين أمام الحاكم الحربي لإنفرس، الأميرال فون شرودر. ظلت المدينة أربع سنوات عصيبة بيد الألمان.

شراسة الألمان في بلجيكا

منذ غزو الألمان لبلجيكا. بدأ التململ والاضـــطراب، في وجه الشـــراســـة التي يمارســـها المحتل دائماً ضـــد الســـكان المدنيين. لم تجلب هذه التحركات سوى مضاعفة القسوة حتى وصلت إلى الصحافة الدولية، لم تتخلف الصحافة عن تضـــخيم الأنباء. بالفعل، تصـــرف الألمان بوحشـــية وأرهبوا في الأغلب السكان من دون أسباب موجبة. كان الألمان يتصورون أنهم محاطون بقناصة وإذا نسف جسر في مكان ما عوقب المدنيون. كانت الشكوك الألمانية صحيحة أحياناً لكنهم لم يبالوا أبداً بصـــحة مادة الجرم، بل يردون بالإرهاب ليبطلوا أي شكل من المقاومة.



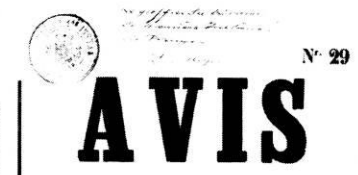
الجنرال هايغ الذي ورث مهمة فرانش في رئاسة الجيش الإنكليزي الموفد إلى فرنسا


حارس عسكري ألماني في مدينة ليل

أنباء صحفية

وفي كثير من الحالات آلَ تصـرف الألمان إلى العصـيان والإجرام. إليكم بعض الأمثلة: عند احتلال قرية اندين، وجد الألمان جســراً مدمراً. على الفور أحرقت القرية، وأُعدم حوالي ٣٠٠ مدني في الســاحة العامة. ودمر نهائياً أكثر من ٣٠٠ بيت حرقاً، وفي الأيام التالية، نهبت القرية واســتمر الهدم. وعند ســقوط نامور ودينانت، تصـرف الألمان أيضـاً بصـورة وحشـية جداً. نهبوا السكان، دخلوا إحدى الكنائس في أثناء الصـلاة وصــرعوا كل المصـلين. في فناء السـوق، أُحرقت مكتبة عامرة بالمراجع وتحولت إلى رماد كتب كتبت منذ قرون. بالفعل، صــاحب الغزو الألماني لبلجيكا العديد من الجرائم، كانت الاغتيالات واللصــوصــية عملة متداولة. وإعدام النقيب الإنكليزي من البحرية التجارية تشارلز فريات والممرضة البريطانية إديت كافيل ظلا شـهيريين. موتهما حرك الرأي العام وكان ذا أثر سلبي جداً تجاه الألمان. حاول هؤلاء فيما بعد تعديل سلوكهم البربري، وصحيح أن دعاية الحلف ضخمت أحياناً ذلك السلوك. لكن موقف الألمان في بلجيكا تجاوز المعقول ولم يبرر بأي حال. هكذا يدرك إذاً كره الشعب لهم وفي ذات الوقت، الكسب الذي جنته الدعاية المعادية.





Nº 29

Bekanntmachung

Der englische Handelsschiffs-kapitän

Charles Fryatt
aus Southampton

hat, trotzdem er nicht der feindlichen Wehrmacht angehörte, am 28. März 1915 versucht, ein deutsches Unterseeboot durch Rammen zu vernichten. Er ist deshalb durch Urteil des Feldgerichts des Marinekorps vom heutigen Tage

zum Tode verurteilt

und erschossen worden.

Eine ruchlose Tat hat damit späte, aber gerechte Sühne gefunden.

gez. **von Schröder**
Admiral,
Kommandierender Admiral des Marinekorps.

Brügge, den 27. Juli 1916.

Bekendmaking

De Engelsche handelsscheeps-kapitein

Charles Fryatt
van Southampton

heeft, niettegenstaande hij niet tot de vijandelijke krijgsmacht behoorde, op 28 Maart 1915 gepoogd een duitsche onderzeeboot door rammen te vernielen. Hij is daarom door vonnis van het Krijgsgerecht van het Marinekorps, in date van heden,

ter dood veroordeeld

en doodgeschoten geworden.

Eene roekelooze daad heeft daarmede hare laattijdige maar gerechtige straf ontvangen.

(get.) **von Schröder**
Admiraal,
Bevelvoerende Admiraal van het Marinekorps.

Brugge, den 27 Juli 1916.

AVIS

Le capitaine anglais de la marine marchande

Charles Fryatt
de Southampton

quoique ne faisant pas partie de la force armée ennemie, a essayé, le 28 Mars 1915, de détruire un sous-marin allemand en le heurtant. C'est pourquoi il a été

condamné à mort

par jugement de ce jour du Conseil de guerre du Corps de Marine et a été exécuté.

Un acte pervers a reçu ainsi son châtiment tardif mais juste.

(signé) **von Schröder**
Amiral,
Amiral Commandant du Corps de Marine.

Bruges, le 27 Juillet 1916.



تشارلز فريات، نقيب في البحرية التجارية البريطانية. بأمر من تشرشل، حاول، في آذار ١٩١٥، صدم غواصة ألمانية. أوقف، حكم بالموت وأعدم.

RED CROSS OR IRON CROSS?



WOUNDED AND A PRISONER
OUR SOLDIER CRIES FOR WATER.
THE GERMAN "SISTER"
POURS IT ON THE GROUND BEFORE HIS EYES.
THERE IS NO WOMAN IN BRITAIN
WHO WOULD DO IT.
THERE IS NO WOMAN IN BRITAIN
WHO WILL FORGET IT.

ملصقة دعائية لرفع الروح القتالية للشعب الإنكليزي

DESTROY
THIS MAD BRUTE

ENLIST

U.S. ARMY

ملصقة دعائية إنكليزية وزعت

بعد موت الآنسة كافيل

PROCLAMATION

Le Tribunal du Conseil de Guerre Impérial Allemand siègant à Bruxelles a prononcé les condamnations suivantes :

Sont condamnés a mort pour trahison en bande organisée :

Edith CAVELL, Institutrice à Bruxelles.
Philippe BANCQ, Architecte à Bruxelles.
Jeanne de BELLEVILLE, de Montignies.
Louise THUILIEZ, Professeur à Lille.

... forcés :

...RT, a Bruxelles. –
...ROY, à Bellignies.

...cé contre dix-sept
...les condamnations
de travaux forcés et de prison variant entre deux ans et huit ans.

En ce qui concerne BANCQ et Edith CAVELL, le jugement a déjà reçu pleine exécution.

Le Général Gouverneur de Bruxelles porte ces faits à la connaissance du public pour qu'ils servent d'avertissement.

Bruxelles le 12 Octobre 1915

Le Gouverneur de la Ville.

أثار إعدامها الاستنكار على المستوى العالمي، والإدانة للسلوك الألماني. والغضب الجماهيري في بروكسل، في تشرين الأول ١٩١٥.

الممرضة الإنكليزية الآنسة كافيل داوت جراح الجنود الإنكليز. اتهمت بالتجسس والخيانة، أدينت بالموت وأعدمت.





جنود ألمان في الخنادق في فلاندر

معركة المارن

نقطة تحول وانعطاف

أكره التقدم السريع للألمان رئيس الأركان العامة الفرنسي جوفر على إصدار أمر الانسحاب إلى جيوشه. ووضع خط دفاع جديد على طول خط فردان ــ لايون ــ آميان وتشكيل جيش جديد سمي السادس والذي يجب أن يتوضـــع حول آميان ومحيطها، بقعة كانت حتى آنئذ مفتوحة لتقدم الألمان. وبفعل هزيمة الإنكليز قرب كاتو، لاقت الفرق الست من هذا الجيش فوراً عقبات كأداء واضطرت أن تنسحب باتجاه باريس.

قررت الحكومة الفرنسـية تدعيم دفاعات باريس وأصـدرت الأمر بإرسـال ثلاثة جيوش إليها لهذه الغاية. وطلبت من الجنرال الكهل غاليني المحال على



المعاش قيادة هذه الوحدات والدفاع عن المدينة مهما كان الثمن. كان الجيش السادس الجديد المعزز بسرايا مراكشية وجزائرية وصل إلى باريس خلال هذا الوقت، ووضع تحت قيادة الجنرال مونوري الذي أمر جحافله الانتشار شمال باريس وحفر خنادق فيها. واستعدت المدينة إلى دنو نشوب المعركة. كان الشعب ينتظر نتائج الأحداث بقلق.

لم يكف الضـــغط الألماني عن التفاقم ومع هذا كان الحلف الثلاثي يتراجع في العمق أكثر فأكثر. وقد خلق تقدم الألمان السريع شـلالاً من القضايا. بالفعل، كانت خطوط الاتصال تطول أكثر فأكثر والروابط بين مختلف الجيوش الألمانية وأركاناتها تزداد الحاجة إليها أكثر فأكثر. لم يكن لدى فون مولتكه رؤيا شـاملة عن وضـع الجبهة ولا عن التفاصـيل التي تجري فيها أضـــف إلى هذا، كان اهتمامه بأحداث الجبهة الغربية يبعده عن التفكير بسرعة تقدم الروس في الشرق، وهذا ضد ما ينتظر. قادته إمارات الاستنفار القادمة من الجبهة إلى سحب جيشين من الغرب وزجهما في الحال في الجبهة الشرقية ليبطئ تقدم الروس. كان واضحاً أن فون مولتكه يعيش الرعب لأن خطة فون شـــلفن كانت تتوقع دفاعاً سهلاً عن الحدود بل إمكانية احتلال مؤقت للأرض الألمانية في بروسيا من قبل الروس. لاحظ فون مولتكه أن قواته المتقدمة بســـرعة تحتل أراضي واسعة من عند العدو، لكنها لا تقضي على قوات العدو، وكان السبب أن الفرنسين والإنكليز ينسحبون أكثر فأكثر نحو العمق، لكن جيوشهم لم تكن تستسلم، وتبقى في حالة قتال. رغب مولتكه آنئذ أن يرى نتائج، ورغم أنه لم يغير أهدافه، أصـــدر أمراً إلى فون بولو، قائد الجيش الثاني، بمطاردة الجيش الخامس الفرنسي وتفتيته شزراً عند انسحابه من شرق باريس نحو جنوب شرق. يعني هذا إهمال شطر هام من خطة

شلفن، لأنه قرر ألاّ يتقدم إلى غرب باريس، إنما ترك باريس جانباً ليحقق نصراً سريعاً وسهلاً ظاهرياً على الجيش الخامس الفرنسي.

وكان لقرار فون مولتكه الموافقة على طلب فون بولو محصلات عميقة كبيرة الشأن، فالجيش الأول الألماني لفون كليك الراغب عن ترك شرف تدمير الجيش الخامس الفرنسي، المحاصر، كله لفون بولو، عاف الدرب لما أمر بالمتابعة، من دون أمر اجتاز نهر لواز وبلغ مؤخرة الفرنسيين المتراجعين دوماً. في تلك اللحظة فقط أبلغ فون مولتكه أنه غيرّ الدرب. لم يتدخل فون مولتكه، بل أمر الجيش الأول حماية الجيش الثاني من احتمال هجوم آت من الغرب. هذا يعني أن ينظم فون كليك انطلاقه على درب فون بولو، لكنه لم يقم وزناً لهذا الأمر أيضاً. في هذه الحال لن تستطيع قوات فون كليك دعم الوتيرة السريعة لتقدمهم وتخلت عن مطاردة الفرنسيين، بينما أظهر الجيش الثاني لفون بولو الحاجة الملحة للراحة. فلن تسمح المسافة الملحوظة بين الجيشين الهروب من الخصم.



قائد مغربي يأخذ من الضباط الفرنسيين تعليمات القتال في معركة المارن في ٢٠ تموز ١٩١٤

في ٣ أيلول، منذ أن تحقق الجنرال الكهل غاليني أن الألمان تجنبوا باريس على ما يظهر وداروا لها خاصـرتهم، أمر بحشد جيشه السادس الجديد. وأعلم جوفر أن الألمان كما يبدو قد تخلوا عن مهاجمة باريس ومشوا إلى شرق المدينة. وعمل على فتح ثغرة بين الجيوش الألمانية وطلب منه تخويله الهجوم. زرع اقتراب الألمان الهلع في باريس. غادرت الحكومة المدينة وانسحبت إلى بوردو.

في المقر العام الألماني أيضـاً، بدأ الذعر. اهتم فون مولتكه كثيراً بالخطر الكبير الذي تمثله المسافة المتزايدة بين الجيشين الأول والثاني. فأرسل أحد ضابطي القيادة العامة، العقيد هانتيج، إلى الجنرالين مع أمر محدد يطلب تجميع الجيشين على الفور. بصعوبة بالغة اقنع هانتيج الضابطين بهذه الضرورة التكتيكية. كان الفرنسيون ما زالوا ينسحبون والجيش الخامس الفرنسي قد يسقط بيد الألمان لقمة سائغة. في ٦ أيلول، مع ذلك، دلل الاستطلاع الألماني على التهديد الآتي من باريس وأن الفرنسيين يستعدون بوضوح لمهاجمة خاصرة الألمان. لم يكد ينشر الخبر حتى انفجرت المعركة على طول نهر المارن. قرب باريس، كان فون كليك يقاتل الآن من أجل وجوده. كانت خاصرته اليمنى مفتوحة على هجوم الجيش السادس الفرنسي، لكن مقاتليه استطاعوا دحرهم فشعر بقدرته على هزيمة الفرنسيين. كان الوضع مغايراً مع الجيش الثاني الألماني، بقيادة فون بولو. بعد أربعة أيام من القتال الشرس، اضطر فون بولو على الانسحاب أمام الفرنسيين في ٩ أيلول ما فرض على فون كليك ذات العمل. هذه المرة، كان بولو هو الأسرع من كليك، وعوضاً عن الاقتصار على المراوحة الضرورية، اتسعت الهوة أيضاً بين الجيشين لتبلغ حوالي ٣٠ كم. آنئذ طلب الجنرال جوفر من الحملة البريطانية أن تنطلق إلى هذه الهوة وتعزل الجيشين الألمانيين الواحد عن الآخر، لكن البريطانيين تصرفوا بتراخي وعطلوا إمكانية النجاح.

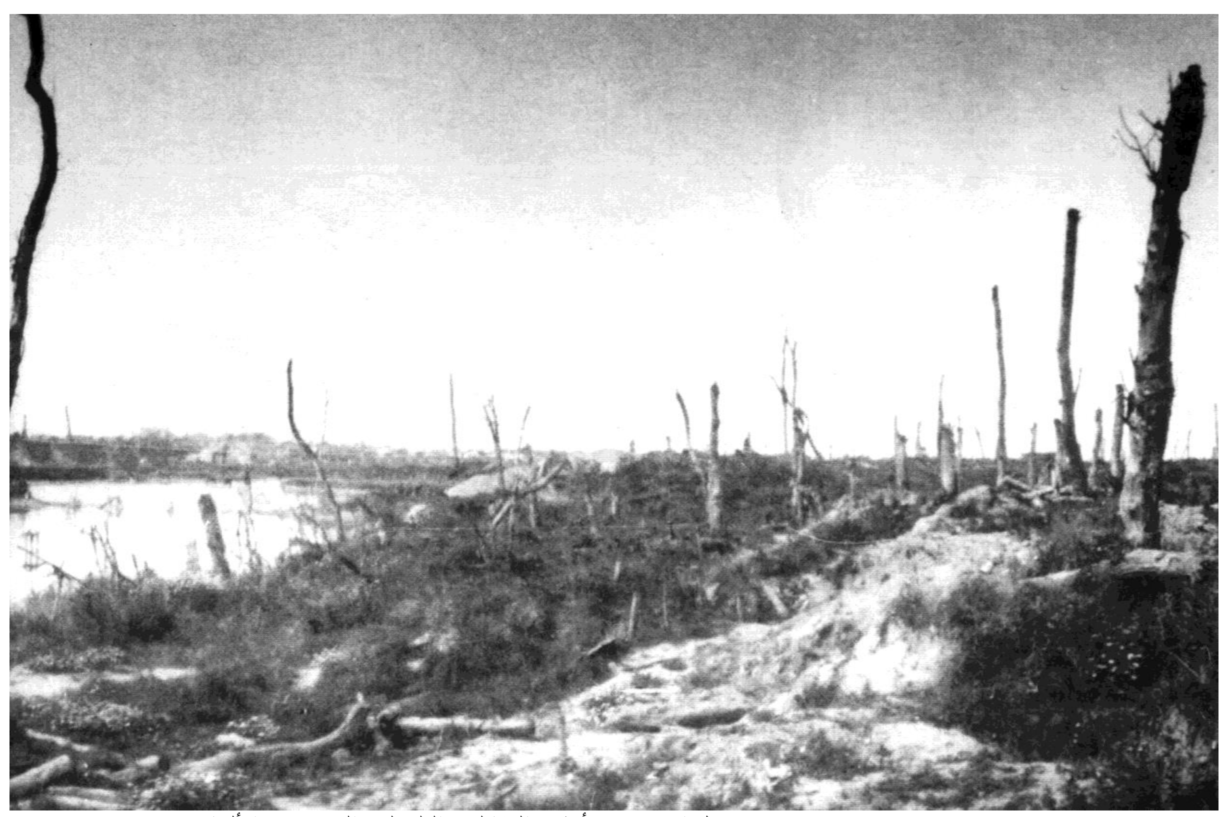


معركة المارن في ٦ -١٢ أيلول ١٩١٤ مابقي من قرية سيرميزليان بعد قصفها بالمدفعية الألمانية

في المعركة مدداً للجيش الخامس. وانخرط على الفور قبالة الجيش الألماني الثالث وبعض سـرايا الجيش الثاني، بقيادة بولو، الذي نجح بدحر الفرنسـيين عدة كيلومترات، في ٨ أيلول. أمام هذا الوضـع، أمر فوش بهجوم.. معاكس، لكنه لم ينجح بخرقهم. على هذا، لم يكن عمل فوش سلبياً، لأن المقاومة الضـاربة الفرنسـية أجبرت فون مولتكه على إيقاف المعارك وليتصل مع الجيش الأول، بقيادة فون كليك. وفي ١١ أيلول، استسلم فون مولتكه لأول مرة شخصياً للواقع في ساح المعركة. واستخلص أن الموقف كان دائماً خطيراً وأن الجيشين كانا مهددين بالحصار. أمر حينئذ بالانسحاب المنسق نحو مواضع جديدة على نهر إيسن وفيسن قرب ريمس. وتراجعت أيضاً الجيوش

الألمانية وأغلقت جبهة جديدة، تمتد من ريمس إلى فردان. وكانت معركة المارن قد انتهت.

كان عدم طاعة فون كليك وعدم معاقبة فون مولتكه له فوراً، والعداء بين فون كليك وفون بولو، بدافع الحسد، سبب فشل خطة فون شلفن. وانصرمت سانحة انتهاء الحرب بسرعة.



جدول إيزر حيث أوقف المقاتلون البلجيك والفرنسيون الألمان

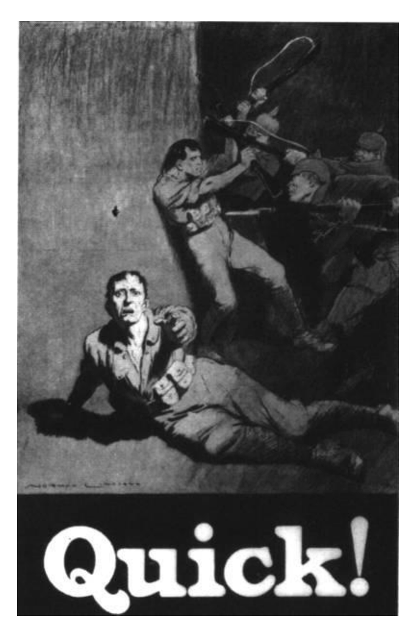
التسابق نحو البحر

معركة ايسر وإيبرس

إقالة فون مولتكه، فالكانهين يدخل المسرح

كانت حصـيلة انسـحاب الجيوش الألمانية بعد معركة المارن عزل الجنرال فون مولتكه الذي استبدل بوزير الحرب، الفريق اريش فون فالكانهين.

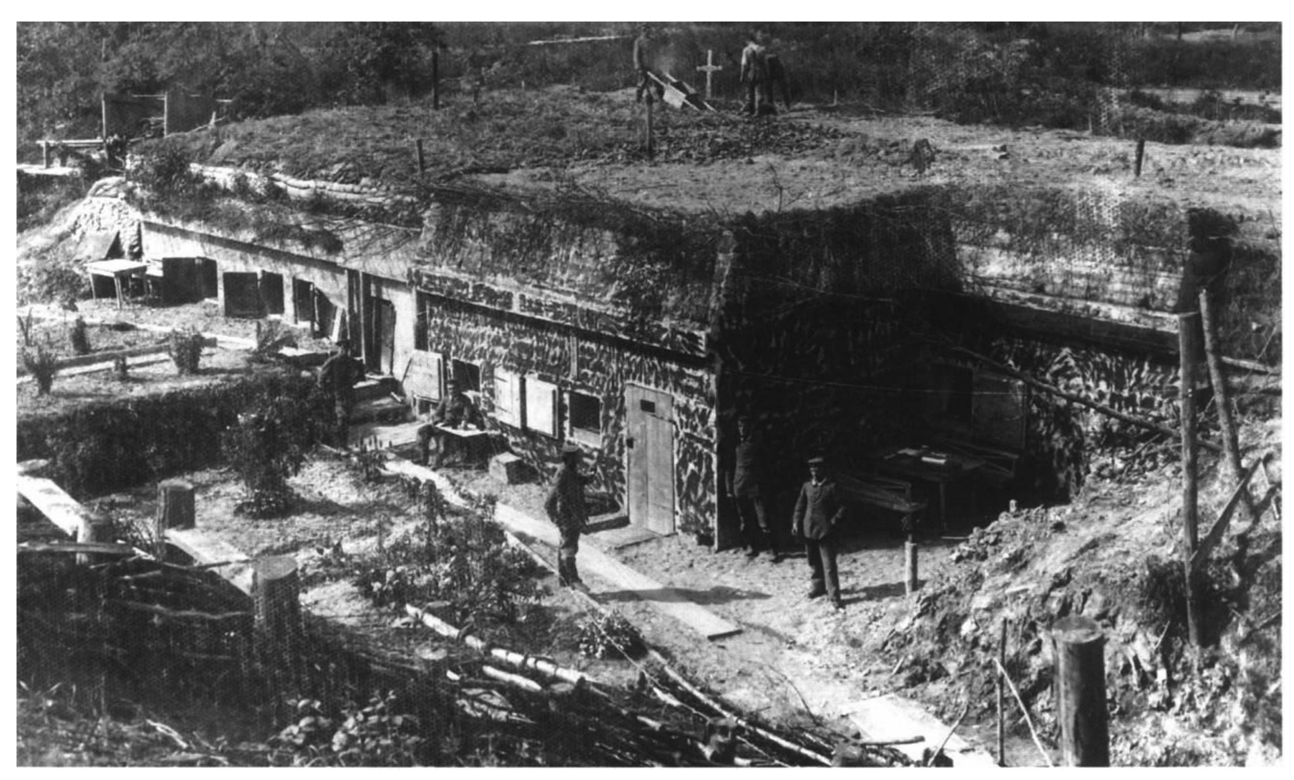
قنع فـالكـانهين أن حقبـة طويلـة من المعـارك تنتظر ألمـانيـا، وأن احتيـاطي الرجال، العدة والمواد الغذائية ربما كانت غير كافية، ففرض على الصــــناعيين الألمان إعطاء الأفضــلية للنتاج الضــروري لمتابعة الحرب على حســاب المواد الاسـتهلاكية. وطلب أيضـاً تعزيز "الوضـع الاسـتثنائي" الذي يسـمح بدعوة دائمة للخدمة العسـكرية وأعطى أخيراً أمراً لجحافله ببلوغ الشـط البلجيكي بأسـرع ما يمكن، آملاً هكذا محاصــرة القوات البريطانية والفرنســية وإيقاف وصــولها إلى البحر.



ملصقة للتجنيد البريطاني بعد "إنهاك" التجنيد الأول إلى ساح المعركة.



استراحة للجنود الفرنسيين قرب إيبرس



الأركان الألمانية على ضفة قناة إيزر

كان خط الجبهة ينطلق في تلك الحقبة من سواسون، خاصرة الشمال نحو بيرون، أراس، لويوس، شرق إيبرس ولانجمارك، ليل وديكسمود حتى الشاطئ البلجيكي. وكان الفرنسيون قد عززوا القطاع بين البحر وخط الجبهة وحاولوا دحر الألمان نحو الشرق بهجمات ساحقة. وبين ٢١ و٣٠ أيلول قاموا بدفع الهجوم الألماني إلى جنوب واز ثم دكّهم. في الوقت عينه، حاول الجيش الثاني الفرنسي بقيادة الجنرال كاستلنو فعل الشيء ذاته في شمال واز، بينما كانت التشكيلات البريطانية تقاوم الهجمات الألمانية بين لويوس وإيبرس. وقرب إيبرس بخاصة اشتدت المعركة، إذ حاول الألمان تحقيق خرق بمساعدة قوات مميزة معززة. والشطر الأخير من خط الجبهة، شمال المواقع الإنكليزية، على طول نهر إيزر حتى الشاطئ، تولت القوات الفرنسية والبلجيكية الدفاع عنه. وفتح البلجيك السدود المحجوزة بسكر لإغراق المنطقة قرب نيوهندام، لكن هذا لم يكف لإيقاف الألمان. وهذه المرة أيضاً، قاتل البلجيك بحزم عارم ويقظة باهرة.



تشكيلات عسكرية أسترالية تنتظر أمر الهجوم قرب إيبرس



الأرض الصعبة قرب جسر إيزر بعد تدميره



البلجيك يهاجمون المنطقة قرب إيبرس لإبطاء التقدم الألماني السريع



جنود بلجيك على جبهة إيزر



الهجوم الهام الشتوي قرب بودينغ على جبهة إيزر



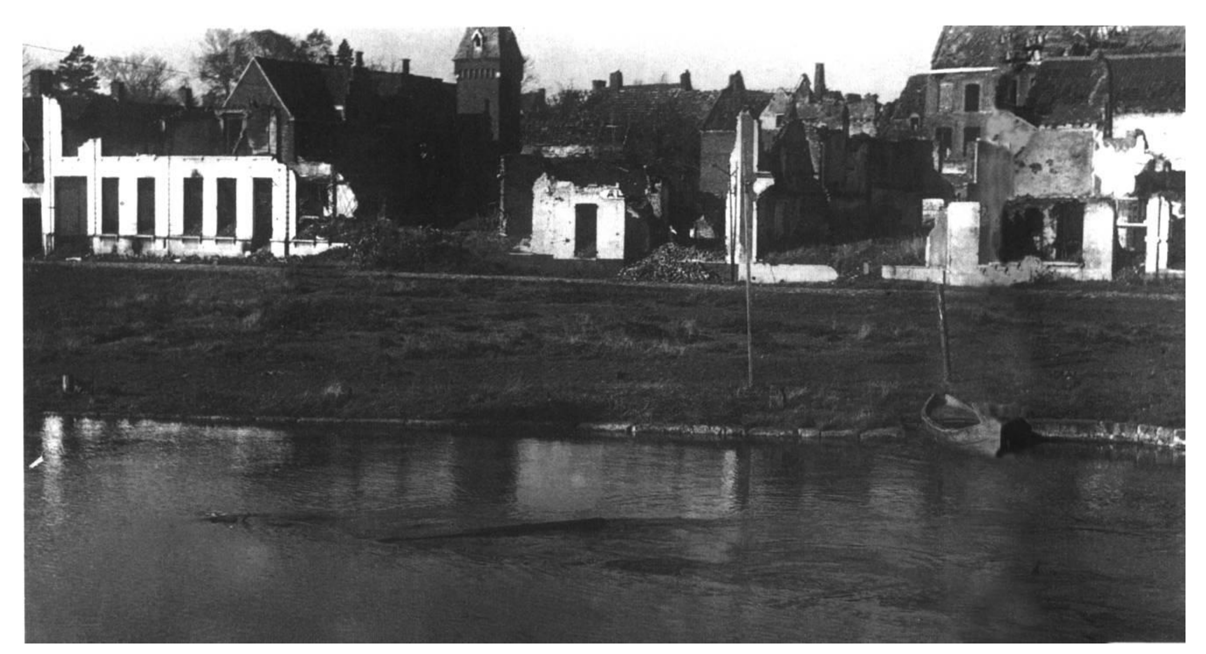
في ١٦ تشرين أول، مشت أربعة جيوش ألمانية، معززة أي حوالي ١٦٥ ألف رجل، نحو الشرق ووصلت إيبرس. فهنا ستنشب معركة إيزر الأولى.

معركة إيزر، النضال البطولي للجيش البلجيكي

وجد الـــ ٤٨٠٠ جندي بلجيكي الذين كانوا يقاتلون دون توقف منذ شهرين ونصف الشهر أمامهم على نهر إيزر أكثر من ١٠٠ ألف جندي ألماني، برفقة ٣٥٠ قطعة مدفعية. وكانت مهمة البلجيك أن يصــمدوا على الأقل ٤٨ ساعة قبل وصول الدعم. وخلقت الأمطار الغزيرة لهم ورطة صعبة، جعلت شروط المعركة بالغة التعقيد. تموضع البلجيك في ديكسمود ونيوبور، شمال وجنوب ضفتي الإيزر، حيث يمكن مراقبة احتمال تخطي الألمان له. ولتأخير الهجوم الألماني تمركزوا على ضفة الإيزر. بينما أقيم خلف النهر تماماً، خط دفاع ثاني. ثم انتشرت الوحدات الفرنسية قرب ديكسمود لخلق اتصال بين او ستاند وفرنسا. في هذه الحال كان هدف الألمان الأساسي ديكســمود، حيث كانوا يأملون إجراء خرق، لقطع البلجيك عن حلفائهم ودحر هؤلاء نحو البحر أو الإبادة. بعد الظهر في ١٦ منه، اقتربت مجموعة اســتطلاع من ديكســمود، لكنهم لم ينجحوا بدخول المدينة. في اليوم التالي فتحت المدفعية الألمانية النار على قرية صــغيرة، راتفنجر، وحرقوها. وفي ١٨ منه، شــرعوا بهجوم عاصــف على أول خط دفاع بلجيكي أمام إيزر. وفي أثناء المعركة ظهر فجأة أســطول بريطاني بحري صـــغير أمام الشاطئ وقصف المهاجمين الألمان في خاصرتهم، في أثناء هجومهم وقدروا أن يوقفوه.


قوات المشاة البريطانية في الخط الأول





مبنى مدمر على ضفة لِيسْ



قوات المشاة الألمانية تقصف جسر وار نيبتون ولكنها لم تؤثر عليه



القوات الفرنسية أيضاً تجتاز إبريل في طريقها نحو الجبهة، جنود فرنسيون في ساحة إيبرس الكبرى في تشرين الأول ١٩١٤



١٣ تشرين الأول ١٩١٤ القوات البريطانية تدخل إيبرس بعد خروج الألمان

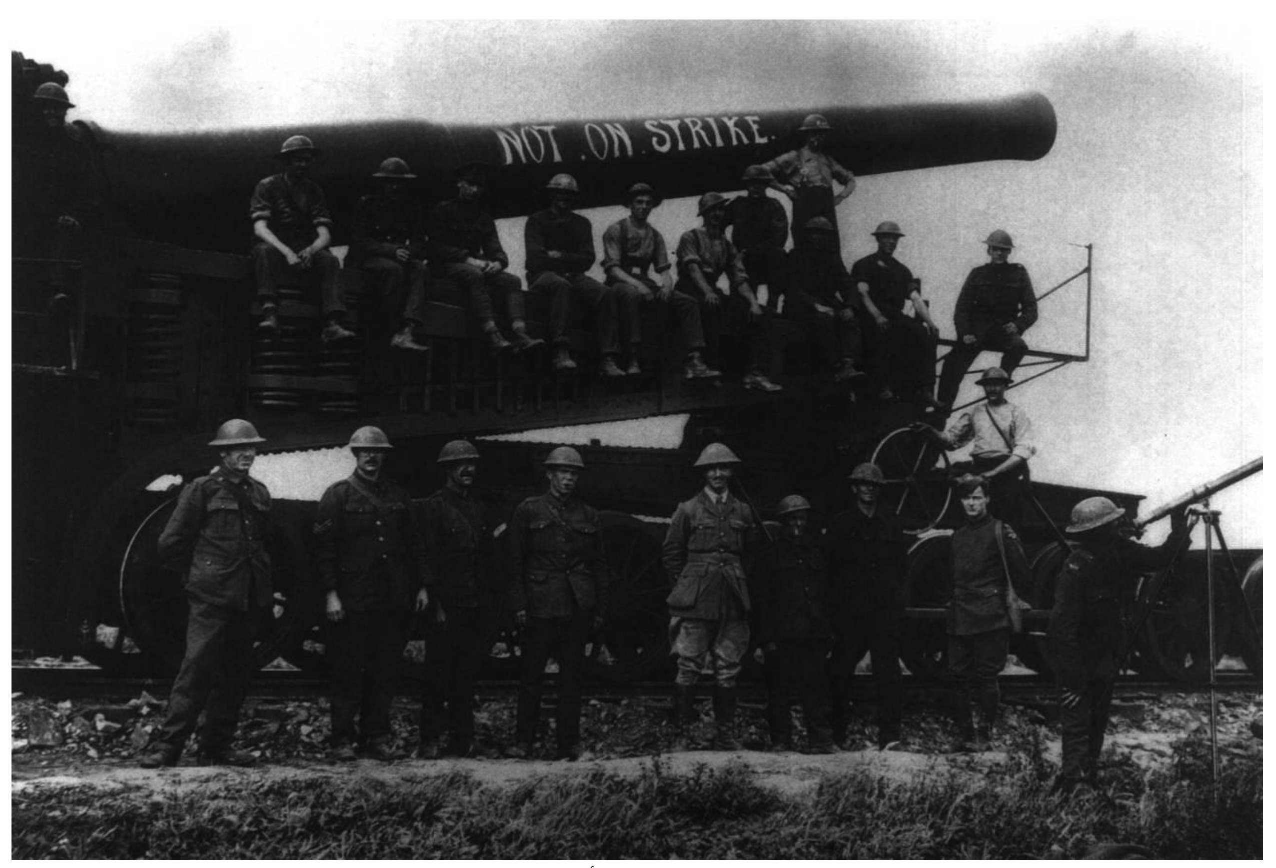


جنود مشاة بريطانيون في الخنادق



عام ١٩١٥ ضابط بريطاني وجنوده أسروا بعد معركة إيبرس

وفي مانكفير، في جنوب نيوبور، حقق الألمان أكثر من نصـــر ودخلوا الســـاحة العامة. وســـمحت لهم مدفعيتهم طرد البلجيك من خط دفاعهم الأول. في الليل، قام البلجيك بهجوم معاكس واســتعادوا المواقع التي خسـروها. وفي ١٩ تشـرين أول، نجحت السـرايا البلجيكية باحتلال محيط مانكفير، إنما بعد سـاعات، طُردوا منها. لم تنجُ ديكسـمود من المدفيعة الألمانية، وهكذا سـقط الشـطر الأكبر من خط الدفاع البلجيكي بيد الألمان. وفي الشـمال، اجتاز هؤلاء قنال باسـاندال واحتلوا لمباردزيد. في نفس الوقت، هوجمت ديكسـمود. في حوالي الساعة ١٠ صباحاً بعد قصف مدفعي عنيف...



المدفعية البريطانية أخذت مواقعها



إيبرس عام ١٩١٧، أخلت وحدات المشاة الخنادق وانقضت على العدو.

انبثق، اتجاهات مختلفة، لكنها لم تنجح بطرد البلجيك. ووقعت معارك عاصفة على طول نهر إيزر. احترقت ديكسمود ونيوبور وانتشرت النيران بسرعة. وفي ليلة ٢٢ منه، باشر الألمان هجوماً جديداً صاعقاً ضد ترفال. نجحوا بشق مجاز بسيط في إيزر وشكلوا رأس جسر على الضفة اليسرى. وفشل هجوم معاكس بلجيكي وفي ٢٣ منه نجح الألمان بتوسيع ودعم مواقعهم على الضفة اليسرى، مهددين هكذا خط الدفاع البلجيكي الثاني.

دُعي الفرنسيون للدعم، وعاضد الـ ٦٠٠٠ بحار بقيادة الأدميرال الفرنسي رونرش فرقة العقيد ميزر حتى ١٠ تشرين أول، إنما بالفعل قد تخلفوا.



جندي ألماني جريح أخذ أسير حرب خلف الجبهة



شاطئ ٦٠ قرب إيبرس جرى هنا معارك عنيفة جداً سقط فيها ما لا يحصى من الجنود من الطرفين



كتيبة مدفعية ألمانية تهيئ الخيول والمواد إعداداً للجبهة



جنود مشاة ألمان يهاجمون قرب إيبرس عام ١٩١٧



حرب القرون الوسطى بوسائل حديثة خيال ألماني على فمه كمامة غاز ورمح



منطاد استطلاع للمدفعية الألمانية

في إيبرس في العام ١٩١٧



سلاح رهيب العدو طرد من الخنادق بواسطة قاذفات اللهب



إيبرس عام ١٩١٧ جنود مشاة ألمان يستعدون للهجوم يُلاحظ القنابل اليدوية



إصابة لغمية سببتها المدفعية الألمانية في وسط المواقع البريطانية بالقرب من



أمطار من القنابل تنهال على جنود المشاة البريطانيين في أثناء معركة إيبرس في العام ١٩١٧



رشاش ألماني في موقع قرب إيبرس في العام ١٩١٧

رغم المقاومة الباسلة التي واجهتها، دَفعت الأفواج الألمانية شيئاً فشيئاً خط الدفاع البلجيكي وفي مساء ٢٥ منه، وصلت الطلائع الألمانية ديكسمود. وفي ٢٦ ، سقط خط الدفاع البلجيكي الثاني أيضاً. وفي ٢٩ احتلت ديكسمود و في ٣٠، نجحت الفرقة الخامسة الاحتياط الألمانية باحتلال رمسكابيل، قاطعة الجبهة البلجيكية إلى شطرين. بمساعدة الفرنسيين استطاع هؤلاء القيام بهجوم معاكس. وصلوا إلى أحياء رمسكابيل الخارجية وإثر معارك طاحنة وجهاً لوجه، دُحر الألمان من المدينة إلى مواقعهم بالأمس. لم يتقدموا أكثر لأن الفيضان الذي افتعله البلجيك أغرق كل الأراضي بين الإيزر وخط سكة حديد ديكسمود ـ نيوبور، ما أكره الألمان على إخلاء ضفة الإيزر اليسرى.



الهدوء لم يستقر مدة طويلة، قوات ألمانية تسير لهجوم جديد بعد معركة إيبرس



دورية خيالة ألمانية تقترب من القصر الصغير هوتيزست في إيبرس ١٩١٧



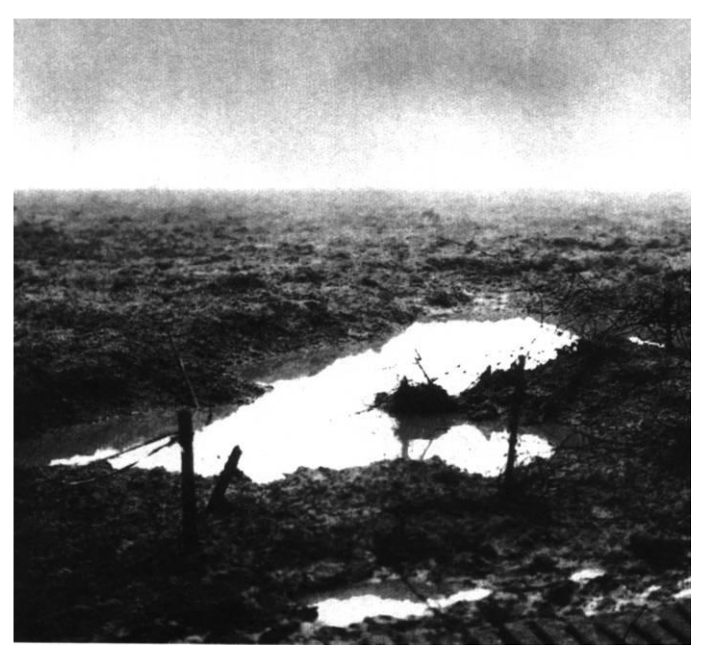
يحفرون أمكنة ألغام تحت مواقع العدو



جنود ألمان أثناء الراحة في الجبهة في الخنادق



ناس في حقل قتال



حتى الأفق



شلال من القنابل تحطم قرب إيبرس

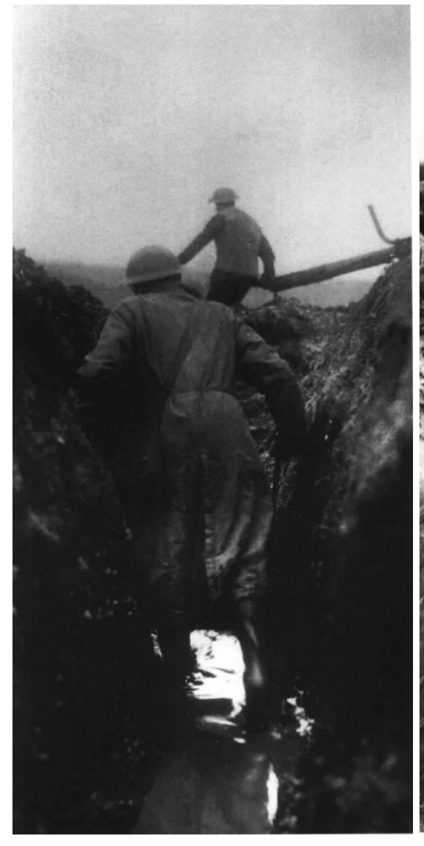


رشاش ألماني قرب إيبرس. يمكن ملاحظة أكوام للحماية من طلقات البنادق وشظايا القنابل



قوات بريطانية تهاجم قرب إيبرس. أمطار غزيرة وقصف قنابل مستمر حوّل حقل القتال إلى جبهة واسعة.









أحياناً خط الجبهة لا يسمح بالاقتراب إلا بالطرق الصعبة المهيئة على عجل



يستمر النقل بعدم انتظام في الوحل مؤخراً بشكل ملحوظ وصول مواد المعيشة والذخيرة



معركة إيبرس الأولى

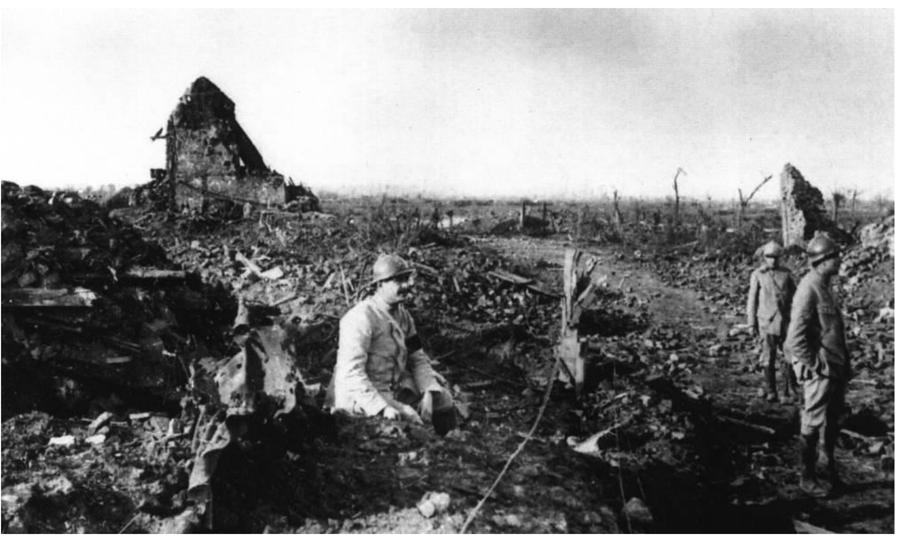
عبر هذا الوقت، حاول الألمان أيضاً الخرق والوصول إلى البحر من عدة قطاعات. في مطلع تشرين أول، تلقى الجيش الألماني أمر مهاجمة الخطوط الفرنسية والبريطانية قرب إيبرس والتعمق حتى آبفيل، في السوم. مكنتهم هذه الحركة احتلال كل المرافئ الهامة (بولونيا، كاليه، دانكرك) ونتيجة فشل خرق الايزر، صارت إيبرس هدفاً أولياً. وفي ٢١ تشرين أول عام ١٩١٤، بدأت معركة إيبرس بهجوم الفيالق ٢٦ و٢٧ الاحتياط الألمانية المؤلفة من آلاف الطلاب.



كندي جريح يشعل لفافة جندي ألماني جريح هو الآخر، ينتظران إخلاءهما



ضباط بريطانيون يتساعدون لبلوغ مركز القيادة



لفيف من سلاح المشاة قرب زيلبيك، في لجة معارك طاحنة



مدفعيون بريطانيون يحررون قطعة مدفعية ميدانية من الوحل قرب إيبرس



ساحة المعركة قرب باسوندول

لغم كبير قرب ويكشونستن



تحت العين اليقظة للسيدة العذراء رجال الاستطلاع البريطانيون يبنون موقع دفاعي قرب فاسندال ريدج



حقل معركة قرب زوني بيك



زوني بيك بعد القتال



في منين الاحتياط الألماني جلب على خطوط الحديد بمهل سريعة



جنود من منطقة إيكوشيا سقطوا قرب زوني بيك

التحق هؤلاء المتطوعون بالجبهة بعد تأهيل بسيط وعاجل. أرادوا أن يثبتوا مقدرتهم وهاجموا العدو بكثير من الاندفاع إلى لانجمارك. بعد أربعة أيام من الاشـــتباك الباســـل، توقفت المعارك. أكثر من ثلاثة آلاف طالب سقطوا في لانجمارك كرمى الإمبراطور والوطن. وقبورهم ما زالت قائمة.



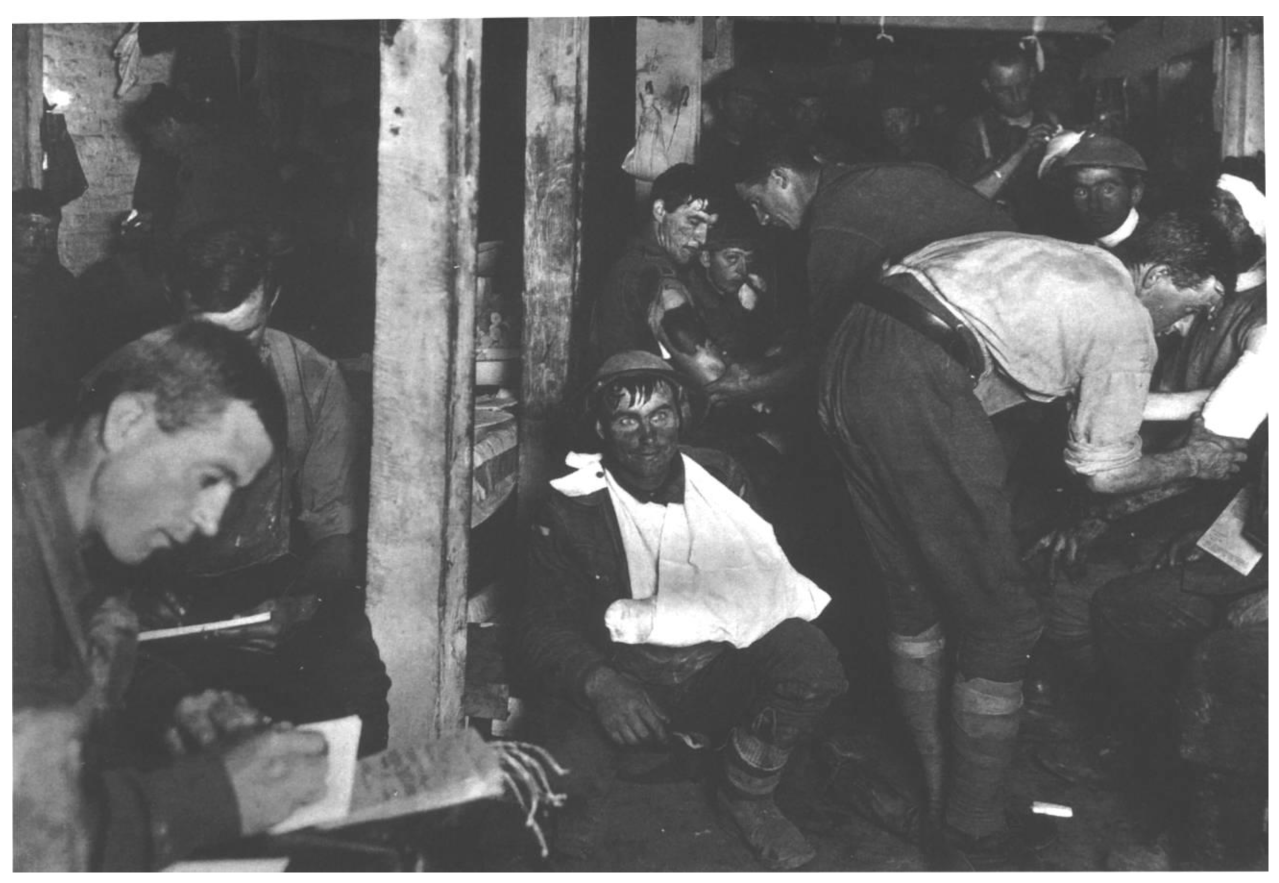
غابة دلفيل بعد رمي السد بالمدفعية الألمانية



صار ساح المعركة لا يداس قرب إيبرس



جندي بريطاني جريح في طريقه إلى المشفى الحربي. أسرى حرب ألمان يعملون حمالين.



مركز المساعدة الأول تحت الأرض على طريق منين



جنود جرحى منتشرين في ساحة القتال ينتظرون أن يدخلوا مستشفى قتالي ليتلقوا الإسعاف


طريق منين، عمل أدولف هتلر هنا كحاجب

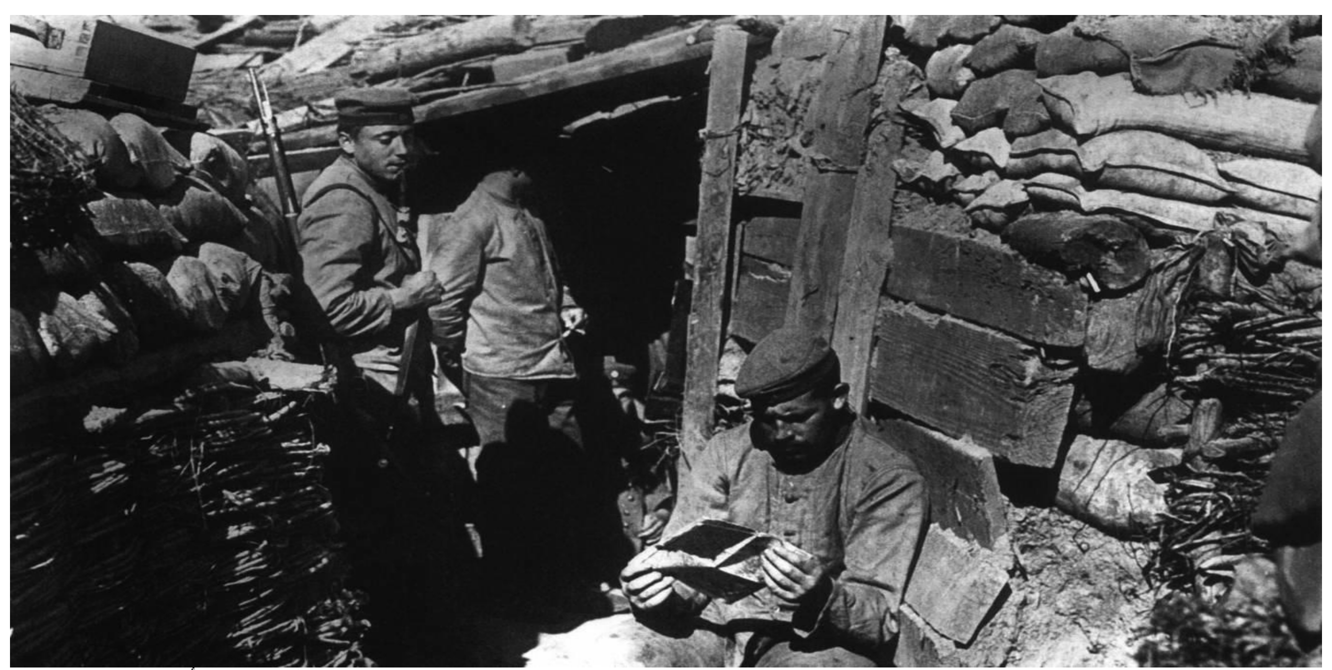

ساح المعركة في بوليكونيود في إيبرس


معالم إيبرس


الخيالة الكنديون يجتازون مدينة إيبرس المدمرة



قرب إيبرس عربة تنقل ذخائر اصابتها القنابل



عند شط ٦٠ جنود ألمان قرب ملجئهم



جندي ألماني ينتظر الهجوم



إحدى المزارع الكبرى المدمرة بعد معركة إيبرس



بحثاً عن جنود سقطوا



صفيحة من الجليد المحطم بالقنابل قرب بيموند هلمل



هواء جليدي يصفر على حقل القتال العديد من الجنود تجلدوا في خنادقهم



في البرد القارس يعملون خير من أن يرتاحوا في الخنادق



في أثناء الشتاء شروط الحياة صعبة بل وتكاد مستحيلة. جنود بريطانيون في الخنادق قرب الزي لييك



الجنود الجرحى الذين أصابهم التجلد بسرعة ولم يمكن إنقاذهم



رئيس الوزراء البريطاني لويد جورج أثناء إحدى زياراته للجبهة ويوبخ الجنرال هايد

وينتقد أخطائه لأنها أدت إلى تراجعات ضخمة للقوات البريطانية

في ٢٩ تشـــرين أول، حاول الألمان خرق الجبهة ثانيةً. هذه المرة قرب جلوفيلد، بعد ثلاثة أيام من المعارك الطاحنة، اضـطروا أيضـاً إلى التوقف. قرب جلوفيلد، خسـر الفيلق ١٩ المشـاة الاحتياط، حيث خدم أدولف هتلر، أكثر من نصف عناصره.

١ تشـــرين الثاني، نجح الألمان باحتلال هضــــاب قرب منين، ما أعطاهم نقطة رقابة دائمة لمدينة إيبرس ومحيطها. وأعدوا هجمة جديدة بدأت في ١١ تشرين الثاني بـــ ١٨ ألف رجل باتجاه مدينة إيبرس عن طريق منين. رغم تفوقهم العددي (وليس لدى الدفاع البريطاني سـوى ٨ آلاف رجل)، فشـل هذا الهجوم بفعل المقاومة الضـارية للقوات الإنكليزية، التي وضــعت حداً نهائياً لما دعي "معركة إيبرس الأولى". حاول الألمان شــن حملات أخرى أيضـاً. وفي ٢٢ تشرين الثاني قرر القائد الأعلى إيقاف الهجوم على إيــــبرس، ما وضـع حداً مؤقتاً بعد محاولات الخرق نحو البحر.



جنود هنود من الإمبراطورية البريطانية في الطريق نحو جبهة إيبرس



تفتيش كمامات الغاز



جنود من المستعمرات الفرنسية يرتاحون أثناء مسيرتهم إلى الجبهة



الفرنسيون يزجون الكثير من الجنود من المستعمرات قرب إيبرس



هذه الجحافل صفوف من الجنود كانوا مشهورين لأنهم رماة جيدون ومخيفون بقساوتهم ضد العدو



جنود من المستعمرات الفرنسية يستريحون أثناء ذهابهم للجبهة





الموت يأخذ ولا أحد يبالي هنا جنود يغسلون أيديهم في حفرة قنبلة ملأى بالماء وبقايا الموت



جنود جرحى يتساعدون في الطريق نحو مخفرانقاذ اولى



الشعب المدفعى الرهيب لايوفر المقابر القتلى يملؤون الساحة



جنود ألمان صرعى قنبلة

معركة إيبرس الثانية والهجوم بالغاز

وقعت معركة إيبرس الثانية بين ٢٢ نيسـان و٢٥ أيار ١٩١٥. آنئذ اسـتعمل الألمان لأول مرة غار الكلور في هجماتهم، مما باغت كلياً المقاتلين الفرنسـيين وجلهم من المسـتعمرات الموجودين بين بولكابل وسـان - جوليان، والذي صرع الصفوف. آنئذ تلقى الكنديون الموجودون على خاصرتهم والذين اختنقوا بالغاز

الأمر بالإخلاء. من ١٨ ألف رجل، صُـــرع ألفان. خلق الهجوم بالغاز فجوة بطول أكثر من ٦ كم بين خطوط الحلفاء وكان ســلاح الغاز عميق الأثر منذ اســتخدامه ما ســمح بالتأكيد للألمان التقدم بالعمق، لو كان عندهم احتياط كافٍ. لكنهم افتقدوا هذا الشـرط، ونجح الحلفاء بتغطية الفجوة في الحال. وفي ٢٤ نيســان، كُرر الهجوم بالغاز ونجح الألمان ثانية باحتلال المزيد من المواقع الهامة، لكن الحلفاء هذه المرة أيضــاً اســتطاعوا أن يستعيدوا مواضعهم والاحتفاظ بها. توقف الهجوم الألماني في ٢٥ أيار. صعدت الخسائر الإجمالية بالقتلى والجرحى إلى ١٠٥ ألف قتيل، أغلبهم في مقتبل الشـباب، طمروا بأوحال فلاندر أو شـوّهوا مدى العمر. وفي ٢ أيار ١٩١٥ نظم الطبيب الكندي العسـكري جون ميكري القصـيدة الشـهيرة "في سـهول فلاندر". على إثر موت صـديقه الذي عثر عليه يومئذ بين آلاف شـتلات شـقائق النعمان النامية في تلك الحقول. نشـرت القصـيدة في ٨ كانون أول في ذلك العام في مجلة (المهرج). وكانت تتلى سحابة الأعوام في احتفالات الذكر.



مساعدون إنكليز يخلون جندي جراحه خطيرة إلى مستشفى الميدان شروط المشي على الطريق تشكل عقبة لا يمكن تخطيها غالباً لا يوجد أي وسيلة لإنقاذ الضحايا لأن هؤلاء كانوا غرقى في الوحل



أجسام ممزقة في كل مكان، بقية الجندي الميت الغريق في الوحل يطمر



كندي جريح أنقذ من الوحل ونقل إلى مستشفى الميدان



جنود ألمان سقطوا بعد هجوم بريطاني على خندقهم



جندي مفقود وجد بعد حين



ضحية أخرى للهجوم



في كثير من الأحيان وصلت فرق الإسعاف متأخرة



جندي بريطاني بجروح خطرة يتلقى أولى المساعدات في الملجأ ولكنه لن ينجو



أولى المساعدت في ملاجئ قرب إيبرس



ضيق الخنادق يشكل عقبة كأداء لإدارة
الإسعافات الأولى للجرحى


موقع قيادي ألماني تحت القصف المدفعي


قاعة عمليات جراحية تحت الخيمة (حقل إسعاف لأحد الأفواج قرب إيبرس)



حقل القتال كان مزروعاً بجثث القتلى المنتنة وكانت الرائحة غالباً لا تحتمل



جنود ألمان سقطوا قرب تحصيناتهم



مساعدون ألمان يحملون جريحاً إلى نقطة الإسعاف الأولي خلف الجبهة



جنود ألمان قتلى بعد هجوم بريطاني على موقعهم


تحذير من الغاز في أثناء الهجوم الأول الألماني بالغاز في إيبرس، يمكن ملاحظة أقنعة بدائية ضد الغاز

في حقول فلاندر

في حقول الفلاندر، شقائق النعمان تتموّج
بين الصلبان صف بعد صف
وتمدد مكاننا في السماء
اليمام ينشد البسالة أيضاً ويحلق
وعبر الصوت الخافت يسمع دوي انفجار قنابل المدفعية
نحن الأموات، منذ أيام كنا أحياء، نشعر، بالسحر، كنا نرى وهج الشمس
كنا نحب وكنا أحبة، والآن نحن ممددون في حقول الفلاندر
تابعوا معركتنا مع العدو
نحن نشعل لكم المشاعل بأيدينا الخائرة
لننيرلكم طريقكم، ولترفعوه عالياً
أن خنتمونا، نحن الأموات
لن نرتاح، في نومنا بين شقائق النعمان
في مروج الفلاندر



جنود بريطانيون مصابون بالغاز في الطريق نحو موقع الإسعاف الأولي

كثير منهم فقدوا نظرهم وماتوا بعد آلام مبرحة



جنود ألمان من الفوج ٢٧ مشاة يضعون كمامة الغاز لأول مرة

معركة إيبرس الثالثة

كانت معركة إيبريس الثالثة، التي وقعت بين تموز وتشـــرين ١٩١٧، المدعوة أحياناً معمعة باســـندال، طاحنة قل نظيرها. كان الألمان يستخدمون آنئذ الغاز ثانية، الغاز المميت، مشؤوم الذكر.

وكانت هذه المعركة الثالثة، التي بدأت في ٣١ أيلول، قد سـبقتها معارك قرب مسـينا في ٧ حزيران، يوم تمكن الإنكليز من دحر الألمان بصـورة حاسـمة. بدأ الهجوم البريطاني بتفجير ١٩ لغماً كانت زُرعت في الأشهر الفائتة على يد سرايا مختصة بالألغام على طول خنادق حفرت في مواقع الألمان. كانت الخسائر، هذه المرة أيضاً، رهيبة. قُدّر عدد القتلى البريطانيين ٣٤٠ ألفاً والألمان ٢٥٠ ألفاً. كسب البريطانيون حوالي ٨ كم في الشـمال و٢كم في الجنوب. كانت شـروط المعركة غير مسـبوقة إثر قصـف مدفعي صـاعق وتحت زخ المطر، قضى الكثير من الجنود غرقاً أو خنقاً تحت الأوحال التي صارت مسرح المعركة.



بالنسبة له انتهت المعركة بشكل جيد حيث جرح لكنه سعيد لأنه استطاع أن يعود حياً إلى بيته



كثير من الجنود البريطانيين عادوا من المعركة في توابيت على أكتاف رفاقهم

معركة إيبرس الرابعة والأخيرة

في آذار ١٩١٨، بدأ الألمان آخر هجوم على الجبهة الغربية محاولين الخرق لمرة أخرى، قبل أن يدخل الأمريكان الحرب، فلا يعودون هم الأقوى. كان الألمان يعدون لهذا العمل منذ أشـــهر ونقلوا تشـــكيلات من الشرق إلى الغرب لهذه الغاية. كانت قواتهم عززت بشكل ملحوظ بينما نقصت القوات البريطانية كثيراً. سمي الهجوم فيما بعد معركة هازبروك، وقد بدأ بين ٩ و ٣٠ نيسان ١٩١٨ بهدف دفع البريطانيين نحو البحر. نجح الألمان باسترداد كل المواقع التي ربحها الإنكليز والتي كانوا قد خسروها سابقاً، لكنهم مرة أخرى، لم يحققوا خرقاً ذا أهمية.

خسائر هامة ومعارك طاحنة

دفاعاً عن الشرخ البارز من إيبرس بين عامي ١٩١٤ و ١٩١٨، خسر الإنكليز بالإجمال ٥٠٠ ألف رجل بين قتلى، جرحى أو مفقودين. أكثر من ٤٢ ألف منهم لم يُعثر عليهم أبداً. من جهة الألمان تعادل خسائرهم هذا الرقم. إجمالاً، كلفت المعارك من أجل إيبرس أكثر من مليون رجل دونما ربح ما يذكر من الأرض. منذ بداية النزاع، نُصح الجنرال البريطاني سميث دوريان بتقويم الشرخ. لم يُصغ للنصيحة. بعد أربعة أعوام، أعطته الوقائع الحق، إنما بعد التضحية بمليون جندي، جيل كامل من رجال في زهرة العمر.



القائد الروسي الأمير نيكولاي أثناء انطلاق جنوده إلى الجبهة



آب ١٩١٤، المشاة الروس في طريقهم إلى الحدود الألمانية

المعارك في الشرق، الروس يهجمون

كما قلنا أعلاه، في الحديث عن خطة شلفن، تأهب الألمان في عام ١٩١٤، في بداية الحرب، لملاقاة هجوم روسي على أرض ألمانية في بروسيا الشرقية وإلى شرق نهر الفيسلا. كانوا يهدفون للدفاع عن هذه المنطقة، وإذا ما حسبنا التفوق العددي الروسي المنتظر، فقد تخلوا تكتيكياً ووقتياً عن شطر هام من بروسيا الشرقية، إخلاءً مؤقتاً، لأن الجيوش الألمانية التي قاتلت في الغرب ستتحول كتلة واحدة نحو الشرق لتواجه الروس هنا، بعد أن تكون قد هزمت فرنسا بعدة أسابيع. ولتأخير ما أمكن تقدم الروس نحو نهر الفيسلا، بنوا هنا عدداً من الدفاعات على طول خط ثورن، كولم، غرودنز، مريمبورغ ودانتزيغ.

كانت بروسيا ذاتها محاطة بأرض روسية من الشرق والجنوب. يجب إذاً أن تتوقع هجمات سريعة لقوات القيصر من الجهتين دفعة واحدة، وبالتالي يجب منع تواصل الجيشين الروسيين في داخل بروسيا الشرقية. لعبت بحيرات مازوريا دوراً أساسياً، لأن في هذه النقطة لا مهرب من انفصال الجيشين القادمين من الشمال والجنوب. ثمة إذاً فرصة أمام الألمان لمهاجمتهما منفصلين وإن أمكن دحرهما.

عهد بالدفاع عن بروسيا الشرقية إلى الجيش الثامن بقيادة الجنرال فون بريتويتز وغافون الذي أُمر بكبح الروس ما أمكن ، وبمبادرة منه قام بهجوم ــ معاكس ــ.

كانت القوات الألمانية مؤلفة من الجيش العاشر بقيادة قائد من سلاح المشاة فون فرانسوا، والجيش السابع عشر بقيادة جنرال الخيالة فون ماكنس، والجيش العشرين، بقيادة الجنرال فون شولتز، وجيش احتياط بقيادة الفريق فون بيلوو وعدد من فرق الدفاع البرية ومجموعة دفاع ضد الحصون والاستحكامات، إجمالاً ست وعشرون فرقة، ٦ مشاة، ١٣ احتياط، ٣,٥ دفاع أرضي، فرقة الخيالة، و٢,٥ لدك حصون العدو والدفاع عن حصون الصديق. وكان في تصرف هذه الجبهة ٨٤٦ قطعة مدفعية.

جيشان روسيان لمواجهة هذه الجيوش الألمانية، الأول هوجيش نيمن بقيادة جنرال الخيالة رينانكيف الذي قدم من الشرق، والثاني، هوجيش ناريف، بقيادة جنرال الخيالة سامسونوف الذي دنا من الحدود الألمانية من جهة الجنوب. إجمالاً، كان بتصرف الروس في بروسيا ١٨ فرقة مشاة، ٣ فرق احتياط، ١٠ فرق خيالة. ورافق الجيشين ١٢٨٤ قطعة مدفعية، أي ١٧٨ كوكبة.

منذ بداية الحرب، أمر الجنرال فون بريتويتز قواته التمسك بالأرض، التي خصصت لهم، وانتهت هذه التحركات في ١٠ آب، من دون أن يتدخل الروس. كان فون بريتويتز يتمنى مهاجمة الروس بأسرع ما يمكن، واختار أن يقاتل جيش نيمن ليبدأ، لأن هذا الأخير كان تحت نيرانه. أعطى أمراً للجنرال فون فرانسوا بالتوضع على طول نهر آنجراب، لكن فون فرانسوا لم يخضع،وكان هذا نمطاً جديداً من عدم طاعة أحد الجنرالات الألمان، كما حدث في أثناء معركة المارن.



قوات روسية تستريح أثناء الاستعداد للإنطلاق إلى الجبهة



جنود من جيش نيمن أثناء تقدمهم



جنود روس من جيش ناريف للجنرال سامسونوف تماماً قبل انفجار المعركة قرب اوسد، في أثناء معركة تانبرغ. انتحر الجنرال سامسونوف عند انتهاء المعركة.

بالفعل، اكتســـح الجنرال فون فرانســـوا بمقاتليه ٤٠ كم في العمق وهو ما لم يكن مكلفاً به، من الأرض الروسية حيث بغى أن يفاجئ خصومه، قرب شيلهان. تماماً في تلك اللحظة، في ١٦ آب، بدأ الروس هجومهم ، ونشبت المعارك على طول خط شيلهان ـ سوالكي.

في صـــباح اليوم التالي علم الجنرال بريتويتز أن فون فرانســوا لم يتبع أوامره وهو في مكان لا ينتظر وجوده فيه. فأمره بوقف القتال فوراً والعودة إلى الخط المحدد مسبقاً. لكن فون فرانسوا لم يطع من جديد لأنه قدر، هذه المرة بحق، عدم تبرير التخلص من الخصم في هذا الوضع. فقواته لم تكبح الروس فقط بل نجحت أيضاً بدحرهم حتى الحدود، مكبدة إياهم خسائر فادحة. في المركز، بالمقابل، هُزمت الجبهة الألمانية، وتحملت بدورها خسائر قاسية، وفي معركة غومبنين، في ٢٠ آب. كان جنود روس ينتظرون أمر الهجوم.

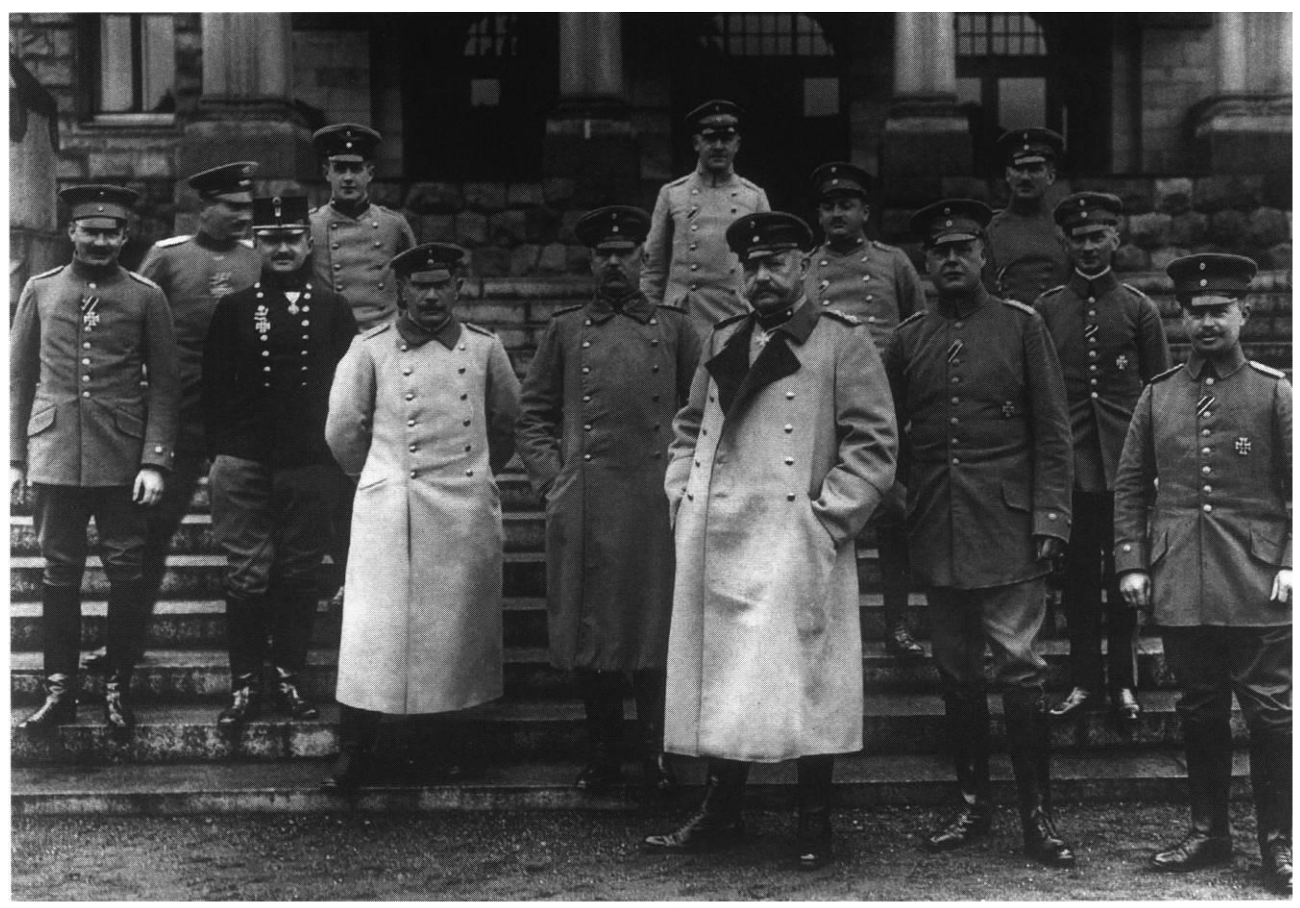


جنود مشاة روس ينتظرون أمر الهجوم

أُكره بريتويتز على الانسحاب إلى وراء آنجراب، إنما لمفاجأته لم يطارده رينانكيف الذي هو نفسه تحمل خسائر مؤلمة وظن لبعض الوقت أنه خسر المعركة. وضع تصرف الجنرال فون فرانسوا خطة معركة بريتويتز في خطر لأنه أخّر تقدم الروس بحيث اســتبعد القدرة على مهاجمة الجيشـــين نيمن وناريف الآن منفردين. فتوقّع بريتويتز، مروعاً، هجوماً روسياً واسـعاً من قبل الجيشـين دفعة واحدة فأطلع الأركان العامة أنه يتمنى التراجع نحو الفيســلا لكي يتجنب الحصـــار. وفي اليوم التالي، تحقق أن الروس لن يهاجموه وأن الموقف يتبدى الآن

خيراً من المتوقع. فـاقترح الفريق هوفمـان تجنـب جيش نيمن مؤقتـاً ونقـل الجيش الأول للجنرال فون فرانسوا نحو الجنوب بالقطار من أجل دعم الجيش الثامن. تهاجم القوات الألمانية آنئذ سوية جيش نيمن. كانت هذه الخطة خطيرة لأنها ترتبط بالسرعة التي تمكن رينانكيف من تقدم مقاتليه لكي يهاجم خاصرة الألمان.

قَبِلَ بريتويتز خطة هوفمان، لكن ســبق الســيف العزل. حتى قبل تمكنه من إعطاء الأوامر الضــرورية، اســـتقال من مهامّـه في ٢٢ آب وحـل محلـه الجنرال فون هـندنبرغ ورئيس أركـانـه الجنرال لودنـدورف.



هندنبرغ ولودندورف اللذان وضعا خطة تنفيذية بعد إمكانية عزل الجنرال فون بريتويتز.

معركة تانبرغ، أدوار البطلين هندنبرغ ولودندورف

لما استعاد هندبنرغ القيادة بعد بريتويتز، لاحظ في الحال أن الجيشين الروسيين بعيدين جداً الواحد عن الآخر، وثمة احتمالات طيبة في مهاجمتهما منفصلين. كان الأمر الوحيد الواجب عليه إعطاؤه هو موافقته رسمياً على خطة الفريق هوفمان وإعطاء الأمر بمهاجمة جيش ناريف لسامسونوف.

خلال هذا الوقت، كان قائد الجيش الروسي الأول جيش نيمن، الجنرال دينافكيف، قد لاحظ أن الألمان تراجعوا واخلوا جبهة أنجراب. عوضاً عن التقدم السريع، أخذ الأمور بكل تؤدة. اجتاز جيش ناريف لسامسونوف الحدود في تلك اللحظة وفي ٢٣ آب. اتصل بوحدات الجيش العشرين الألماني



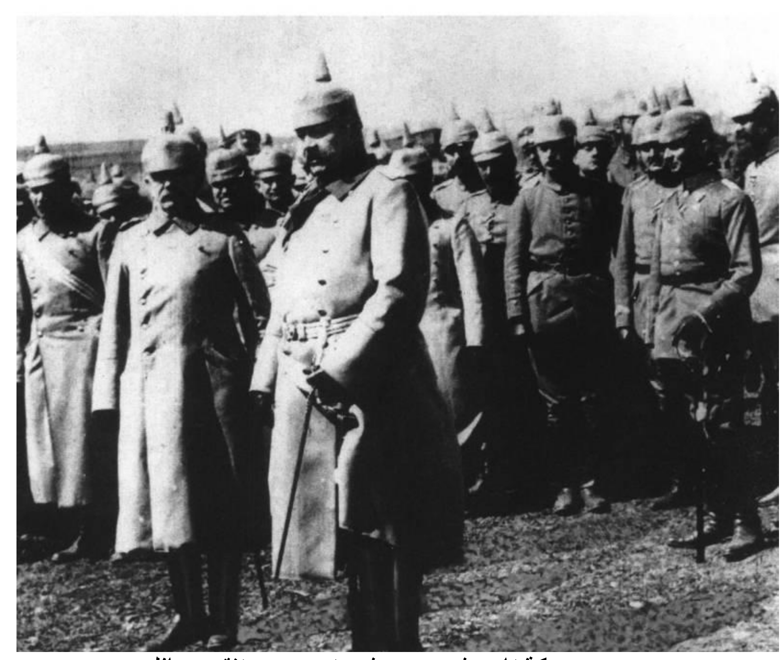
الفريق هوفمان، العقل المدبر لمعركة تانبرغ



نقل مدفعية ألمانية على الطرق نحو الجبهة



الحالة السيئة للطرقات تسبب غالباً مشاكل عويصة لنقل العتاد الثقيل



بعد معركة تانبرغ، هندنبرغ يستعرض ويتفقد جحافله.

للوهلة الأولى. [illegible] بالتشــبث بالخط أياً كان الثمن، حتى وصول جيش فرانسوا بالقطارات .

كان الجنرال ســامســونوف يبغي قطع الطريق على الألمان في زحمة التراجع نحو الفســيلا، وتقدم باتجاه ألانسشن ـــــ اوسترود. وانتقل هو أيضاً ببطء شديد، بسبب تعب مقاتليه وأخطاء التموّن. وكان الألمان نجحوا بالتقاط المراسلات الروسية غير المرمّزة، وهكذا هيؤوا بدقة نجاح خطط الهجوم على جيش ناريف. ولاحظوا أيضاً أن جيش نيمن لــ رنانكيف ينتقل باتجاه كوننجسبرغ وأنهم الآن، لم يعودوا يشكلون خطراً على العمليات ضد سامسونوف.

وفي ٢٦ آب، وصل جيش الجنرال فرانسوا بالقطار إلى الجبهة الجديدة، ومشى مباشرة إلى الهجوم على بعد ١٠ كم من أوســدو. نشــبت معارك طاحنة، اســتطاع الألمان خلالها أن يحاصــروا شــيئاً فشــيئاً قوات سامسونوف، التي بقيت خاصرتها اليمنى من دون حماية، نتيجة سوء فهم أحد الأوامر. أمام هذا، شن الألمان هجوماً مفاجئاً زرع الرعب بين الروس الذين انسحبوا. نجحوا باحتلال ألانستين، لكنهم اضطروا إلى مغادرة المدينة على عجل وفيما بعد احتل الألمان عدداً كبيراً من قطع المدفعية من الحملة الروسية.



جنود أسرى روس تُنزع أسلحتهم قبل إخلائهم



عدد من الضباط الروس الأسرى



ألمان يحتلون عدد كبير من قطع المدفعية التي تركها الروس



الفيلد مارشال هندنبرغ

كان الروس آنئذ مكرهين على تراجع عام. شبت معارك عاصفة قرب عقدة طرق نيدنبرغ. وفد سامسونوف شخصياً على رأس قواته ليوجه المعركة. عرف في الحال أن الوضع ميئوس منه وفي ٣٠ آب، أخذ إجازة من رئيس الأركان. وانتحر بعيد هذا في الغابات في جنوب ـــ غرب ويلّنبرغ.

انتهت معركة تانينبرغ في ٣١ آب. فقد فيها الروس أكثر من ١٢٠ ألف رجل قتيلاً وجريحاً وأسيراً، بينما صار لودندورف وهندنبرغ أبطالاً. على هذا، لم تتخلف الانتقادات. لا يعود نصر تاننبرغ إلى كفاءات الثنائي هندنبرغ ـــ لودندورف بل هو من رصيد الفريق هوفمان. بعدئذ قبل الجنرال فون هندنبرغ أن يقول: "أنا لا أعرف من ربح معركة تاننبرغ. لكنها لو خسرت، لاعتبرت مسؤولاً".

معركة بحيرات مازوريا

الألمان يهاجمون

الآن وقد مُزق جيش ناريف، استدار الألمان إلى جيش نييمن للجنرال رينانكيف. تابع هذا الأخير بيقظة وحذق تطور معركة تاننبرغ، إنما لم يأتِ



جحافل ألمانية تجتاز جسراً وهي تتقدم في غاليسيا، في أيار ١٩١٥.



وهنا أيضاً يتابعون طريقهم نحو الجبهة



الخيالة الروس ينسحبون عبر نهر فيسلا



في أثناء احتلال برميشيل الجنود الروس
المهزومون يعودون مع مدفعيتهم



معركة برميشيل في العام ١٩١٥. ضباط ألمان
قرب جنود روس قتلى



قوات نمساوية تتابع الروس في العام ١٩١٥.



الإمبراطور النمسا‎ــ هنغاري شارل في أثناء زيارته للجبهة



قوزاق روس في جبهة غاليسيا في العام ١٩١٧



الألمان يقدمون بسرعة الاحتياط لدعم الخرق في غاليسيا



في تموز ١٩١٧ الألمان يجتازون خط الجبهة الروسي في غاليسيا. الإمبراطور الألماني يزور قواته بهذه المناسبة



جنود مشاة ألمان يندفعون على شواطئ نهر فيسلا أثناء تقدمهم في أيار ١٩١٥



تجمع للقوات الألمانية تأهباً لمتابعة ومطاردة الروس المتراجعين في العام ١٩١٧



قاذف روسي محطم

إلى مســاعدة ســامســونوف، رغم نداءاته. كثيراً ما لُمّح بلباقة أن الجنرالين كانا في حالة كره وأن دوافع شخصية دفعت رينانكيف أن لا يستجيب للواجب وينفذ النداء الوطني. كان رينانكيف دائماً يكره سامسونوف. صرح أنه كان

يجهل الوضع الذي يواجهه الجيش الثاني لسامسونوف لذا لم يسارع إلى مطاردة الألمان لكي يفسح المجال لسامسونوف لمحاصرتهم. أخيراً في ٢٩ آب، تلقى رينانكيف أمراً من القيادة العامة لمجموع جيوشه يدعوه إلى سامسونوف، وهدد بتحويله إلى محكمة عرفية إن لم يلبِ فعلاً. لكن الوقت قد فات، وفي الغد أُلغي الأمر، ومحاولة الإفلات من الكماشة فقدت معناها.


أسرى حرب روس مجتمعون ويراقبون في أثناء هجوم معاكس ألماني في غاليسيا، في ٢٤ تموز ١٩١٧


خنادق روسية محتلة قرب ترنوبول



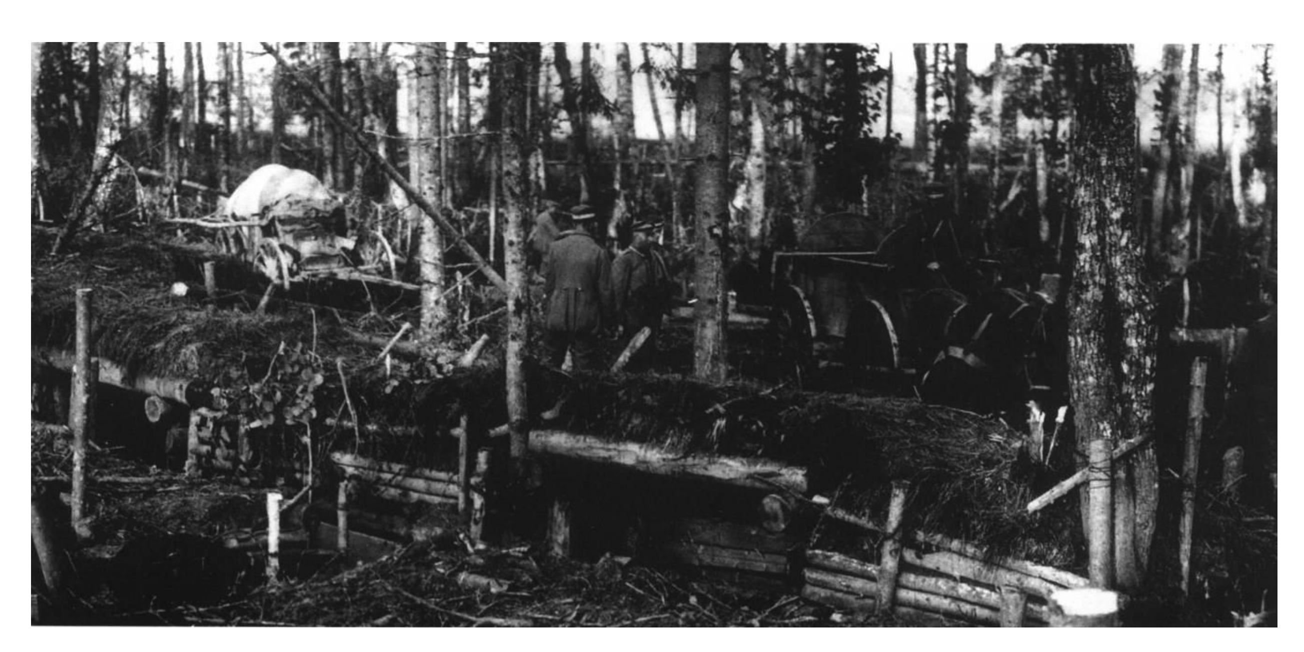
الألمان ينقلون مؤن تم الاستيلاء عليها إلى ترنوبول التي ستحتل في ٢٤ تموز ١٩١٧



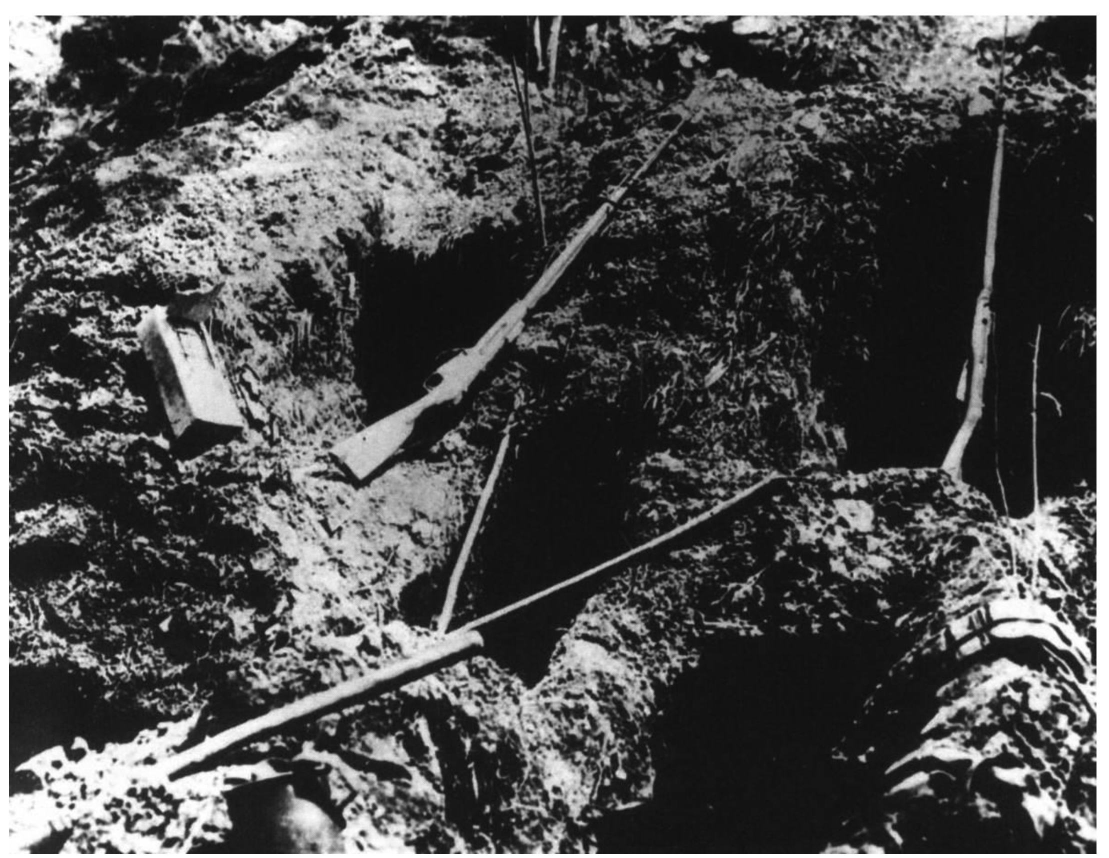
الإمبراطور غليوم يزور قواته المنتصرة بعد غزو ترنوبول



الامبرطوار غليوم أثناء تفتيش الجيش الخامس عشر التركي في غاليسيا الشرقية عام ١٩١٧



جنود المان يفتشون الملاجئ الروسية قرب ترنوبول



ملاجئ مخلاة من الروس عند الهزيمة



مدفعية روسية احتلها الألمان قرب ترنوبول



من طرفه، نشر رينانكيف مقاتليه في وضعية دفاعية بين بحيرات مازوريا وهاف في كورلندا حيث كانت تشــكل دوماً تهديداً للتشــكيلات الألمانية التي تلقت أمراً بتدمير جيش نيمن بأي ثمن. من بقي من جيش ناريف المهزوم، انسحب إلى شمال بحيرات مازوريا وتموضـع فيها بوضـعية دفاع. وفي الشـمال، انبسـطت المواقع الروسية حتى هاف في كورلندا، وكانت خاصـرة الجنوب، بشـكل قوس دائري، محمية ببحيرة مووير. وضـع منتقى بعناية، لأنه يجعل أي محاولة هجوم على الجبهة غير ممكنة، وكانت المناورة التي تحاول أن تحاصرهم على الخاصـرة الشـمالية في غاية الصـعوبة بفعل الأرض غير الملائمة. فقط الهجوم على الخاصـرة الجنوبية يحظى بنصـيب أوفر للنجاح. في ٥ أيلول، كان الألمان جاهزين، وأعطى هندنبرغ أمر الهجوم. حاول الألمان محاصرة جيش نيمن، لكن رينانكيف نجح بإفشال المناورة بالتراجع السريع. خلال معارك المؤخرة، فقد أكثر من ربع قواته. لكنه استطاع أخيراً الوصول إلى خلف الحدود الروسية.

وفي أثناء معركة تاننبرغ، نجح الألمان بفصـــل الجيشـــين المتفوقين بالعدد وتمكنوا من تدميرهما خلال اشتباكين متميزين. كان الطرفان بحاجة للكثير من الجند، من الجهتين. مسيرات طويلة أحياناً تزيد عن ٥٠ كم يومياً، تسبقها معارك طاحنة. اعتبرت معركة تاننبرغ على المستوى العالمي نصـراً مؤزراً للألمان وكنمط قيادي مؤلف من ضابطين هما هندنبرغ ـــ لودندورف. وبقي إذاً مسجلاً باسمهما وصنفهما بين الشخصيات الأشهر في ذلك الوقت.



قوزاق أوكرانيون يشتركون في المعركة في غاليسيا

معارك غاليسيا

بينما كانت معارك تاننبرغ وبحيرات مازوريا على أعنف مســتوى، وصـــلت أنباء مقلقة من النمســـا ـ هنغاريا. فالجنرال كونراد فون هوازندورف، القائد الأعلى النمسا ـ هنغاري، ألح على هجوم ألماني ضد جيش ناريف. فقد اضـــطر جيشـــه الثالث المكلف بحماية ليمبرغ، غير القادر على مقاومة أكفأ المهاجمين الروس، على الانســحاب في ٢٩ آب ممزقاً. وكانت خاصـــرة جيشـــه الرابع مهددة الآن. وفي ١٣ أيلول، تم ســـقوط ليمبرغ، فدعا كونراد فون هوازندورف الألمان إلى التدخل،

طالباً الدعم العاجل بجيشين على الأقل. للوهلة الأولى، رفض طلبه، إنما لما هزم في نصف أيلول، جيشا سامسونوف ورينانكيف، وفي هذه الفترة دَحر الروس المتفوقون عددياً جداً، أمامهم التشكيلات النمسا ـــ هنغارية في غاليسيا، أدرك الألمان أن مؤازرة سريعة لا مهرب منها. كان الخوف من وصول الروس إلى فيينا،مما يعني تدمير الحليف الرئيس لألمانيا. وكان التدخل الألماني، سياسياً أيضاً ضرورياً للنمسا ــ هنغاريا. لم تنتظر إيطاليا سوى سانحة كهذه لتهاجم حليفها السابق، وخور النمسا ـ هنغاريا لعب لصالحها.

قرر القائد الأعلى الألماني، الجنرال فون فالكنهين إرسال جيشه التاسع لمساعدة النمساويين. كان هذا الجيش الجديد مؤلفاً من أربعة ألوية، بقيادة مباشرة من هندنبرغ، الذي ظل مكلفاً أيضاً بتوجيه كل عمليات الجبهة في الشرق. اضطر النمساويون للصبر قبل أن يروا هذا الجيش في الجبهة.

على هذا، بعد فشل لمبرغ، بدأ النمساويون هجوماً صاعقاً جديداً، أعطى نتائج هامة. إنما في ١١ أيلول، اضطر هؤلاء للتوقف بسبب الإنهاك العميق للجنود. فأجبر كونراد فون هوازندورف إذاً أن يجمع قواته حول وشمال برميشيل، وأعطاهم الراحة الضرورية، لكن الروس، تابعوا الهجوم، وفي ١٥ أيلول، اجتازوا المجرى الأدنى لنهر سان. في النهاية، انهارت المقاومة النمسا ـ هنغارية، وجرت القوات باتجاه العمق، على خط يرسم بلا اتقان الحدود البولونية باتجاه دكلا باستريل، ستانسلو إلى زرنوفتز في الجنوب.



جنود روس يهربون من السجن النمساوي

بعد احتلال زرنوفتز على يد الروس، اضطرت الجحافل النمسا ــــ هنغارية إلى التراجع في العمق، خلف أنهار بيار ودوناجك. كانت الخسائر ضخمة، حوالي ٤٠٠ ألف رجل وحوالي ٣٠٠ قطعة مدفعية. من الجانب الروسي أيضاً كانت الخسائر فادحة: ٢٥٠ ألف قتيل، جريح وأسير. كان أمل فون هوازندورف يكمن آنئذ في الجيش التاسع الألماني، الذي اعتمد عليه أن يأتي مساعداً والذي انتقل إلى الهجوم في ٢٥ أيلول. وفي ٦ تشرين أول وصل الفسيلا، مجدداً أمل النمساويين، الذين نجحوا في بلوغ سان ثانية واحتلوا برميشيل في ١١ تشرين الثاني. إنما بعد هذا التاريخ توقف الهجوم وفي ٢٧ تشرين أول، اضطر النمساويون أن يقاتلوا دوماً وهم ينسحبون. بعد عدة أيام، احتل الروس مجدداً كل الأرض التي خسروها واندفعوا حتى الكربات وسيليزيا. والجيش الألماني التاسع، هو أيضاً، انسحب ليهرب من الحصار وأخلى بنفس الضربة شطراً كبيراً من الأرض المحتلة. مع ذلك، أوقف الروس هجومهم بفعل طول طرق التموين.

وفي ١١ تشرين الثاني، شرع الألمان بهجوم مفاجئ من تورن. ورحّل الجيش بالقطار بشكل رائع نحو منطقة تورن. وكلف الجيش الثاني النمسا ــ هنغاري بمهمة الدفاع عن سيليزيا البروسية. بدأ الهجوم في لحظة تجديد الروس هجومهم باتجاه بروسيا الشرقية. فوجئوا كلهم وذاق الألمان طعم نجاحات هامة في البدء. مع ذلك تتابع الهجوم على بروسيا بأحسن شكل. وقدر الروس على التغلغل بالعمق حتى توقفوا قرب آنجراب. لكن الجيش التاسع خسر أكثر من ١٠٠ ألف رجل عبر المعارك وأنهك، بسبب نقص الغذاء والعتاد. ولم يكن وضع النمساويين أفضل، بفعل الأمراض وانحسار الروح المعنوية عند المقاتلين. وهكذا هدأت المعارك مؤقتاً، على الجبهة الشرقية.





جحافل ألمانية تطرد الروس في جبال الكاربات حيث تعرض الروس لهزيمة شنيعة

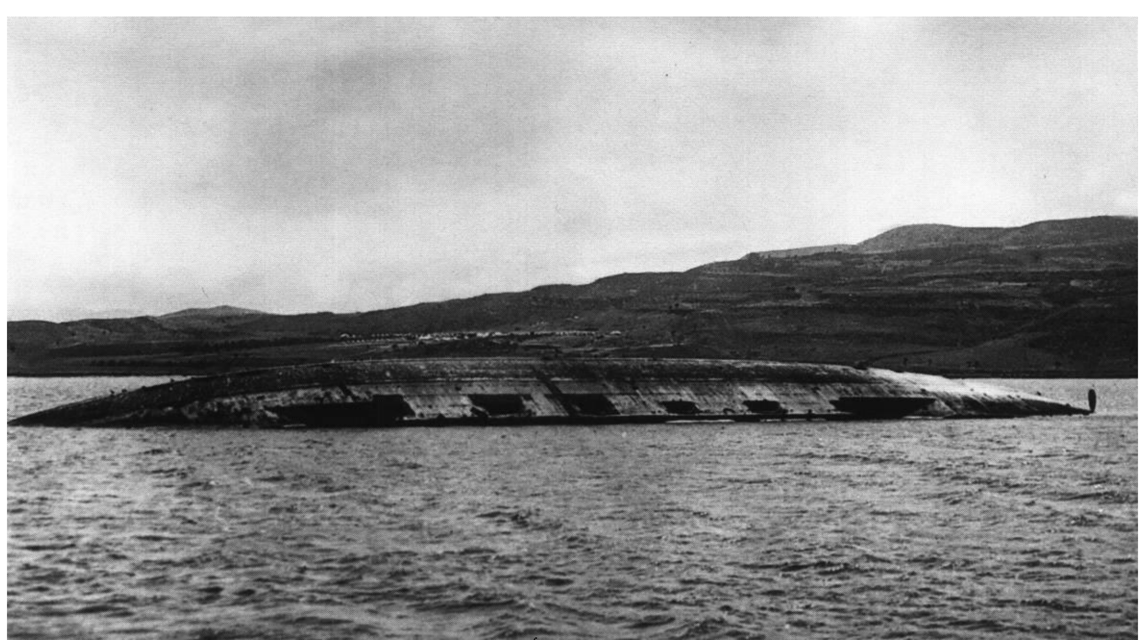
المعارك الطاحنة

لعامي ١٩١٥-١٩١٦

كلّفت المذابح الخرقاء الطرفين عدداً رهيباً من الضحايا

غالبولي الشرارة

لما انفجرت الحرب، كان التردد يسـود موقف تركيا، بخصـوص الانخراط بالنزاع أم لا وأياً من الطرفين تختار. كان النفوذ الألماني على البلد ثابت الأهمية، السـفارة الألمانية واسـعة النشـاط، والوفد العسـكري جاهز في البلد. إنما كانت تركيا رسمياً على الحياد.



دخلت الغواصة البريطانية B.١١ المضائق في ١٣ كانون أول ونسفت بطوربيد السفينة التركية مدوشا الراسية. غرقت السفينة وعلى متنها أكثر من ٤٠٠ رجل.



حطام مدوشا قبر لاربعمائة دفين

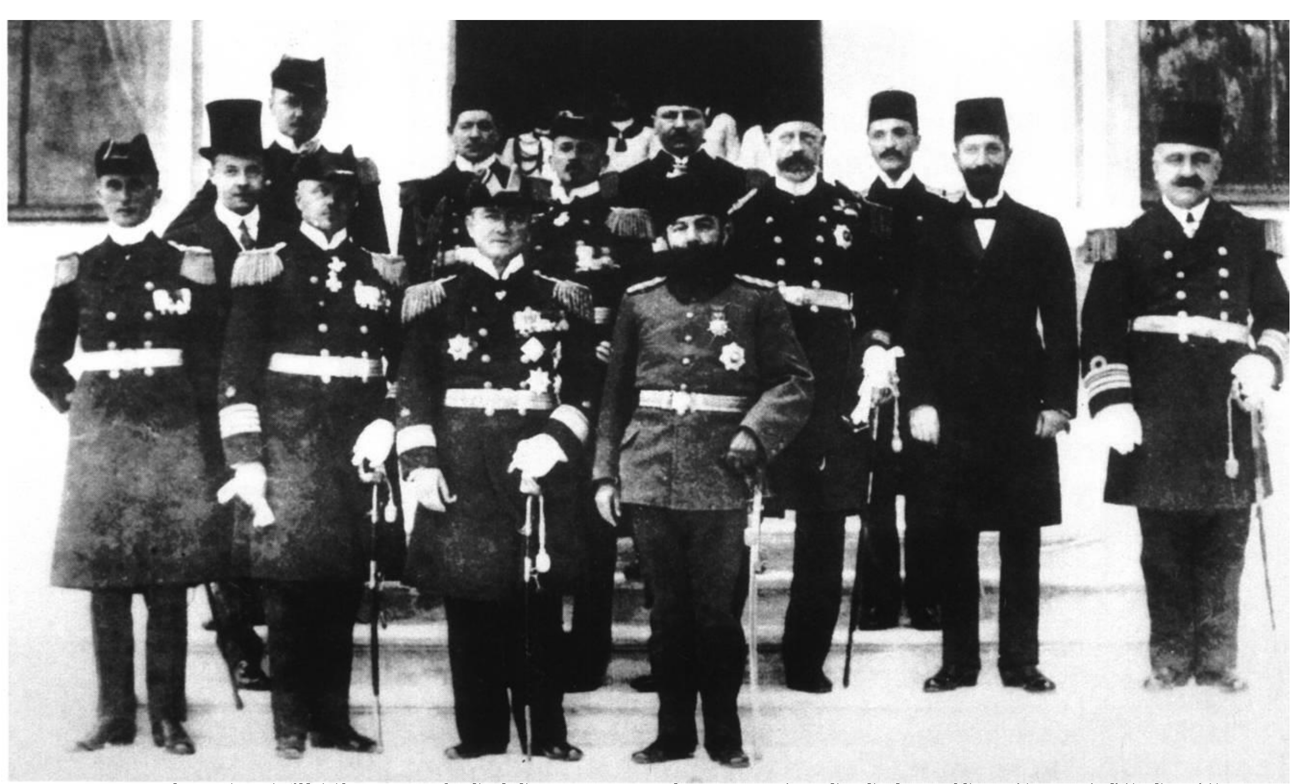
أثار قرار تشــرشــل القبض على ســفينتي حرب تركيتين وتجهيزهما في ورشـــات بريطانية وضــمهما إلى الأسطول البريطاني، ردود فعل عاصفة في تركيا. لم يسبق هذا القرار أي اتفاق أو عرض مكافأة. ردت تركيا بطرد الوفد البحري البريطاني، ورد الألمان بســرعة البرق باقتراح على الأتراك بإحلال ســفينتين حربيتين ألمانيتين (غوبن وبريسلو) محل السفينتين المصادرتين.

وفي ٢٧ أيلول، اجترح البريطانيون خطيئة أخرى نفسية بحجز طراد تركي حاول الخروج من الدردنيل. حيّر هذا التصرف وأدهش الباب العالي و بناءً على إلحاح السفير الألماني، أغلق الأتراك البوسفور والدردنيل في وجه أي مرور بحري، قاطعين هكذا خطوط التموين بين الحلفاء وروسيا.

وفي الوقت ذاته، سمح الأتراك للسفينتين الحربيتين الألمانيتين بدخول المضـائق والرسو قرب اسطنبول. ووضــعوا في الســرادق التركي البحارة الألمان حتى ولو بقي، قائدهم، اللواء البحري ســواشــون على ظهر الســفينة. بالفعل، عزفت تركيا عن الحياد واختارت معســكر دول المحور،ومع ذلك من دون إعلان الحرب. وفي ٢٨ تشـرين الأول، قاد سـواشـون سـفنه في البحر الأسـود وأطلق النار على بعض المدن الشـاطئية حيث يصفى البترول الروسي.



العقيد فريهر فون درغولتز القائد الالماني للجيش التركي في البحر الاسود اثناء معركة غالي بولي



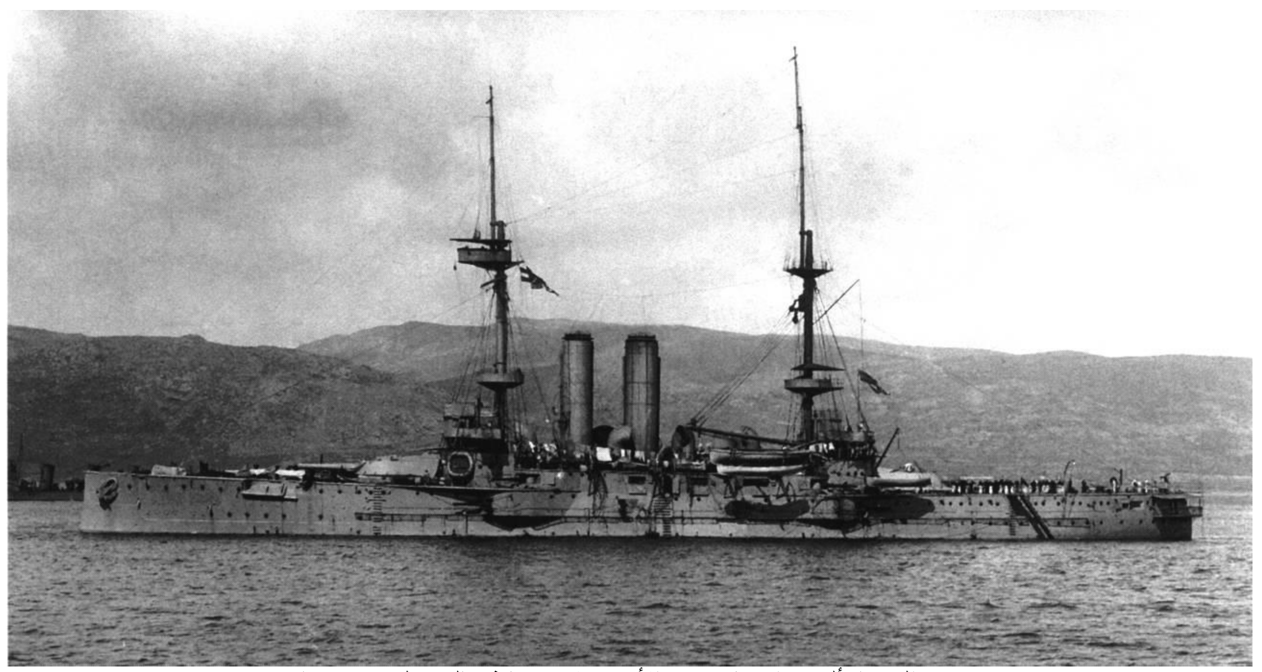
الاميرال الالماني سواشون الذي دخل إلى المضائق مع بريسلو وغوبن تحت العلم التركي. بعيد هذا اطلقوا نيرانهم على المرافئ الروسية في البحر الأسود



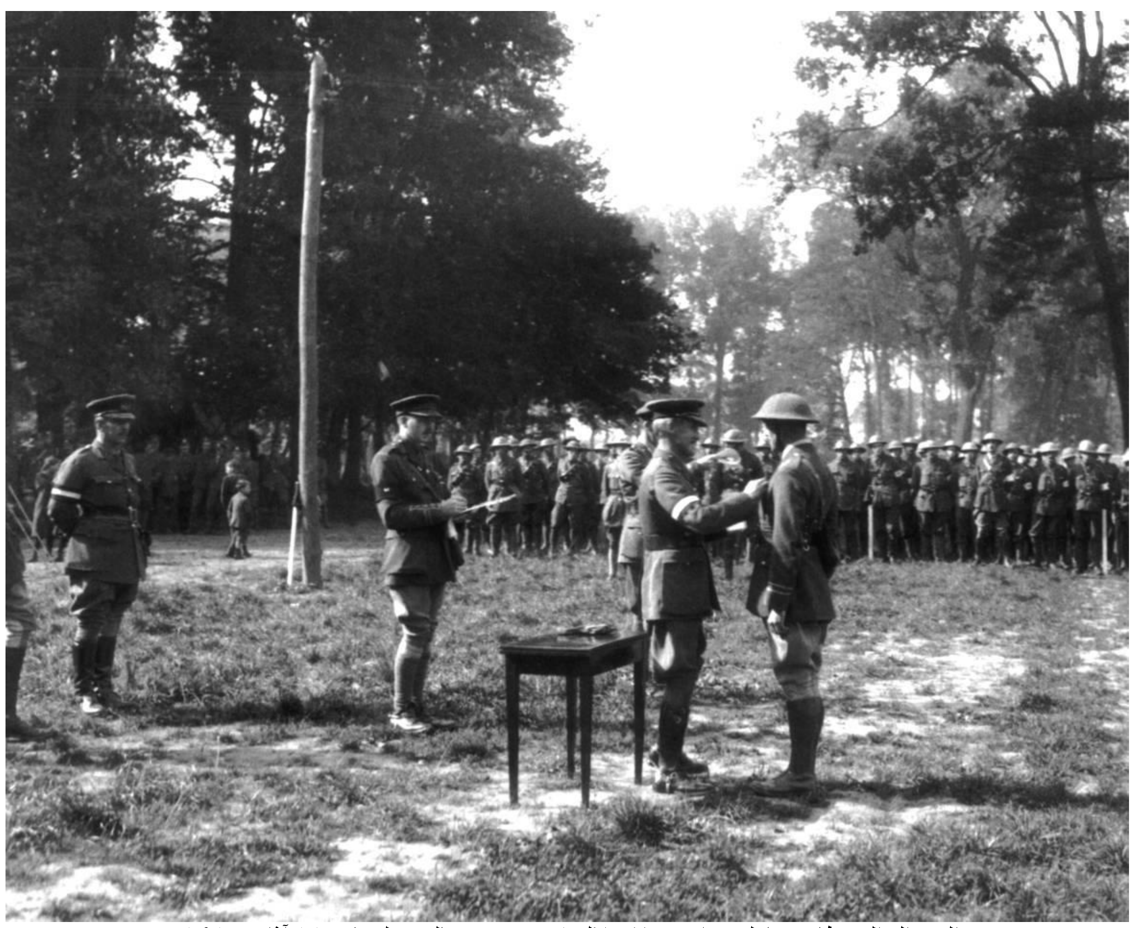
في ٣ تشرين الثاني ١٩١٤، قصف البريطانيون دفاعات سدول ـ باهر وكوم كال، في مدخل الدردنيل

بُعيد هذا، وضع المرافئ الروسية تحت نيرانه في البحر الأسود محرضاً بهذا إعلان روسيا الحرب على تركيا. كان البريطانيون آنئذ على بينة من الأمر وردوا مباشرة. وفي ٣ تشرين الثاني، دخلت سفن بريطانية الدردنيل، قصفت سدول ـ باهر وكوم كال، وتركوا فيها أضراراً جسيمة. وفي ١٣ كانون أول، ولجت غواصة بريطانية **B.١١**، المضائق ونسفت بطوربيد سفينة الحرب التركية، مدوشا، وهي راسية. غرقت هذه بعد دقائق، وجرّت إلى اليم عدداً كبيراً من بحارتها. أقنعت هذه الأعمال البريطانيين أنه ليس ثمة مشاكل توجب اتباع هذا الطريق البحري. فيما بعد، ستكلفها هذه القناعة باهظ الأثمان.

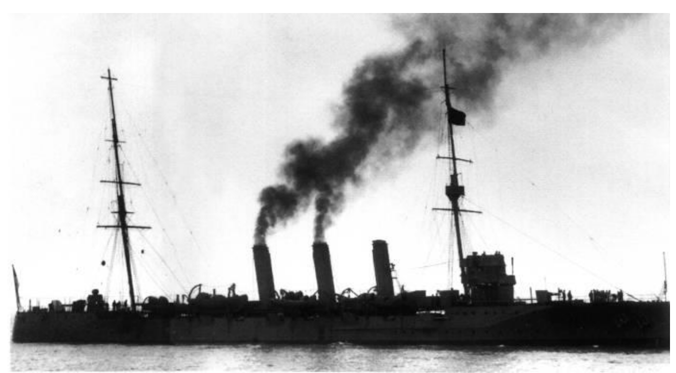
في أثناء هذا الوقت، وصل طلب إلى الحكومة البريطانية، بخصوص فتح جبهة ضد تركيا، لتضع حداً لتهديدها القفقاس. أجابت الحكومة البريطانية بالإيجاب واقترح تشرشل إرسال قوات بحرية نحو الدردنيل. يجب أن تدخلها السفن وتسكت الحصون ومدفعيتها الثقيلة. وإذا حررت كاسحات الألغام المياه، يمكن للأسطول الذهاب حتى اسطنبول وتدمير بريسلو وغوبن فيها، وفي نفس الوقت إعادة توطيد الصلة بين الحلفاء والروس. ردت الحكومة بطريقة حماسية وقرر أن العمل سينطلق في شباط.



والمسماة ألبيون اشتركت هي الأخرى في معركة غالي بولي .HMSباخرة



الجنرال البريطاني هاملتون اختير لاحتلال شبه جزيرة غالي بولي في ١١ آذار ١٩١٥.



في اثناء المحاولة البريطانية الاولى لاحتلال المضائق الـ HMS أميتسيت تتعرض لقصف معادي ثقيل أدى إلى ٢٠ قتيل و٢٨ جريح وأصيبت الباخرة إصابة قاسية

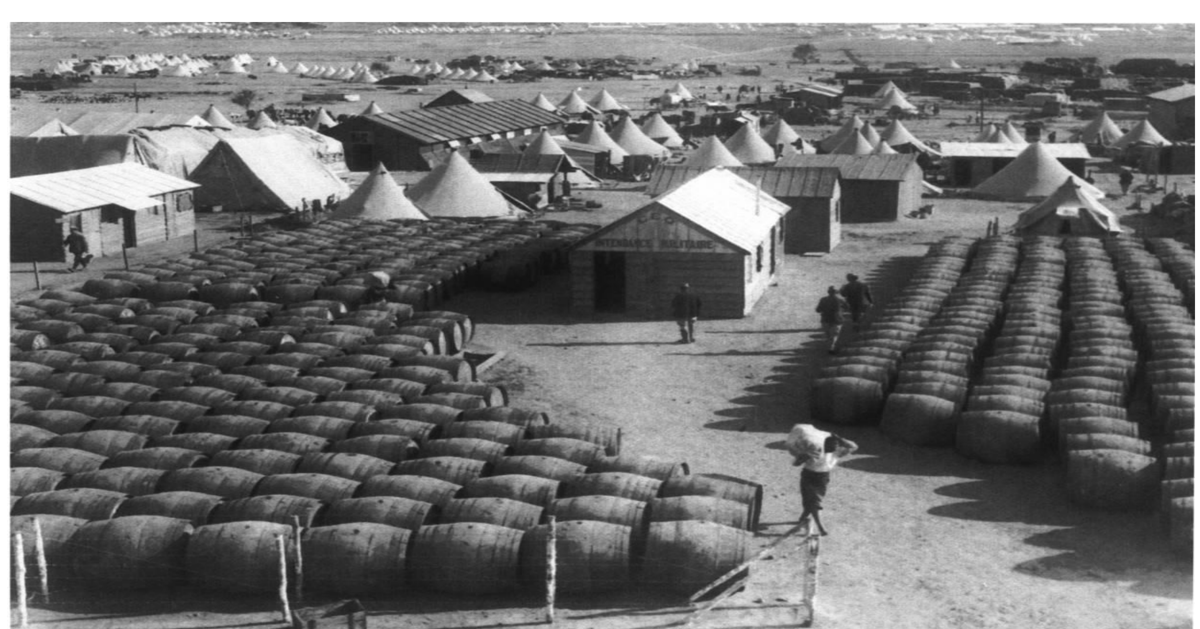


الحصن القديم سدول ــ باهر هوجم في ٢١ نيسان ١٩١٥ على يد البريطانيين

في أثناء الهجوم الأول على المضائق الكاسحة القديمة الروسية أثكولت كانت أيضاً موجودة



في مرفأ ميدروس البريطانيون يجمعون أسطولاً ضخماً للهجوم على غالبولي



الفرنسيون أيضاً اشتركوا بالهجوم على غالبولي. وكالعادة، كان الخمر موضع
عناية، مركز خمر فرنسي في ميدروس.



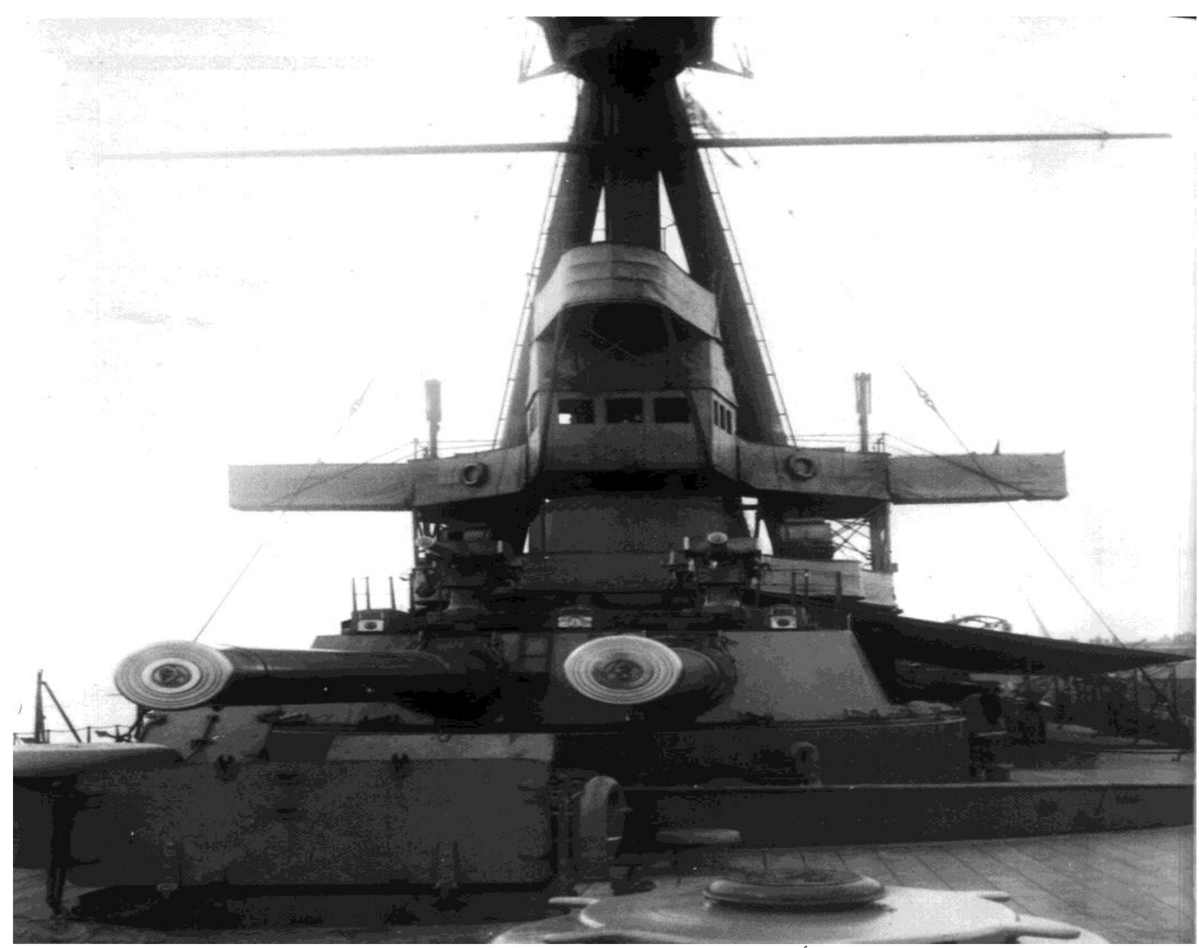
في ١٨ آذار ١٩١٥، رأى الترك وصول جيش لا يقهر من السفن الحربية الـــ HMS الصلب الذي لا يرحم دخل الخط الأول إلى الدردنيل.

وفي ١٥ كانون الثاني، كان الأميرال غاردن، قائد القوات المســلحة البحرية يتحرى المشــاريع البريطانية في بحر إيجه، وليتفق مع الفرنســيين أن يضـــعوا وحدة بحرية تحت تصـــرفهم. وقررت البحرية البريطانية تعزيز أسطول غاردن بأن تلحق به السفينة (الملكة إليزابيت). وحدد بدء المعارك في ١٥ شباط.

آنئذ بدأ الأميرال جاك فيشر، أحد رؤوس واضـعي الخطة البريطانية، بالتردد وأخيراً عارضـها. إنما جاء هذا الرفض بعد الأوان. وصارت جملته (لعنة الله على الدردنيل، ستكون قبوراً لنا) حقيقة قبل أن تكون بديهية منتظرة.

إثر معارضة فيشر، قررت لندن أن تزج أيضاً قوات برية في شبه جزيرة غالبولي وتحتلها. وقع الاختيار على الفرقة ٢٩، المخصصة سابقاً للعمل في

اليونان، على أن تدعم بلوائين من مشـاة البحرية، وأفواج نيوزلندية. سـتجمع هذه القوات المؤلفة من ٥٠ ألف رجل في الجزيرة اليونانية ليمنوس، إنما منذ وصول الـ ٥ آلاف رجل كطليعة، تبين أن الجزيرة الصغيرة لا تلائم أبداً هذا التوجه،



أبراج مدفعية بحرية على إحدى السفن المقاتلة

...لا مواقع أو مقرات ملائمة وأُكره المقاتلون أن يتكدسوا على متن السفن، لضيق المكان. واضطر لواء من القناصة البحرية حتى على العودة، لعدم كفاية مرفأ ليمنوس.

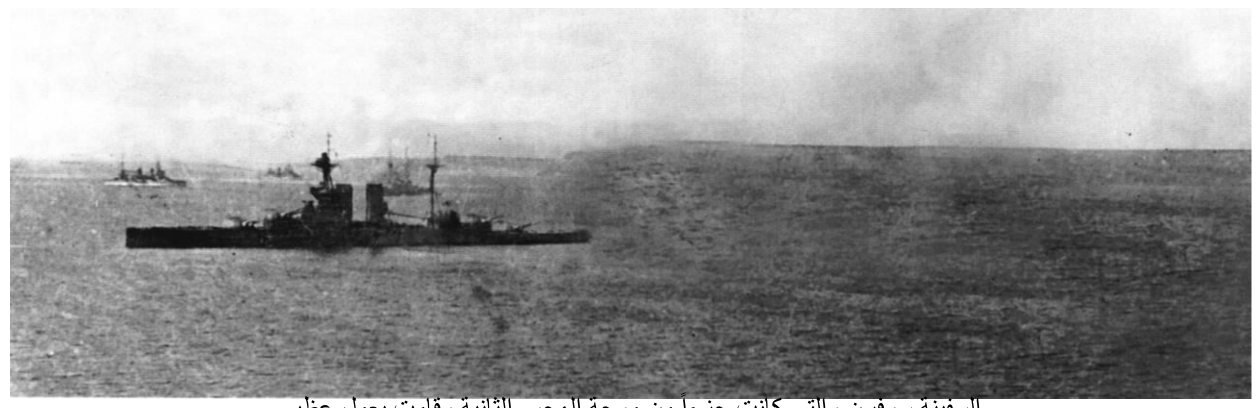
خلال هذا الوقت، أرجئ العمل البحري عدة أيام. بضـــرورة الإبحار، على هذا في ١٩ شـــباط توجه الأميرال غاردن نحو مدخل الدردنيل وفتح النار على الأتراك، لكنه لم يجنِ شيئاً. فاضطرت العملية للتوقف بفعل إشكالات المواصـلات. وفي ٢٥ كانون الثاني، كرر غاردن المحاولة ونجح بتدمير أحد الدفاعات الخارجية. إضـافة، زجت ثلاث سفن في الدردنيل لكنهم فوجئوا بنيران مدفعية متحركة متربصة ككمين. فأبحرت آنئذ وحدات قناصة بحرية إلى الشاطئ ونجحت بين ٢٧ شباط و٣ آذار بتدمير خمسين قطعة بحرية تركية. تحركت لندن بحماس. ناسية أن الترك كانوا آنئذ يعرفون أن غالبولي كانت هدفاً للبريطانيين.


السفينة لوردنلسون عند دخولها المضائق إلى جانب باقي الأسطول البريطاني



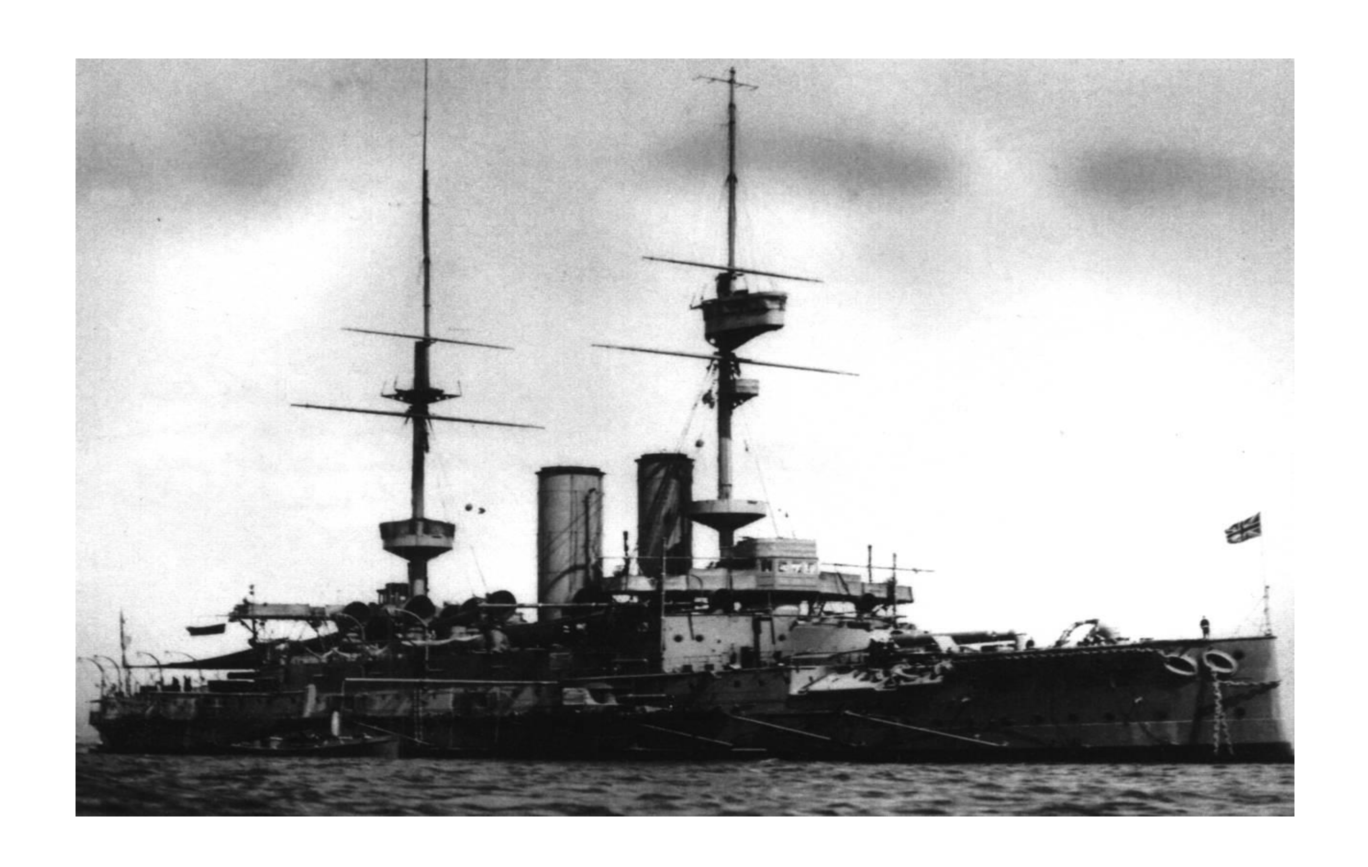
والمسماة الأمير جورج وهي إحدى السفن التي اشتركت في الموجة الأولى من HMSالسفينة الحربية الـ الهجوم

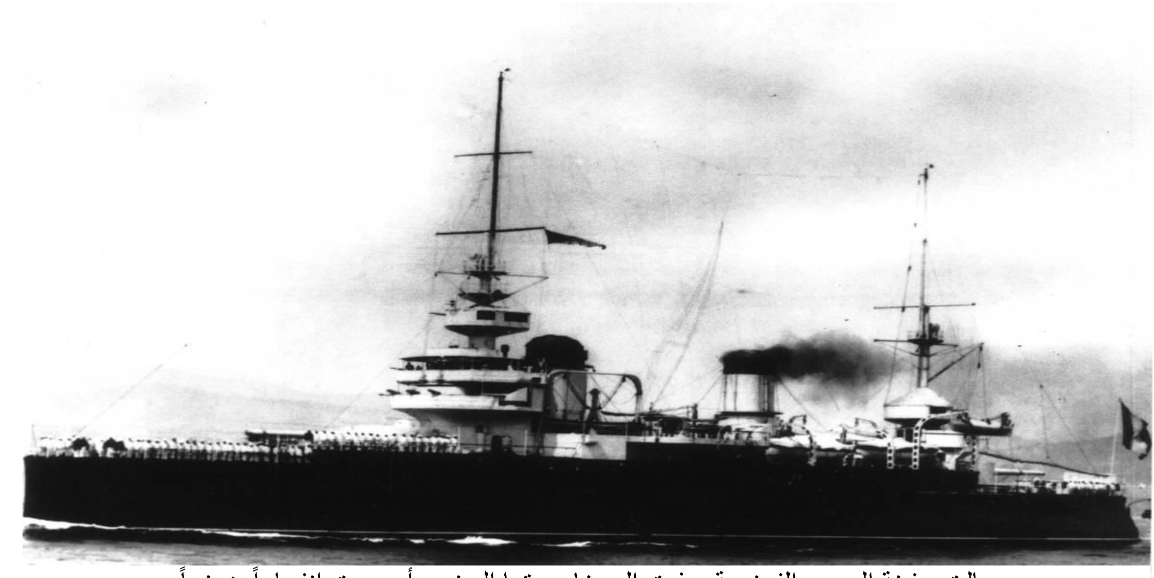
.



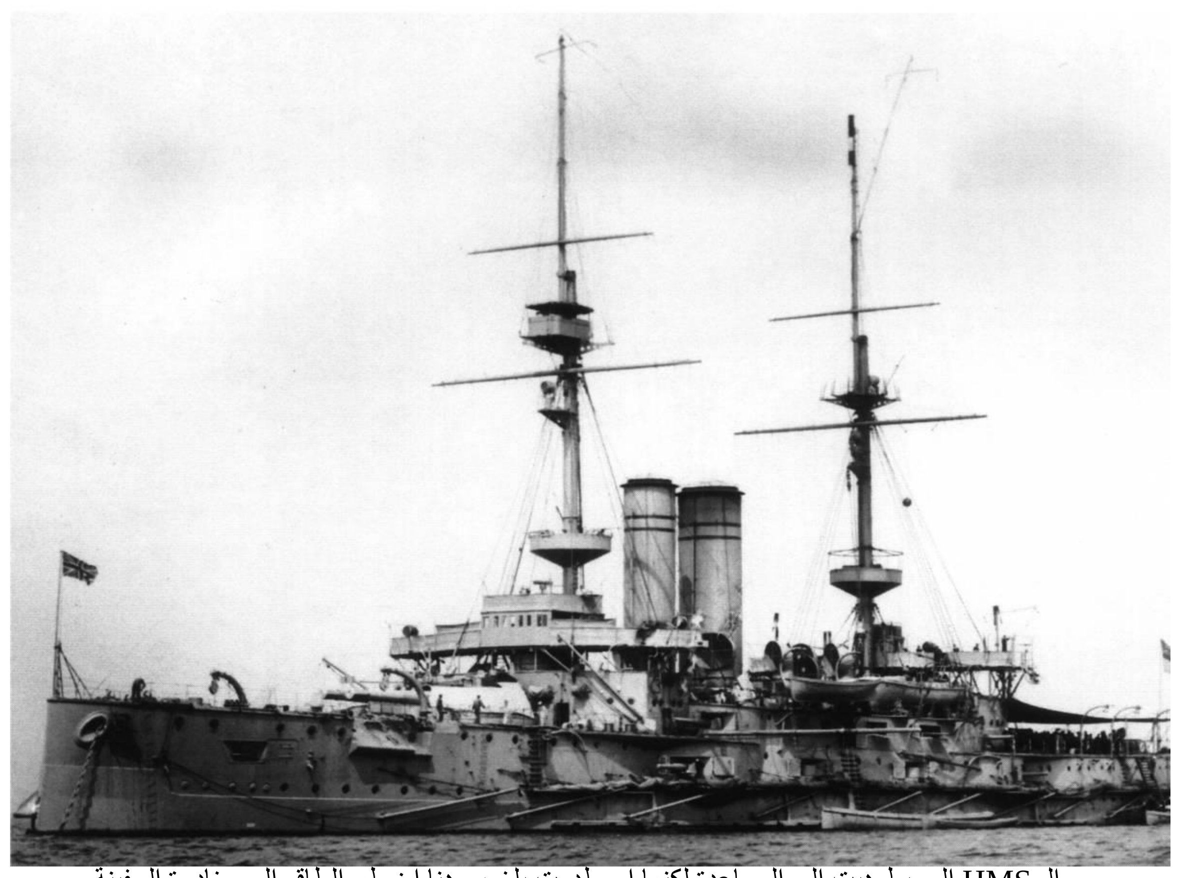
السفينة سوفرن والتي كانت جزءاً من موجة الهجوم الثانية وقامت بعمل عظيم

...لم تعد هجمة مفاجئة بالتالي ممكنة. كان كتشنر متفائلاً جداً وصرح واثقاً أن ظهور الأسطول البريطاني في الدردنيل سـيكون كافياً لكي يهرب الأتراك على الفور. وأن إبحاراً بريطانياً إضــافياً لم يعد ضــرورياً. ظن وزير الخارجية البريطانية غري أن احتلال الدردنيل قادر على إثارة انقلاب بســـهولة في تركيا. وكان لدى كتشـــنر مشــروعات ضــم وإلحاق تخص الإسـكندرونة وحلب وأرادت البحرية البريطانية امتلاك كل وادي الفرات، بينما اقترح وزير المســتعمرات احتلال مرافئ تركية أخرى. وشــرعوا يقتســمون الأرض الواجب غزوها قبل أن تبدأ المعارك. للأسف، أخذت الأحداث منحى آخر بالنسبة لواضعي الخطط.





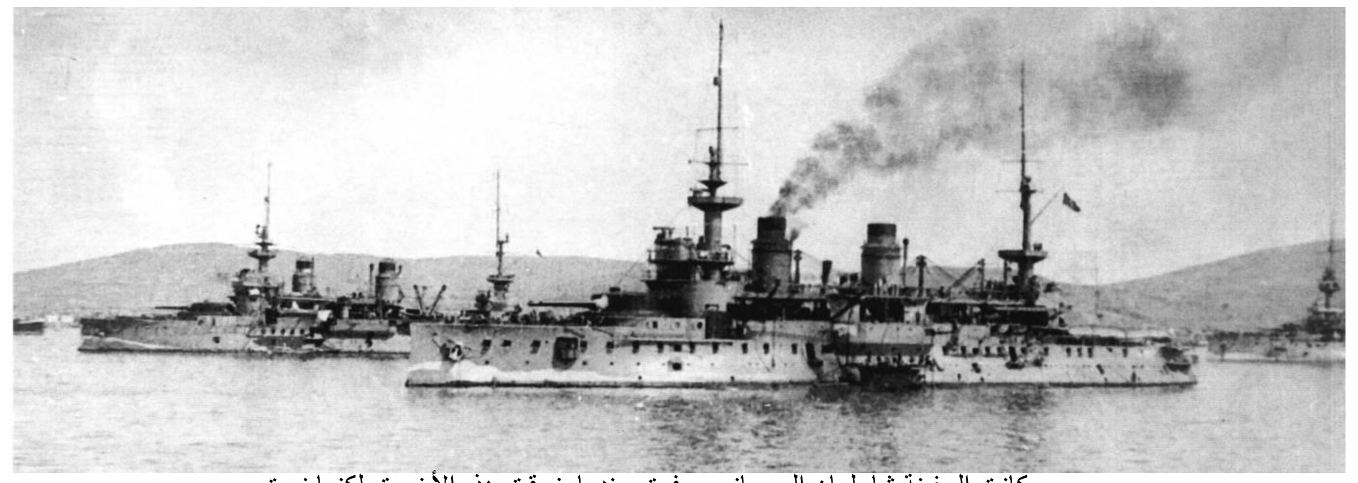
مالت سفينة الحرب الفرنسية بوفيت إلى خاصرتها اليمنى وأصدرت انفجاراً ضخماً.
خلال دقيقة، اختفت البارجة في الأعماق، آخذة معها ٦٠٠ رجل إلى حتفهم



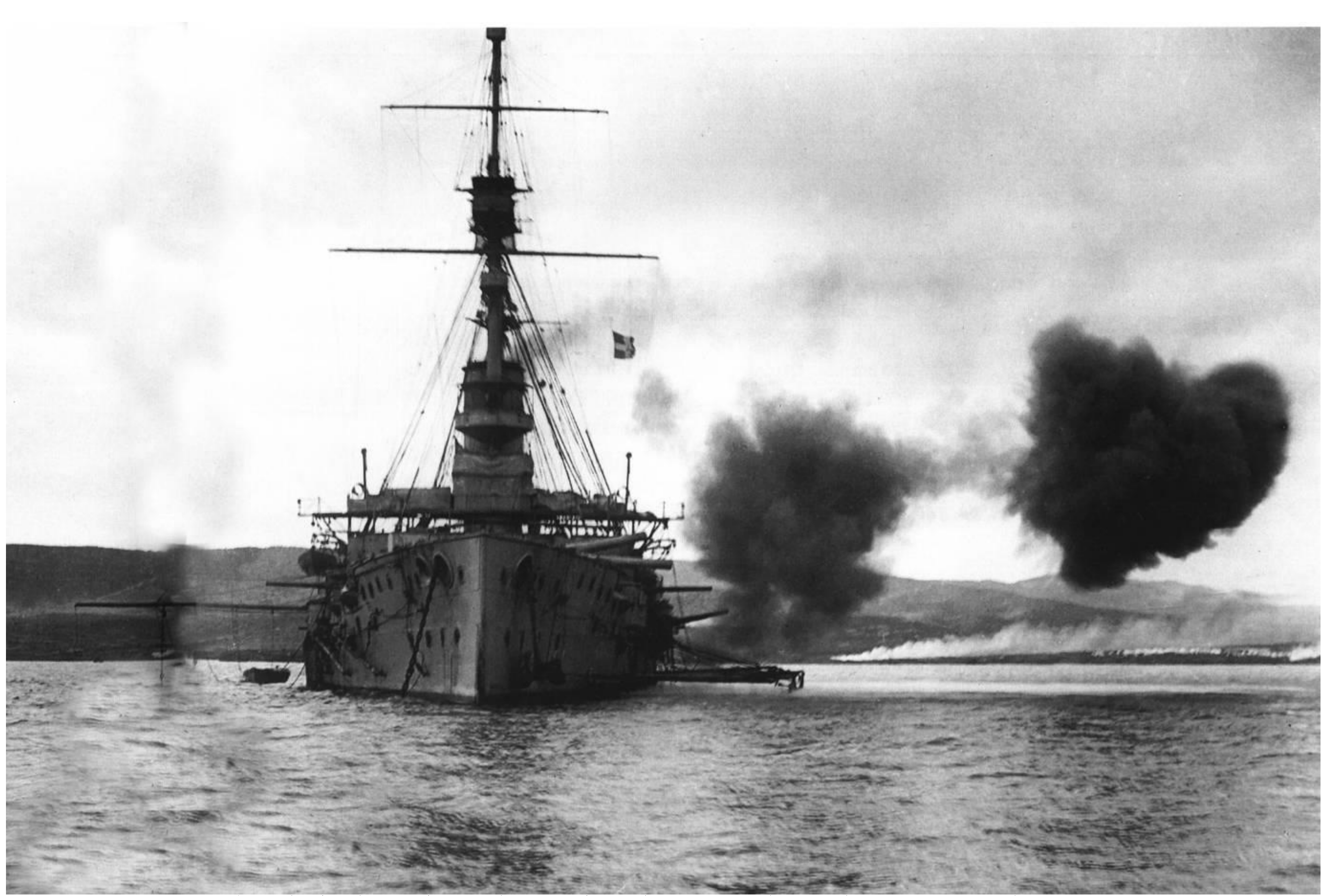
الـ HMS المحيط هبت إلى المساعدة لكنها اصطدمت بلغم، وهنا اضطر الطاقم إلى مغادرة السفينة



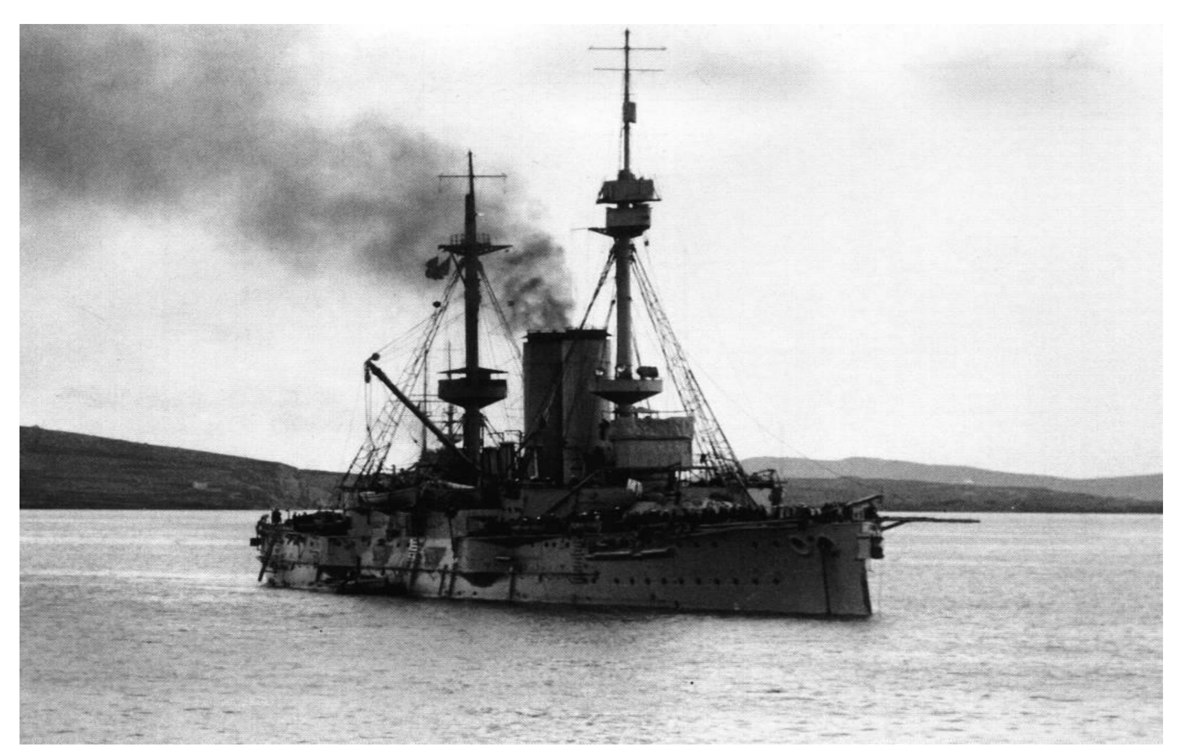
انطلقت السفينة الفرنسية غولوا هي الأخرى إلى المعركة



كانت السفينة شارلمان إلى جانب بوفيت عندما غرقت هذه الأخيرة، لكنها نجت



الـ HMS كورنواليس دخلت مضائق الدردنيل واستقبلت بوابل من القنابل التركية



السفينة كانوبوس تشترك في الموجة الثانية من الهجوم بعد تركها مرفأ ميدروس

في ٤ آذار، صارت المقاومة التركية شديدة العنف وفرض على البحارة الانسحاب ووقف الإنزال البحري، المحاولات الأخرى لدخول الدردنيل لم تكن أحسن حظاً وفي ١٢ آذار قررت الحكومة بدء مفاوضات سرية مع الأتراك. عرض المندوب البريطاني خمسة ملايين جنيه استرليني مقابل الخروج من الحرب فضلاً عن تسليم الباخرتين غوبن وبريسلو. طلبت الحكومة التركية تعهداً بعدم احتلال اسطنبول.

لم يستطع البريطانيون الالتزام بهذا، لأنهم وعدوا الروس بالمدينة. لم تنجح المداولات بل قطعت بسرعة، وعادت الأعمال الحربية، وحاولوا نزع الألغام من المضائق بواسطة مراكب صيد صغيرةحولت على عجل إلى كاسحات ألغام. فشلت هذه المحاولات الواحدة تلو الأخرى لأن المراكب كانت تحت نيران مدفعية الأتراك والتي أنزلت أضراراً قاصمة وقتلت الكثير من رجال الإنزال.



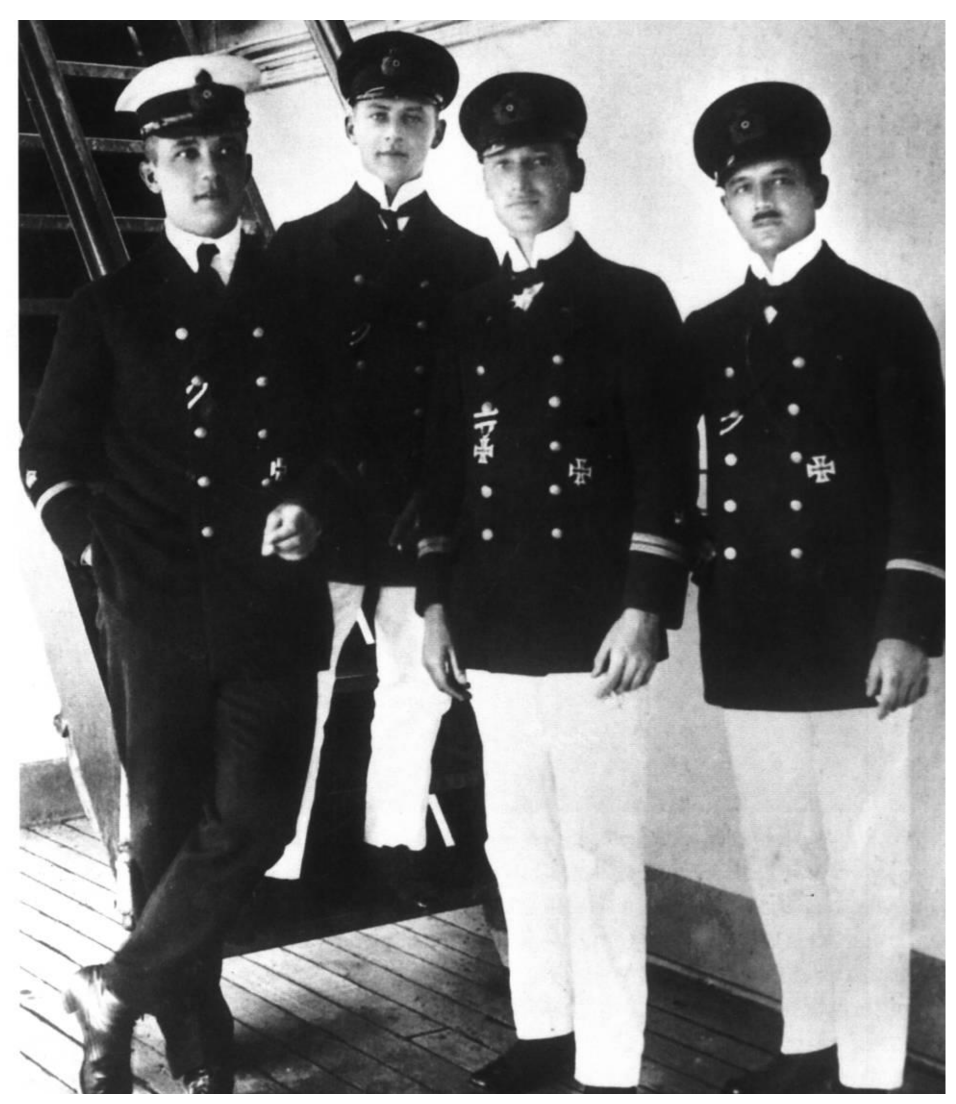


في أثناء إحدى هذه المحاولات، أصـــيب الطراد البريطاني **HMS** أمتيســـت الذي كان يرافقهم، فقتل ٢٠ رجلاً من بحارته وجرح ٢٨، ودمرت آلية توجيهه.حتى الآن لم تتوج بالنجاح أي من أعمال البحارة.

في ١١ آذار ١٩١٥ سمي الجنرال هاملتون قائداً للقوات الغازية المرسلة إلى معركة غالبولي. كان جيشه مكوناً من ٧٠ ألف رجل أي ٢٩ فرقة، من أســـتراليا ونيوزيلاندا وبعض التشـــكيلات الهندية وفرقة بحرية. من الجانب الفرنســـي، الجنرال أماد يرافقه ٢٠ ألف رجل وعدد من بطاريات المدفعية. كان غزو غالبولي إذاً بقيادة قوات بحرية وبرية.



الجنرال الألماني ليمان فون ســـاندرس , القائد الأعلى للقوات التركية في غالبولي



ضباط بحرية أتراك يحملون أوسمة ألمانية

معركة برية ــ بحرية، مغامرة في أقصى أبعادها.

تم الإعداد لمعركة مؤلفة من قوات بحرية ـــ برية لغزو غالبولي بسرعة غير مسبوقة. كان لدى هاملتون رأي ســـطحي جداً عن مســـرح العملية القادمة. المعلومات المتوفرة لديه مكوّنة من بعض الكتب والخرائط السياحية، وكتيّب عن القوات التركية. لم يعطَ سوى عدة أيام لتشكيل أركانه والبدء في تنظيم عملياته.



حطام السفينة الـ HMS تريموف التي أغرقتها الغواصة U-٢١



بعد الهجوم البريطاني الفاشل، يهب ليمان فون ساندرس إلى تقديم المؤازرة بسرعة مشهودة



إبحار كثيف بر ـ مائي إلى غالبولي، بدءاً من صباح ٢٣ آذار عام ١٩١٥



عند الإبحار إلى قطاع الشاطئ Z ، القوات الإنكليزية تبحر إلى أسوأ موقع



بعد الإيجار إلى قطاع الشاطئ Zابطات القوات البريطانية لتواصل المسير والحشد



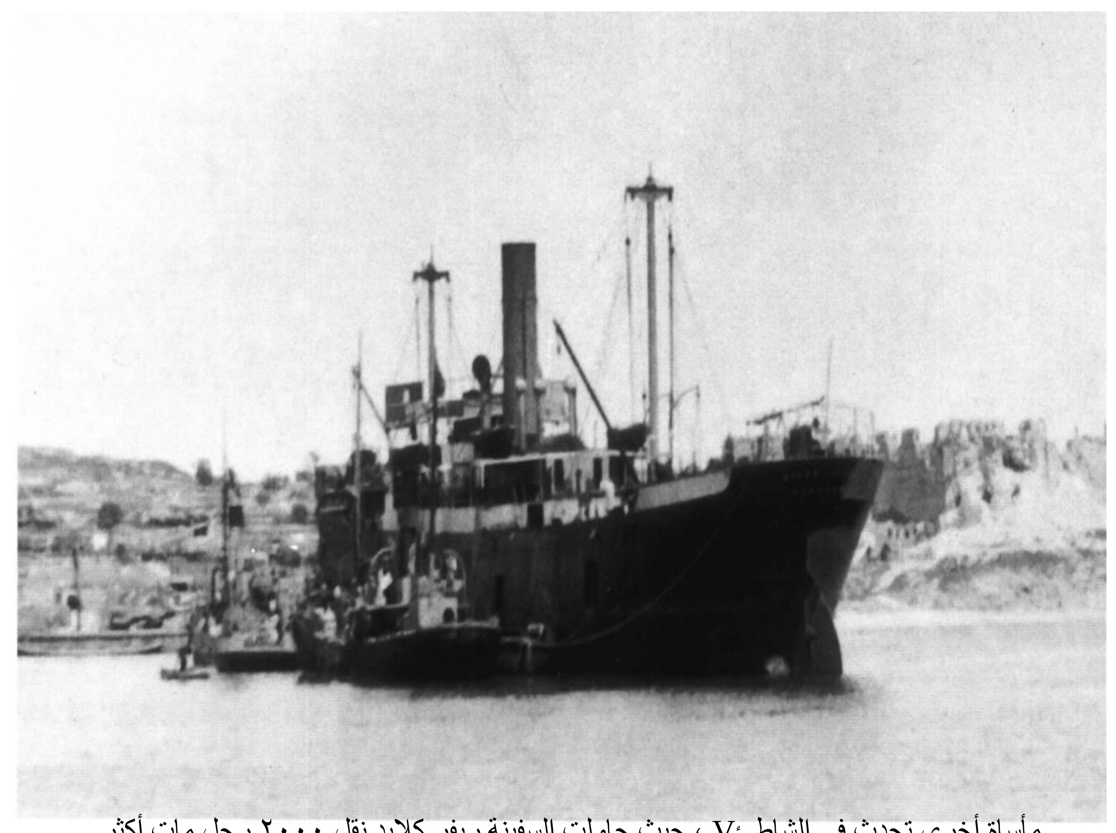
سلاح المنشاة الاسترالي يهاجم المواقع التركية في ١٧ كانون أول عام ١٩١٥



Zالجنرال البريطاني بيردوود في الجبهة يطلب الأذن بالانسحاب من الشاطئ

ولم توضـع بتصـرفه المعلومات الوفيرة في لندن الخاصـة بالمدفعية والقوات التركية حول شبه الجزيرة . كان عليه أن يؤمن مؤونته من مكان وجوده، وليس ثمة أي تعاون. من المؤكد أن أي عملية بهذا المدى لا تُعد أبداً بهذه الخفة واللامبالاة. فضـلاً، أن أحداً لم يبالِ بسـرية العمليات حتى أن الأتراك وشـركاءهم الألمان كانوا يعرفون ما يهيء البريطانيون.

في ١٨ آذار أتى الأمر بمباشرة العمليات.



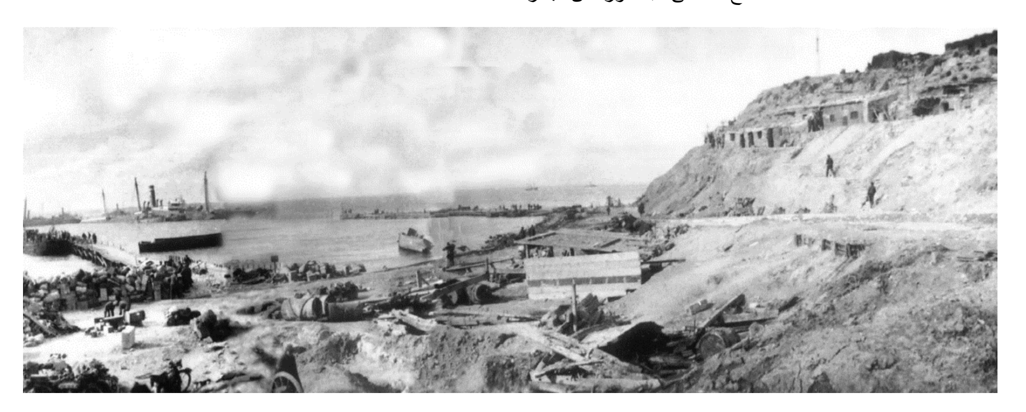
مأساة أخرى تحدث في الشاطئV ، حيث حاولت السفينة ريفر كلايد نقل ٢٠٠٠ رجل مات أكثر من نصفهم



الريفر كلايد في سيدول ــ باهر. على متنها ٢٠٠٠ رجل عند الهجوم على الشاطئ-V



قطاع الشاطئ Vصورة من البحر



قرب رأس ويللس يبحر البريطانيون إلى خمس آمكنة مختلفة



كان الأتراك كمنوا لهم وباء الهجوم بالفشل

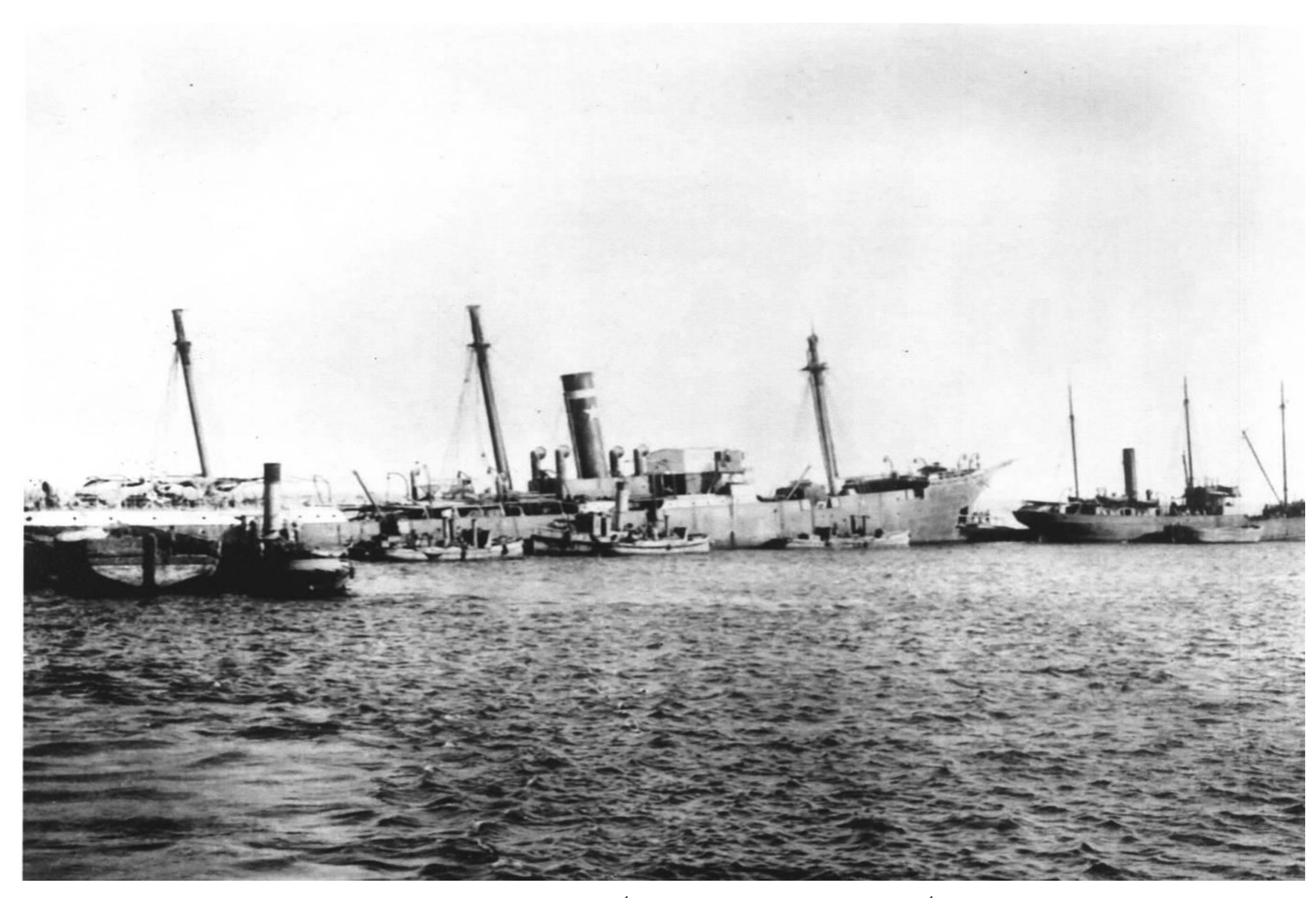


ايجار بريطاني إلى قطاع الشاطئ – **V**في نيسان ١٩١٥



القوات التركية في هجوم معاكس على قطاع الشاطئ - **V**

كان ذاك اليوم مأساوياً للبحرية البريطانية. في الصباح، رأى الملاحون الأتراك جيش لا يقهر من السفن الحربية ينهال عليهم، ثماني عشرة سفينة جبارة مقاتلة، عدد ضخم من الطرادات والمدمرات، حشد من نازعي الألغام دخلوا بأقصى سرعة إلى مضائق الدردنيل. وفدت السفن بموجتين. السفن الأضخم والأقدر في المقدمة، إلى اليمين والسفينة الحربية الـ**HMS** لورد نلسون والـ**HMS** أغاممنون وإلى اليسار الـ **HMS** الملكة إلزابيت. وبالتزامن، فتحوا النار على الاستحكامات. وبعد بعض الوقت الـ **HMS** الأمير جورج والـ **HMS** تريومف، مبحرة بالضبط خلف السفن الأولى، وفتحت هي أيضاً ناراً كثيفة. والموجة الثانية مؤلفة من السفن سوفرن، بوفيت، شارلمان، غولو، كانوبوس وكورنويلّلس، كلها تحت القيادة الفرنسية.



حيث أغرقت بعض السفن القديمةWمرفأ مؤقت في قطاع الشاطئ



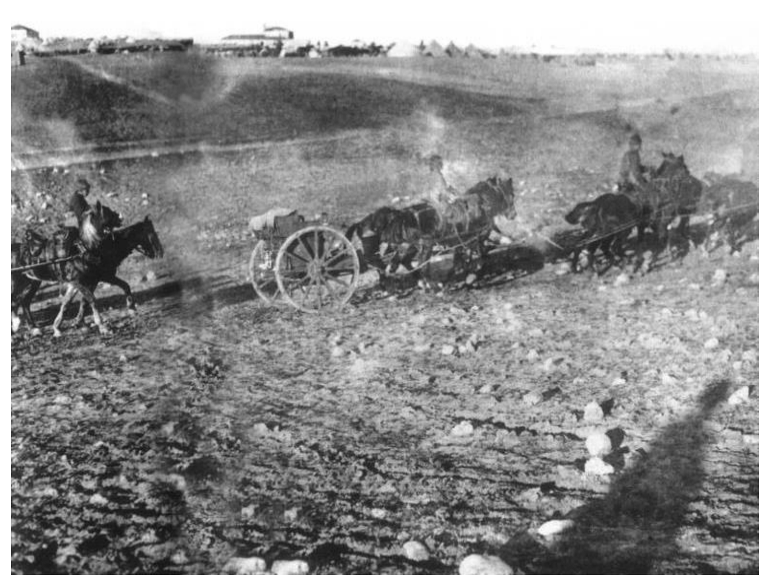
حيث تكبدت خسائر أليمة ولم تستطع Wقوة من لواء مشاة اسكس تبحر إلى القطاع الساحلي
التقدم.



. قرابة نصف الـ ١٠٠٠ رجل من المبحرين لاقوا حتفهم في الساعات الأولى.Wإبحار بريطاني إلى القطاع الساحلي



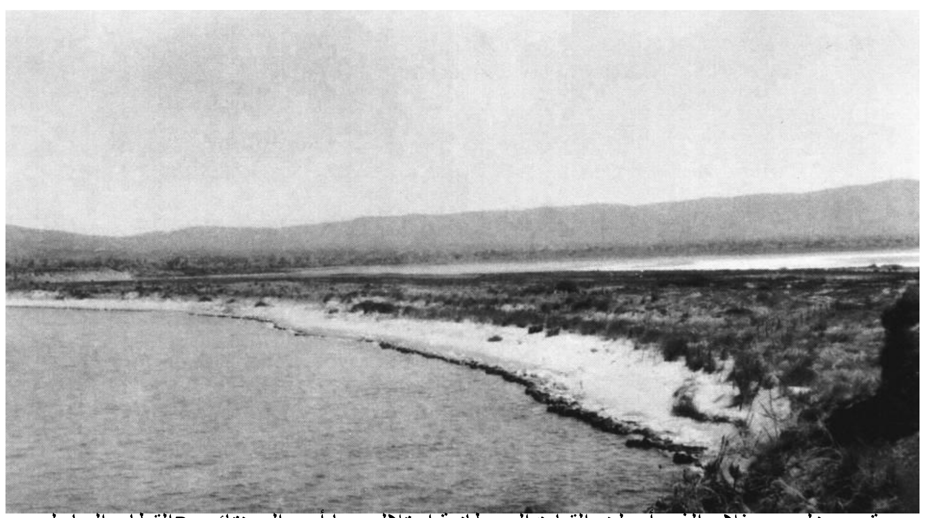
بعد الإبحار، اختبأ البريطانيون خلف سواتر ترابية بأسرع ما استطاعوا.



وجه الأتراك دعماً سريعاً. مدفعية ميدانية تركية في طريقها إلى Wالقطاع الساحلي



" أحد توجهات A"القطاع الساحلي الإبحار العديدة.



قرب خليج سوفلا والذي أهملت القيادة البريطانية احتلاله مما أدى إلى نتائج Bالقطاع الساحلي
كارثية.



مرتفعات تيك تيب ، أهملها البريطانيون، واحتلها على الفور الأتراك لتحصيناتهم التي
أقاموها على الشاطئ.

تتبعها فوراً. تجاوزوا الموجة الأولى وفتحوا النار من مسافة قريبة. استقبلت السفن بمطر من القنابل وفي الساعة ١٢,٣٠ أصيبت غولو واضطرت إلى الانسحاب، ونال ذات المصير غيرها أيضاً إنما، بالإجمال، ترك هجوم الحلفاء أملاً بالنصر لأن الصمود التركي ضعف بوضوح. كانت هذه الإشارة التي انتظرها الأميرال القائد وفي الساعة ١٤ أعطى الأمر إلى موجة الهجوم الثانية بالتراجع لتترك المكان لكاسحات الألغام. لكن الكارثة كانت تدنو.

كانت السـفينة الفرنسـية بوفيت إلى اليسـار بعد أن سـبقتها سـوفرن، وتبعت هذه إلى خليج غيرن كويّ، المنزوع الألغام، كما ظُنّ، والذي كان إلى أقصـى يمين العبور. بغتة سـمع دوي انفجار ضـخم وفي الدقيقة التالية، اختفت السـفينة وعلى ظهرها ٦٠٠ رجل في لجة الماء، أمام نظر المراقب المندهش. كان الانفجار على الأرجح نتيجة اصـطدامات متزامنة بين اللغم والقنابل في أنبار الذخيرة، لم يتمكن من النجاة سـوى لفيف صغير من الرجال.

وكاسـحات الألغام، التي كانت تهب إلى العمل، اصـطدمت بوابل من القنابل ما فرض عليها ترك القتال الواحدة تلو الأخرى، لتلجأ إلى المؤخرة. وحوالي السـاعة ١٦ دوى انفجار ثانٍ. اصـطدمت انلكزيبل بلغم، وعلى الفور أخذت دربها إلى الأعماق. وانتقل المصير ذاته بعد دقائق إلى ركاب سفينتين اضطرتا للإخلاء.

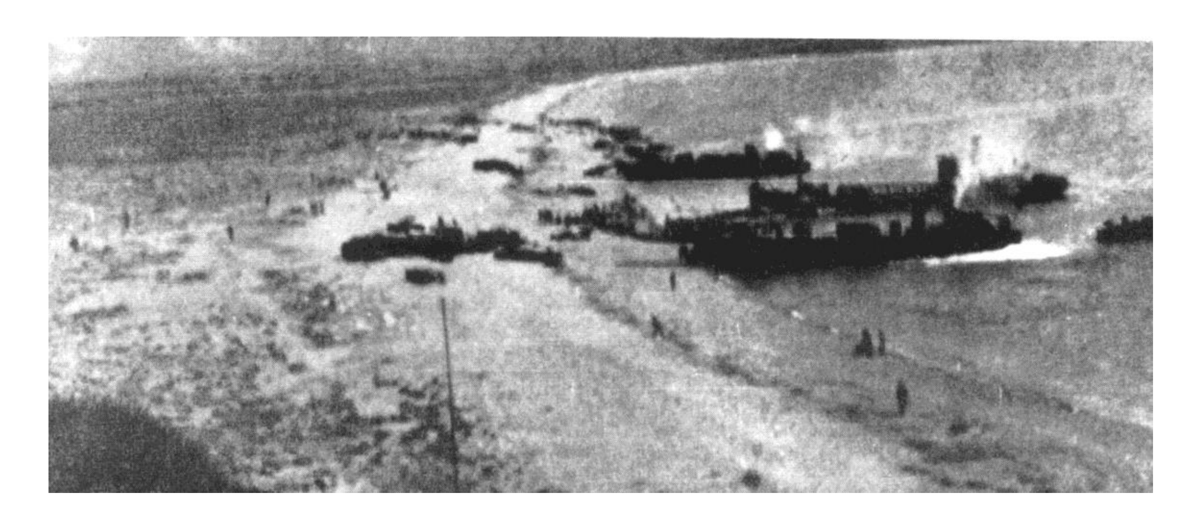


٧هجوم بحري في قطاع الشاطئ

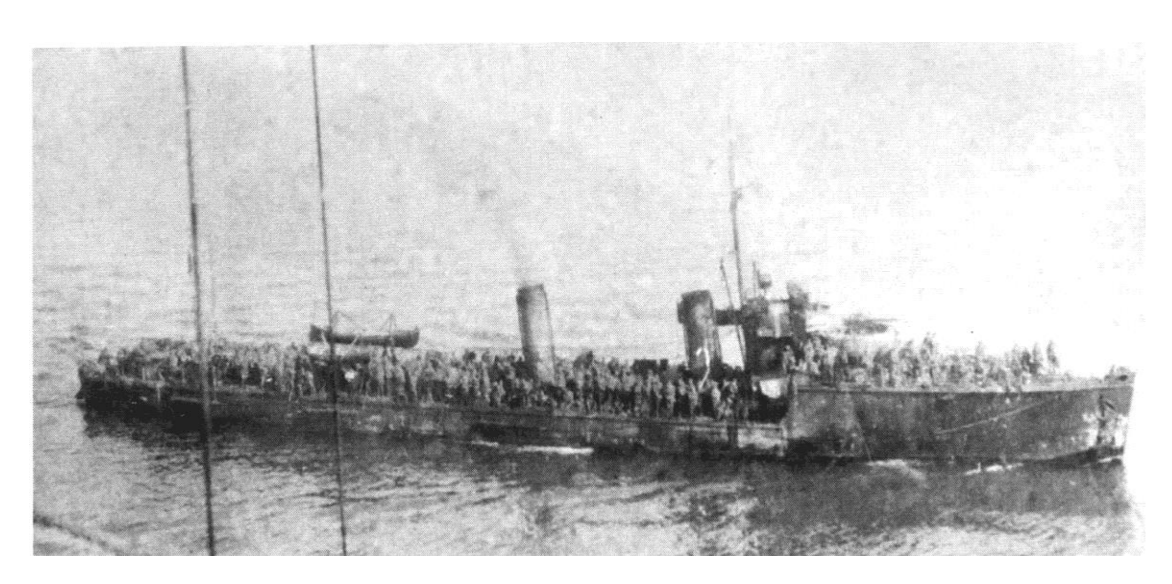


مدفعية تركي عيار ٦ بوصات. قوات اسكتلندية تبحر إلى خليج سوفلا وتقع تحت نيران رهيبة من سلاح

شاطئ منعزل من رأس هيليس، تم الإبحار إليه من خمس نقاط مختلفة.



سوفلا، في ١٧ آب ١٩١٥، توجه إليها أكثر من ١٢٠٠ أسترالي ونيوزيلاندي. قيادة
غير كفؤة وتعاون أخرق أفضيا إلى فشل المحاولة.



بارجة مصفحة بريطانية تنقل الجحافل المقاتلة إلى القطاع
الساحلي



النقطة الجنوبية من رأس هللس مع الحطام الأمامي لسفينة بريطانية

وجب وقف العملية، التراجع والتجمع. كلّفت العملية أكثر من ٧٠٠ رجل وحوالي ثلث الســـفن البريطانية غرق (ثلاث سفن حرب ضخمة، إصابة ثلاث أخرى، وعدد من كاسحات الألغام)، بينما كانت خسارة الأتراك تدمير أربعة مدافع فقط ومن المقاتلين ٤٠ قتيلاً و٧٠ جريحاً، لكن حقول الألغام بقيت سليمة وبقي الطريق إلى اسطنبول مغلقاً في وجه الحلفاء.

من الثابت أن العملية فشلت، لكن القائد روجر كيير، رئيس أركان الأميرال غاردن سقط مريضـاً في تلك البرهة، وبدون حرج نقل إلى لندن أن نتيجة الهجوم كانت "عدواً مدحوراً ونجاحاً باهراً ويكفي أن ننظف الآن حقول الألغام". لكن رئيسها المباشر وخليفة غاردن، الأميرال دي روبك، بشيء من الواقعية تكلم عن "كارثة" .

لقد بدد مؤقتاً وهم الآمرية البحرية حول التفكير بتكرار الهجوم. وفي

٢٢ آذار عقد اجتماع على متن "الملكة إليزابيت" برئاســة الجنرال هاملتون. قرر الأميرال دي روبك أن ســفنه لن تزج قبل أن تغزو القوات البرية غالبولي. لقد "نســي" أن يجعل هاملتون طرفاً. قرر تحديد تاريخ الإبحار في ١٤ نيســان وإعداد أدق التفاصـيل. والأتراك أيضــاً اســتعدوا، حيث توفر الوقت الآن لإصــلاح الأضــرار وتكوين أوضــاع جديدة. ســمي الفيلد مارشــال الألماني ليمان فون ســاندرس قائداً للجيش الخامس التركي، المعزز بــ ٥٠ ألف رجل والمكلف بالدفاع عن شبه الجزيرة. بينما صار الجنرال كولمن فريشر فون دير غولتز قائداً للجيش التركي في البحر الأســود. لقد اســتغل ليمان فون ســاندرس المهلة التي أولاه إياها البريطانيون وأتى بتعزيزات بسـرعة فائقة. من جديد، افتقد البريطانيون روح القرار. فلو هاجموا الجزيرة من دون إمهال لاســتطاعوا احتلالها من دون عوائق كأداء. والآن، توفر الوقت للأتراك لتعزيز دفاعها بشــكل عميق.

بينما كان الإعداد في الجانب البريطاني إشكالياً جداً. تم وصول العتاد المادي للقوات البرية بصورة مبلبلة. لم يتم شـيء كما يجب. وصـلت المدافع من دون ذخيرة غير متكيفة مع مقتضـى الحال، ما خلق نقصـاً بالقنابل. كانت



الجنرال البريطاني هونتروستون في أثناء الإبحار إلى رأس هيللس



خندق بريطاني في أحد مواقع الإبحار



مراكب الإبحار غير جاهزة وكانت تنقصها دواب النقل بشكل فادح. فأُجبروا على شراء الكثير من المواد حيث هم، وطرح هذا الأمر إشكالاً عريضاً. ولا نبالغ إذا قلنا وأكدنا أن الإعداد للهجوم تم بصورة فجة، وكانت المصاعب غير مرعية الجانب أبداً. ليس ثمة أي وسيلة للانسحاب، تشرشل وكتشنر، وزير الحرب تركا العملية لقدرها ولم يفعلا كل ما كان بإمكانهما فعله من أجل إتمامها بنجاح.

الإنزال البحري

وقع اختيار إبحار ٢٩ فرقة أخيراً على هلّلس **Helles** بينما أبحرت أنزاك في نفس اللحظة إلى الشـــمال، قرب غابا ـــ تيبي. وأبحرت "الفرقة البحرية الملكية" قرب بوليس، وقامت فرقة فرنسية بمناورة تضليل قرب كوم كال وخليج بازيكا وأبحر أحد الأفواج قرب خليج مورتو. وفي آخر دقيقة قُرر إبحار ٢٠٠٠ رجل في غرب كريثيا. انطلاقاً من مبدأ أن الهجوم سيجني ثماره في الساعات الـــ ٤٨ التالية وتُوقع ضعف الدفاع الذي ربما قد يختفي إذا ما أقيم رأس الجسر.



رجال من الفرقة البحرية الملكية تهجم قرب بولير



فرق فرنسية في طريقها إلى مواقعها قرب سيدّول باهر

في ٢٣ نيسـان بدأت المعركة. الأسطول، الذي نجح قرب جزيرة ليمنوس وفي مرفأ مودرا، بدأ حركته ببطء. أكثر من مائتي باخرة تقلّ ٧٠٠٠٠ رجل أبحرت ككل، اتجهت إلى الدردنيل وبلغت قدرها في ليل ٢٤و ٢٥ نيسان. في الساعة ٣ صباحاً بدأ غزو غالبولي. كانت إحدى أفدح المآسي في تاريخ البحرية البريطانية في نقطة الإنجاز.

أبحرت الفرق من عدة نقاط، إحداها رأس هلّس في الطرف الجنوبي وقليلاً إلى الشـمال، أمام ميدوس. بغية وضع العدو بين نارين. وقدر للتشكيلات إنزال ١٢ ألف رجل بـ ٤٨ سفينة، في " القطاع الساحلي **Z** " في الشمال، لكنها أبحرت في أسـوأ نقطة في أرض وعرة جداً حيث تعرضـوا لنيران تركية حامية. طلب الجنرال البريطاني بيردوود الأذن بالتقهقر، فرفض طلبه. وحاولت وحدات إنزال عبثاً صعود ساري ـــ بير العالي الذي كانت تحتله الوحدة ١٩ التركية. تتابعت المعارك في هذا الموقع حتى ٤ أيار فقد فيها حوالي ١٠٠ ألف رجل. تخندق هنا الطرفان بالتالي وتوقفت المدافع مؤقتاً.

عبر هذا الوقت، بدأت عدة إبحارات قرب رأس ويلّس في عدة أمكنة، على شـواطئ تحمل الأسـماء "الرموز القطاع الساحلي "**S**"، "**V**"، "**W**"، "**X** " و"**Y**".

تمت مأســاة فريدة في "القطاع الســاحلي-V "، حيث نقلت ســفينة شــحن "ريفر كلايد" أكثر من ٢٠٠٠ جندي كانوا مخبئين في هذه السفينة التي أُعدت خصيصـاً لهذا الإنزال والذي كان مدبراً بقواطع ضـخمة تنقل في جوفها. وضع عدد من القوارب ذات القعر المسطح بين السفينة والضفة، تمكنت التشكيلات هكذا من بلوغ الشط. على متن السفينة شعروا بأن الشط كان هادئاً لأن أحداً لم يسمع طلقة نار في أثناء العملية، إنما عندما سحبت القواطع والحواجز المتنقلة وركض الرجال إلى الضفة، وصلوا مباشرة إلى مرمى الرشاشات التركية الدقيقة ما أنتج مذبحة حقيقية بين الجنود والذين قتل أكثر من نصفهم.

وكان الإبحار إلى " القطاع الســاحلي -W " هو الآخر كارثياً. ثلاثة أرباع ١٠ آلاف رجل انطلقوا للهجوم لاقوا حتفهم. على الشواطئ الأخرى ، كانت المقاومة أقل شراسة بوضوح وبحلول ظلمة ليل ٢٦ نيسان، نجح البريطانيون بإنزال حوالي ٣٠ ألف رجل. لم تنزل بالفرنســيين خســائر كهذه لأنهم أبحروا واحتلوا اســتحكام كوم كال من دون أن يلاقوا مقاومة تذكر. وفي ٢٦ نيســان، احتل الحلفاء مدينة سـدّول ـــــ باهر وتقدموا نحو تركيتا حيث هجموا بعد يومين، لكن الأتراك دحروهم. وفي ٦ أيار شـــرعوا بمحاولة جديدة لكن هذه المحاولة كانت عبثاً أيضــاً، وفي ٨ أيار توقفت العملية رغم دعم الوحدات الهندية القادمة من مصــر. هنا أيضــاً، وجب الاختباء دونما التقدم متراً واحداً.



جنود أتراك قتلوا في معارك سدول ـ باهر



الفوج السادس من مشاة مانشستر في الهجوم





اللورد كتشنر في الخنادق في رأس هلّس

بعث البريطانيون ثانية تعزيزات إلى غالبولي، وفي ١٧ آب، قرر إجراء محاولة جديدة. هذه المرة إلى سوفلا. أمكن إقامة رأس جسر، إنما مرة أخرى استطاع الأتراك أن يدحروا المهاجمين. لأنهم بالغوا في تعزيز قواتهم في غالبولي. أربع عشر فرقة جابهت عدداً مماثلاً من الإنكليز والفرنسيين، لكن حظ الحلفاء في كسب المعركة ضعف بسرعة.

كان موقف البحرية البريطانية خلال الإبحار موضع جدل ونزاع. ذُكر أن الأميرال دي روبك أراد الحد من دور أسطوله ما دامت القوات البرية لم تحتل شبه الجزيرة، والتزمت السفن البريطانية أساساً، بنقل الجنود نحو أمكنة الإبحار وقد أُنِّبت البحرية بخاصة لأنها عجزت عن سحق الدفاعات التركية بنيران مدفعيتها.



الجنرال مونرو، وخلف الجنرال هاملتون. تجرأ ونصح
بوضع حد للأعمال العسكرية غير الموفقة في غالبولي وإخلاء شبه الجزيرة.



نهاية المغامرة، هاملتون يُستدعى مجدداً

طرح الوضع الصحي في غالبولي أيضاً إشكالاً ضخماً، وذَكّرَ أحياناً بنفس الوضع المأساوي (نقص العناية الطبية) الذي كان في حرب القرم. هذه المرة أيضاً لم يكن منتظراً وقوع آلاف الضحايا والجرحى ولم تتخذ التدابير الضرورية. كثير من الجند لاقى حتفه، نتيجة نقص العناية، ماتوا في شروط رهيبة حتى لم تتوفر الفرصة لفحص الجروح. فنقل الجنود الجرحى أيضاً كان غير كاف نهائياً. على هذا، في ٢٧ نيسان أرسل الجنرال هاملتون برقية إلى رؤسائه في لندن يعلن فيها صحة سير العمليات. وفي الوقت ذاته، طلب تعزيزات. أجيب الطلب بالإيجاب، لكن هذه القوات ضحي بها في هجمات لا جدوى منها ولاقت الواحدة تلو الأخرى الفشل والخسائر المؤلمة في صفوف الحلفاء.

في ١٤ أيار، كان واضحاً أمام لندن أنه لامهرب من اتخاذ تدبير ما. تقرر إرسال تعزيزات جديدة لاستمرار الضغط على الأتراك. كان هذا غباء مشهوداً لأن مسألة الضغط، أتت بالأحرى من طرف الأتراك.

في أثناء الأشهر التالية، استمرت العمليات. دُحرت الهجمات التركية، لكن الجبهة ظلت ثابتة لم تتقدم، وكان جلياً أن الآلام الرهيبة التي يعانيها الجنود

البسطاء تأتي من جراحهم ومن قيادة الحرب ببلاهة واللا فهم لدى قادتها.

في ١٤ تشـرين أول، وصـل ما كان يجب أن يصـل منذ زمن مديد، أي اسـتدعاء الجنرال هاملتون ليحل محله الجنرال مونرو. كانت مهمة مونرو اقتراح حلول لوضـع حد لهذا الوضـع المسـتحيل. أشـار إلى أنه بحاجة على الأقل لـ ٤٠٠ ألف رجل لكسب المعركة. لم تكن لندن قادرة على إعطائه هذه القوات، فأوصى بوقف كل عمل على الفور وإخلاء شبه ـ الجزيرة للأتراك. استقبلت التوصية حتماً في لندن باستخفاف وقرر كتشنر زيارة غالبولي ليدرس الوضـع شـخصياً. ما رآه صدمه في العمق، واقتنع بيأس الوضـع. في ١٥ تشـرين الثاني، أرسل برقية إلى رئيس الوزارة أسكيث لإبلاغه شبه استحالة احتلال غالبولي.

المعارك التي حدد لها ثمان وأربعين سـاعة دامت بالفعل ثمانية أشـهر ونصـف الشـهر وكلفت إجمالاً البريطانيين مئتين وخمسة آلاف قتيل وجريح . والجانب الفرنسي ارتفعت خسارته إلى حوالي ٤٧ ألف رجل. كانت خسـارة الأتراك هي الأكثر، حيث وصـلت إلى ٢٥١ ألف رجل قتيل وجريح ، لكنهم كانوا راضـين لدفاعهم عن بلادهم وأكرهوا على القتال في حالة انسـحاب. رغم الشـجاعة والبطولة لدى الجنود البريطانيين والفرنسـيين الذين قدموا واجبهم على أكمل وجه، بقيت معركة غالبولي صـفحة سـوداء في التاريخ العسـكري البريطاني ومثلاً كاوياً للفشل السياسي والحربي.



المغامرة الدموية تنتهي. جنود بريطانيون يغادرون خليج سوفلا



سالونيك، ١٠ تشرين الأول ١٩١٦ ـ قوات إيطالية تقدم استعراضاً في الرصيف



صورة مؤثرة جداً: كم الحرب باهظة الثمن. هل مَنْ يتعظ؟

علق بعض المؤرخين على هذا الفشل الذريع مدّعين أن غالبولي كانت مشروعاً رشيداً لأن الحلفاء، رغم الخسائر الهائلة، نجحوا مع ذلك بتدمير "زهرة الجيش التركي وحافظوا على قناة السويس، الدليل الأساس على الهزيمة النهائية للأتراك. في هذه الحال يمكن التأكيد وبنفس الطريقة أن الـــ ١٤ فرقة تركية نجحت بالصمود ثمانية أشهر ونصف الشهر قدام عدد أكبر من الفرق البريطانية البعيدة عن جبهة الغرب ومسارح عمليات أخرى، حيث قدرت أن تلعب دوراً حاسماً مع أنها خسرت ربع مليون رجل في غالبولي.

بسوقة الدردنيل العسكرية انطلقت طلائع حملة الحلفاء من سالونيك، في اليونان، إذ غزت صربيا في خريف ١٩١٥ تشكيلات نمساوية ــ هنغارية، ألمانية وبلغارية. فبقيادة الجنرال الفرنسي سراي، حاول الحلفاء تغطية انسحاب الجيش الصربي من وادي فردار. عزز هذا الأخير بعد أن جدد تجهيزه في ربيع ١٩١٦، بمائة ألف صربي لمساندة ٢٠٠ ألف فرنسي ـ بريطاني مخندقين في سالونيك، وقد انضمت إليهم تشكيلات إيطالية.



هؤلاء ضحايا المعارك في مقبرة أنزاك في غالبولي

معركة فردان

عملية "جريخت **Gericht**": استنزفت الجيش الفرنسي

بالنسبة للحلفاء، كان العام ١٩١٥ العام الأسود في الغرب وفي الشرق. دحرت القوات الروسية حتى بولونيا على يد قوات الإمبراطورية الألمانية الرئيسة، وتكبدت خسائر فادحة. وفي أيلول، أسر الألمان أكثر من ٧٥٠ ألف رجل . رحل البريطانيون والفرنسيون من غالبولي دونما نصر، بينما قهرت صربيا المقدامة واحتلت.



رئيس الأركان ووزير الحرب فالكانهين (إلى اليسار)، في أصل "معركة جريخت". فالكانهين بعد إقالته في مهامه الجديدة على الجبهة الأوكرانية.



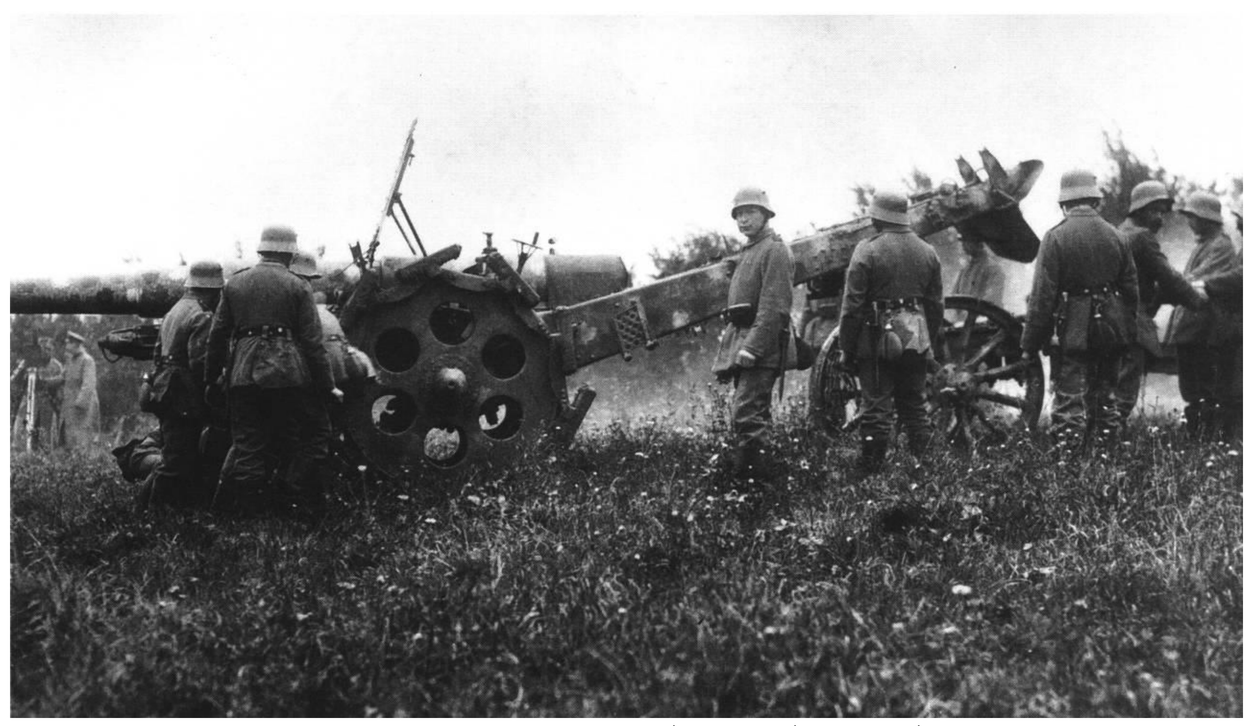
الجنرال الألماني ليتون فوربك، الذي صمد صمود الأبطال في وجه القوات البريطانية في إفريقيا الشرقية.



ولي عهد غليوم في زيارة دورية لرجاله ومقاتليه



في ٢١ شباط ١٩١٦، ١٢٠٠ قطعة سلاح مقاتلة مختلفة العيار تفتح نيرانها على المواقع الفرنسية.



أحد المدافع الألمانية الثقيلة أثناء القتال في ٢١ شباط ١٩١٦



مدفع عيار ٢٤٥ مم ، نموذج ١٩١٦

استخدم في فيردان



مدفع عيار ١٧٥ مم ، نموذج ١٩١٦



مدفع للخنادق شديد الفاعلية اثناء الهجوم على خطوط العدو

إضافة إلى ذلك لم تستطع البحرية البريطانية المتينة أن تنجح في منع الغواصات الألمانية من مهاجمة السفن التجارية. نُسفت هذه السفن الواحدة تلو الأخرى وغرقت في أعماق البحار مع حمولتها الثمينة. وفي إفريقيا، قاتل البريطانيون ضـــد جيش ألماني صـــغير بقيادة الجنرال الأســـطوري فون ليتون فوربك. التزموا مكرهين بتجميد قطعات هامة من الدفاعات والتي بالفعل كانت ضرورية جداً في مكان آخر.



جنود ألمان يغادرون خنادقهم ويبدأون الهجوم



جنود ألمان يبدأون الهجوم قرب قرية دوأومونت


جنود ألمان قبيل الهجوم

ذاق الفرنسيون أيضاً مرارة وفداحة الخسائر. في عام ١٩١٥، لاقى الشطر الأكبر من الضباط الفرنسيين الذين أرسلوا للجبهة في عام ١٩١٤ الموت أو الجروح، وكانت الخسائر الأخرى رهيبة أيضاً. ليس صدفة إذاً أن يقرر الحلفاء الاجتماع في كانون أول لمناقشة خططهم للعام ١٩١٦ وتمحيص كيف سيضعون حداً للموقف شديد الخطورة.

ومن طرفه كان رئيس الأركان الألمانية يناقش المستقبل القريب. في تقرير أرسله إلى الإمبراطور الألماني، كتب الجنرال فالكانهين يقول إن "آخر جهد هو الذي يمكن العمل عليه لترجيح كفة الميزان لصالح الألمان، ما دام الموقف الراهن نسبياً إلى جانبنا". بضغط الحصار البريطاني، كانت القوات الألمانية تفتقر جداً للمواد الأولية الضرورية، وربما صار الوضع إشكالياً إذا استمر لمدة طويلة. "فضلاً عن هذا، كتب، أنا أتوقع أن يحاول الحلفاء إنجاز خرقٍ واسعٍ في عام ١٩١٦ يضع ألمانيا في حالة دفاعية، وهذا ما يجب أن نتجنبه."

انتقل المشاة الألمان إلى الهجوم قرب قرية دوغومونت، التي يحميها ما بقي من الفوجين الأول والثالث من الجحفل ٩٥ للمشاة الفرنسية المدعومة بالمدفعية الجزائرية من لواء زواف، في أثناء هذا الهجوم قتل حوالي ٤٠٠٠ عسكري فرنسي وألماني.

اقترح فالكانهين مواجهة فرنسا أولاً، وفي حال النجاح، لن تعاند بريطانيا العظمى وتتابع المعارك منفردة. لتحقيق هذا الهدف، أوصى بانتقاء المكان الذي يجب أن تدافع عنه فرنسا بأي ثمن. إن مكاناً كهذا يجب أن يكون فردان.

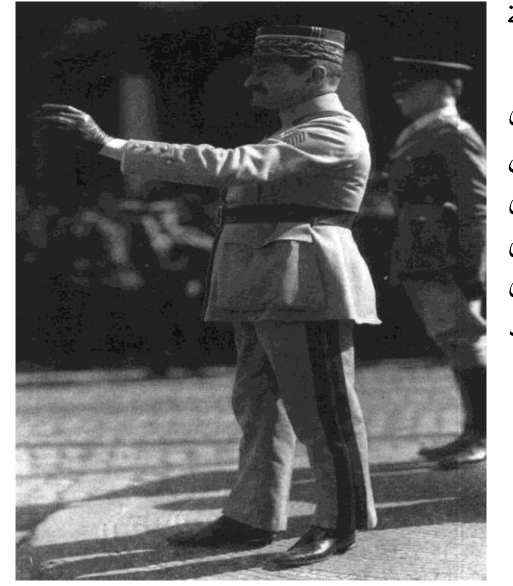


مشاة ألمان ينتقلون إلى الهجوم قرب قرية دوغومونت



الجنرال فون فالكانهين والفيلدمارشال هندنبرغ والجنرال لودندورف اللذين استلما القيادة في فردان.

...الدفاع عن هذه الأرض، هو استنزاف للقوى، وفي حال العكس، الانسحاب، سنصاب بهزيمة معنوية عميقة مجلجلة نحن وهم، فالخرق ممكن." فردان واستحكامها ستكون النقطة الأكثر تقدماً في جيب المقاومة الفرنسية، بين هضبة أرغون وسان ـ ميشيل، فلن يستطيع الألمان تقليص قواتهم طيلة معارك ١٩١٤.



الجنرال الفرنسي فانجن لقب بـ "الجزار" من قبل الجنود، بفعل موقفه الفظ والبربري.

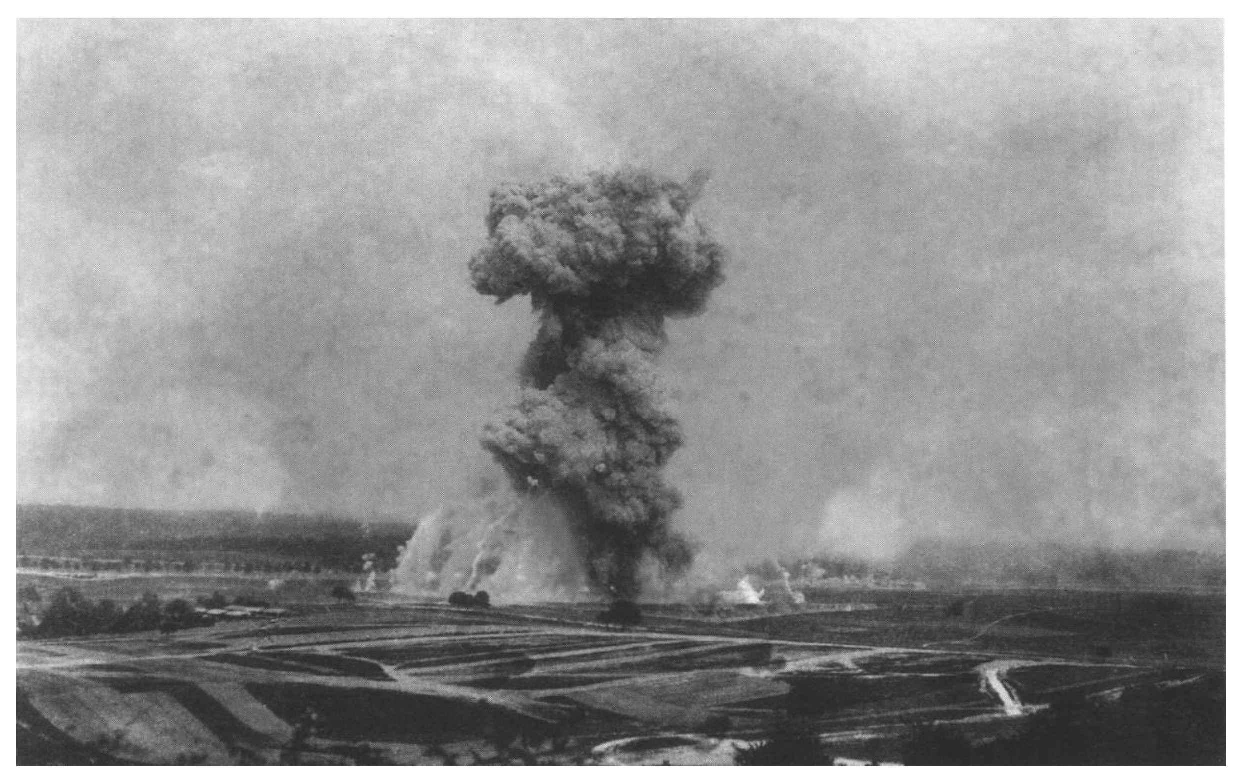
لم يشأ فالكانهين خوض معارك بالسلاح الأبيض وان تكون هناك مذبحة، بل كان يرغب في زج المدفعية بكثافة على جبهة محدودة جداً، تدمر مشاة العدو في الخنادق ويقلل الخسائر الصديقة، بل بهذا الطوفان الناري، سيحتل المشاة الألمان مواقع العدو دونما عقبات تذكر، ما يمكن من نقل النار إلى الأمام. كان فالكانهين يظن أنه قادر على إسكات المواقع الفرنسية الواحد بعد الآخر بهذه الطريقة. لأول نظرة، كان هذا الرأي يبدو معقولاً، لكن فالكانهين اجترح أخطاء مرة. أولاً أراد تركيز الهجوم على ضفة الموز اليمنى، وكان هذا شؤماً عليه.



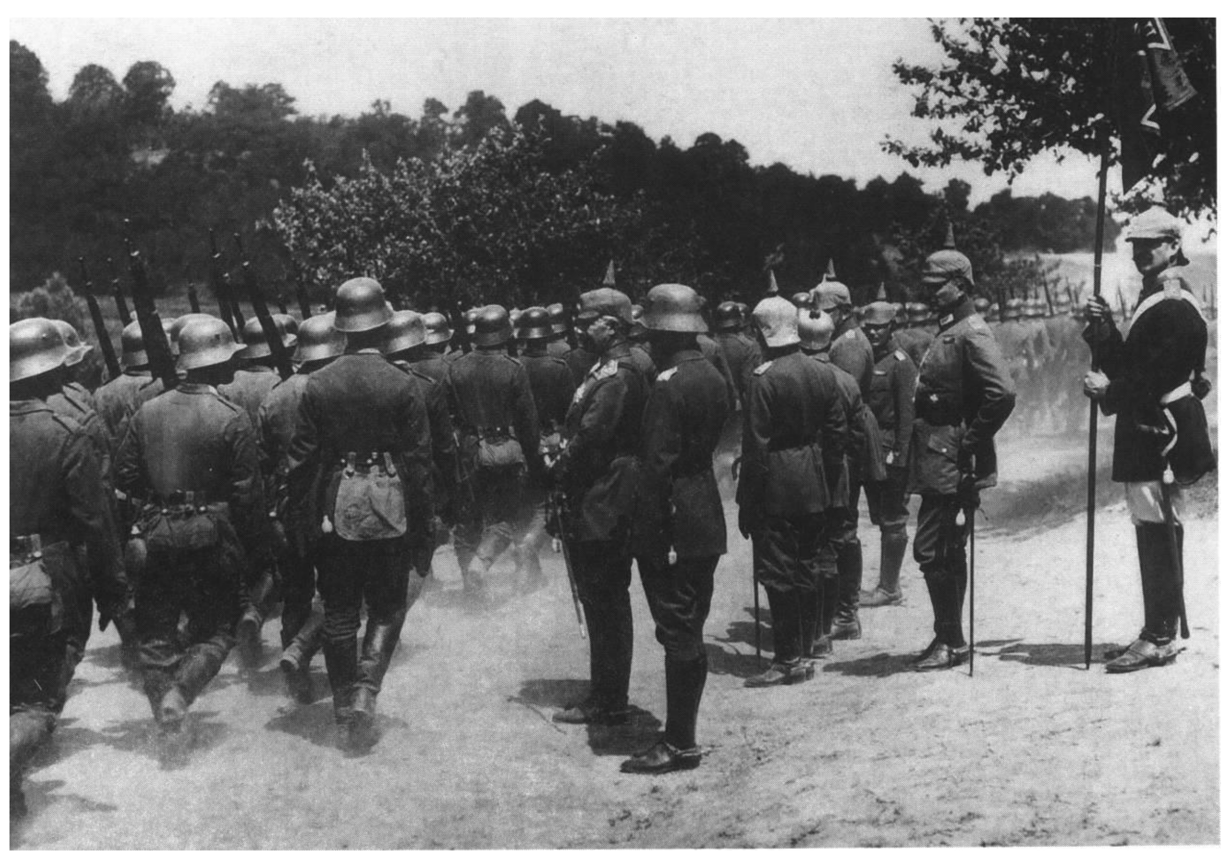
وحدة رشاشات ألمانية على ضفة نهر االموز اليسرى، في أثناء القتال لاحتلال الشط الشهير ٣٠٤.



فردان، ١٩١٦، الأثر الواقعي الثقيل.



كانت حصيلة القصف الألماني رهيبة.



الإمبراطور غليوم يزور جبهة فردان في نيسان ١٩١٧. هنا يستعرض الإمبراطور فوج حرس متميز، في طريقه إلى ساح الوغى.



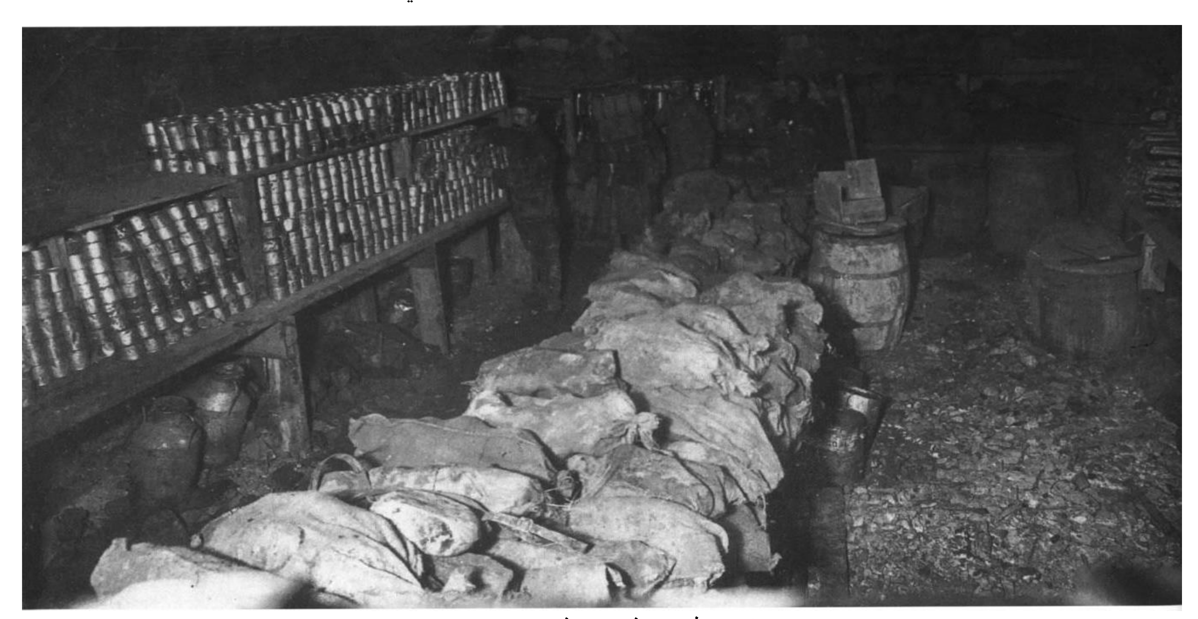
حصن دومونت، الزاوية الغربية من البهو الداخلي.



سرعان ما تحول حصن دومونت إلى أثر بعد عين



الجنود الألمان يتسلقون الحاجز المحيط بحصن دومونت في ٢٥ شباط ١٩١٦ ويجدونه طللاً.



مستودع ذخيرة فرنسي في حصن دومونت

ثانياً، لم يحفل بالشـــروط غير الملائمة غالباً من حيث الزمن وحالة الأرض في منطقة فردان.

وافق الإمبراطور على الخطة وبدأت الاستعدادات في سرية حاسـمة في الأول من ١٩١٦. كانت هذه الاسـتعدادات ضـخمة. فرضـت وضـع خطوط سـكك الحديد التي سـتنقل الرجال والعتاد الذين بلغوا ٥٠ ألف رجل. شـقت طرق جديدة، ١٠ خطوط حديد و٢٤ محطة، وكذلك عدة مرائب ومراكز ذخيرة ضخمة. فالجيش الخامس الألماني، بقيادة الأمير الوريث ورئيس أركانه، الجنرال فون كنوبلسدورف، كلف بمسؤولية الدفاع عن فردان.

كانت سـت فرق جيدة الإسـتعداد إجمالاً أي ٩٠ ألف رجل متأهبين للمعركة، على ضفتي الموز الشرقية والغربية واحتفظ ببعض القوات في الاحتيـاط. ولتـأمين ســـريـة هـذه العمليـة الضـــخمة، لم يبلغ أغلب الضـــباط الهدف النهائي لكل هذه الجهود، بـل أخليـت بعض القرى الواقعـة في محيط ســـــاح العملية.

ولما أصبحت طرق الحديد جاهزة، وضعت ١٢٥٠ قطعة مدفعية ثقيلة شـــهيرة (بَرتا)، الموضـــوعة بالتصـــرف مكنتهم من إعداد جبهة من ١٥ كم تحت مدى نيرانهم.



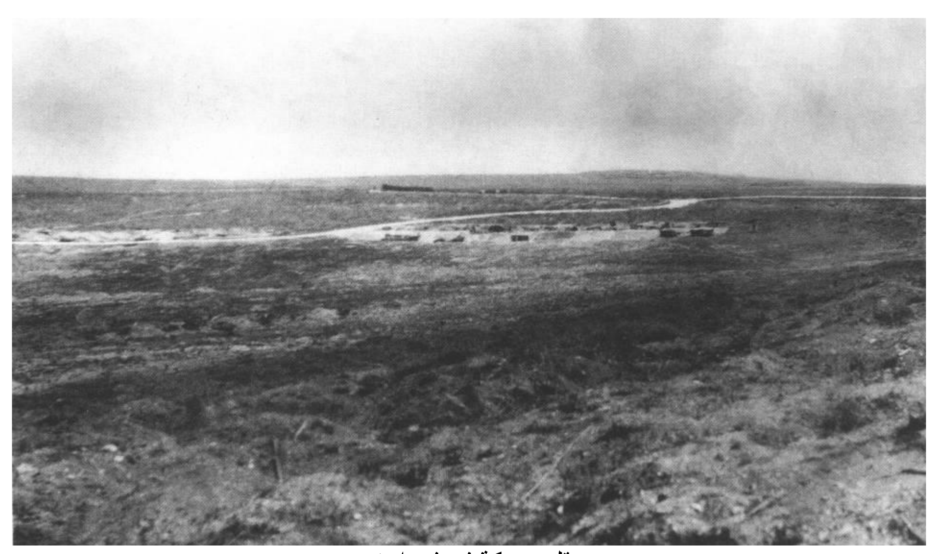
الملازم الألماني فون براندس (جالساً) بطل دومونت، يقال أنه دخل أولاً إلى الاستحكام، هو هنا مع أخويه اللذين جرحا هما أيضاً على الجبهة الغربية.

احتاج نقل برتا وتطلب تحميلها أكثر من ٢٠ ساعة عمل واستخدام رافعة خاصة. أخيراً حمل ٢١٣ قطاراً أكثر من ٢,٥ مليون قنبلة، تكفي لستة أيام.

بدأت عملية جريخت كما سمي الهجوم على فردان، في ١٢ شباط، إنما لما توضّع الجنود في ١١ منه تبدل الطقس. عصف البرَدُ،هطل الثلج والمطر بالمنطقة ودمر الخنادق واضطر الجنود أن يخلوها. وحال نقص الرؤيا دون مراقبة إصابات المدفعية. واضطروا أن يؤخروا الهجوم. استمر الطقس سيئاً سحابة الأسبوع التالي، ولم يتحسن قبل الـ ٢٠ منه.



قرية فلوري قرب دومونت، مسرح معارك رهيبة وقد بدلت محتلها سبع عشرة مرة، وقد دمرت حجراً حجر.



حقل معركة في فرواديتير



آذار ١٩١٦، قرية أورنس هي الأخرى أزيلت من الخارطة وتحولت إلى يباب.



منقذون ألمان يستخدمون نقالة للطوارئ لإخلاء جريح.



مربض رشاش فرنسي بعد الهجوم واحتلال قلعة دومونت في تشرين الثاني ١٩١٦ ، كانت الخسائر فادحة

في صباح ٢١ شباط عام ١٩١٦ في الساعة ٨,١٥، صبت المدفعية نيرانها من كل المواقع وفي وقت واحد على توضعات الجيش الفرنسي قرب فردان. طيلة تسع ساعات من الدوي دون كلل ولا ملل، عشرات آلاف القنابل من كل المقاسات سقطت على الخطوط الفرنسية، محولة الأرض إلى بقاع مضاءة استحال عليها وجود أي كائن حي. وفي الساعة ١٧، توقف القصف فجأة. في اللحظة الحاسمة بدأت عملية استنزاف الجيش الفرنسي في فردان، المسماة جريخت. تسعون ألف ألماني ينتظرون في الخنادق، مستعدين للهجوم، واثقين من نصرهم. (مذبحة فردان)، هكذا سميت المعمعة فيما بعد، تستطيع أن تصرع أولى ضحاياها.





حصن فركس حيث اشتعلت الأرض خلال أشهر.

المعارك في غابة كورس،الاكتساح الألماني يتراجع

حتى ذلك الوقت، كان الفرنسيون يعتبرون قطاع فردان نسبياً قليل الأهمية. وما كانوا يتوقعون هجوم الألمان في هذه النقطة، حتى عبر الجنرال دريانت الذي ستنصب عليه أولى موجات الهجوم الألماني، عدة مرات عن عدم كفاية أعمال الدفاع.

ولما أصغوا إليه أخيراً كان الوقت قد فات بعيداً وشب الهجوم.

في أثناء الرمي، حسب تقديرات الجنرال بيتان ، تلقت غابة كورس حوالي ٨٠ ألف قنبلة، أي بقعة عرضها ٨٠٠ م بطول في العمق ٣ كم، في لحظة ما، بدت الأشجار وقد استؤصلت بأيدٍ عملاقة وغير مرئية، ورشقت إلى الجو المحيط، ثم إلى الأرض محطمة ولاهبة. مُزقت الأرض وبُعجت بينما كانت قطع الفولاذ تدوّم زافرة وعاوية، مدمرة كل ما تصادف في دربها. لقد بدأ الهجوم على فردان.

بعد أكثر من ٩ ســـاعات، بدا القطاع مدمراً كلياً وليس ثمة أية حياة. بينما عاد الثلج إلى الهطول، أخلى المشـــاة الألمان الخنادق ودخلوا بحذر إلى أرض العدو. في الواقع، لم تنتظر القيادة العثور على أي مقاومة، لكن بعض دوريات الاستطلاع، بمفاجأة مدهشة، صادفت مقاومة مقدامة. وفي المساء، اضطرت إلى التراجع إلى مراكز انطلاقها. أعطت القيادة الأمر بالعودة إلى القصف لتنظيف ـ كما يقال ـ آخر نقاط المقاومة.

حوالي الظهر، سكتت المدافع والمشاة دخلوا كتلة متراصة غابة كورس المحمية فقط من فوجي قناصة ، إنما في ٢٣ شباط تراجع المدافعون تحت ضغط التفوق العددي.



جنود ألمان يتجمعون في الخنادق قبيل أول هجوم على قلعة فوكس


جنود مشاة ألمان يفترشون حفرة قنبلة.


والآن إلى الهجوم.



فقيد الوطن. واحد من ٥٠٠٠ قتيل أمام حصن فوكس.



كان ساح القتال مزروعاً بالقتلى وأعضائهم المستأصلة، وفي الأغلب،

كان النتن والروائح، تجعل الجو غير قابل للحياة.



جنود فرنسيون يستخدمون راشق- رمانات ضد خندق في مورت – هوم.



رشاش فرنسي في حصن فوكس يصلي المهاجمين بنيرانه



وحدة رشاش قرب بيكيل، في ٢٠ تشرين أول ١٩١٦.



هجوم ألماني بقاذفات – اللهب على حصن فوكس



جندي ألماني في أثناء الهجوم على حصن فوكس. في جنباته جثة جندي مشاة فرنسي.

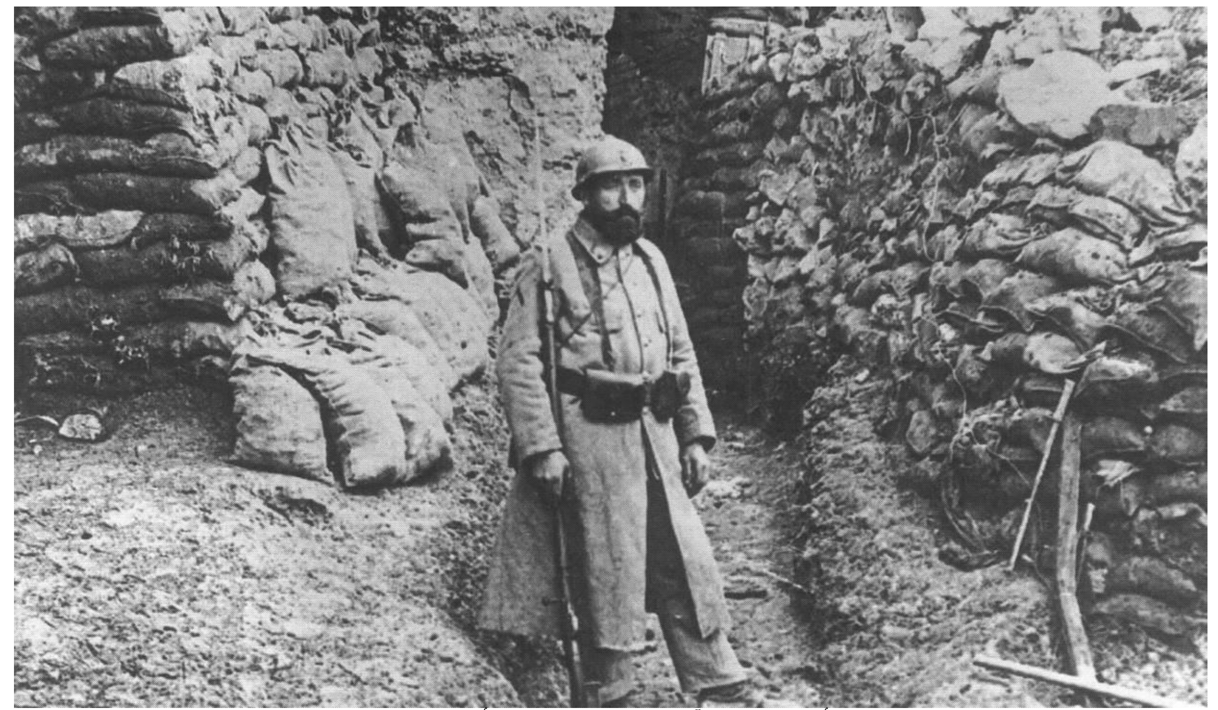


في ٧ حزيران ١٩١٦ ، بعد سقوط قلعة فوكس

وسقطت الغاية في يد الألمان حسب التصريحات الفرنسية , ٥ ضباط فقط و ٦٠ جندي من الفوج

للجنرال دريانت و٣ ضباط و٤٥ رجل من الفوج ٥٩ بقوا أحياء.

وتحمل الألمان أيضاً خسائر لا تحتمل، غير منتظرة بالفعل، واحتجزوا ٨٠ ساعة، كافية لتمكين الفرنسيين تسيير الاحتياطات التي ستسمح بمتابعة المعركة.



خمسة أشهر وخمسة آلاف قتيل ، واضطر الألمان لمغادرة قلعة فوكس



" الدرب المقدس "، الطريق الوحيد المؤدي إلى فردان



مدفعية ميدان فرنسية في طريقها إلى المعركة.



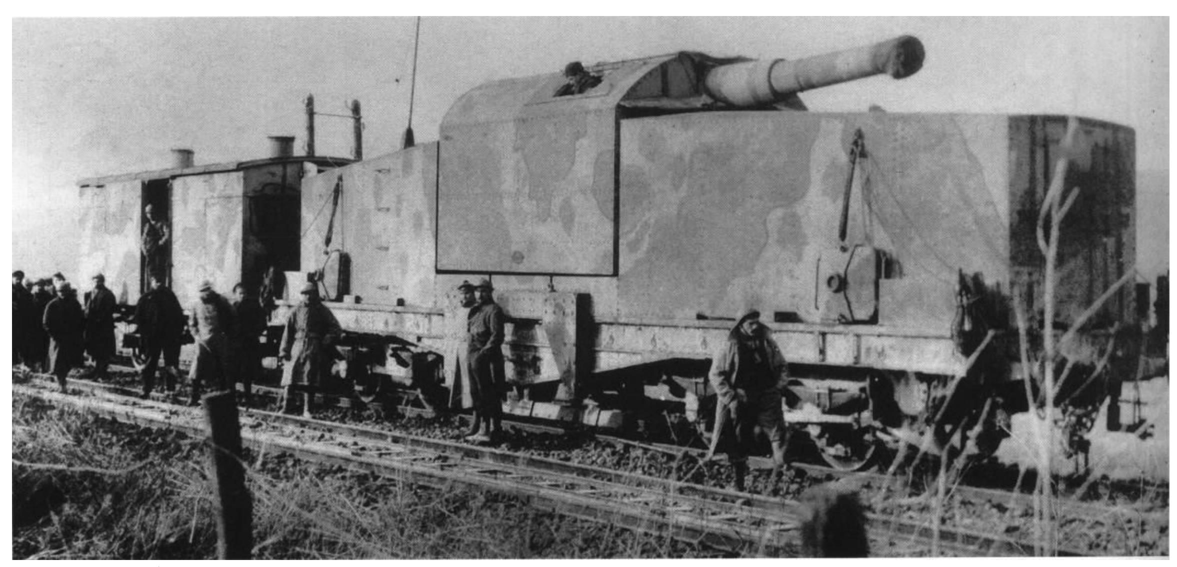
بعد المعارك في غابات كورس، الفرنسيون يوجهون احتياطاً على جناح السرعة. نرى هذه القافلة في طريقها إلى مورت – هوم.



مدفع هاون فرنسي عيار ٢٢٠مم بعد الإطلاق فوراً



مدفع فرنسي عيار ٣٢٠مم على سكة القطار بعد فردان.



مدفع ثقيل فرنسي مشحون في القطار



مدفعية ميدان فرنسية في وضعية القتال



الشاطئ ٣٠٤ بعد المعمعة. آلاف الجنود الفرنسيين والألمان سقطوا لاحتلال هذا التل قليل الارتفاع في مورت – هوم، في شمال غرب فردان.

سقوط تحصين دومونت، منافسة ناجحة للظروف.

بعد غزو غابة كورس، اضطر الألمان لانتظار مساء ٢٤ منه لكي يتابعوا تقدمهم. تركوا ضرراً جسيماً في نظام دفاع الفرنسيين بين بيزنغو والشاطئ ٣٧٨ وتموضعوا قرب قرية دومونت، مهددين هكذا، التحصين الشهير دومونت، المعروف باستحالة احتلاله. دب الذعر في قوات فرنسيي منطقة فردان، معتبرين أن دفاعات الفرنسيين على الضفة اليمنى للموز لم تعد قادرة على الصمود وأرادوا التقهقر. القائد الأعلى، الجنرال جوفر، قام بإقالة هيرر من صلاحياته ليحل محله الجنرال بيتان الذي تلقى مهمة الدفاع عن قطع فردان حتى آخر رجل.



"نفق بسمارك" قرب مورت ـــ هوم من فئات الأنفاق التي حفرت واستخدمت ملاجئ مستودعات وسكن للقوات المقاتلة.



راشقات – نارية ألمانيا في العمل

خلال هذا الوقت استعد الألمان لمهاجمة حصن دومونت، من دون معرفة أن القيادة الفرنسية أمرت منذ عام ١٩١٥، بجعله غير مسلح. أعطي هذا الأمر لأن احتلال مدينة ليج من قبل الألمان أثبت عدم أهمية الحصون . لم تصمد الدفاعات أمام قذائف كروب ٤٢٠مم. يفضل إذاً سحب مدفعية الحصون لاستخدامها في مكان آخر. نفذ هذا الوضع على دومونت إذاً، وفي ٢٥ شباط، بينما كانت الحامية تخلي الحصن، كانت فصيلة ماهرة ومقدامة بمدفعيتها، بقيادة صف ـــ ضابط، تنجز الاستعدادات الضرورية. في داخل الحصن لم يرتب أحد بالهجوم الذي أعد ومدفعية الـــ ١٥٥مم، من خلف ـــ ستار ما تزال تعمل، محققة إطلاق نار على عقدة واقعة قليلاً إلى الشمال.

في ٢٥ شباط حوالي الساعة ١٦، تلقى جحفل مشاة براندبرغ مهمة الانتقال إلى الهجوم في صباح الغد. صمد الحصن للهجوم متوقعاً معركة شرسة وكأداء. خلال هذا الوقت، كان لفيف من الضباط انطلقوا للاستطلاع. وصلوا الحصن من دون أن يراهم أحد وبمفاجأة غريبة، لم يجدوا أي مقاومة



خنادق فرنسية تحت النار. قذائف المدفعية تدمر الخنادق المتقدمة وتقتل من فيها



فردان، غابات باروش. جنود فرنسيون في مخفر يأمر بإطلاق القذائف بالهاتف



خيال ألماني بعد فردان. الخيول أيضاً مكممة ضد الغاز .



مدفعية ميدان ألمانية قرب قرية دومونت

انقضوا على الـ ٦٠ فرنسياً وهم في غمرة العمل وأسروهم. وقع حصن دومونت الحصن الأمتن والأرهب في العالم، وقع في أيدي الألمان دونما طلقة نار. نشرت الصحافة الألمانية المهللة "أن القوات الألمانية احتلت حصن دومونت الحصين، حجر الزاوية في نهج الدفاع الفرنسي في فردان، على أثر هجوم ومعارك صاعقة". في كل ألمانيا، قرعت الأجراس وأطلق الشعب عنان الفرح.

كان احتلال الحصن ضربة رهيبة للفرنسيين. هجمات معاكسة قوية فشلت وظل الحصن في يد الألمان.

احتلال قرية دومونت

بعد احتلال حصن دومونت الموفق، تحقق الألمان أن هذا لم يكسبهم شيئاً ذا أهمية لأن الحصن كان محاطاً بالقوات الفرنسية. لكي يتقدموا فعلاً، يجب أولاً احتلال قرية بذات الاسم، لا يتجاوز عدد سكانها ٢٨٠ ساكناً كانت بيد الفرنسيين المشاة. حمى القرية من بقي حياً من اللوائين الأول والثالث. تلقى الفرنسيون أمر الدفاع عن القرية حتى آخر رجل. كان الطقس مقيتاً، الخنادق متخمة بالثلج الذائب الجليدي والماء والغذاء غير كافيين.



واحد من ملايين الجنود القتلى في الجبهة الغربية.



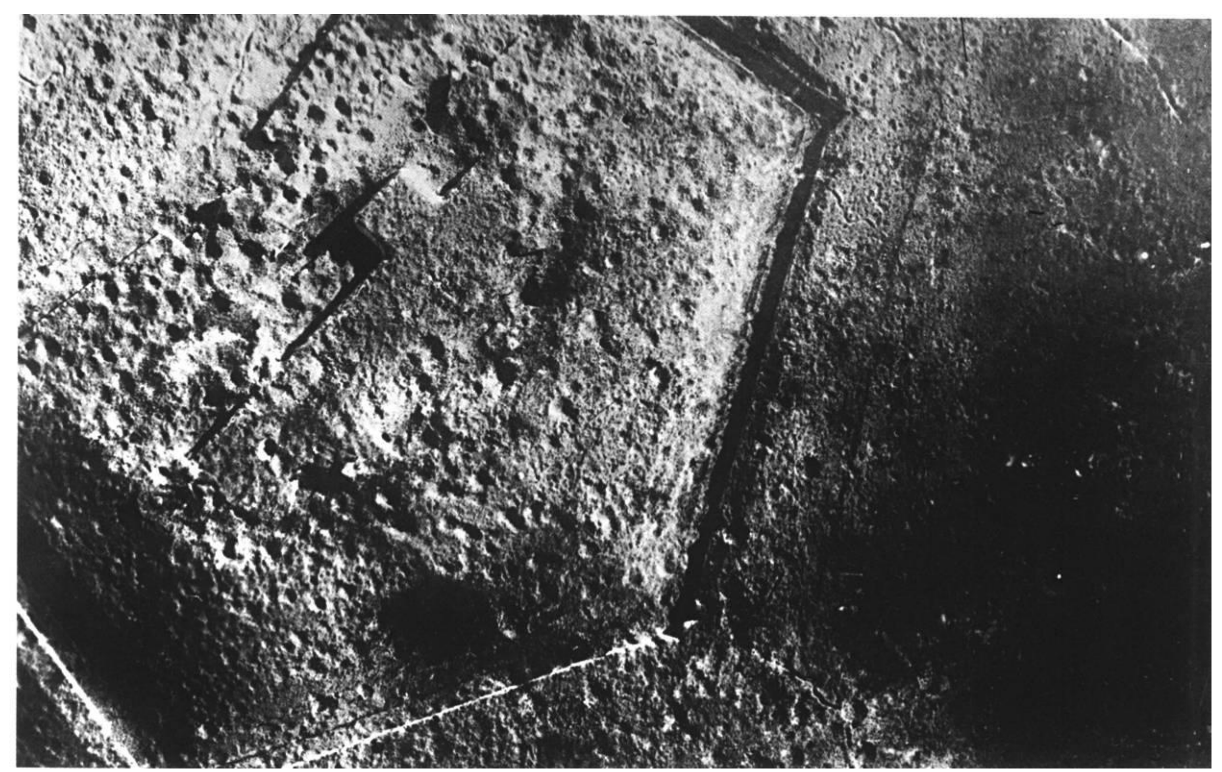
مستخدمو قاذفات اللهب الألمان يقتحمون الخنادق الفرنسية ويشقون معبراً عبر آخر بؤر المقاومة.



جثة جندي فرنسي في فرواتير



لفيف من الجنود الفرنسيين في حالة الجراح الخطيرة ينتظرون الإنقاذ منذ أيام لاقوا الموت البغيض. ضحايا قصف مدفعي.



منظر جوي لحصن دومونت بعد القصف الألماني في العام ١٩١٦.



الفرنسيون يزجون شيئاً فشيئاً جنوداً من المستعمرات. هنا جمهرة سنغالية تصل إلى فردان للاشتراك في المعركة، ٢٢ حزيران ١٩١٦.



جنود مغاربة أثناء الراحة في سان – غودران، ١٦ تموز ١٩١٦.



خلف الجبهة، يقيم الجنود ملاجئهم بشكل تدعيمي وأمين ما امكن.

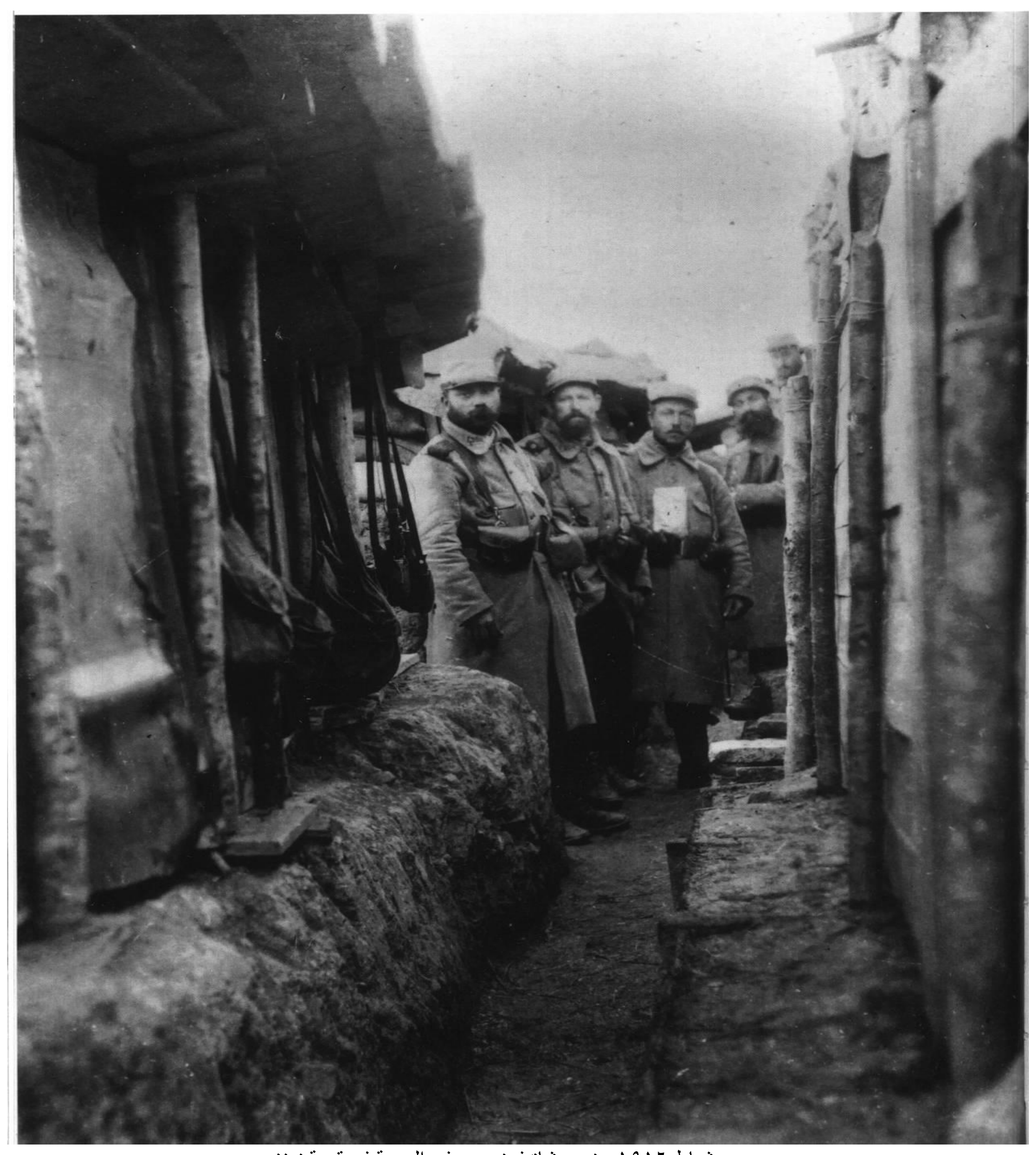


واحدة من عمارات فردان دمرها القصف نهائياً



جنود مشاة فرنسيون قرب القذائف الألمانية ، قرب قلعة سوفي

سحابة ليل ٢٥-٢٦، قصفت المدفعية الألمانية القرية، واستمر هذا القصف إلى صباح الغد. لما شرع الألمان بالهجوم، اصطدموا بالمدفعية الفرنسية وتكبدوا خسائر مؤلمة جداً. توالى الهجوم، قاوم الفرنسيون بإقدام وباللجوء إلى المكيدة فقط نجح الألمان في احتلال القرية في ٣ آذار. قصفوا القرية طيلة ساعات ثم بغتة توقفوا. خلال تتالي الهجوم خرج الفرنسيون من ملاجئهم وولجوا خنادقهم.



شباط ١٩١٦ جنود مشاة فرنسيون في الجبهة في قرية نيغز.



حدث كثيراً أن القنابل لم تنفجر وبقيت ملتصقة بالوحل. هنا قنبلة من عيار ٢٢٠مم ألمانية قرب فردان.

في ذات اللحظة، فتح الألمان النار ثانية كانت موجهة الآن إلى الخنادق، وقتلوا العديد من الفرنسيين في الخط الأول. بعد ساعة، سكت الإطلاق من جديد وظهر الفرنسيون مجدداً. اتبع التكتيك عينهُ، وطال حياة غير قليل من الجنود الفرنسيين. وانقطع الرمي ثالثة. هذه المرة، ظل الفرنسيون بحكمة في ملاجئهم، لكن الألمان انتقلوا إلى الهجوم، باغتوا الفرنسيين، واحتلوا القرية.

كان الطريق منذ البدء سالكاً نحو حصن فوكس. تعتبر معارك قرية دومونت واحدة من أشرس معارك فردان. ما يقارب ٤٠٠٠ فرنسي ويساويهم من الألمان سقطوا من أجل قرية بسيطة. ما خوّل تأخير التقدم الألماني ثمانية أيام، وافسحت المجال لبيتان أن يعيد تنظيم وتعزيز الجبهة. حمل المدافعون مساهمة واسعة المدى في الفشل النهائي للخطة الألمانية واستنزاف الجيش الألماني في فردان، وثالثاً إيقاف المعركة. لكن معمعة فردان لم تكن سوى البداية.



طبيب عسكري فرنسي وجنود مسعفون قرب عيادات إسعاف أولي محمية بأكياس الرمل، قرب حصن سوفيل.
كان هذا الحصن أهم نقاط التقدم الألماني.



ممرضون فرنسيون في حالة تقديم الإسعاف للجرحى في مركز صحي في بروكسل.



كانت المعارك حول مورت ـ هوم قاصمة ودموية. هنا، جرحى يخلون بسيارة إسعاف.

معركة لاحتلال حصن فوكس

وحصـن فوكس وجب نزع سـلاحه، لكن العمل في هذا لم يبدأ. في أول آذار، قصـف الحصـن بالمدفعية الألمانية وتضـررت ثلاث نقاط مراقبة بشـدة. وأصـابت ضـربة مجاري تصـريف المياه في الوسـط فدمرتها وتحطم نفق بروز مدفع ٧٥مم فصـار غير سـالك. وفي ٨ آذار، نجحت وحدة مشـاة ألمانية بالاقتراب جداً من الحصن. لما وصلت الرسالة إلى المؤخرة، فُهمت بشكل سيء وفي الغد، أعلنت إدارة أخبار الجيش الألماني أن حصـن فوكس سقط هو الآخر بأيدي الألمان. تأهب الجنرال غورتسكي الذي قاد العملية، لتلقي ثناءً رفيعاً لهذا العمل البطولي. لكن سوء الفهم صُحح على الفور. كان حصن فوكس ما يزال تحت سيطرة الفرنسيين.

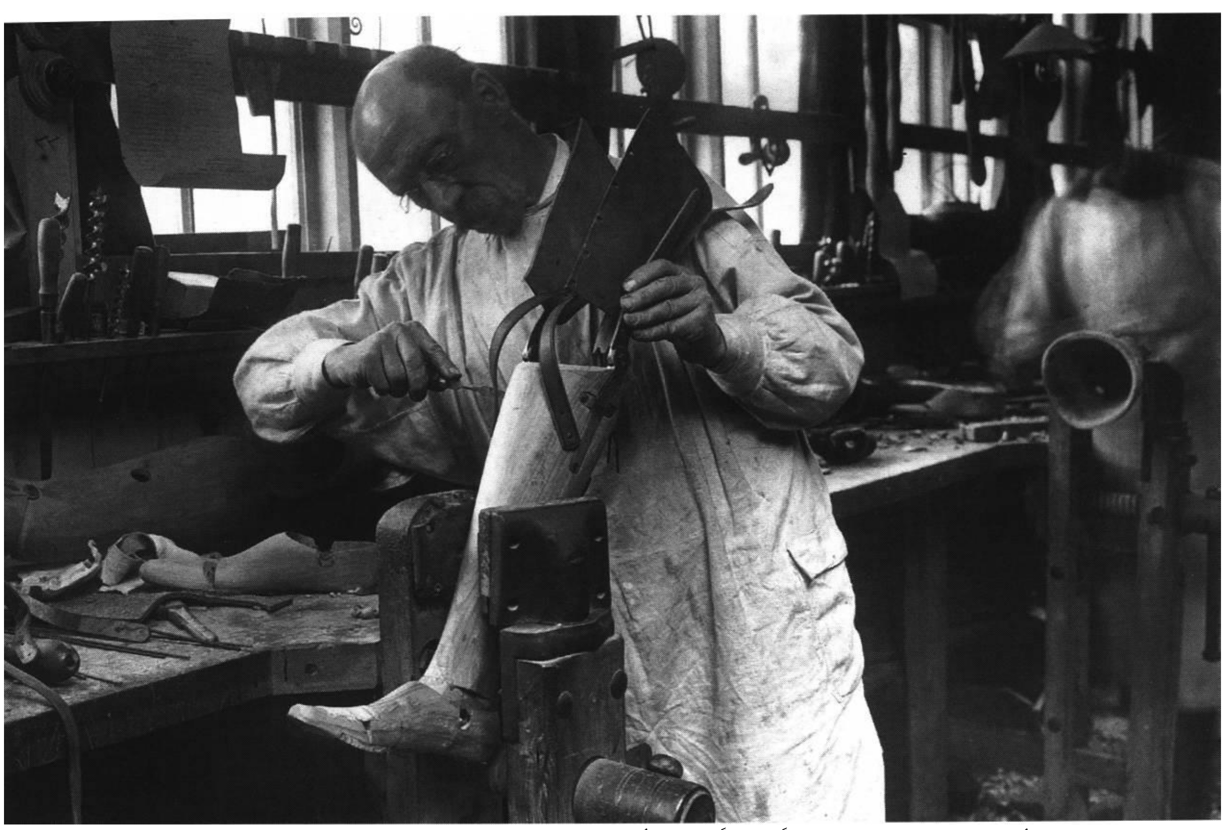
في ٢٤ أيار، استقبل الحصن قيادة جديدة. الرائد رينال، في الــ ٤٩ من عمره ومشوّه حرب. وعدو رهيب للألمان والذين بدورهم ضاعفوا قصفهم. كانت مدفعيتهم تقصف الحصن ليل نهار، ورينال أبلغ أنه أحصى في يوم "هادئ" أكثر من ٨ آلاف دوي انفجار.



، ملحقة بالفرقة الفرنسية ٣١، تتهيأ للبحث عن الجرحى في SSA-١٠وحدة طبية طوعية بريطانية منطقة فردان.



مسعفون متطوعون بريطانيون ينتظرون موجة أخرى من الجرحى قرب تانوا



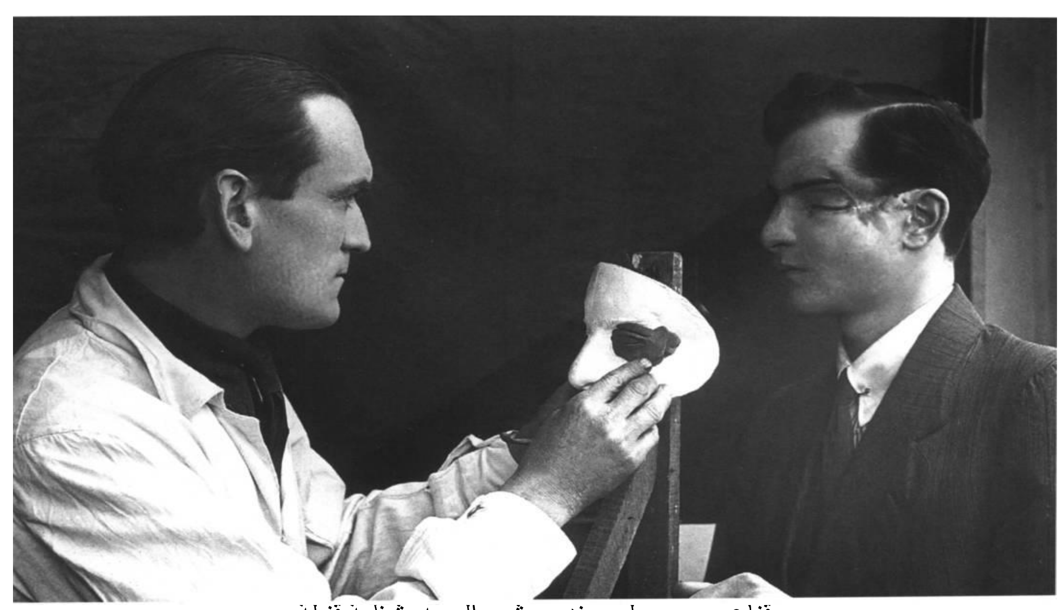
مئات ألوف الجرحى يقدمون طلباً عاجلاً لوضع أعضاء اصطناعية بديلة. صناعة طبية جديدة تزاول آنياً هنا، ورشة صناعة أطراف بديلة للساق.



تلقى وجهاً جديداً، ليس بعمل جراحي من اللدائن، وإنما بواسطة قناع صنع بمهارة.

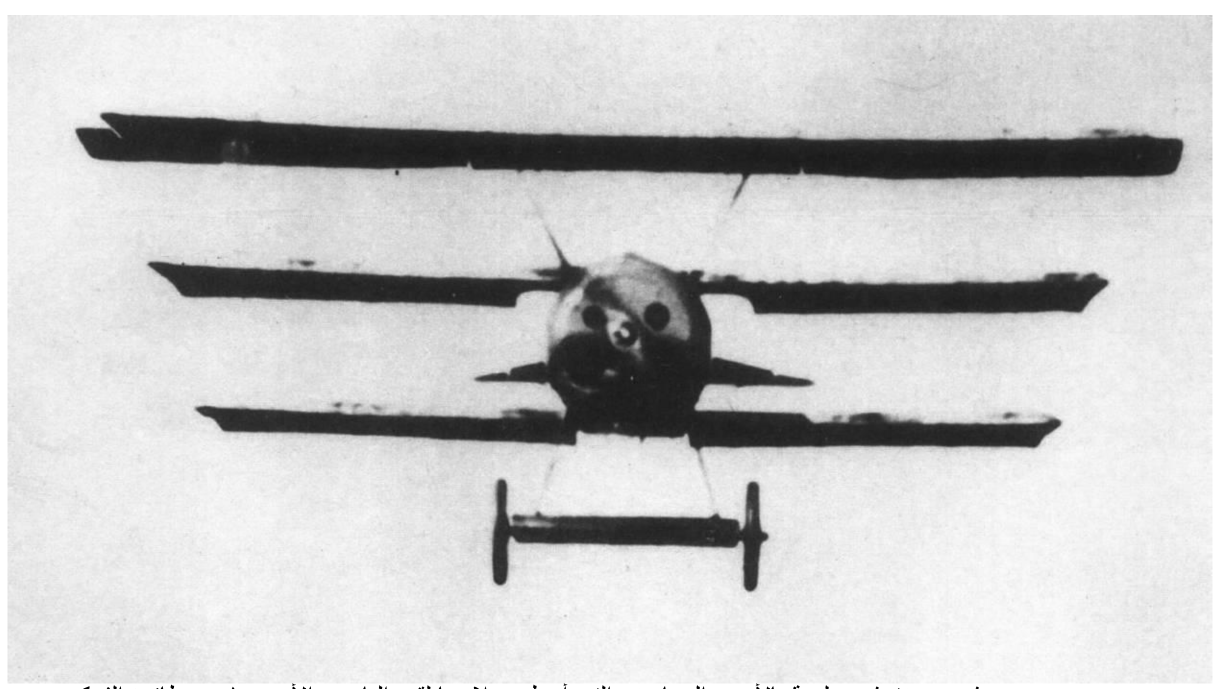


جندي أصيب في الجبهة وشوّه


قناع يجرب على جندي مشوه الوجه بشظية قنبلة

إلى داخل الحصـــن، المحمي ليس بأكثر من حامية عادية من ٢٨٠ رجلاً، التجأ عدد كبير من الجنود وافدين من مناحي قريبة وقد بلغ العدد حوالي ٦٠٠ رجل. لهذا الســـبب يجب التمســـك بقدرٍ كاف من الماء والغذاء. في ١ حزيران، هاجم الألمان مجدداً بعد القصـف الذي شـكل مذبحة بين القوات الفرنسـية من جهتي الحصـن. وقد اسـتطاعوا أن يحتلوا سـد فوكس الشـهير وكانوا على مدى نيران رشـاشـات رينال. كان الرمي الفرنسـي شـرسـاً جعل الخنادق التي تواجد فيها الألمان غاصـة بالقتلى والجرحى، فارضـاً على المهاجمين نقل جثث رفاقهم إلى أرض مكشـــوفة. كانت رؤية مسرح المعركة رهيبة. كان الجنود القتلى يحاذون أشلاء الضحايا. وكانت رائحة النتن لا تطاق.


الطيار الألماني فون ريختوفن من (١٨٩٢-١٩١٨) ذاق طعم النصر مع الفوج المطارد الذي يحمل اسمه. أسقط شخصياً أكثر من ٨٠ طائرة للعدو وسقط هو نفسه أخيراً في ٢١ نيسان ١٩١٨.



فون ريختوفن، ملونة بالأحمر الصارخ والتي أعطت ملاحها لقب البارون الأحمر.DR-١طائرة الفوكر



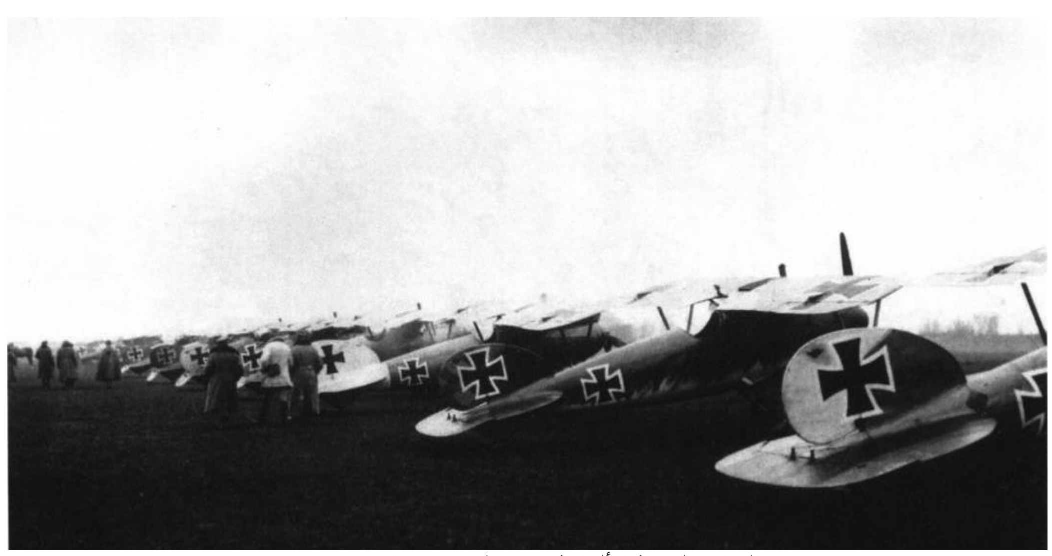
فوج فون ريختوفن. طائرته هي الثانية من اليمين.



فون ريختوفن أثناء وجوده في المشفى بعد إصابته بجرح بليغة بالرأس خلال معركة جوية في ٦ حزيران ١٩١٧

كان أنين وصياح الجرحى الذين ينتظرون العلاج منذ أيام، يفطر القلوب شكلاً ومعنى وقد توفي الكثر نتيجة فقدان العناية. بالمقابل عاش آخرون أسبوعاً، لما بدأ الفرنسيون هجوماً معاكساً وقصفوا المناطق بقنابل فوسفورية. على ألق اللهب أطلق الجرحى الروح.

كان الحصـــن الآن في كماشـــة، وفي ليل ٢ حزيران، شـــرع ١٢ فوجاً من المشـــاة ووحدات رائدة مرة أخرى بهجوم على الحصـــن الذي كان هو نفســـه دماراً لوقوعه في مدى نار المدفعية المستمرة. ولتجنب نار المقاومة الفرنسية، نجح المهاجمون بالصـــعود إلى الطبقات العليا والتغلغل في أحد أنفاق الدخول. تجنباً للجلبة نزعوا أحذيتهم ذات المسامير، لكن الفرنسيين ملأوا الرواق المظلم بعلب المواد المحفوظة الأمر الذي بلبل الألمان. صـــعدوا المتاريس للوصـــول إلى الرواق، المحمي برشاش حصد المقتحمين. بعد الظهر، وصلت تعزيزات وسمي أحد الضباط قائداً للحصن.



القوات الجوية الألمانية تسود الجو في عام ١٩١٦



البارون الأحمر يستعد للطيران فوق أرض العدو

كانوا في وضع غريب، إذ ثمة الآن قائدان، واحد داخل الحصن والآخر فوقه.

رداً على القنابل اليدوية التي يرشقها الألمان في فتحات وصول الهواء، توجب سدها. صار داخل الحصن غير صـــالح للتنفس، لأن الغاز والدخان الذي تنفثه المقذوفات اللاهبة يســـممان الجو، وتوجب على الرجال وضع نقاب ـــــ ضد الغاز في الليل وفي النهار. ولم تعد سراجات الزيت تعمل لعدم وجود الأوكسجين، وفقد العديد من الجنود الرشد في هذا الجو المسموم. واحتياط الماء نفذ، وبعد أيام اضطر بعض الجنود أن يشربوا بولهم. وحاول آخرون أن يلحسوا رطوبة الجدران. كان عدد الجرحى يزداد، وليس ثمة ضمادات وأدوية.



العماد غورنغ، قائد تشكيل فون ريختوفن.



حطام الطائرة فوكر لفون ريختوفن، بعد تحطيمها على يد النقيب الكندي روي براون



قائد التشكيل البارون فون ريختوفن. أخذ هذه الصورة ضابط بريطاني ساعة موت البارون الأحمر.



في ٢٢ نيسان ١٩١٨ دفن البريطانيون فون ريختوفن بمراسم دفن العسكريين الأماجد المقداميين.

وقد عانى المهاجمون الموجودون فوق الحصن هم أيضاً آلاماً شديدة. قذفتهم المدفعية الفرنسية بلا شفقة وليس ثمة وسيلة للحماية. كانت الخسائر إذاً مريرة. دام هذا الوضع حتى ٦ حزيران، حينما حاول سلاح المشاة تحرير الحصن، لكن الاقتحام كبح وقتل أو جرح أغلب المقاتلين.

في الليل، المقدم رينال اتخذ قراراً درامياً. في صبيحة ٧ حزيران، جمع الرجال الباقين أحياء وصرح لهم أنه قرر تسليم الحصن إلى العدو والاستسلام.

كان بعض الرجال يبكون، ولم يوافق آخرون على هذا القرار. أُرسل ضابط إلى الخارج رافعاً راية بيضاء، وتلاه الاستسلام الفعلي.

هكذا انتهت معركة حصن فوكس، معمعة كلفت خمسمئة رجلٍ بين قتيل وجريح، وعبرها أبدى محاربو الطرفين شجاعة بطولية، عزم وتصميم ونكران ذات استثنائيتين. في تشرين الثاني، رجع حصن فوكس إلى الفرنسيين، بعد إخلائه، لغاياتٍ تكتيكية، من الجنود الألمان .



طيار بطل فرنسي ـ الملازم فونك



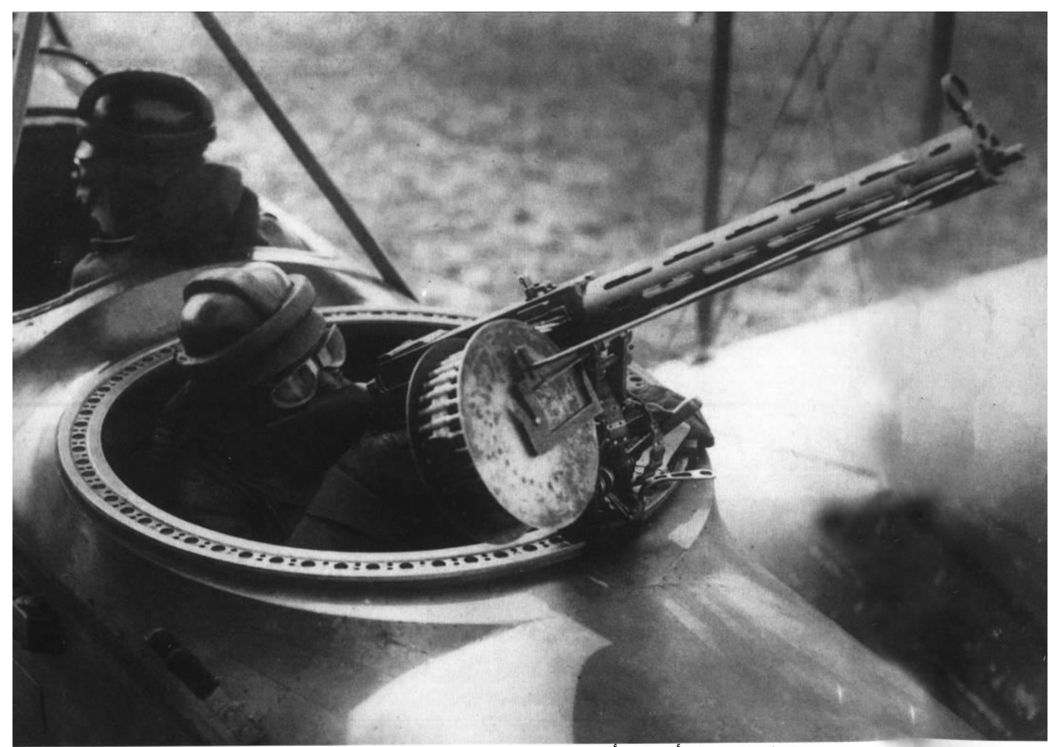
مرآب طيران منطقة (مارن) الجنرال فرنخت دسيري برفقة النقيب غينمز الذي يقدم له طائرته.

معارك لاحتلال الرجل المريض وشط ٣٠٤

في أول آذار، أدرك الألمان أنهم ارتكبوا خطأ، بضعف اهتمامهم بأهمية ضفة الموز اليسرى. ما خول الفرنسيين تسيير تعزيزات إليها وتركيز مدافع فيها، قصفت القوات الألمانية التي تتشبث بالضفة اليمنى بنيران مستمرة ومدمرة. وأيضاً صدر قرار الانتقال إلى مهاجمة الضفة الغربية في ٦ آذار.

هاجمت فصائل من الجيش الخامس الاحتياط غابة فورج في أثناء عاصفة ثلجية وبعد إعداد المدفعية، بينما في نفس الوقت اجتازت قوات ألمانية نهر الموز على ارتفاع سامونيو، تحت إطلاق نيران فرنسية عنيفة. على هذا بقيت الخسائر محدودة، لأن كثيراً من القنابل الفرنسية سقطت في الأوحال ولم تنفجر، وفي ٧ آذار، احتل الألمان رينيفيل، في غابة الغربان وغابة كومبير وأسروا أكثر من ٣٠٠٠ رجل. سقطت بلدة فورج في المساء. وفي اليوم التالي صباحاً، انتقل الألمان إلى الهجوم المعاكس، ونجحوا في غزو غابة الغربان ثانية. وفي ٨ آذار هاجم الألمان (الرجل المريض) نقطة عميقة الأهمية، لكنهم اندحروا. وفي ١٤ آذار، تمكنت الفرقة الثانية عشرة الاحتياط الألمانية من الوصول إلى القمة الشمالية للرجل

المريض وطرد الفرنسـيين منها، بعد معارك طاحنة. سـبق الهجوم قصـف مدفعي شـديد حوّل الربوة إلى عمود من دخان ونار، ما جعلها غير صـالحة للحياة. كان منظرها يشـبه جحيم دانتي، نيران متأججة، أجسـاد ممزقة وجنود جرحى يغطون الأرض.


طائرة قتال ألمانية أثناء معركة جوية فوق الجبهة الغربية

لا أمل في أي مسـاعدة طبية. كانت رائحة النتن ممن لم يدفن لا تطاق. بينما كان المهاجمون المنهكون يحاولون العثور على بعض الراحة في الخنادق الفرنسـية التي أُخليت، بوغتوا بقصـف فرنسـي عاصـف من القمة الثانية ما اضطرهم العودة إلى القتال الفوري. كلف الهجوم الألمان أكثر من ثلاثة آلاف رجل، واكتشفوا الآن ألاّ مهرب لهم من التموضع أيضاً على القمة الثانية.

تتالت معارك الرجل ـــ المريض سحابة شهر آذار ونيسان وبعد جهد جهيد نجح الفرنسيون بدحر الألمان. قرر هؤلاء نقل هجومهم الآن إلى الشاطئ ٣٠٤.

غزو التلّتين

في ٣ أيار، فتحت ٣٦ بطارية مدفعية النار على الشط ٣٠٤. دام القصف بصورة مستمرة طيلة يومين وليلتين. بعد الحرب، قدر أن أكثر من ١٠ آلاف جندي فرنسي صرعوا دفاعاً عن الشاطئ. ومع هذا وجب مرور ثلاثة أيام لكي يتم الألمان احتلال التل.

مارسوا بالتالي ذات الأسلوب على تلة الرجل ـــ المريض، الذي سقط نهائياً بأيديهم، في ٢٠ أيار. كانت المعارك في غاية الشراسة وخسارة الأرواح باهظة من الطرفين.

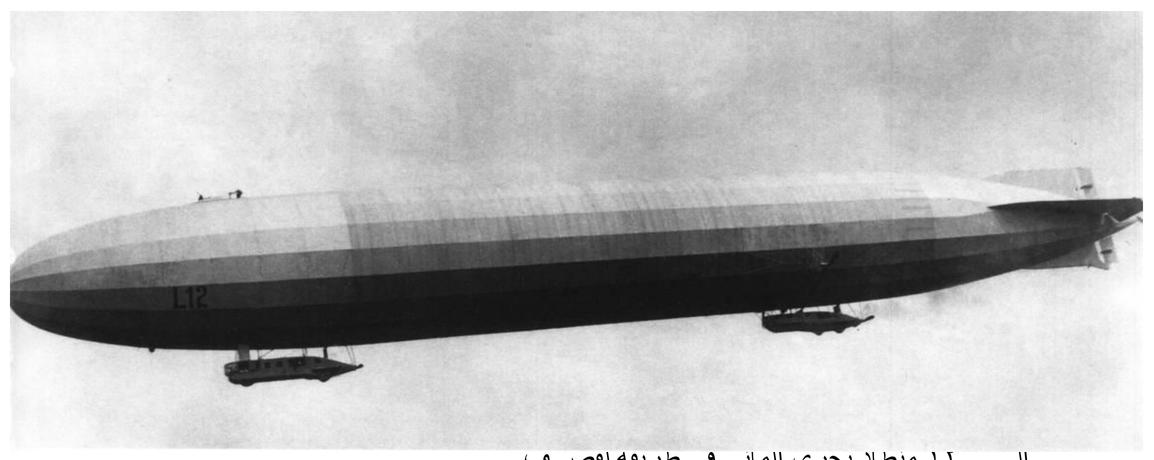
عاقبة المعركة

استمرت معركة فردان مائة يوم وحتى نهاية شهر أيار، بلغت خسائر الألمان ١٧٤ ألف قتيل. وفشلت خطة فالكانهين التي هدفت استنزاف الجيش الفرنسي في فردان. في الحق كان الاستنزاف يقصد الجيش الألماني على الأرجح، لكن القيادة العليا رفضت هذا الرأي وأعدت لهجمات أخرى.

قنابل غازية على حصن دي سوفيل

خلال هذا الوقت، تتالت المعارك على ضفة نهر الموز الغربية. اشتباكات عنيفة قرب دومونت، في الأرض الباردة وقرية فلوري التي بدلت المحتل ١٧ مرة والتي أضحت أثراً بعد عين. حضّر الألمان الآن هجوماً على حصن سوفيل، آخر حصن يشكل شطراً من خط الدفاع الخارجي المحيط بفردان.

توجب أن يدور العمل بعرض لا يتجاوز ٦٠٠م. لكن مطراً غزيراً حوّل الأرض إلى أوحال عملاقة، ما وجب نقل المعركة. كان المهاجمون في استحكامهم وتلقوا أمر البقاء حيث هم. لكن المفاجأة تلعب أوسع أبعادها. خلال أيام، من دون ملاذ، من دون غذاء والألبسة المبللة بالماء. تعرضوا لإطلاق نيران مدفعية فرنسية لا ينقطع. قبيل المعمعة، كانت معنويات المقاتلين في أسفل السافلين.



الـــــ ١٢ منطاد بحري ألماني في طريقه لقصــف إنكلترا

في صـــباح ١٠ تموز أخيراً، فتحت المدفعية الألمانية النار، أرسـلت ٦٣ ألف قنبلة غاز، كان الفرنســيون يرتدون الأقنعة المضادة للغاز، كان أثرها ضئيلاً، ولما هاجم المشاة الألمان، تعرضوا إلى نار رهيبة من السد، وفي ١٢ تموز، دُحرت محاولة جديدة لغزو الحصن، وترك المهاجمون العديد من القتلى والجرحى وراءهم.

فشل الألمان أمام حصن سوفيل.

رأى الجنرال فالكانهين بعد تفكر أن خطته لن تثمر، وأكثر من ٦٠٠ ألف جندي فرنســي وألماني فقدوا الحياة في هذه الموقعة الخرقاء. فقرر أن يتخلى عن هجمات قادمة والانكباب على تعزيز المواقع المحتلة والدفاع عنها. لم تعط عملية جريخت إذاً أي مكسب. أزيح فالكانهين عن القيادة وأُرسل إلى رومانيا. خلفه الثنائي هندنبرغ ولودندورف، بطلا معركة تاننبرغ.



قائد الطرادة ستراسر ، من الأسطول الجوي الألماني



"الرجال الكبار" في الحلفاء من اليسار إلى اليمين: المارشال جوفر، الرئيس بوانكاريه، الملك جورج الخامس في إنكلترا، الجنرال فوش والجنرال هايغ.

المعركة الشرسة في سوم

لم يكن وضـــع الحلفاء باهراً والجنرال جوفر نظم لقاء مع رؤســـاء أركان الحلفاء، طالباً منهم وضـــع الخطط التي تخولهم تجديد المبادرة من الآن حتى نهاية ١٩١٦.

بعد هجوم الألمان على فردان، فقد الفرنسيون خسائر فادحة، أرادوا الانطلاق إلى هجوم فرنسي ـــــ بريطاني في ســـوم، للتخفيف من وقع جبهة فردان. زار جوفر شـــخصـــياً رئيس الأركان البريطاني هايغ، واتفق الرجلان أنّ على البريطانيين أن يكونوا مســـتعدين في الأول من تموز، يوم الهجوم، بينما ينخرط الفرنســـيون بعد عدة أيام، في جنوب سوم، في الهجوم الثاني المكرس لمفاجأة الألمان.



الجنرال هايغ على صهوة فرس في أثناء قيامه بجولة تفقد للجبهة.

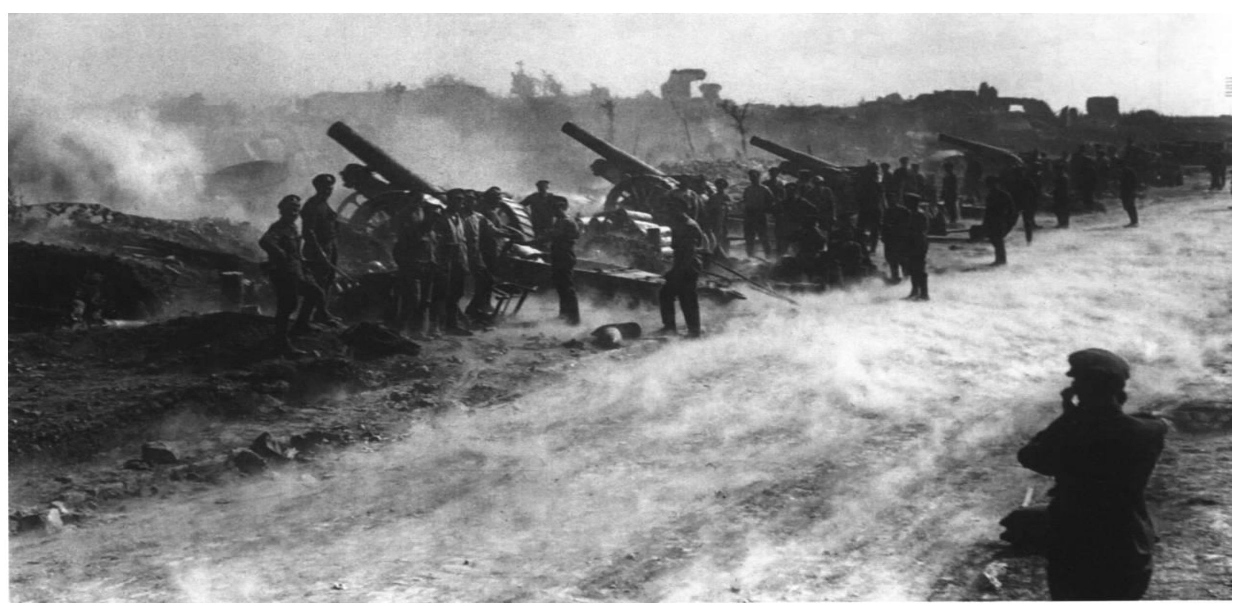


الجنرال هايغ وفوش مع جوفر، لدى مغادرتهم الأركان العامة التي أتوها ليناقشوا بدء هجوم جديد في السوم

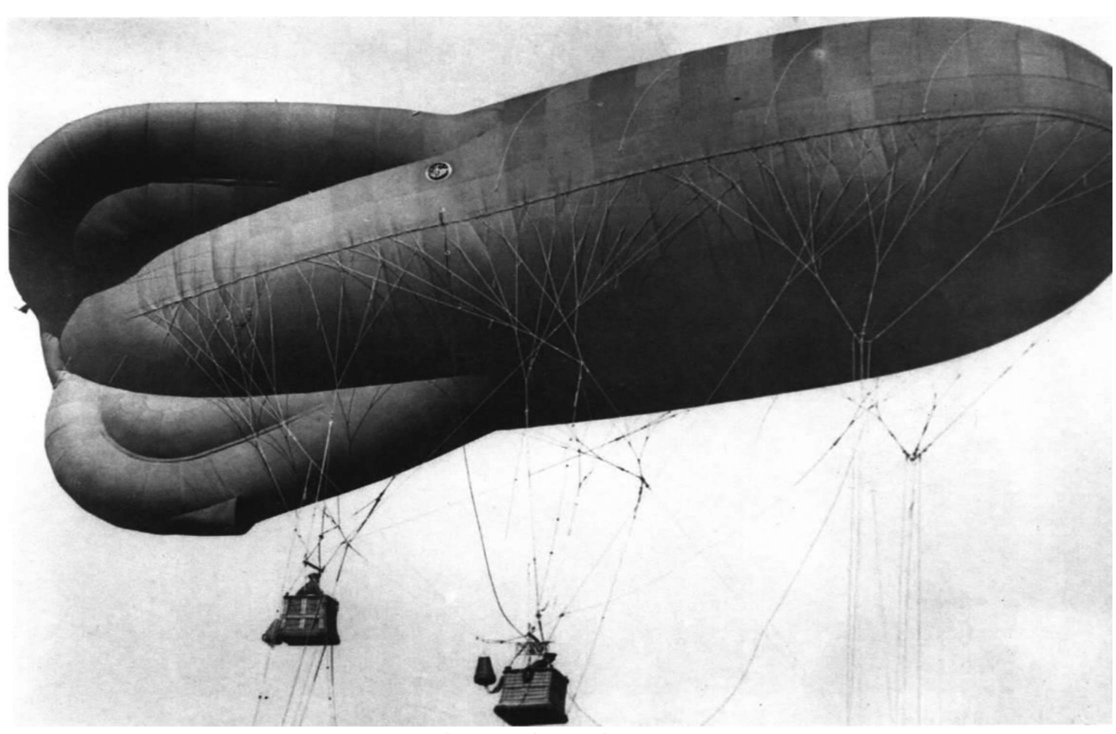


الجنرال رولنسون قائد الجيش الرابع البريطاني حديث التشكيل، وقد زج به في معركة السوم إلى جانب الجيش السادس الفرنسي.





كوكبة قاذفي قنابل بريطانيين في العمل طيلة قصف الجسر. أطلقت المدفعية البريطانية أكثر من مليون قنبلة على الاستحكامات الألمانية.



"كيت" ، منطاد استطلاع بريطاني للمدفعية مع ملاحين، في السوم.



مستودع ذخيرة بريطاني في السوم

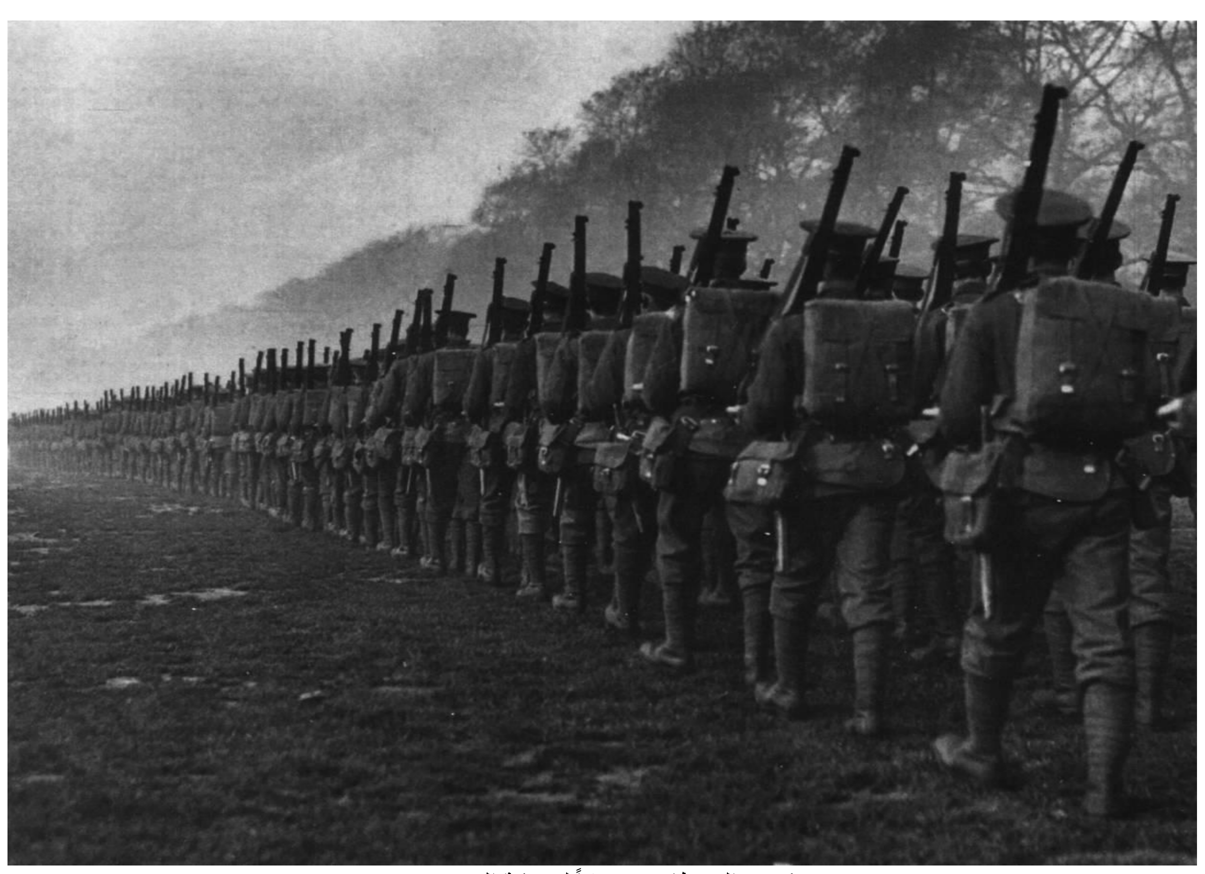


جنود مدفعية يدحرجون قذيفة من عيار ١٥ بوصة

لم يكن هايغ موافقاً تماماً على هذه المشروعات، لأنه كان يخشى ألاّ ينفذ الفرنسيون وعودهم، فيلتزم بحمل الشطر الأعظم من المعركة ونتيجة ذلك يعزى النصر للفرنسيين. اتفق جوفر معه على خطة الهجوم وهدفه، هو خط بابوم، بيرون، هام، انطلاقاً من هذا الخط يهجم الفرنسيون على بيرون والبريطانيون على رانكورت ـ كومبل



قنابل ضد الخنادق معدة للرمي



كرس البريطانيون جيشاً لمعركة السوم



راكبو دراجات هنود على درب مامتز، في تموز ١٩١٦.

كان الهجوم على ســوم حيوياً بالنســبة لجوفر، لأن الفرنســيين قبلوا الخســائر القاصــمة في فردان. كان ضــروريا ولا يجادل فيه أمر تقليص الضــغط عن هذه الجبهة. لم يكن ارتياب وشــكوك هايغ من دون مبرر تماماً، لأن جوفر اعترف له فيما بعد أنه لا يملك أكثر من ٢٢-٢٦ فرقة ضــرورية. بســبب الاســتنزاف في فردان ولم يبق له ســوى ١٢ فرقة في متناول اليد. ســمي الجيش خلال هذا الوقت، شــكل البريطانيون جيشــاً جديداً، باسم الجيش الرابع ووضع في التصرف، بقيادة الجنرال رولنسون (١٧ فرقة وثلاث فرق احتياط).





فريق استطلاع بريطاني في طريقه إلى الخندق الأول بالأسلاك الشائكة



تشكيلات بريطانية تنتظر شارة بدء القتال في الخنادق.



الفرنسيون أيضاً كانوا على أهبة الاستعداد وكانوا ينتظرون شارة الهجوم.



حرس بريطانيون في خندق حديث التجهيز



فجر البريطانيون ألغاماً تحت موقع ألماني في بوومونت هامل، في طالع تموز ١٩١٦.



عشر دقائق قبل ساعة الصفر. بدأت العمل الألغام المزروعة في أحشاء جسر "هايثورن ريدوبت". سريعاً تبدأ المعركة.



قوة أسترالية قبل إشارة القتال تماماً، في الخط الأول.


سوم ١٩١٦، الهجوم. عاد إليه بعضهم

زج هذا الأخير إلى جانب الجيش الثالث في جبهة طولها ثلاثين كيلومتر بدءاً من سوم في الجنوب، حيث

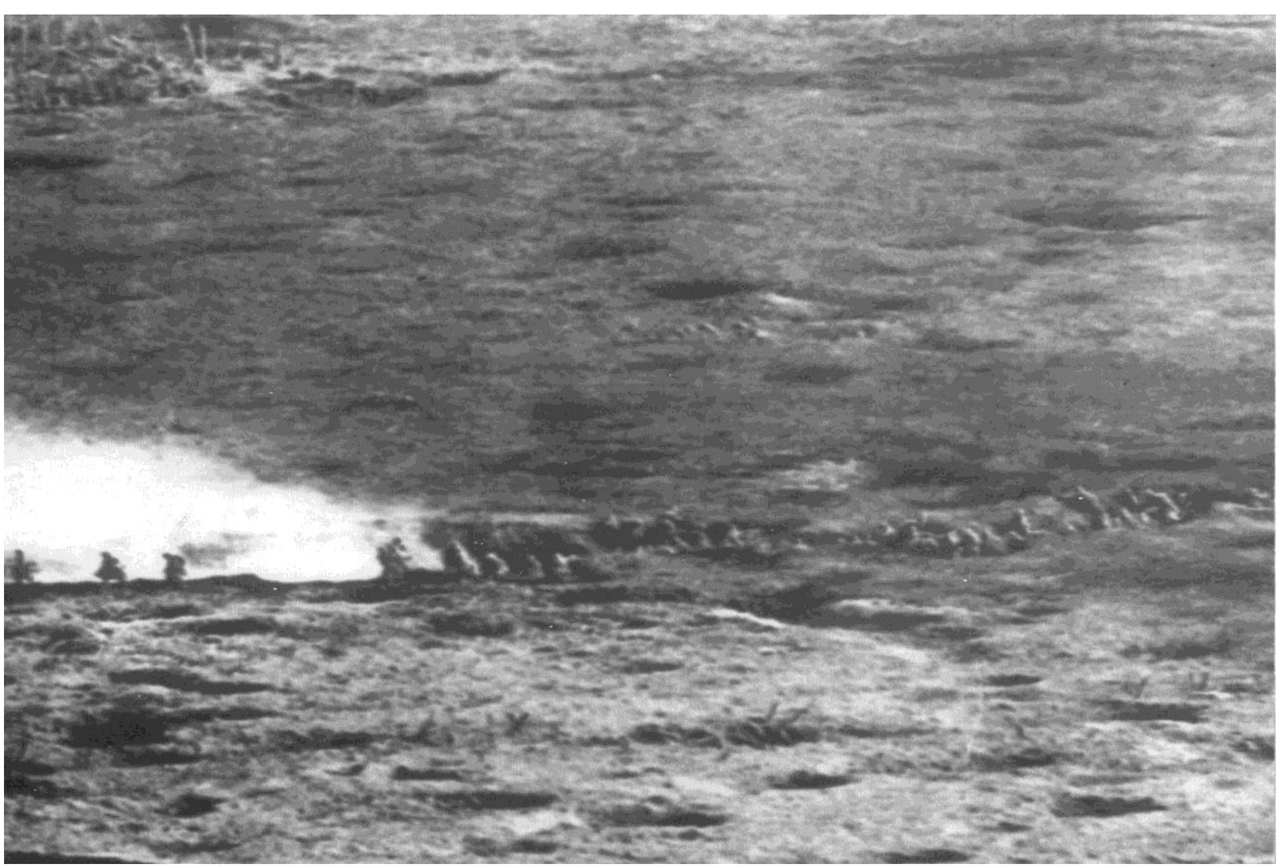
انضم إلى الجيش السادس الفرنسي، نحو الشمال حتى كومّكورت حيث تشكيلات الجيش الرابع الإنكليزي.

كانت الاستعدادات البريطانية مؤثرة. بعكس خيبة غالبولي، لم يترك شيء للصدفة كما تفرض إدارة الميدان. في البقعة الممتدة بين ألبيرت وأميان. اهتم هايغ بخزن احتياطات ضخمة وسهر على نوعية خطوط الاتصال.

أكثر من ١٠٠٠ قطعة مدفعية ميدانية، ١٨٠ مدفعاً ثقيلاً، ٢٤٥ قاذف من العيار المتين، انتشرت. وهيء للتشكيلات التي اشتركت في المعركة توضعات قتالية معدة جيداً. الفرقة التي تمزقت في غالبولي صحح نقصها وأعيد تجهيزها. وكانت حاضرة هنا أيضاً مثل "جيش كتخنر[٢]" و"فوج الرفيق[٣]" بالنسبة لكثير من الجند، كان هذا عماد بالنار[٤]. كمنت خطة هايغ في خرق خطوط العدو في ١ تموز، بعد قصف تمهيدي دام سبعة أيام.

---

[٢] كتخنر: قائد اقترح أن يكون الجيش مؤلفاً من عناصر ثمة صلة سابقة بينهم، مهنة، حي، شارع، بلد.
٣ فوج من رفاق أو أعضاء في رابطة.
٤ طقس عند المسيحيين كفارة عن خطيئة أكل التفاحة التي حرم الله أكلها ـ المترجم



في الساعة السابعة بالضبط ، يخرج البريطانيون والفرنسيون من الخنادق ويهجمون على المواقع الألمانية



موجة ثانية من الهجوم تلت، واثقة بالنصر





في الساعة ٧,٣٠ بالضبط، خرج البريطانيون والفرنسيون من الخنادق وهاجموا المواقع الألمانية



... بدون غطاء وفي أرتال متراصة، كما في أثناء التدريب.



تتالت موجات الهجوم، ليحصدها الألمان بدون رحمة بالرشاشات.



قوات احتياط تنتظر أمر الوصول إلى الخط الأول



بقايا جنود يحاولون يائسين إيجاد ثغرة في الاستحكامات الألمانية



وهؤلاء كانوا أيضاً في موقع مكشوف

كان يفترض أن هذا القصف قد مزق المواقع الألمانية، دمرها، وقضى على كل أشكال المقاومة. اجتاحت قوات الهجوم الخنادق الألمانية، ثم خرقت حتى بايوم، ١٠ كم في العمق. كان هايغ ورئيس أركانه مقتنعين أن رجال المشـاة يعتبرون هذا نزهة، وعلى المدفعية الثقيلة أن تدمر المدفعية المعادية وبعض التحصـينات. مُهد للهجوم بقصف شديد، وكانت النتيجة تقدم الجنود في الأرض المحايدة، وبقي العدو في الملاجئ.

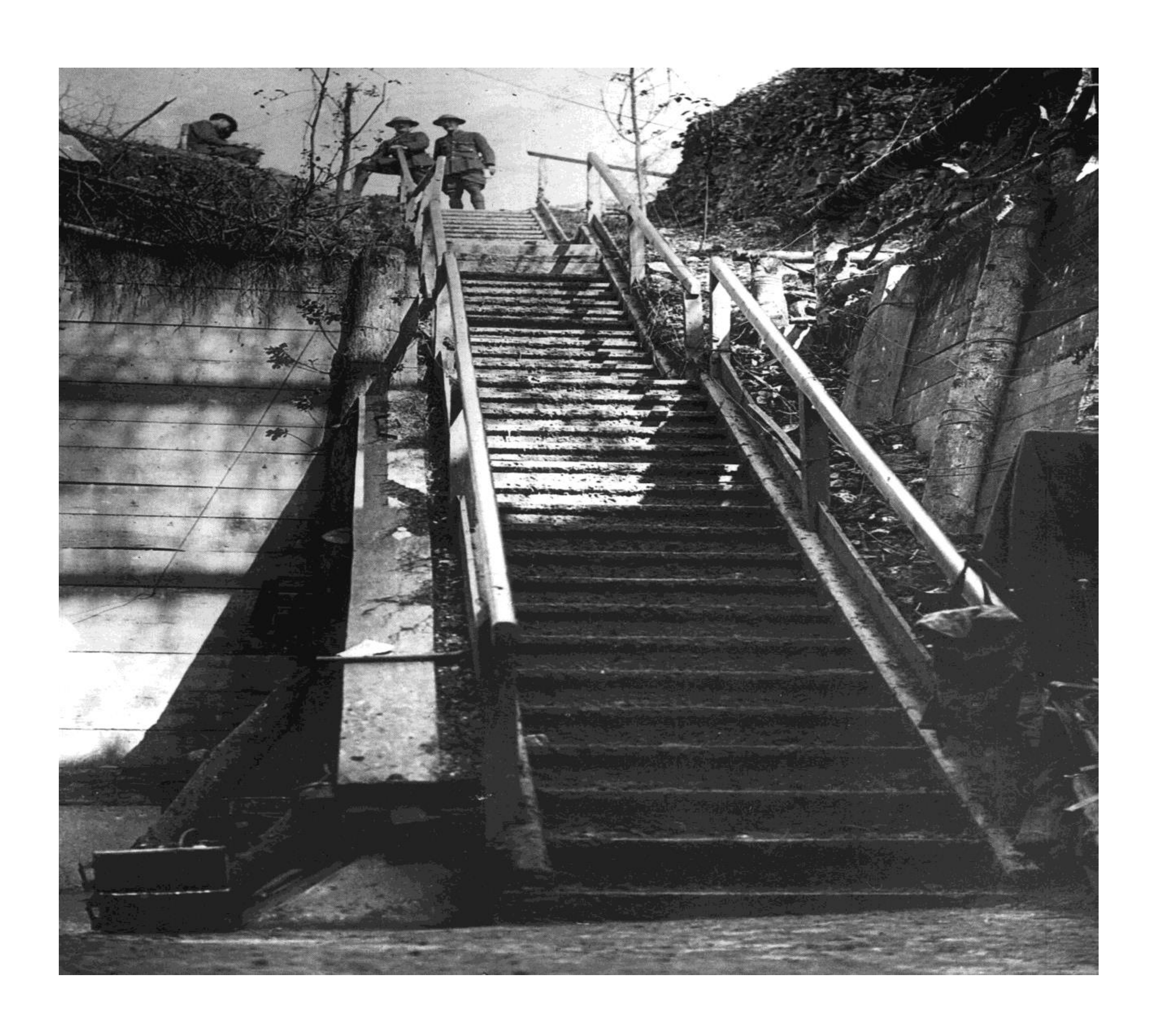
كان كل هذا يبدو بسـيطاً، لكن هايغ غفل عن الإطلاع على نتائج الرمي المدفعي المشـابه لبداية الهجوم الألماني على فردان. لو فعل لكان أقل تفاؤلاً، ولما فقد آلاف الشباب في عمر الزهور الحياة من دون مبرر أو جدوى، أو فقدوا أحد



بعد الهجمة الأولى، أرسل الألمان في الحال تعزيزات نحو السوم



تعزيزات ألمانية في طريقها إلى السوم (الجنود المقاتلون في هذه الصورة ما زالوا يعتمرون الخوذة القديمة).



كان القصف البريطاني قليل الفاعلية على الملاجئ الإسمنتية الألمانية المحفورة عميقاً.

أعضائهم وعاشوا معاقين سحابة العمر. وهذه المرة أيضاً جمع الإنكليز القليل من المعلومات الاستطلاعية في أثناء القصـــف، أُهملت تقارير الدوريات التي تذكر أن الألمان كانوا أبداً في الملاجئ وكانت شـــبكات الأسلاك الشائكة تبدو شبه سليمة. وقد كرر الجنرال هنتر ويستون قائد الجيش الثامن أخطاء الماضي.



ألمان خرجوا من ملاجئهم على جبهة سوم.



قاذف قنابل ألماني عيار ٢١٠ مم في السوم



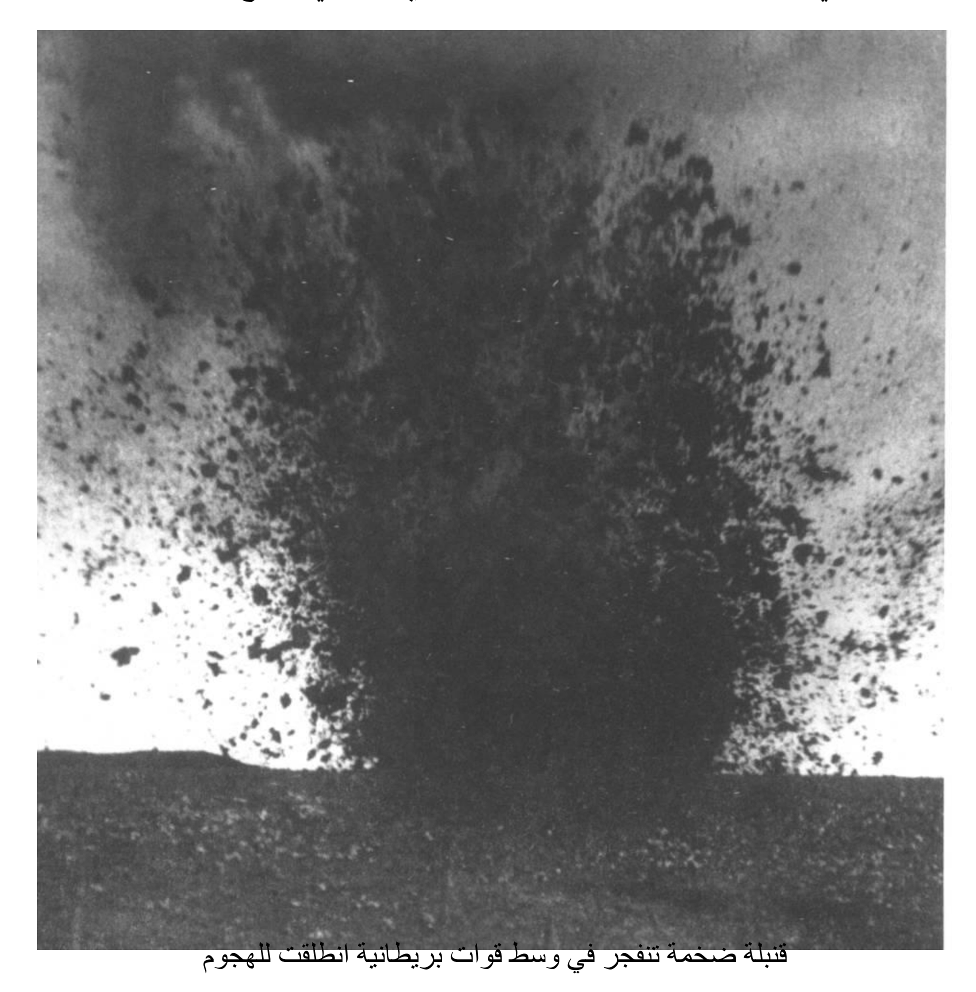
خندق تواصل ألماني يقود إلى كتيبة قاذفات قنابل



كان الجنود الألمان يحاولون تحصين مواقعهم خلف الجبهة إذ يقيمون دشماً من الخشب والزنك



في مساء الأول من تموز قتل ٢١٣٩٢ جندي بريطاني وجرح ٣٥٥٠٠



قنبلة ضخمة تنفجر في وسط قوات بريطانية انطلقت للهجوم



طواقم مدفعية الميدان ينتظرون بصبر وأناة وصول المهاجمين



المدفعية الألمانية تصلي الخنادق الأولى البريطانية الواقعة أمامها.



جنود بريطانيون جرحى يحاولون الوصول إلى مؤخرة خطوطهم



الألمان يستخدمون قاذفات اللهب في أثناء هجوم معاكس



واحد من ٢١٣٩٢ جندياً لم يعودوا



قتيل بشظية قنبلة سقطت قربه

تلك الأخطاء التي اجترحها يوم كان قائداً في غالبولي. وهذه المرة أيضـــاً، لم يبال بصـــحة هذه الأنباء المحلية. بل صــرح أن شـبكات الأسـلاك الشـائكة الألمانية في قطاعه كانت كلياً مدمرة وأن لدى قواته القدرة على "اختراقها بهدوء إلى الداخل"، لكن الأسلاك الشائكة كانت قائمة في كل مكان وأنها كافية لقتل العديد من جنوده. بالفعل كان هايغ نفسه قانعاً أن الحواجز الشائكة قد قوضت، كما كتب في يوميته ٣٠ حزيران.

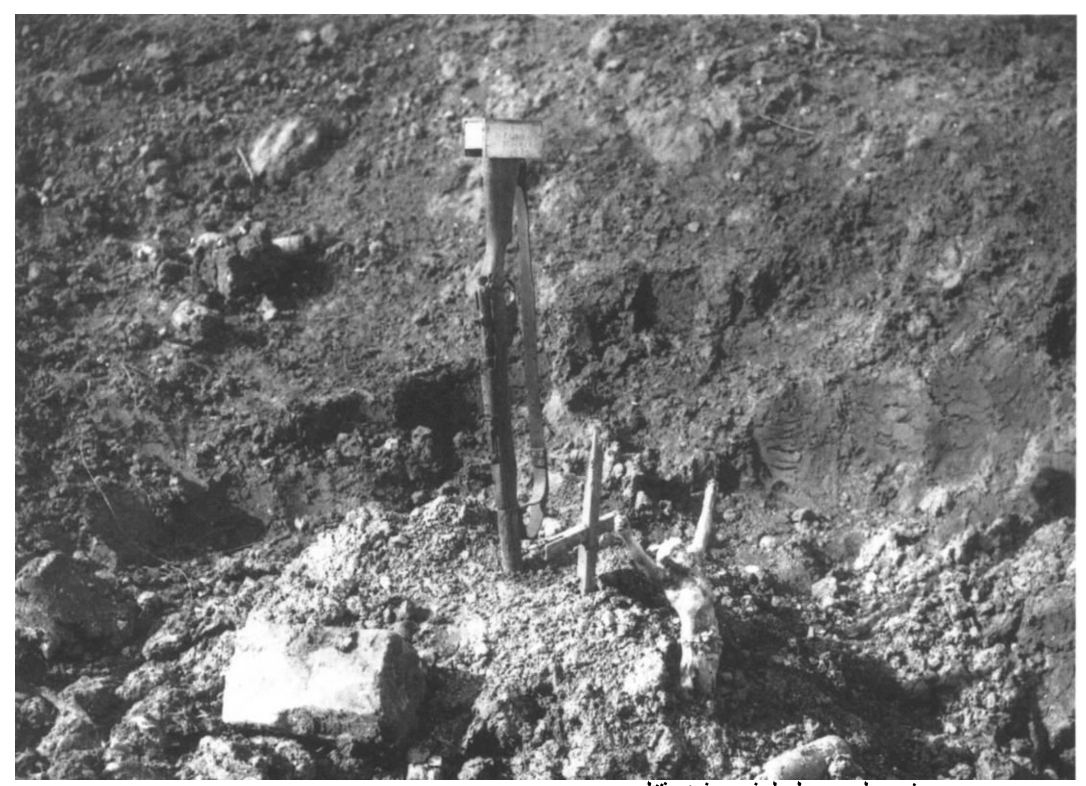
من البديهي أن الاسـتحكامات البريطانية لم تغب أبداً عن انتباه الألمان. كان قطاع سـوم نسـبياً هادئاً حتى تلك اللحظة،



جنود قتلى في أرض لم يسكنها أحد



كان قرب الاستحكامات الألمانية، لكنه لم يعثر على مسلك فقتل



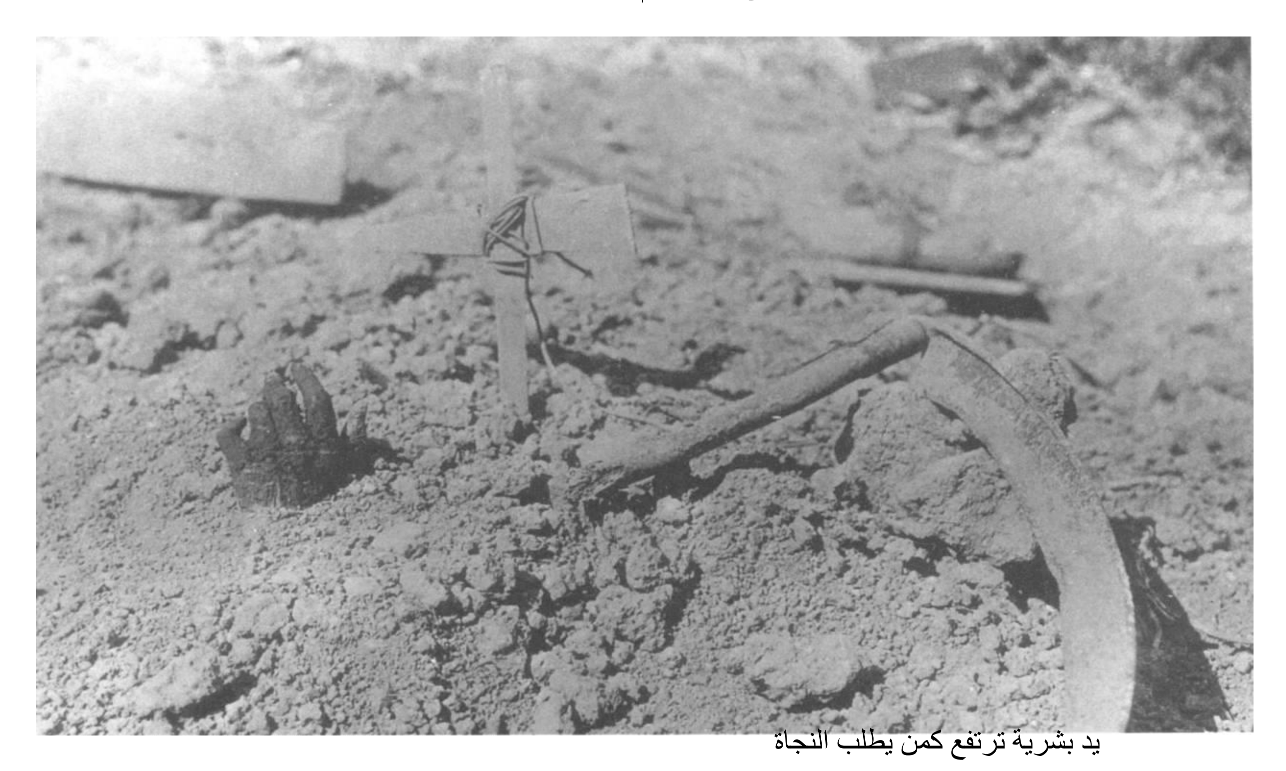
رمس حفر على عجل لدفن رفيق قتل



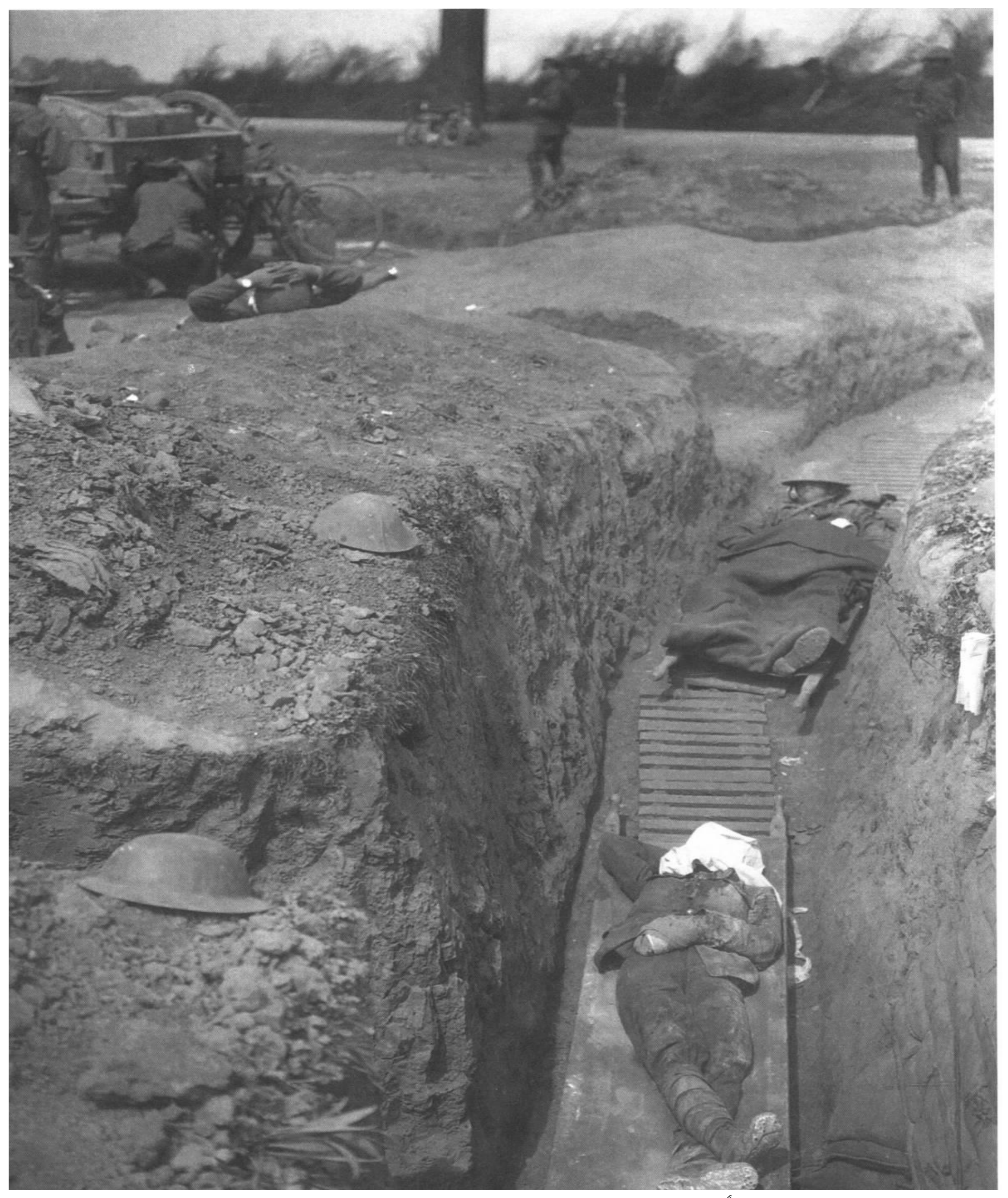
جنود بريطانيون قتلى في موقعة السوم، قرب أرّاس.



ممرضون بريطانيون يخلون جرحى بعد هجوم بالغاز



يد بشرية ترتفع كمن يطلب النجاة



جندي قتيل وآخر جريح أعدّا للإخلاء

واستغله الألمان في الإعداد الكافي للدفاع عن القطاع. وضعوا مرابض رشاشات في الأمكنة الإستراتيجية، وحفروا شبكة رائعة من الخنادق العميقة وبنوا ملاجئ بيتونية للمقاتلين، تقع على عمق ١٠م تحت الأرض، تنجيهم من شظايا قنابل العدو. أخيراً، حُميت الخنادق بأسيجة عديدة شائكة. كانت المواقع الألمانية إذاً مجهزة بمنهجية ومهيأة لهجوم العدو.



جندي جريح يتلقى الإسعاف الأولي في مشفى ميداني قرب الجبهة



سيارات الإسعاف تنقل الجرحى

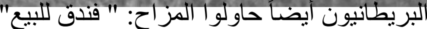


خيمة أعدت لتكون غرفة عمليات في أحد مشافي الميدان في السوم



نكتة ألمانية في السوم "لا موجب للحمق بل للدهشة! "




البريطانيون أيضاً حاولوا المزاح: " فندق للبيع"



كاتدرائية بيرون المدمرة



خندق فرنسي في السوم



هجوم آخر. القوات البريطانية بانتظار المد والجزر الألماني

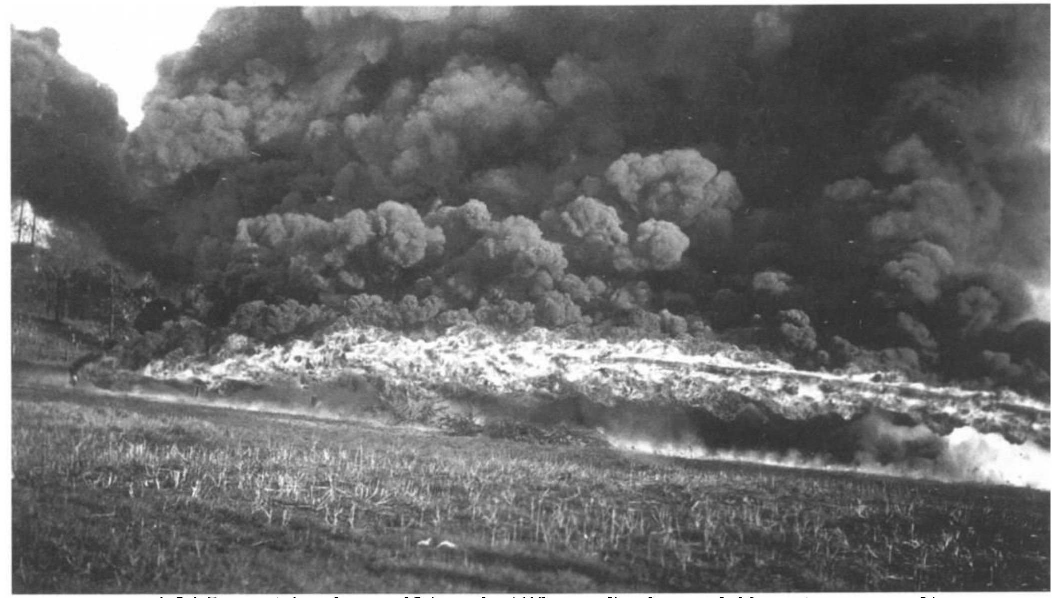


ضابط بريطاني يلقي تعليمات جديدة قبل الهجوم مباشرة

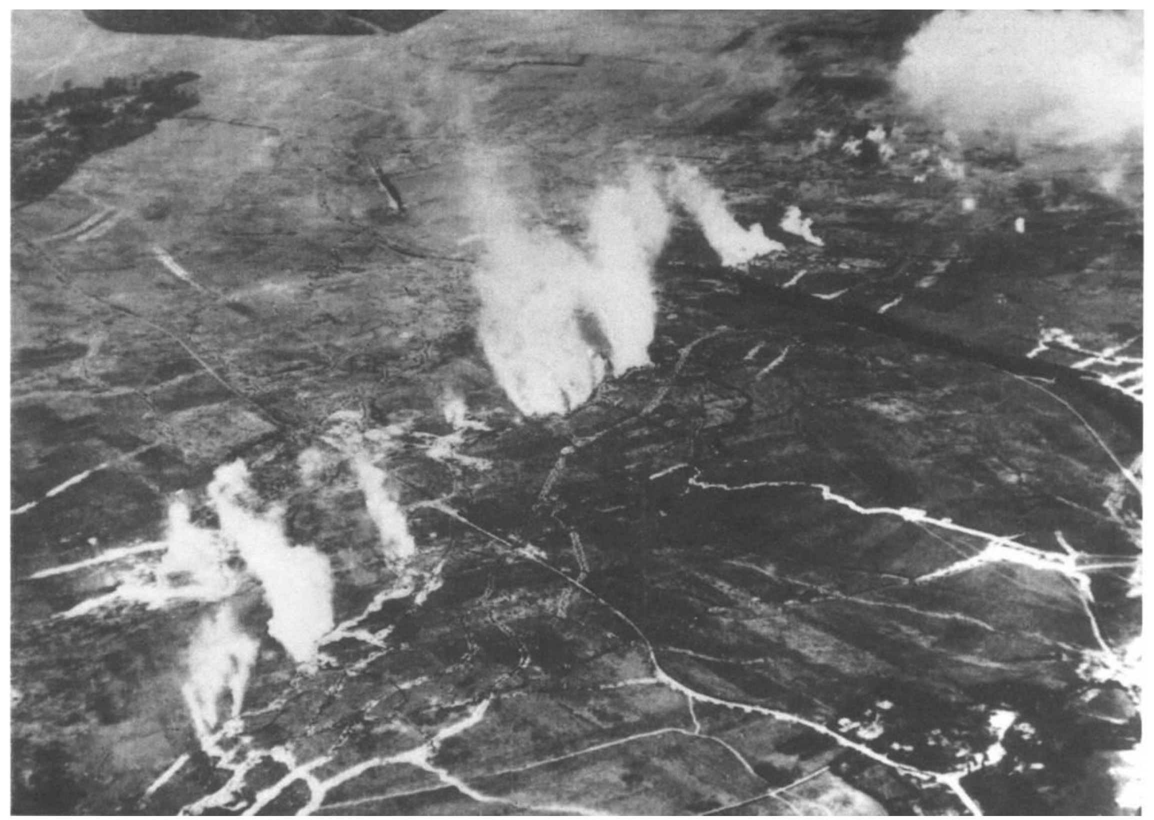


بتوجيه أحد الضباط، جنود بريطانيون يغلقون فوهات التهوية خوفاً من إصابتهم بهجوم غازي


البريطانيون ينتقلون ثانية إلى الهجوم ، بحماية موجة من الدخان


سلاح جديد مستخدم لاول مرة في السوم، قاذف لهب إنكليزي، في ١ تموز ١٩١٦.

في ١٦ حزيران، أعطى هايغ آخر تعليماته لقادة الجيشين الثالث والرابع، وحدد مرة أخرى الأهداف. بدأ قصف المدفعية البريطانية للمواقع الألمانية في ٢٥ حزيران. خلال سبعة أيام، أُطلقت أكثر من مليون قنبلة من كل المقاسات على العدو. كان يبدو بديهياً أن لا كائناً بشرياً واحداً سيبقى حياً. اليوم الشؤم ١ تموز كان يدنو،يوم يُذكر في كل حوليات التاريخ القتالي البريطاني. كيوم أقسى كارثة على مر الزمن. يوم هزّ الثقة البريطانية، بحيث لن يتكرر يوم رأى فيه ٢٠ ألف شاب طلوع الشمس ولم يروها تغيب.


هجوم ألماني بالغاز في معركة السوم في العام ١٩١٦

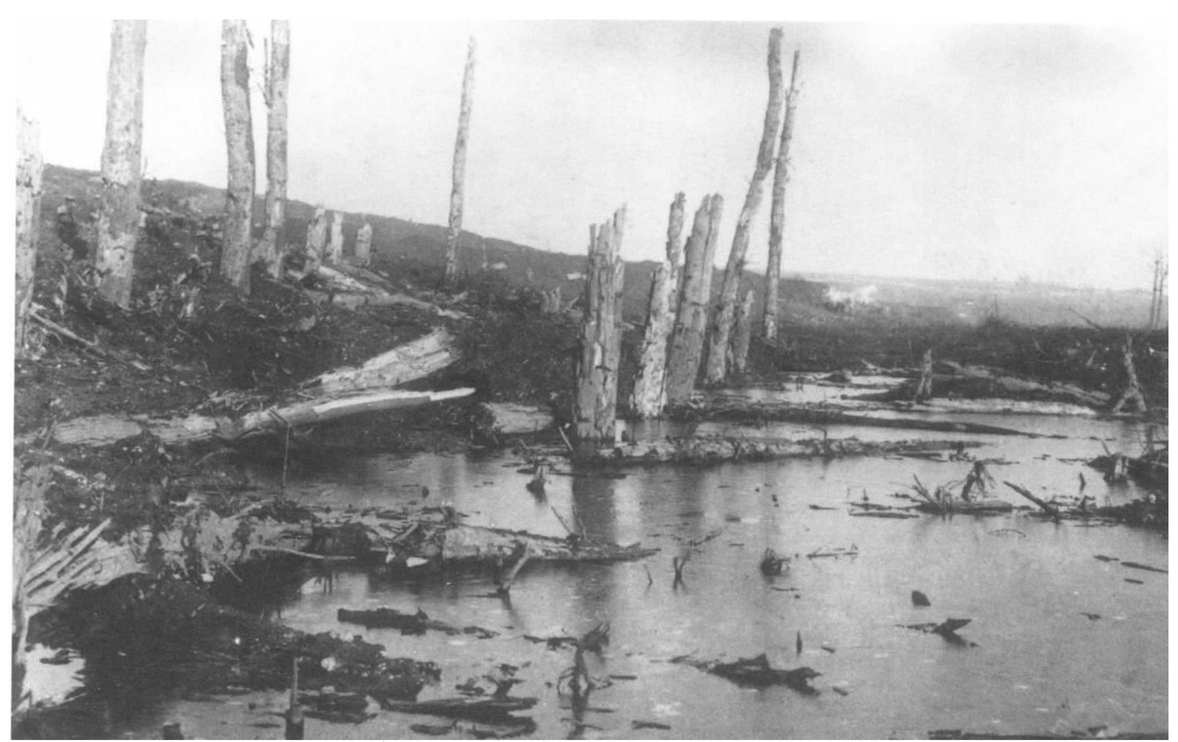

في معركة السوم أيضاً، يشكل الوحل إشكالات عويصة في وجه النقل



لم يتجاوز عدد من بقي حياً أصابع اليدين



الموت في كل مكان، الإبادة، النتن والوحل الممتد أبداً



منظر طبيعي منعزل وجب السكن فيه، والقتال وأخيراً الموت المحتم

أول تموز

بدأ شهر تموز تحت سماء زرقاء وشمس حامية. تلقى الرجال أمر الانتقال إلى الهجوم الساعة ٧,٣٠. تركوا الخنادق، محميين بستارة من دخان ورمي السد المدفعي للهجوم على العدو. الجيش الفرنسي السادس، بقيادة الجنرال إميل فايول، الذي هاجم جنوب السوم، خرج من هذا رابحاً، لكن من الجهة البريطانية، حيث سقط من دعي للخدمة العسكرية الإلزامية (بريطانيا العظمى أسست الخدمة العسكرية الإلزامية في ١٢ كانون الثاني ١٩١٦ ضحية لعامل الوقت. الرمي المتفاقم للسد المدفعي، الذي انتظر هايغ منه نتائج طيبة، والذي كان واحداً من الأسس الهامة في خطته الهجومية تطور كثيراً بسرعة بارزة وضرب الخطوط الألمانية أسرع كثيراً من المشاة. أعطت هذه المزامنة السيئة الألمان الوقت الكافي لإعادة احتلال خطهم الأول وتجويد وضع رشاشاتهم في قطاعات محددة جيداً. وصل الجند البريطانيون إذاً إلى الألمان في أرض مكشوفة تماماً، بصفوف متراصة، فحصدوا بلا رحمة بالألوف، فرقة تلو فرقة: من سبع عشرة فرقة بريطانية انتقلت إلى الهجوم، وصل خمس فقط إلى الصف الأول من الخنادق الألمانية. الإثنتا عشر الأخرى لم يصل منهم أحد.



جنود بريطانيون في أثناء الراحة في غمرة معارك نيسان ١٩١٧ في تالوي



خنادق مغمورة، غاصة بالوحل والقنابل



حفر قنابل مغمورة قرب ماميتز



ما تبقى من بومونت – هاميل بعد الموقعة



بين معركة وأخرى يحاول الجنود التسرية عن نفوسهم. جنود أستراليون يعدّون الشاي في خندقهم

والعديد من الجنود قتلوا حتى قبل أن يصـــلوا الخنادق. وفيما بعد، صـــرح الجنود الألمان أنهم روّعوا من طريقة البريطانيين في القتال. لم يكن ضرورياً التسديد لكي تصيبهم، ولما اضطر البريطانيون إلى الانسحاب، لو أوقف الألمان الرمي لتجنبوا مذبحة أرهب.

في نهاية ذلك اليوم الهجومي، قتل ٢١٣٩٢ جندياً بريطانياً، و٣٥٥٠٠ رجل جرحوا جروحاً شـــديدة أو خفيفة إلى هذا الحد أو ذاك في ساح العراك. خلال أيام، كان الجنود البريطانيون المصابون يطلبون النجدة في الأرض الخالية،

لكن نجدتهم كانت محالة. عم السكون أخيراً لأنهم ماتوا من نزف الدم، والإنهاك ونقص الماء.

لو اســـتخلص هايغ معلومات معركة فردان جيداً، لعرف أن الرمي المدفعي، حتى المدعوم منه، لم يثمر، ومن بعيد، تنحصر النتائج في المواقع المعدّة جيداً. في



رئيس المجلس الوزاري الفرنسي كليمنصو في أثناء زيارة إلى الجبهة.



شروط الحياة في الجبهة تصير مستحيلة لدى قدوم الشتاء



بانتظار معركة جديدة



كان الحساء محملاً إلى الجبهة على ظهر الحمار

فردان كابد الفرنسيون قصفاً عاتياً، لكنهم فاجأوا الألمان بمقاومة عنيدة. لم تكن شبكات الحواجز المشرطة بالأسلاك الشائكة قد دمرت فقط، بل صارت أيضاً غير قابلة للاختراق نتيجة القصف. للأسف، لم يؤخذ أي درس من كل هذا.

خلال الهجوم، لم يكن التواصل ممكناً أبداً. وفي ١٢ تموز، افترض هايغ أن الجيش الثامن لم يخلِ الخنادق بعد، بينما كان ١٤٠٠٠ رجل قد قتلوا. والأسوأ، في ١٣ تموز، ما كان هايغ قد كون رأياً تاماً عن الوضع، وأصدر أمراً بمتابعة المعارك. أكثر من ٣٠٠٠ رجل هاجموا في ذلك الصباح مباشرة مدينة أوفلر، بعد ساعة، ٢٤٠٠ منهم كان حصد. الجنرال رولنسن، الذي قاد المعارك، بدأ آنئذ يقوّم حجم الكارثة التي نزلت بهم.

كان هايغ يرى أن عدد الخسائر الرهيب ليس علّة كافية لوقف المعارك. فصارت معركة السوم نتيجة هذا شهيرة بين معارك فردان: هجمات مستمرة لا معنى لها، ودام هذا حتى نهاية شهر تشرين الأول، وعبر الطقس الذي يتفاقم وعلى أرض غير سالكة، حتى أن جنود الاحتياط أُنهكوا وربما أُبيدوا ما أكرههم على وقف المعارك.



أحصنة سوم، ترافق نقل القوات قرب مريكور ١٩١٦



السوم في ١٩١٦. دروب متخمة بالمقاتلين، عربات الإسعاف، والوحل.



لضيق المكان، ترك الكثير من الجنود الجرحى المدفنين في العراء. مات الكثير برداً أو بسبب افتقاد العناية الطبية.



ضابط بريطاني جريح على أكتاف أسرى حرب ألمان



خندق ألماني دمرته المدفعية الإنكليزية قرب أفلار



أسرى حرب بريطانيون يهبون لتضميد جراح خطرة لجندي ألماني بين رفاقه القتلى



أسرى حرب ألمان يخلون إلى المؤخرة. بالنسبة لهم انتهى جحيم سوم.



تومي (وهو لقب الجندي البريطاني) جريح في رقبته يستعير عود ثقاب من جندي ألماني

في هذه المرحلة من العراك، أحصـــى البريطانيون ٤٠٠ ألف من قتلاهم، جرحاهم أو مفقوديهم، وأحصـــى الفرنسيون ٢٠٠ ألف رجل، وكانت الخسائر في الجانب الألماني تقدر بـــ ٦٠٠ ألف رجل. والحصيلة كلها رهيبة ١,٢ مليون رجل. وإن علم أن خلال هذه المعامع الرهيبة، لم يســتطع البريطانيون أن يتقدموا ســوى ١٠كم، أي كلّفهم كل كيلو متر ٤٠ ألف جندي.

لم تكن معركة السوم قد انتهت بعدُ. طيلة الشتاء، تكدس الألمان خلف خط جديد، خط هندنبرغ. الأراضـي التي أخلوها احتلها الحلفاء من دون عناء في آذار ١٩١٧، إنما في أثناء الهجوم الألماني في آذار ١٩١٨، طارد الألمان خلال ثمانين ساعة الحلفاء من مواقعهم وخلال أسبوعين دحروهم ٥٠كم. توارى آلاف الجنود أيضاً في مسرح معركة السوم.

"ذهنية القتال لدى البريطانيين"

لقد جُرّح هايغ بعنف عاصف. حتى اليوم أيضاً، لم ينتهِ الجدال المتّقد جداً حول قيادته. هو نفسه كتب في يوميته أن المعارك في الســوم كانت نافعة. لأنهم أجبروا الألمان على ســحب قواتهم من فردان، ما منعهم من متابعة القتال هناك.



النتيجة المؤسسية لقتال غير ناجح ، مقبرة للألمان تحوي ٥٠٠ قتيل

هذا صـحيح، في لحظة حرجة من القتال اضـطر الألمان على سـحب سـت فرق من جبهة فردان وأرسـلوهم، وكذا المدفعية الثقيلة، نحو السـوم، لتعزيز جبهتهم. يمكن مع ذلك الشـك أن هذا النقل أو الترحيل هو السـبب الذي جعل المعارك تقف في تشرين الثاني في فردان.

قدم هايغ سـبباً ثانياً، هو أن الحلفاء نجحوا بتكبيد الألمان خسـائر فادحة. هذا صـحيح أيضـاً، لكن ثمنه من رجال الحلفاء باهظ أيضـاً، خسـائر يصـعب جداً تعويضـها، بل جعلت المسـاعدة الأمريكية لا مهرب منها. عملياً أثبت هذا أن المؤازرة الأمريكية مكنت الفرنسيين والإنكليز من متابعة الحرب، كما اعترفوا هم أنفسهم في ندائهم للرئيس الأمريكي. أخيراً، كـان هـايغ يرى أن الحلفـاء برهنوا للعـالم أنهم كـانوا خليقين بـإطلاق هجوم طـاحن، مظهرين هكذا "روح القتال في أعماق البريطانيين"، هذا ما ثبت الآن لدى الجميع. ففي ١٩١٦، كان "التراث الشخصي البريطاني" مع ذلك في طريقه إلى الانحطاط الذاتي، وأمسى تماماً متعلقاً بالنجدة الأمريكية.

هجمات بروسلوف

هجوم حزيران

خلال مفاوضـات عام ١٩١٥ بين الجنرال جوفر والقادة الحلفاء بصـدد الخطط القتالية للعام ١٩١٦، قبل الروس والطليان هم أيضاً بدء الهجوم، للضغط الثقيل على الألمان.

انسـجاماً مع هذه الاتفاقات، وبعد إلحاح الطليان على الروس لبدء المعركة، الطليان المضـغوطين من قبل النمسا ــ هنغاريا على جبهتهم، شن الروس في ١٨ آذار ١٩١٦ هجوماً صاعقاً على بحيرة ناروك أفضى إلى كارثة، وكلّفهم أكثر من ١٠٠ ألف قتيل، بينما أُسر ١٠٠ ألف آخرون. كمن السبب في اضطراب التعاون بين المدفعية والمشاة: كان المشاة قد وقعوا تحت نيران مدفعيتهم.



الجنرال الشهير الروسي، بروسلوف، الذي استلم الدفاع في ٤ حزيران ١٩١٦ باربعة جيوش، على جبهة ٣٢٥ كم في بداية هجومه كلّل بالنجاح.



مقاتلون روس يدخلون منتصرين مدينة محتلة



ضباط من النمسا ــ هنغاريا وأسرى روس



عوز غذائي في مدن روسية

ولما كان الهجوم يدور على جبهة محددة، وقعت هذه أيضـاً تحت نيران المدفعية الألمانية من ثلاث جهات دفعة واحدة. في أثناء الساعات الثماني الأولى من الهجوم، خسر الروس ١٥ ألف رجل واستمرت المذبحة على أشدها لما أطلقت الحصون النار في ذات الظروف. وفي نهاية الشهر، وقف الهجوم الروسي مضطراً. كانت الشروط التي رافقت الهجوم مروعة، ومات أكثر من ١١ ألف عسكري في لجة الجليد. بعد أيام، بدأت القوات الألمانية هجوماً معاكساً، واستعادت كل البقعة التي خسرتها.

محاولة أخرى

في حزيران، جدد الروس محاولتهم. في ٤ حزيران بقيادة الجنرال بروسلوف، انطلقوا إلى هجوم ضخم ضد المقاتلين النمسا ـــ هنغاريين، على جبهة طولها ٣٢٣كم، من مستنقعات بريبت حتى بوكوفين. أطلق بروسلوف هجمتين متزامنتين بإجمالي ٤ جيوش، الجيش الثامن إلى لوتسك (١٥ فرقة)، الجيش الحادي عشر (٩ فرق) في الجنوب حيث شكل رأس جسر على نهر توريا قرب سوبونوف.



الأرشدوق النمساوي ــ الهنغاري فردريك في زيارة للجبهة في جبال الألب دولوميت



الإمبراطور النمساوي شارل في جولة تفتيشية للقوات الألمانية في تيراك.

...الجيش السابع (١٠ فرق ونصف) إلى غاليسيا الشرقية غرب ترنوبول والجيش التاسع (١٤ فرقة) بين نهر الدنيستر والحدود الرومانية. قبالة ٤٨ فرقة روسية تواجد ٣٨ فرقة من النمسا ـــــ هنغارية، من الجيش الرابع الفرقتان الأولى والثانية والجيش السابع النمسا ـ هنغاري والجيش الألماني في الجنوب.

تقدم الهجوم الروســـي في ٣١ أيار بمناورة تضـــليلية، بدأ برمي مدفعي من ١٩٣٨ مدفعاً على الخطوط النمسا ـ هنغارية. دام هذا يوماً تاماً، دمر الشطر الأعظم من توضعات العدو وأوقع إصابات عديدة بين الجنود الموجودين في خنادق الجبهة. اجتاز الروس ثلاثة خطوط دفاعية أولى، أســروا ٥٥ ألف أســير واحتلوا عدداً كبيراً من المدافع. أصيب النمسا ـ هنغاريون بالرعب.

أطلق جيشــهم الرابع الموضـوع لصـد الجيش الثامن الروسـي، سـيقانه للريح بعد أسـر أغلب عناصـره. والجيش ١١ الروسي حقق النصر أيضاً. خرق جبهة سابانوف، أسر ١٥ ألف أسير واحتل مدينة دوبنو.

والجيش الـ ١٩ الروسي، المواجه الجيش الـ ٧ النمسا ـ هنغاري، الذي كان

مكوّناً من صــفوة القوات وكان بأمرة الجنرال الشــهير فلانترز: كان مكلّفاً بالدفاع عن جبهة تمتد بين نهر دنيســتر وجبال الكاربات. رغم تفوق مدفعيتهم (١٥٠ مدفعاً وسـطاً ثقيلاً لصـد ٤٧ مدفعاً روسـياً ثقيلاً)، دُحر النمســاويون بهزيمة شــنعاء على يد الروس. اخترق هؤلاء الجيش الســابع وأســروا ١٠٠ ألف أســير. فهمت الأوامر خطأ ما فاقم الرعب وفي ٧ حزيران، انهزم ما بقي من الجيش الســـابع ســـاحباً مدفعيته معه. وفي ٨ تموز، بلغ الروس دالاتجن، على بعد ٥٠ كم من الحدود الهنغارية، وفي نهاية حزيران، سـقطت مدينة برودي في غاليسيا الشرقية، وأسر فيها ٤٠ ألف رجلاً. في ٧ آب، سقطت مدينة ستانسلاف بدورها بيد الجيش السابع الروسي و٧ آلاف نمساوياً و٣٥٠٠ ألماني أسروا. كانت الجبهة النمسا ـــ هنغارية محطمة على طول حوالي ٤٢٠كم.

بعد راحة قصــيرة، انطلق بروســلوف إلى القتال ثانية، نجح باحتلال بوكوفينيا كلها وخرق حتى ســلســلة جبال الكاربات. خلال هذا الوقت، ســارع الألمان إلى نجدة النمســاويين. صــار التواصــل أكثر فأكثر طولاً من جهة الروس. بدأت المؤونة تطرح إشكالها. كان التعب قد أنهك المقاتلين واستهلك الاحتياط. رفض الدعم الذي طلبه بروسلوف، وفي نهاية تشرين أول اضطر إلى إيقاف مشروعه الهجومي.



قيادة الجيش النمساوي ـ المجري في الجبهة



بعد الثورة الروسية للعام ١٩١٧ جنود روس يحتفلون بالأول من أيار

كانت خسائر الجانب الروسي مخيفة: مليون قتيل، جريح ومفقود. وفي الطرف النمسا ـــ هنغاري رهيبة أيضـاً: ٦٠٠ ألف رجل، عدا الأسرى. وفي محاولاتهم مد يد العون للنمسـاويين، فقد الألمان ٣٥٠ ألف مقاتل. وبروسلوف مع ذلك نجح في كسر العمود الفقري للقوات النمسا ـــ هنغارية. هكذا أضحت المَلَكية المزدوجة مرتبطة كلياً بحليفها الألماني الذي يطلب الآن ضـغطاً أبهظ فيما يخص القرارات التي تلامس القيادة، ولم يكن أمام النمسـاويين سـوى القبول. سـمّي هندنبرغ قائداً أعلى لكل الجبهة حتى ترنوبول. وعلى الجبهة الجنوبية، بقي الأرشدوق شارل في الخدمة، لكن الجنرال الألماني فون سيكت انضم إليه كرئيس أركان.

هكذا، استلم الألمان زمام القيادة.

كان لمعارك بروسـلوف أيضـاً محصـلات سـياسـية. بعد تردد طويل، تخلت رومانيا عن حيادها ودخلت الحرب، حاملة إلى معسكر الحلفاء جيشها المكون من ٦٠٠ ألف رجل. أيدت النجاحات الروسية هذا القرار، وكذا الوعد الفرنسي ـــ الروسي الذي أفضى إلى القبول، بعد الحرب، إلحاق ترانسلفانيا، بيكوفينيا، غاليسيا الجنوبية وجزء من بانات برومانيا.

كان هجوم بروسلوف الهجوم الأنجح خلال الحرب العالمية الأولى كلها، إنما في آخر المطاف، لم يقدم أي خطوة نحو السلم.

معركة إزونزو، إيطاليا في الحرب

كما كان منتظراً، أعلنت إيطاليا الحياد لما نشـــبت الحرب في العام ١٩١٤. نذكر بالفعل أن هذا البلد عقد معاهدة سرية مع فرنسا في عام ١٩٠٢ مفادها أن تبقى محايدة في حال انخراط فرنسا في حرب مع ألمانيا.



في ٢١ تشرين الثاني ١٩١٦، الإمبراطور النمسا ـ هنغاري فرانسوا ـ جوزيف يتوفى في الست والثمانين من عمره بعد أن حكم ثمان وستين عاماً





حفل تتويج الإمبراطور شارل

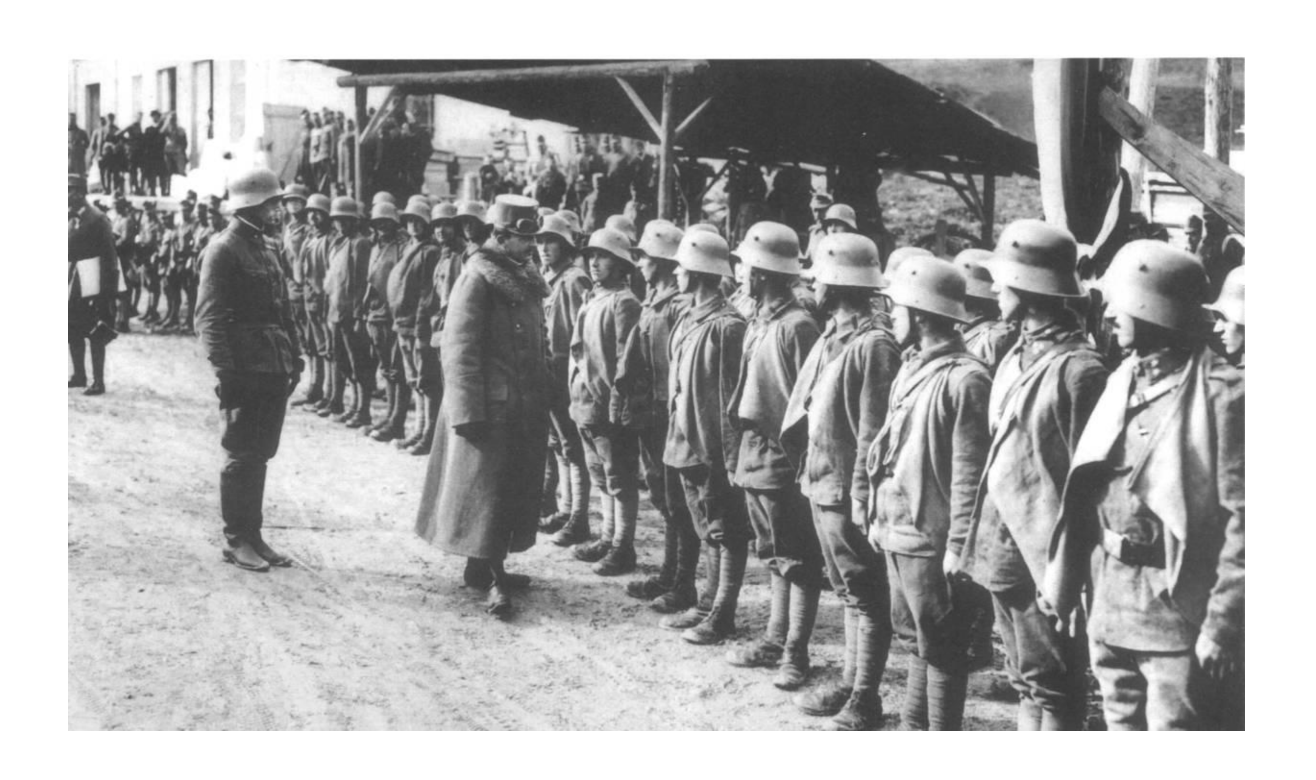


الإمبراطور شارل والإمبراطورة زيتا في أثناء حفل التتويج



الإمبراطور غليوم الثاني والإمبراطور شارل النمسا ـ هنغاري في العام ١٩١٧

وضعت إيطاليا بعض الشروط تمكنها أن تقرر هي ذاتها إن كانت تلتزم بنصوص المعاهدة أم لا. في الحق، لم تكن تفكر إلا بمصالحها وتتمنى تفضيل الفريق الذي يقدم لها خير المقترحات. تبين أن هذا ينطبق على فريق الحلفاء. عرضوا عليها ممر جبل برينر كحد طبيعي، الترانتان، التريست، إستريا، مرافئ (كرواتيا)، أراضي تركية في آسيا الصغرى وبعض المستعمرات الألمانية.







الجنرال أوتوفون بلو في زيارة لجبهة إزونزو



جنود نمسا ــــ هنغاريون على الجبهة الإيطالية



مربض مدفعية نمساوية في جبهة إزونزو



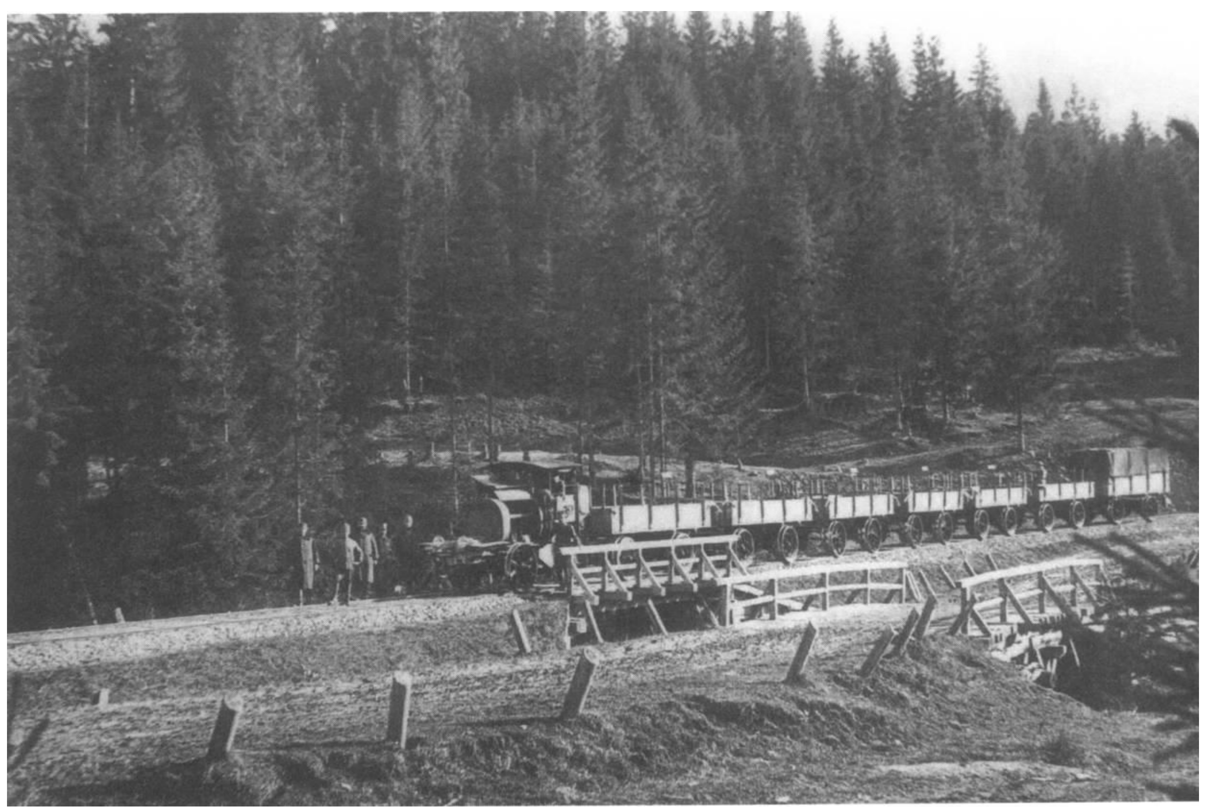
قوات جبلية نمساوية في الحرب ضد إيطاليا



مواقع نمساوية في ذروة الجبل

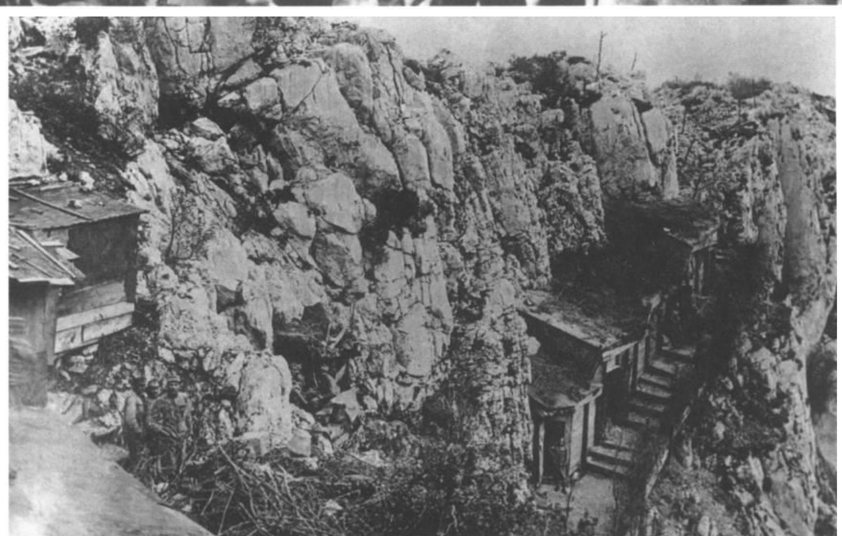


جنود نمساويون، في أيار ١٩١٦، هنا قافلة بغال نمساوية



النمسا ـــ هنغاريون يموّنون على جناح السرعة الجبهة بالعتاد والذخيرة.





موافع نمسا ـ هنغاريه في جبال الالب الإيطاليه

كان الشـعب الإيطالي متحمساً وضـغط على الملك والحكومة لخوض النزاع. قطعت إيطاليا علاقاتها آنئذ مع ألمانيا والنمسـا ـــــ هنغاريا وانسـحبت من المحور لتنضـم إلى الحلفاء في ٢٤ أيار ١٩١٥، وتنخرط في الحرب.

صار نهر إزونزو أحد مسارح المعارك حيث تصدت التشكيلات القتالية الإيطالية للنمسا ـ هنغاريا في ١٢ معركة طاحنة بربرية، لقاء مئات آلاف الضحايا والجرحى.

كان النهر يمر في أرض نمسا ـ هنغارية، على طول التخوم مع إيطاليا



الإمبراطور يزور الجبهة في بولونيا

من خليج فنسيا في الجنوب حتى حوالي بيازو في الشمال. كان الإيطاليون يأملون القدرة على احتلال مرفأ تريست المهم، والتطاول حتى ليبلانا.

في ٢٣ حزيران، دخل الطليان الحرب بهجمة زجت ٢٥٠ ألف رجل، كانت أول معركة باتجاه إزونزو، انتهت في ٧ تموز، صـــرعت ٢٥ ألف جندي من الطرفين، من دون أن ينجح الطليان في عملية الخرق. في هذا العام، جددوا محاولاتهم ثلاث مرات، فقدوا فيها ٢٤٠ ألف رجل. من دون أي مكسب. ومحاولات أخرى في عامي ١٩١٦ و١٩١٧ وحصدوا الفشل وارتفاع عدد الضحايا. بالمقابل، في ٢٤ تشرين أول ١٩١٧، أرسل الألمان جيشاً لَجِباً لدعم الهجوم النمسا ـــ هنغاري. بعد أربع ساعات من رمي المدفعية، استخدموا كثيراً من قنابل الغاز، تخلى الإيطاليون عن ساحة المعركة وانهزموا متراجعين عن ٢٠ كم من أرض المعارك.





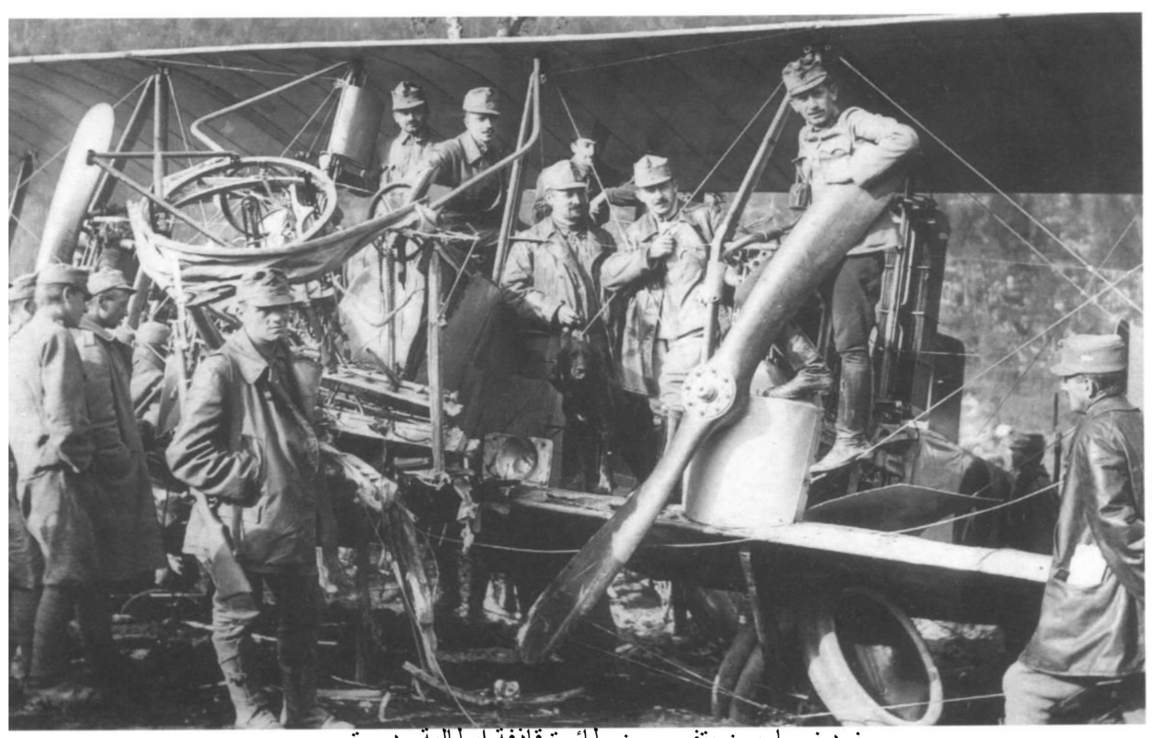
ستار من المدفعية في جبهة إزونزو



جنود احتياط نمساويون ينطلقون إلى الجبهة، يودعهم ذووهم



كثير منهم لم يعودوا إلى مدارج الطفولة



جنود نمساويون يتفحصون طائرة قاذفة إيطالية مدمرة

احتل الألمان مدينة كابوريتو وأســروا ٢٦٠ ألف جندي. في تلك الأثناء، كان أروين رومل ملازماً، وصـــار عميداً في الحرب العالمية الثانية، صعد إلى مهاجمة قمتين وأسر أكثر من ٣٠٠ مقاتل إيطالي. بعد يوم واحد، عبر تقدمه، أسر ٩٠٠٠ أيضاً. في ٢٧ تشرين الأول، اضطر الطليان إلى إخلاء كل مواقعهم على نهر إزونزو. قضت المعارك على حياة أكثر من ٢٠٠ ألف إيطالي ونمســاوي. وهرب ٢٠٠ ألف جندي إيطالي. أثارت هذه الحصــيلة الكارثية أزمة رهيبة في إيطاليا.

أفضى الدعم العسكري البريطاني والفرنسي إلى وقف التقدم النمسا ـــ هنغاري، وفي ١٨ حزيران، وضعت المعارك أوزارها وأتى عهد مؤقت أقلَّ اضــطراباً. وفي نهاية تشــرين أول ١٩١٨، في نهاية الحرب، تمكنت الجيوش الموحدة من الإيطاليين، البريطانيين والفرنسيين من دحر النمساويين نحو إزونزو، ونجحوا بأسر حوالي ٣٠٠ ألف رجل والاســتيلاء على كميات ضــخمة من العتاد. ولما انتهت الحرب ، كان قد ارتفع ميزان الضــحايا الإيطاليين إلى ٦٥٠ ألف رجل وحوالي مليون جريح. نهاية محزنة جداً ومريرة لمن بدأ بقدر جمّ من الحماس، جواباً على إرادة الشعب الإيطالي.[٥]



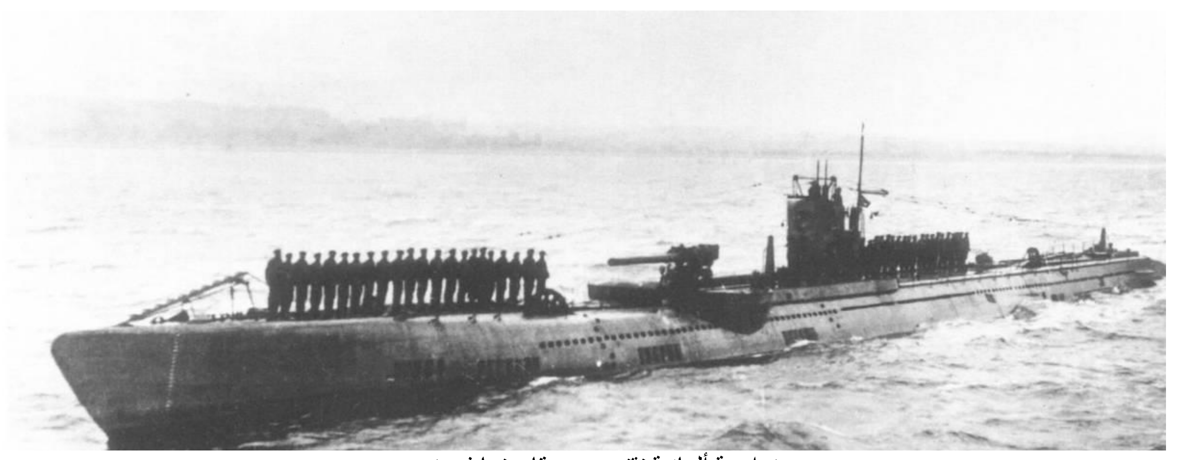
[٥] ـ لا بد لنا من أن نقول هنا لمن يدخل الشعوب في نشوب الحرب: متى أُخذ رأي الشعوب في مثل هذه الحروب. حروب الشعوب نوع آخر فيه مصلحتها. أما هذه الحرب وأمثالها هي من صنع ولمصلحة من قاد الشعوب في ظروف لا يتسع المجال هنا لذكرها ـ المترجم.

الحرب البحرية

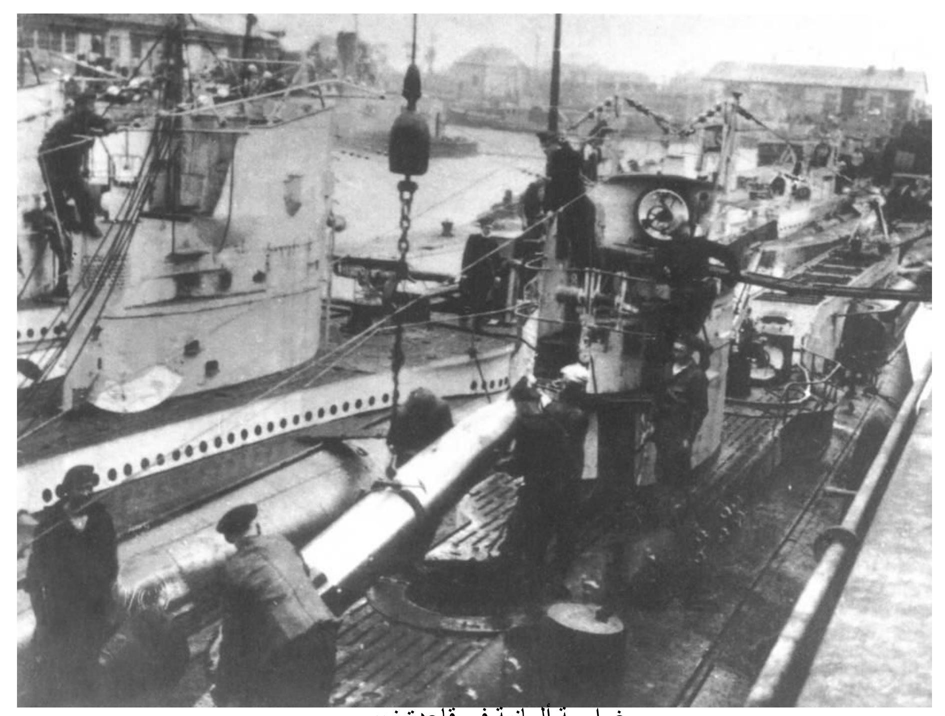
خطط الأسطول الألماني

في نهاية القرن التاسع عشر، كانت ألمانيا في قمة الازدهار بثلث شعبها البالغ ١٥ عاماً، ونمو متنامي لهذا الشعب الذي زاد من ٤١ مليون مواطن في العام ١٨٧١ إلى ٦٨ مليون في نهاية عام ١٩١٤، صارت ألمانيا بسرعة أحد البلدان عالية المستوى الصناعي والتي كانت تلقى أكثر فأكثر صعوبات للعثور أو توفير المواد الأولية لنتاجها. نكد النمو القوي لصادراتها إنكلترا، لا سيما لما شرعت الصناعة الكيميائية الألمانية بالحصول على الطلبات الهامة والتي تزاحم احتكار الشركات البريطانية. في بعض الحالات، كانت ألمانيا تصدر من السلع إلى الأسواق التي كانت للبريطانيين أكثر من البريطانيين أنفسهم.

تصاعدت حاجات الصناعة الألمانية بشكل بارز للمواد الأولية بالنظر إلى النمو الاقتصادي، وصار البلد أكثر فأكثر تعلقاً بالخارج، والأكثر ارتباطاً أيضاً بالبحرية التجارية البريطانية، المكلفة بنقل هذه المواد. من وجهة نظر المنطق التجاري وحده، كان منطقياً أن تحاول ألمانيا تطوير وسائل نقلها. وكانت أولى الخطوات في هذا الإتجاه تعمير أسطول تجاري والحصيلة تطوير أكبر للبناء البحري والمرافئ،



غواصة ألمانية تقترب من قاعدتها في زيبرج



غواصة ألمانية في قاعدة زيبرج

لم يفض هذا إلا إلى تفاقم المزاحمة بين ألمانيا وبريطانيا العظمى. كان التوسع الاقتصادي يشكل إذاً أساس السياسة الخارجية الألمانية. مع شعب سريع التكاثر لم يعد البلد قادراً على السماح طويلاً بالإنغلاق حصراً في القارة الأوروبية وبدا ألاّ مهرب من التوجه منذ الآن نحو "سـياسـة عالمية". لم تحرك هذه الفكرة حماس كل الناس. بالعكس، حاول هؤلاء الرافضون تحديد ـ أو حتى منع هذا التطور والنمو قدر الإمكان. كما حدث خلال إيجار كيووشو.

في العام ١٨٩٧، وفي أثناء محاولة الألمان التواجد في جزر سـليمان في العام ١٨٩٨، لتحقيق مهمة تجارية في الفلبين، وتشييد صوامع تجارية في عدن، على طول الشاطئ الفارسي، على طريق الهند، الخ. في كل مكان تجد ألمانيا روسيا، اليابان وبريطانيا العظمى على الطريق وصـار شـبه مستحيل نجاح هذا التوسع الاقتصادي الضروري بطريقة سلمية.

لم يكن إذاً مدهشاً أن ألمانيا أحست بالحاجة لبناء إمبراطورية استعمارية وتعمير أسطول يعمل في صيانة طرق الاتصال ودروب التجارة. في هذه الحقبة، كان محالاً التفكير بسياسة من دون أسطول ضارب.



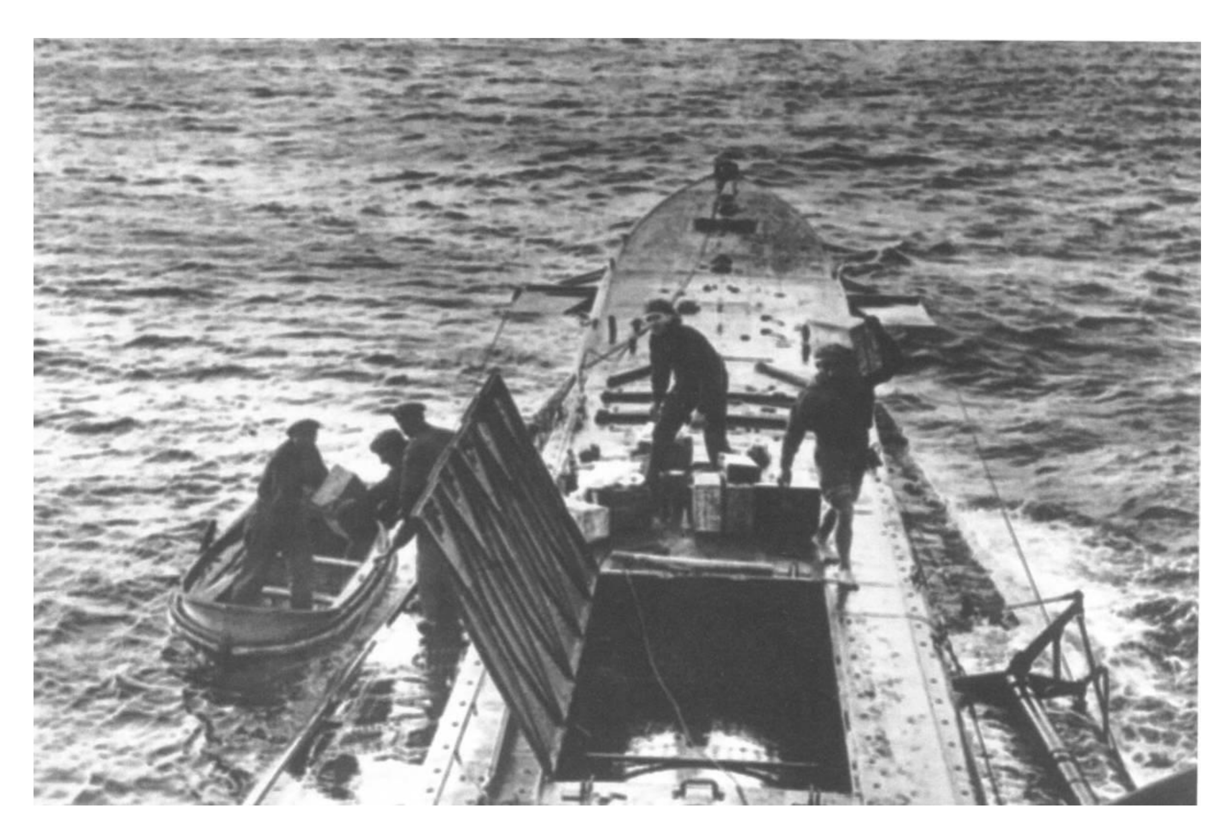
طوربيدات تبحر إلى زيبرج

إن أمنية تأسيس أسطول حربي أصبحت بغتة قضية راهنة في نهاية كانون أول ١٨٩٩، لما أوقفت لها سفينتان تجاريتان ألمانيتان على شط جنوب إفريقيا من قبل سفن حرب بريطانية وخفرتا إلى دوربان. كان لهذا العمل أثر قنبلة في ألمانيا، والتهبت الصحافة. ولما اقتيدت سفينة ثالثة تجارية ألمانية بعد عدة أيام، قدمت الحكومة احتجاجاً قطعياً على ما اسمته "عملاً بربرياً". انتهى البريطانيون إلى تقديم اعتذار وأُطلقت السفن المحجوزة في بداية كانون الثاني، لكن الرأي العام الألماني أيد بقوة رأي الأميرال فون تريبتز الذي كتب في مذكرة أن ليس ممكناً العمل التجاري مع الخارج، ولا امتلاك مستعمرات من دون الحصول على أسطول ضارب.

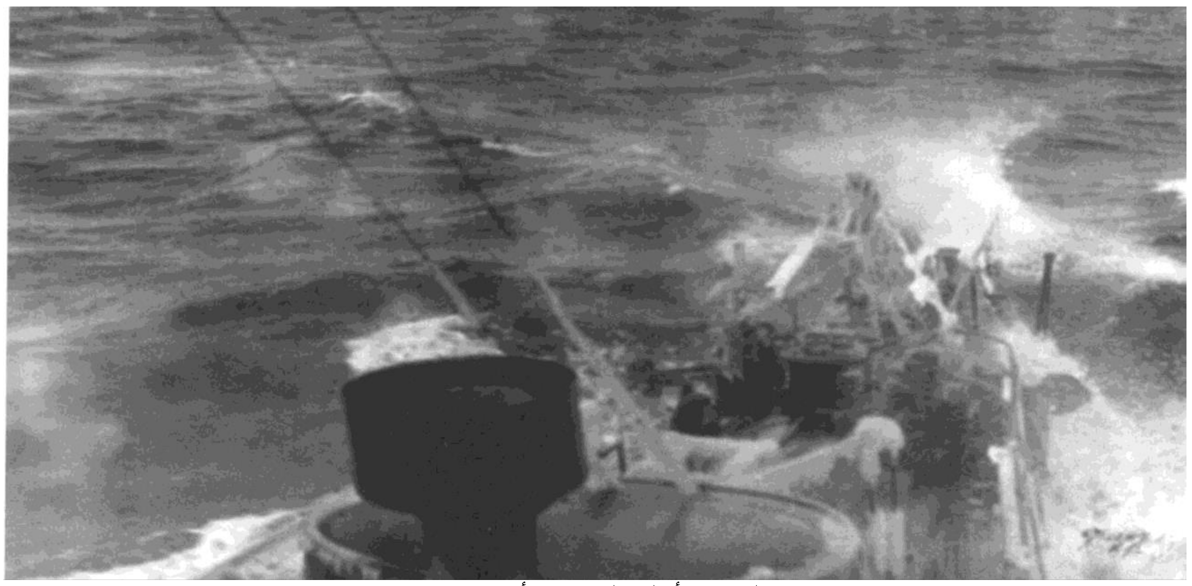
وفي العام ١٨٩٧، اقترح تريبتز مشروعاً أول للأسطول، أُقرّ بعد عام في الرايخستاغ[٦]. وفي العام ١٩٠٠، قدم مشروع قانون ثاني. كانت الفكرة الأساسية أن يكون الأسطول الألماني قوياً يردع الآخرين عن الهجوم.

---

[٦] مجلس النواب الألماني (المترجم).



غواصة ألمانية تتزود بالوقود وبالذخيرة في عرض البحر



لقاء في أعلى البحر في أحرج وقت



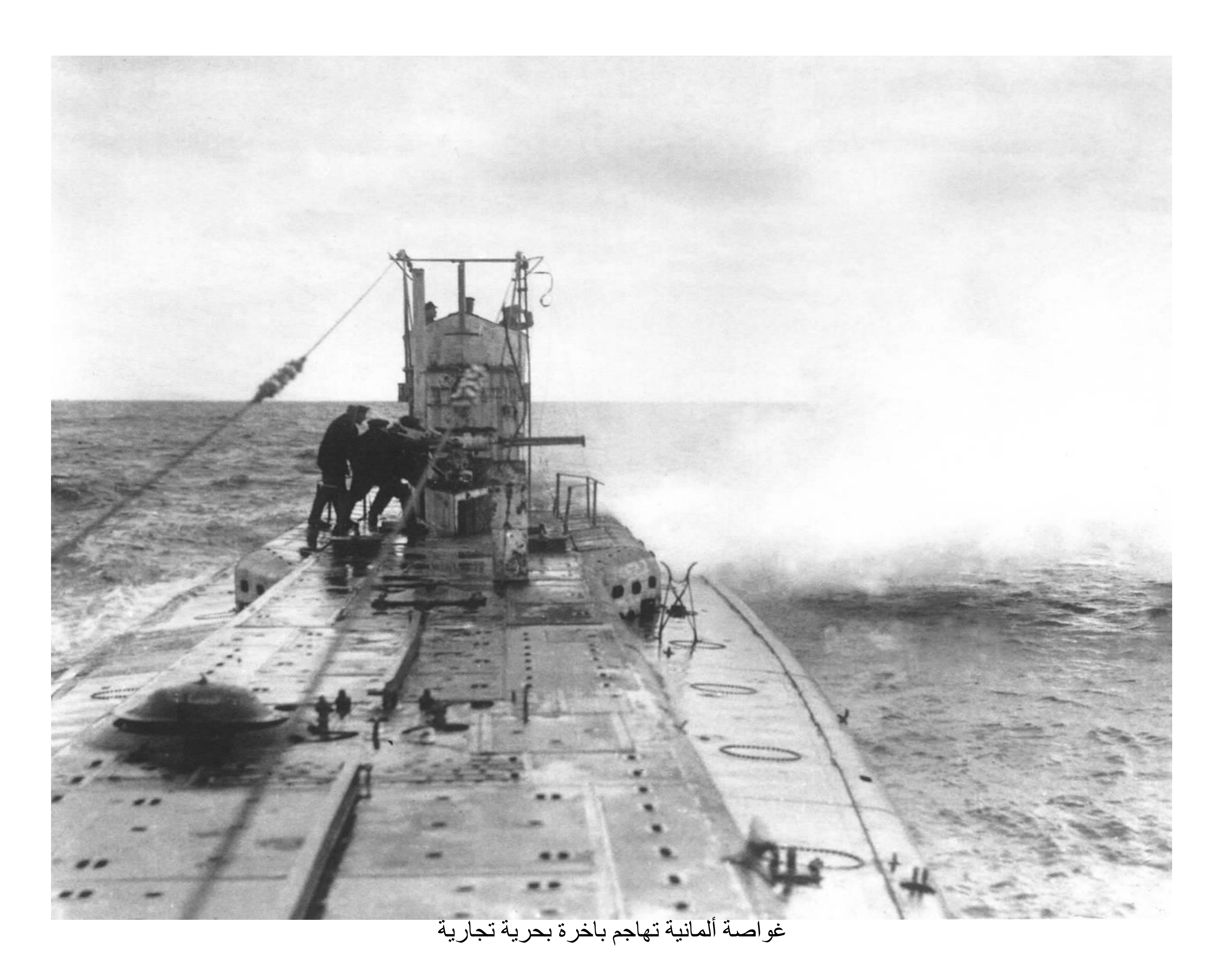
السفينة الشراعية السويدية ماري

وأشـــار أيضـــاً إلى ضــرورة الانتباه إلى عدم عرقلة المصـــالح البريطانية في أثناء تعمير الأسـطول. ويجب الاهتمام البالغ لدى تناول العلاقات البريطانية ولذا وجب على ألمانيا أن تعدل قدرتها العســـكرية وألاّ تثير عدوانا.

توقع مشـروع تربيتز إقامة علاقة تناسبية لسفينتي حرب ألمانيتين لقاء ثلاث لبريطانيا. لا يجب أن يتفوق الأسطول الألماني على البريطاني، إنما يجب أن يكون عالي التجهيز ليفرض احترامه. سيكون هذا الأسطول إذاً عنصـــراً يجب أن يوضـــع في الميزان، وأن يكون بكلمة أدق هو الأســـطول الذي يحتاجه البلد لتنفيذ هذه "السياسة العالمية" الجديدة المنسجمة مع واقعها كدولة كبرى. في بريطانيا ـ العظمى اعتبر مشروع الأميرال تهديداً للتفوق على البحرية



هناك عدو. الفريق يجهز المدفع



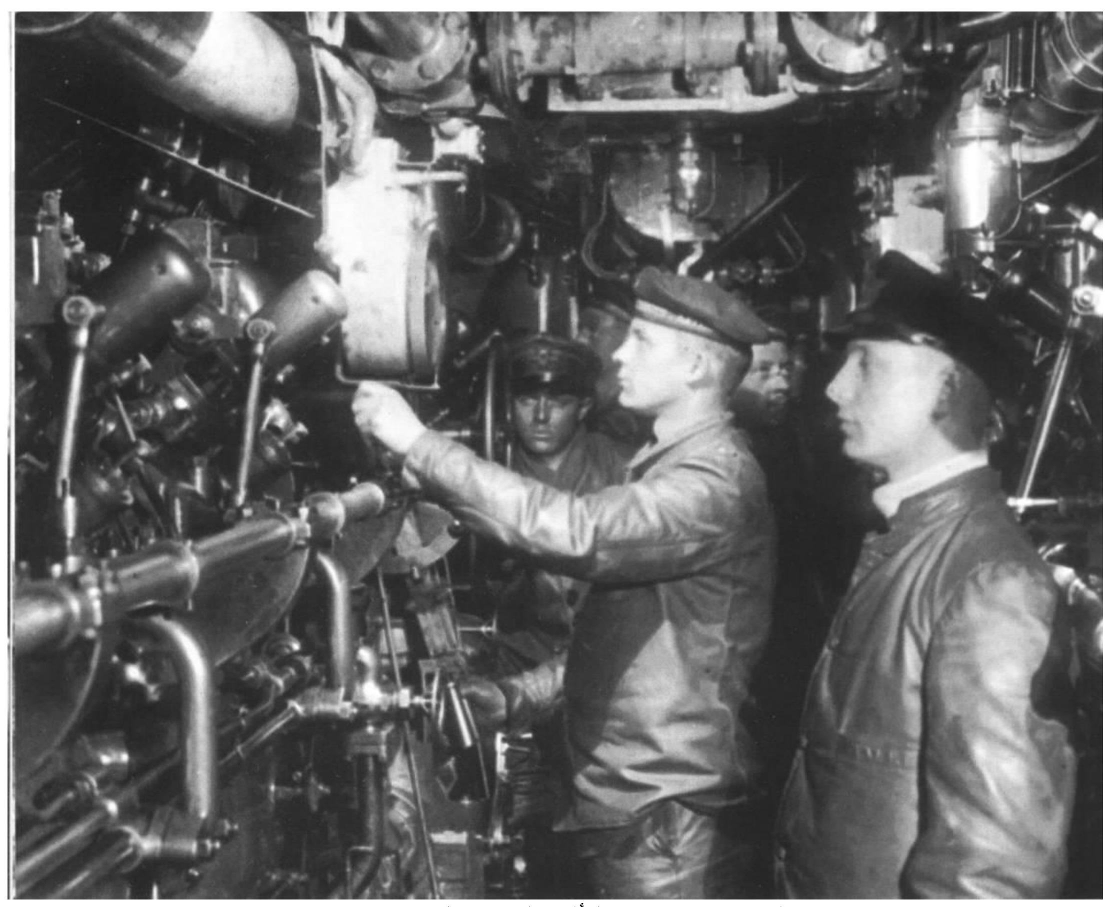
غواصة ألمانية تهاجم باخرة بحرية تجارية

البريطانية، التي لا يوجد أي نية أو محاولة للتخلي عن تفوقها. في عام ١٩٠٨، قرر البريطانيون تبني "مبدأ القوتين " **The Two Power Standard** "ما يعني أن الأسطول البريطاني يجب أن يعادل دوماً أسطول أقوى دولتين قويتين مجتمعتين. انطلاقاً من تلك اللحظة يبدأ سباق التسلح بين البلدين والذي انتهى إلى مصلحة ألمانيا.

في العام ١٩١٢، بدا أن الأمور قد هدأت، اتخذت ألمانيا مبادرة لبدء مفاوضـــات بصـــدد وقف محتمل أو تقليص برامج التعمير البحري عالي الكلفة.



قنبلة تسقط بجانب قارب اصيب بعيد هذا.



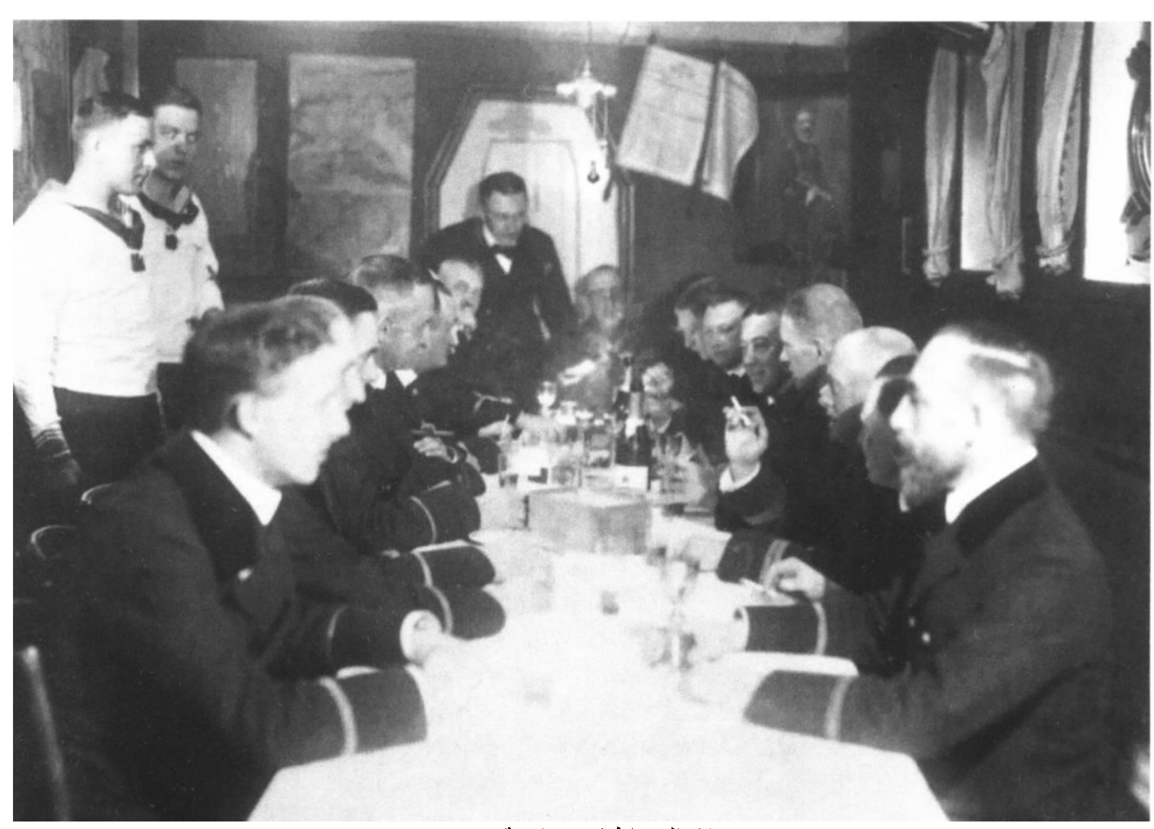
في غرفة تجهيزات غواصة ألمانية تقوم بالمناورة

... مع أن المداولات جرت في بدايتها بتفاهم ـــ أرسل المندوب البريطاني هالدان رسائل واعدة وإيجابية ـ قطعت المفاوضات بسرعة، أساساً بسبب معارضة الوزير البريطاني للشؤون الخارجية إدوارد غريّ، الذي رأى سياسة تقاربه مع فرنسا في خطر، وغذى عدم ثقة عميق بألمانيا.

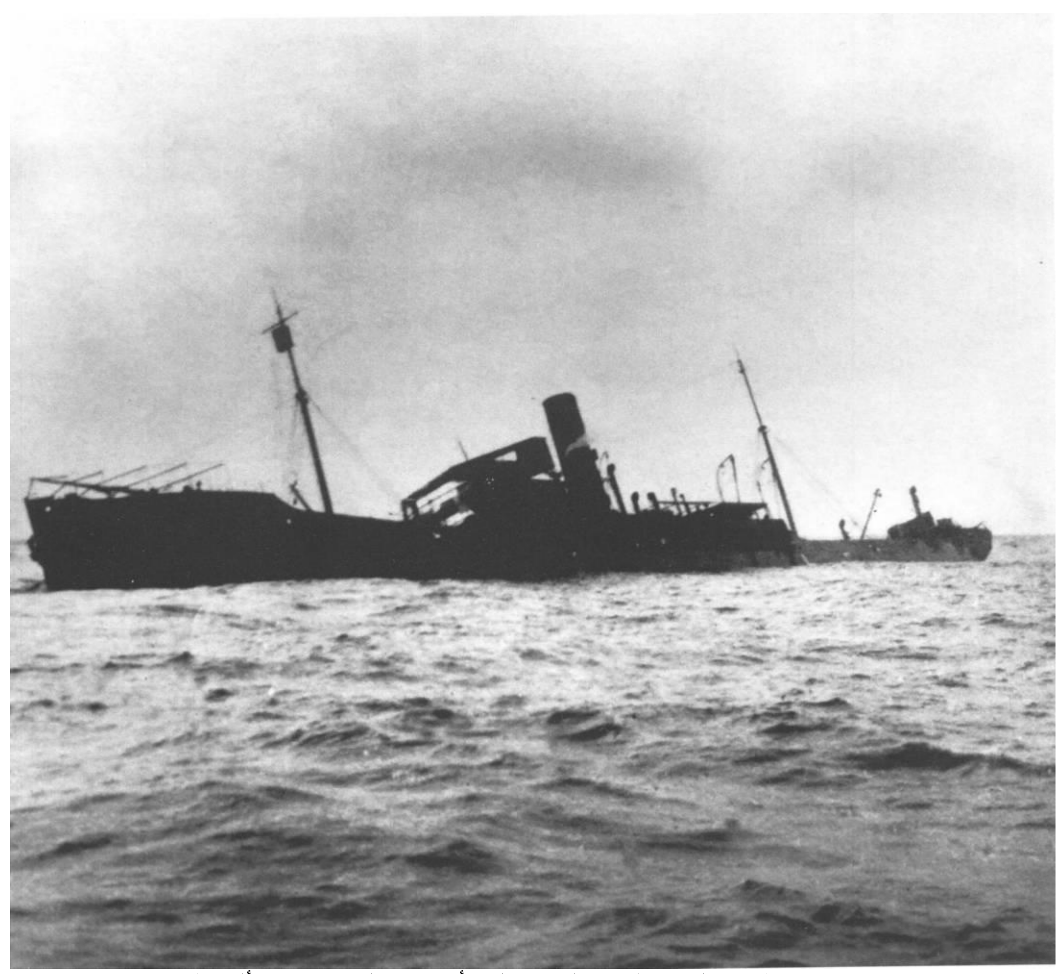
أخيراً، أصـيبت خطة الأميرال تريبتز بالفشـل. عند التحدث عن بداية البناء، تبين أن الميزانية الألمانية لا تقدر تقديم هذه النفقة. فضـلاً عن هذا أرسـت بريطانيا في العام ١٩٠٦ سـفينة دريدنوغ، وهي مفهوم جديد كلياً لسـفن الحرب. لم يكن دريدنوغ سـريعاً فقط. بل أيضـاً أقوى وأمتن درعاً من كل سـفينة حرب موجودة؛ كانت السفن الألمانية الجديدة إذاً متأخرة كثيراً نسبة إلى البريطانيين. بهتت هيبة تريبتز واضطر أن يعترف بعد لأي أن اتحاد الأسطولين البريطاني والفرنسي يشكل عدواناً ضارباً للأسطول الألماني.

على هذا كان مرجحاً أن البريطانيين بالغوا كثيراً بالتهديد الذي يمثله برنامج تعمير الأسطول الألماني، كما أكد تشرشل، أن الأمن القومي لبريطانيا العظمى لم يتعرض للخطر في أي وقت بسبب بناء الأسطول الألماني وأن التأكيد المعاكس كان وحياً من اعتبارات سياسية. كان تقرير الأميرية خطأ فعلاً. وفي عام ١٩١٢ ما كانت ألمانيا تملك سوى ١٢ دريدنوغ عوضاً عن ٢١ كما أعلنت الأميرية.

ترجم البريطانيون مع ذلك بناء أسطول ضخم ألماني إلى دليل عدواني نحو بريطانيا العظمى. إذ شوش البرنامج الألماني وعكر تفوق البريطانيين، الذين يملكون فعلاً الأسطول الأقوى في العالم ويدركون معنى الحفاظ على هذا المستوى. ليس لأي بلد الحق في أن يكون عملاقاً، أي ما يكفي لوضع هذا التفوق في خطر. حتى لو أن الأسطول الألماني لم يسع أبداً إلى هذا المستوى والطموح.



صلاة الضباط في غواصة تموين



واحدة من السفن التجارية بين المئات التي أغرقتها الغواصات الألمانية.

حرب الغواصات

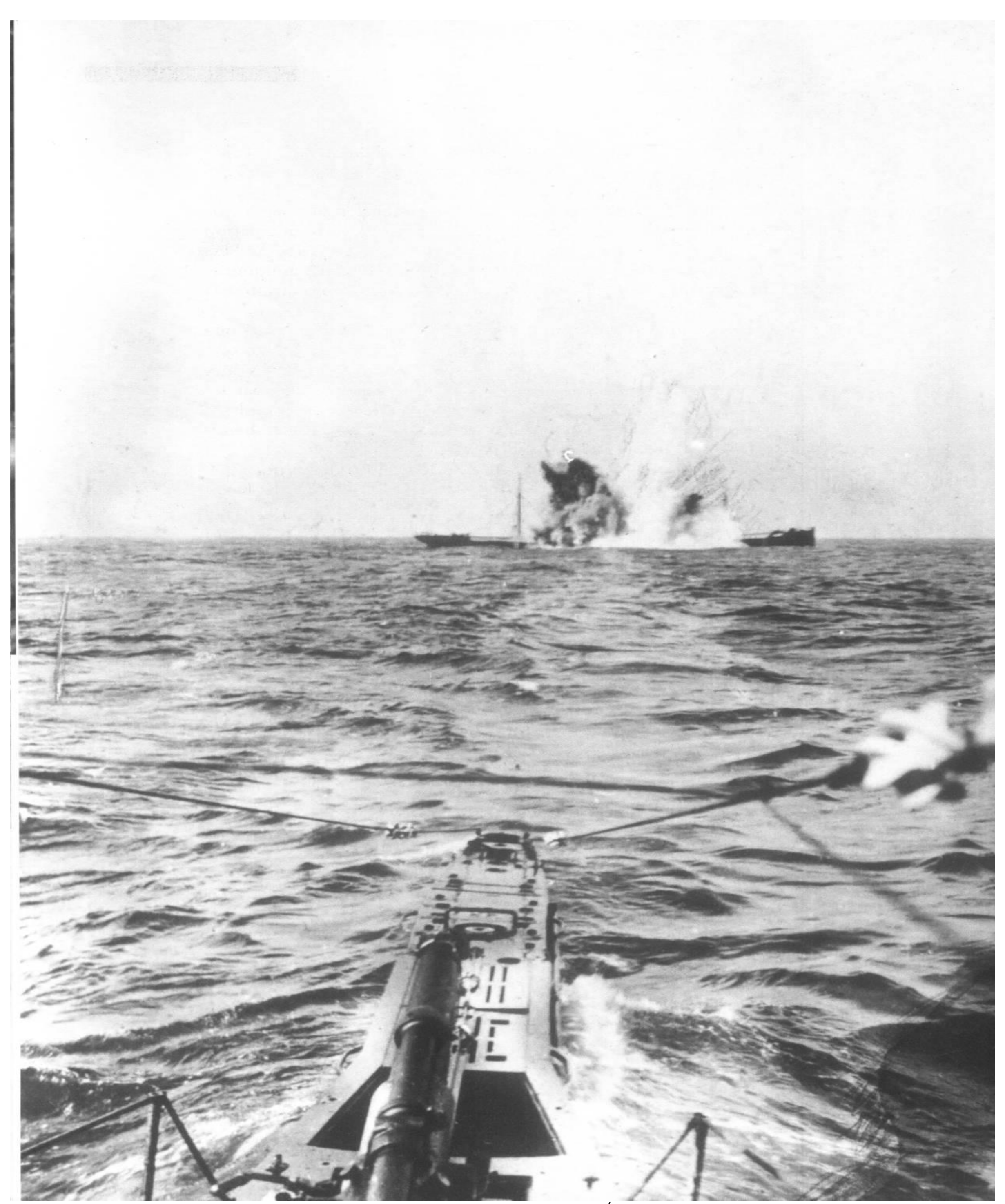
لما اشتعلت الحرب في عام ١٩١٤، نشرت بريطانيا خطة اعتبرت استراتيجية رسمية منذ العام ١٩٠٩ ووضعت على يد الأميرال ووركومتي. ونصت على فرض حصار اقتصادي كلي على ألمانيا في حالة نشوب الحرب معها.

في ٣ تشرين الثاني ١٩١٤ بعد ثلاثة أشهر من نشوب الحرب، مارس البريطانيون الحصار. أعلنوا بحر الشمال منطقة حرب وأخضعوا السفن البحرية لنظام رقابة قاس.

كان يتوجب على السفن المحايدة ما أن تقترب من بحر الشمال أن تمثل أمام البحرية البريطانية للتفتيش الدقيق. لتصادر كل البضائع الخاصة بألمانيا.



النّاجون يغادرون مطيتهم وهي تغرق

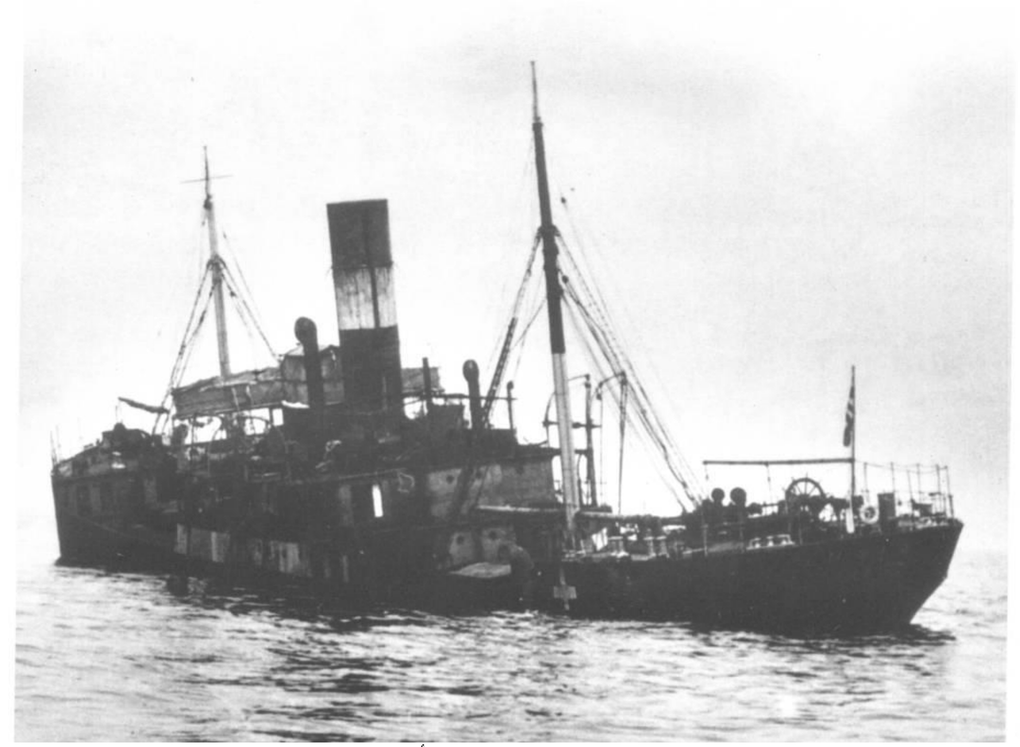


غواصة ألمانية تطلق النار على سفينة مدنية للحلفاء

احتجت عدة بلدان كالولايات المتحدة، النروج والسـويد على هذه التدابير المغايرة للقوانين الدولية، لكن البريطانيين لم يبالوا.

كان الحصار مخالفاً للقانون الدولي وغير مقبول أخلاقياً. لأول مرة صار الناس المدنيون هدفاً رسمياً لحرب قد تميت آلاف الألمان من الجوع بفعل هذا التدبير. لم يرد البريطانيون، لكنهم فرضـوا شـن الحرب ليبرروا ضرورة الحصار.

رداً على هذا التدبير، أعلنت ألمانيا في ٤ شـباط ١٩١٥ أن كل المياه التي تشـاطئ بريطانيا ـــ العظمى وإيرلندا، وحتى المانش ستكون من الآن أرض قتال ومغلقة في وجه السفن التجارية العدوة، وستنسفها من دون اسـتثناء الغواصـات الألمانية. وأضـاف الألمان أن "قواعد الجولات البحرية" للقواعد الدولية التي تنص أن مرافقي السفن التجارية العدوة يستطيعوا أن يحجزوا مكاناً في مركب إنقاذ قبل أن يغرق المركب، لم تعد سارية المفعول، بسبب الخطر الذي تتعرض له الغواصة.



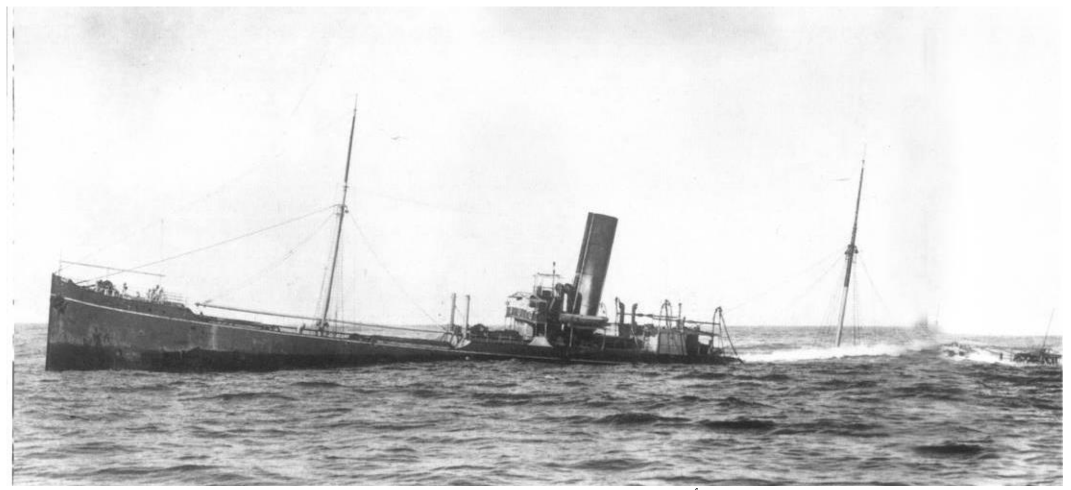
باخرة تجارية متروكة بعد أن قذفت

نسف الباخرة لوزتانيا

للأسف، طبق هذا القرار غالباً على السفن الحيادية؛ لأول مرة، كانت سفينة تجارية نرويجية، ثم سفينة بترول أمريكية، وبعد أسبوع، في ١٩١٥/٥/٧، لوزتانيا، الطوربيد البريطاني، الآتي من نيويورك والذاهب نحو لفربول، حاملاً عدداً كبيراً من المسافرين الأمريكان. مما أثار انفعالاً ضخماً وعميقاً، وطلبت الحكومة الأمريكية أن يوقف الألمان على الفور حرب الغواصات كلها.

وكان الانفعال مؤثراً في ألمانيا واقترح على الأمريكان التعويض على الضحايا، ولكن ليس إلى حد إيقاف مهاجمة السفن التجارية المعادية. وفي ١٩ آب، نسف المركب البريطاني أرابيك وفي ٢٤ آذار ١٩١٦، نسف المركب البحري سوسكس، مرة أخرى، كان عدد من العابرين الأمريكان بين الضحايا.

هذه المرة، أرسلت الحكومة الأمريكية إنذاراً وطلبت سريان مفعول "قاعدة السفن المبحرة" قبل أن تنسف الباخرة، تحت طائلة قطع العلاقات الدبلوماسية. خضعت الحكومة الألمانية للضغط، وتلقى قادة الغواصات الألمانية مهمة عدم مهاجمة المراكب. وفي نهاية ١٩١٦ مع ذلك، بعد الهجوم الرهيب على فردان والسوم، أخذ الوضع في الجبهة منحى معادياً لألمانيا وألحت القيادة العليا على وقف حرب الغواصات كلها. عارض بيثمان ــــ هولويج، المستشار الألماني، بعنف حرب الغواصات. كان قانعاً أن هذا التدبير يهدف الانضمام أمريكا إلى الحرب، وأفضى رفضه إقالة الأميرال تيربيتر، واستلم مكانه الأميرال كابيل.



غواصة ألمانية تطلق النار على باخرة تجارية صديقة



بحارة سفينة تجارية صوروا على متن U.٣٥

تابعت القيادة العليا الألمانية الإلحاح على ضـرورة اللجوء كلياً إلى السـلاح الذي تحمله الغواصـات. قدر الأميرال الألماني هانينغ فون هولتزندروف، رئيس الأركان العامة البحرية أن الألمان إذا توصلوا إلى إغراق ٦٠٠ ألف طن من البواخر البريطانية خلال شـهر واحد، سـتجبر بريطانيا ـــ العظمى على الانسـحاب من الحرب بعد خمسة أشهر ،وستنتهي الحرب حتى قبل أن تكون أمريكا مستعدة للاشتراك فيها.

في ٧ تشـــرين أول، قررت ألمانيا العودة إلى حرب الغواصـــات وتلقى القادة بألم أمر احترام "قواعد العبور البحري". فرضت النتائج على بيتمان ـــ هولويج الكف عن المعارضة بإلحاح وفي أول شباط ١٩١٧، تحقق أن ألمانيا لن تربح الحرب البرية، وأن سلاح الغواصات وحده قادر على دحر بريطانيا ـــ العظمى بسرعة. فأعلنت ألمانيا إذا رسمياً العودة إلى حرب الغواصات كلياً. لمست المحصلات الإيجابية في الحال.

...أغرق ربع البواخر المتجهة إلى بريطانيا العظمى أو القادمة من هذا البلد وبالفعل، شـــرع الوضـــع أن يصير حرجاً للمملكة المتحدة. وقد كان للرجوع إلى حرب الغواصات مع ذلك خلاصة أخرى. قطعت الحكومة الأمريكية العلاقات الدبلوماسية مع ألمانيا وأعلنت عليها الحرب في ٦ نيسان ١٩١٧.

بين بداية الحرب وتشرين الثاني ١٩١٨، نسف الألمان إجمالاً أكثر من ألفي سفينة تجارية وسفينة حرب صرعت ١٢ ألف بحار. لكن أكثر من ٢٠٠ غواصة دمرت أو زالت من الوجود. وكان الألمان


لقاء في أعالي البحر بين U.٣٥ و U.٤٢

غارقين في وضـع الخريطة العريضـة لإركاع بريطانيا العظمى بواسـطة غواصـاتهم، لكن الحلفاء مارسـوا في الوقت المناسب نـهج القوافل أو خفر الحراسة، ما قلص كثيراً النسف. فضلاً عن هذا، ظهر سلاح جديد هو قنبلة لنسف الغواصـات، أفشل هذا الأمر جذرياً أثر حرب الغواصـات . كما تراجع أمل الألمان في أن تنتهي الحرب قبل أن تصل الجحافل الأمريكية إلى القارة بل صـار إلى الصـفر. قضـى اشـتراك أمريكا بالحرب على مستقبل ألمانيا بصورة درامية.

معركة جوتلاند

في ٣١ أيار نزل إلى البحر الأسطول الألماني، الموضـوع بقيادة الأميرال سـخير عوضـاً عن فون بوهل. امتطى سخير بحر الشمال ليقاتل منه أسطول بريطانيا العظيم، في ما سمي فيما بعد معركة جوتلاند، مواجهة أثمرت نتائج قابلة للنقاش حتى الساعة الراهنة. يؤكد بعض المؤرخين أن القصد نصر استراتيجي للبريطانيين ورأى آخرون بالعكس أن المقصود نصر تكتيكي ألماني. فيما يدور الحديث؟

التكتيك الألماني

كان الألمان يعرفون أن أسـطولهم كان غير كاف لرفع الحصـار البريطاني. وأيضـاً كانت السـياسـة الرسـمية للبحرية الألمانية في تلك البرهة تجنب المواجهة المباشـرة مع الأسـطول البريطاني وتقليص طاقته لجره إلى مستوى من القدرة شبه متعادلة مع الأسطول الألماني. إذاً المواجهة المباشرة يجب تجنبها.



رئيس أسطول أعلى البحار الألماني الأميرال سخير الذي هزم هزيمة رهيبة تكتيك البريطانيين في أثناء معركة جوتلاند.

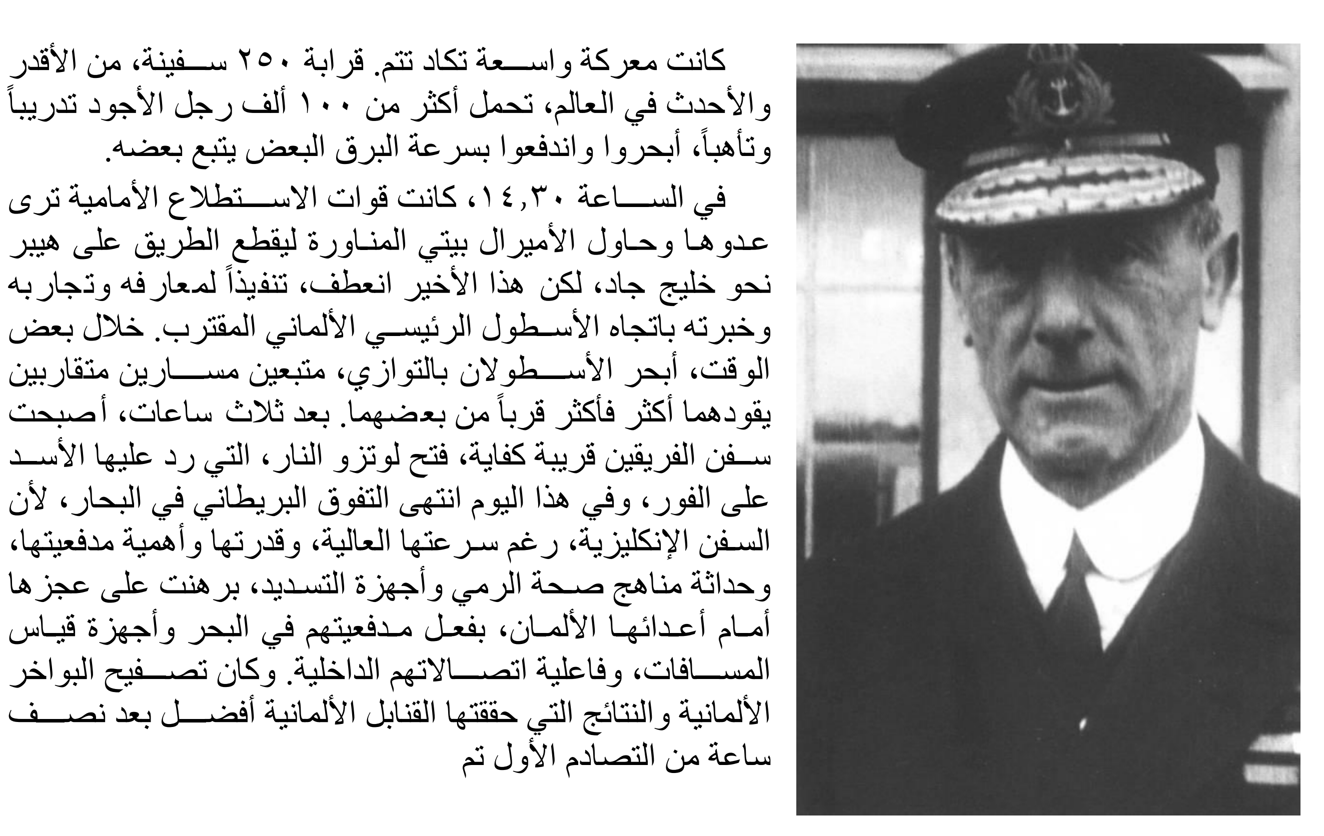
اتبع الأميرال سـخير بألم وملل هذه السـياسـة، مضـيفاً إليها عنصـراً جديداً. بزج الغواصـات، أراد هو نفسـه إقامة حصـار وحرمان بريطانيا العظمى من المؤونة الضـرورية للحرب . بالفعل وضـع التدخل الأمريكي مؤقتاً نهاية لحرب الغواصـات الشاملة، وأعاق هذه الاستراتيجية وألزمها ألا تعتمد سـوى على وحدات سطح البحر. في ٣١ أيار ١٩١٦، أبحرت السفن الألمانية باتجاه الشـط البريطاني، بغية إخراج أسـطول الطرادات التي يقودها الأميرال بيتي، من منطقة روزيث التي ترسـو بها. قسـم سخير أسطوله إلى شطرين، قوة استطلاع، بقيادة الأميرال فون هيبر، مع ٥٠ ألف من القوات الألمانية الضـاربة. عند خروج البريطانيين، يهاجمهم هيبر ويجرهم نحو القوة الضاربة.

وبالتالي سـخير، المتفوق بعدد المراكب، من دحر أسـطول الأميرال البريطاني.

لكن البريطانيين كشـفوا خطة الترميز الألمانية، كانوا إذاً مطلعين على خروج الأسطول الألماني فنصبوا له كميناً. رفع بيتي مرسـاة مراكبه واتجه لملاقاة الألمان. في اللحظة ذاتها، ترك الأميرال جليكو، قائد الأسطول البريطاني الرئيسي، ترك قاعدته في سكايا فلور. كانت فكرة المناورة تقول إن سـفن بيتي، منذ أن تبدأ الهجوم على رأس الجسر الألماني،

الأميرال فون هيبر يقود قوة الاستطلاع الألمانية التي نجحت بردع أسطول طرادات المعركة للأميرال البريطاني بيتي خلال ساعات.

تنسـحب باتجاه الأسـطول الكبير الذي يدمر آنئذ رأس الحربة الألمانية. ثم تبدأ هذه تواجه الأسـطول الألماني الذي لن تدمره بالتأكيد، عارفاً التفوق الكبير للأسـطول البريطاني.



كانت معركة واســعة تكاد تتم. قرابة ٢٥٠ ســفينة، من الأقدر والأحدث في العالم، تحمل أكثر من ١٠٠ ألف رجل الأجود تدريباً وتأهباً، أبحروا واندفعوا بسرعة البرق البعض يتبع بعضه.

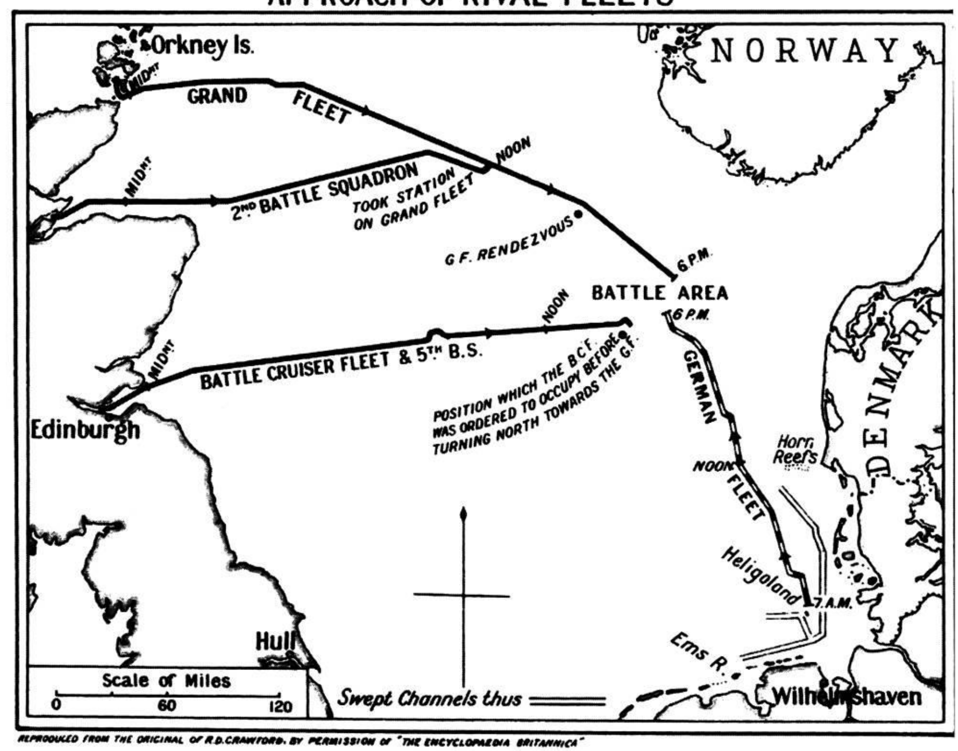
في الســاعة ١٤,٣٠، كانت قوات الاســتطلاع الأمامية ترى عدوها وحاول الأميرال بيتي المناورة ليقطع الطريق على هيبر نحو خليج جاد، لكن هذا الأخير انعطف، تنفيذاً لمعارفه وتجاربه وخبرته باتجاه الأسطول الرئيسـي الألماني المقترب. خلال بعض الوقت، أبحر الأســطولان بالتوازي، متبعين مســارين متقاربين يقودهما أكثر فأكثر قرباً من بعضهما. بعد ثلاث ساعات، أصبحت سـفن الفريقين قريبة كفاية، فتح لوتزو النار، التي رد عليها الأسـد على الفور، وفي هذا اليوم انتهى التفوق البريطاني في البحار، لأن السفن الإنكليزية، رغم سرعتها العالية، وقدرتها وأهمية مدفعيتها، وحداثة مناهج صحة الرمي وأجهزة التسديد، برهنت على عجزها أمام أعدائها الألمان، بفعل مدفعيتهم في البحر وأجهزة قياس المســافات، وفاعلية اتصــالاتهم الداخلية. وكان تصــفيح البواخر الألمانية والنتائج التي حققتها القنابل الألمانية أفضــل بعد نصــف ساعة من التصادم الأول تم

الأميرال جليكو قائد الأسطول الكبير في أثناء معركة جوتلاند. قد أفقده تردُده وخوفه من معارك الطوربيدات النصر

القصف من لوتزا والأسد، أصيبت البارجة البريطانية **HMS** التي وصفت بأنها لا تتعب ولا تكل بنيران مركزة من فون ديرتانن، وغرقت جارة معها إلى اللجة أكثر من ألف رجل، وبعد نصف ساعة أخرى، أصيب الـ **HMS** الأسد، مركب القائد الأميرال بيتي، وبعده انفجر وغرق فوراً الـ **HMS** الملكة مريم، مرسلاً ١٢٠٠ رجل إلى الأعماق. والـ **HMS** الأميرة الملكة، بعد إصابة بالغة، اضطرت إلى الانسحاب.



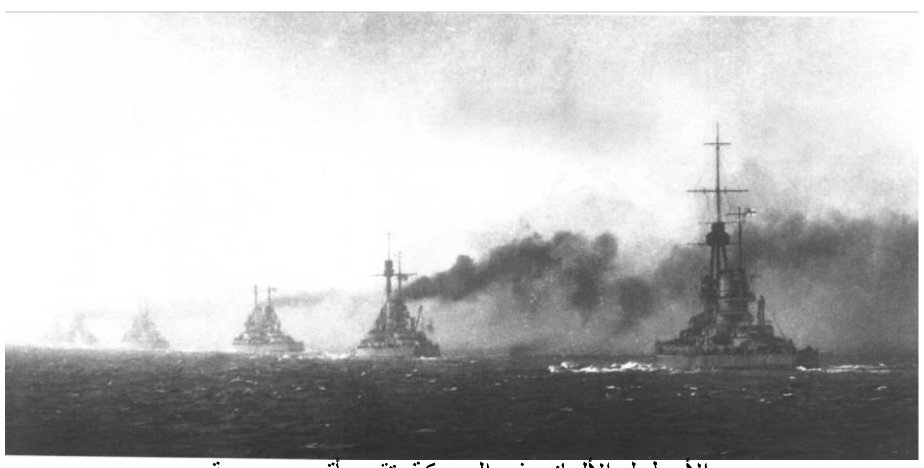
عندما أبعد أو أقيل جليكو، خلفه بيتي



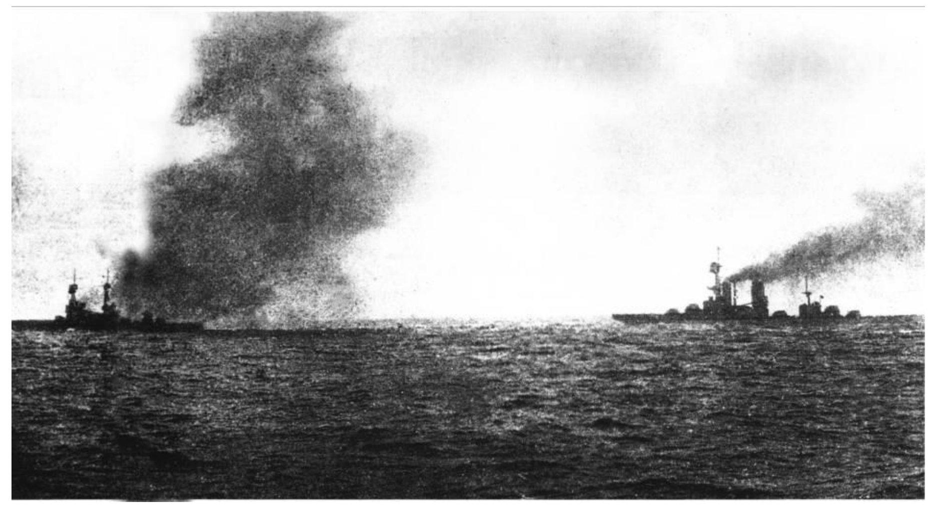
خريطة لمعمعة جوتلاند فيها لم يستطع الأسطول الإنكليزي الضارب استبعاد الأسطول الألماني



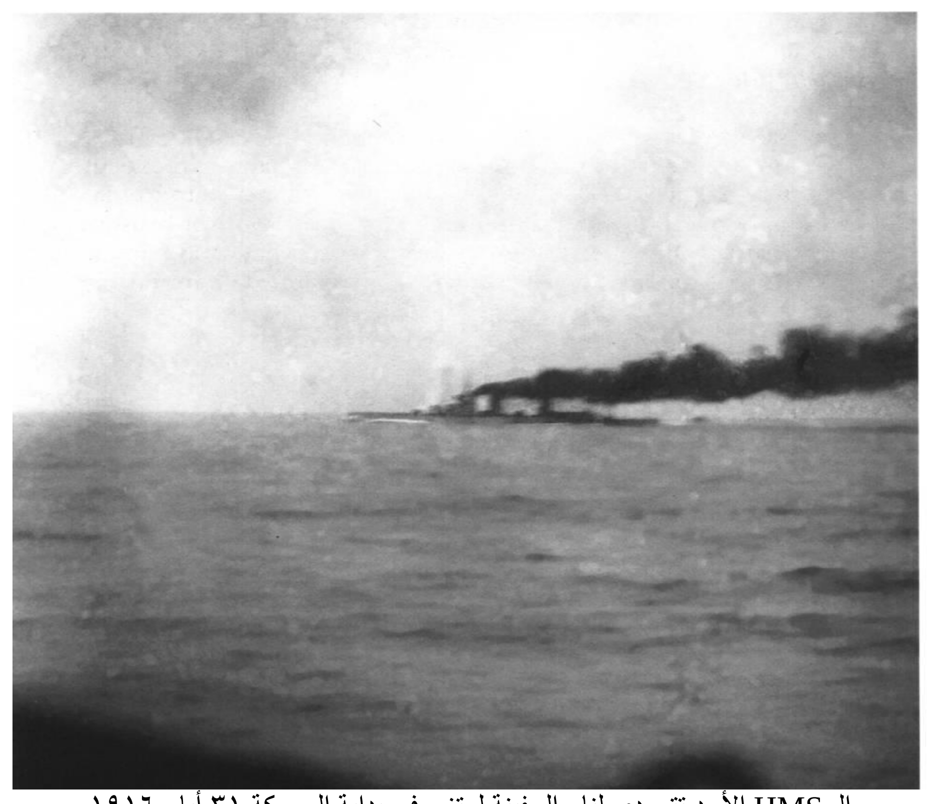
الأسطول الكبير يغادر قاعدته في سكايا فلو على درب جوتلاند



الأسطول الألماني في المعركة يتقدم بأقصى سرعة



السفينة HMS العظيمة تفتح النار



الـ HMS الأسد تتصدى لنار السفينة لوتزو في بداية المعركة ٣١ أيار ١٩١٦

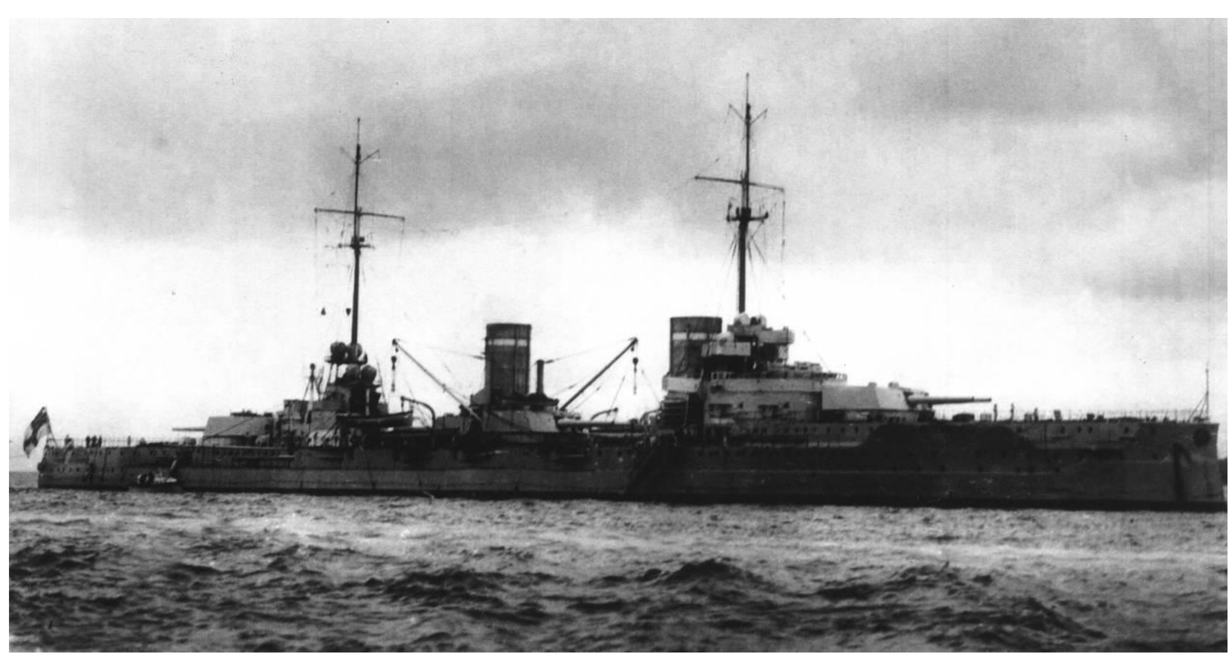
أدرك الأميرال بيتي أنه هو نفســه في خطر الوقوع في الفخ وأعطى أمر تغيير التوجه، أي إلى الأســطول الكبير، الذي يقترب هو أيضـاً بسرعة. لكن أوامره فهمت خطأ. بسبب تواضع نوعية نقلها. والسفن الأربع من العمارة البحرية الخامسة، التي انطلقت لمد يد العون لها فقدت الإشارة، واستمرت بالتوجه ووصلت إلى وسط الألمان الذين فتحوا النار في الحال. فوراً أصيبت الـ **HMS** ورسبت وفرض توقفها عن المعركة، بينما تضررت الثلاث الأخرى في الســاعة ١٨,٣٠، بدأ الألمان معركة الطوربيدات التي مع ذلك صــدت، وغرق الطوربيدين **V**٢٧ و **V**٢٩. خسر البريطانيون بالمقابل ٤ طوربيدات.. ، اثنان غرقا في الثواني الأولى.

خلال هذا الوقت، كان هيبر وســفنه أمام نيران الأسـطول الكبير. تمكن الألمان من حرق **HMS** تســتر، وبعيد هذا، أصـــيبت وســـبادن واحترقت. والبيلن والفرانكفورت صـــبت عليهما نيران البريطانيين واكتوتا بأضرار بالغة. ولما أرادت

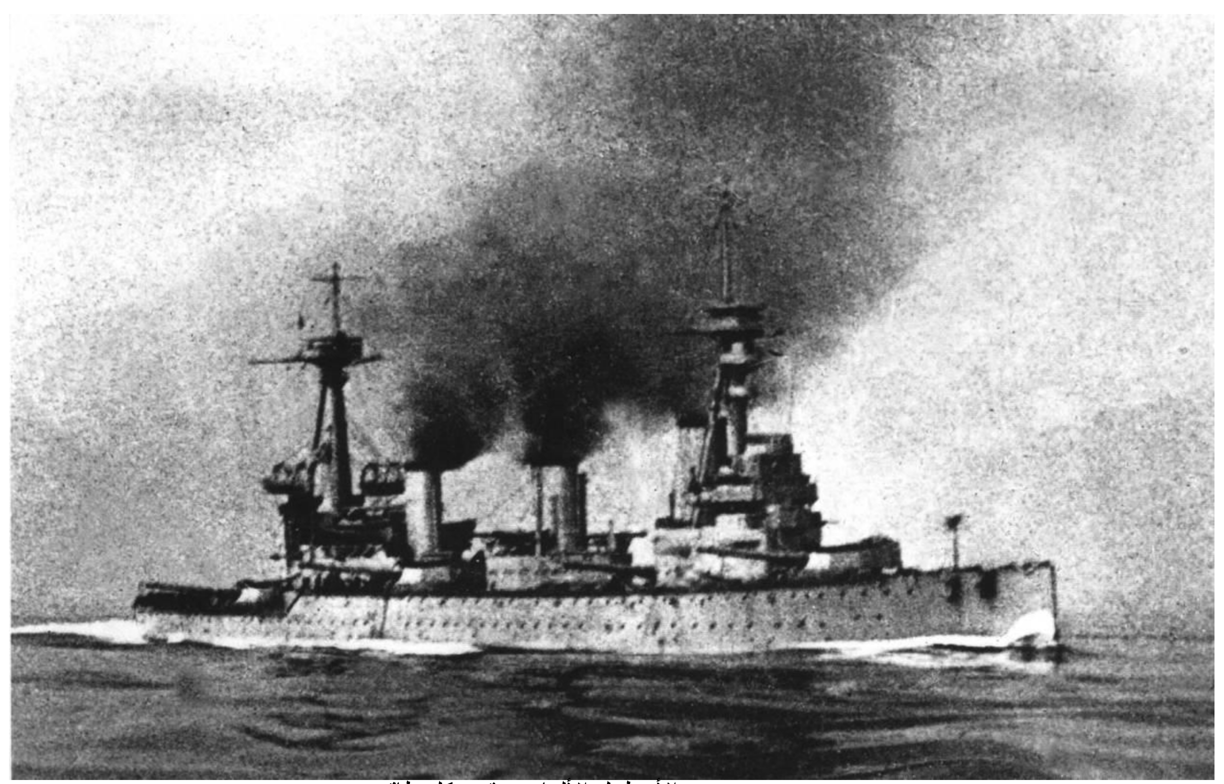
الدفاع فتح النار مجدداً على وسبادن لإغراقها نهائياً، وصل سخير إلى النجدة. دمرت الدفاس واحترقت الـ **HMS**ورنير.

كان سخير يعرف أن أسطوله غير قادر على مواجهة تفوق الأسطول الكبير، فأمر سفنه أن تقوم باستدارة فعلية بمناورة بارعة استدار الأسطول الألماني ١٨٠ درجة، فصار الخط الأول فجأة في المؤخرة. وقبل عدة دقائق، نجح الألمان بإغراق الــــ **HMS** التي لا تقهر، جناح الأميرال هوود، الطراد الثالث لذلك اليوم، وجر معه ١٠٠٠ رجل إلى الغرق.

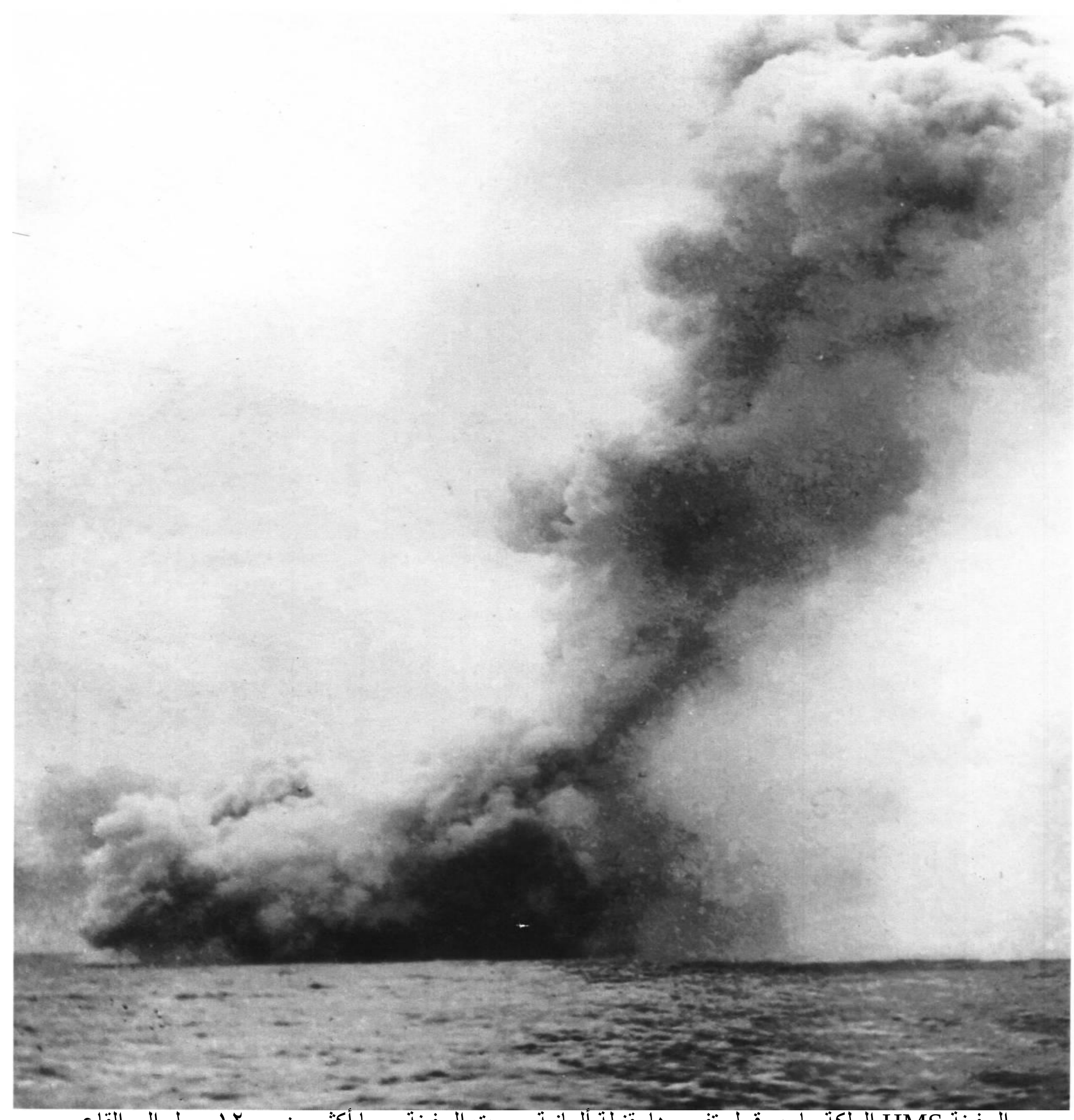
لاحظ سخير بدهشة غريبة أن غرانت فليت المدعوم بمراكب أسرع، وبعيد أمر بتغيير الاتجاه والعودة إلى الهجوم بطرادات المعركة ومطاردة ناسفة. وصل بالضبط إلى مركز الأسطول البريطاني الذي استقبله برمي عاصف. احترقت سيد ليتز، وأصيبت لوتزو واضطر سخير أن ينقل جناحه إلى فون مولتكه. وأصيب الـ ٣٥-S وغرق بنفس اللحظة. أدرك سخير أن البريطانيين كانوا في نقطة استبعاد أسطوله، فأمر باستخدام الطوربيدات. ثم، باستغلال هذا الهجوم، جدد مناورته



الرائعة تفتح النار HMSالـ


الأسطول الألماني يتقدم بكل طاقته

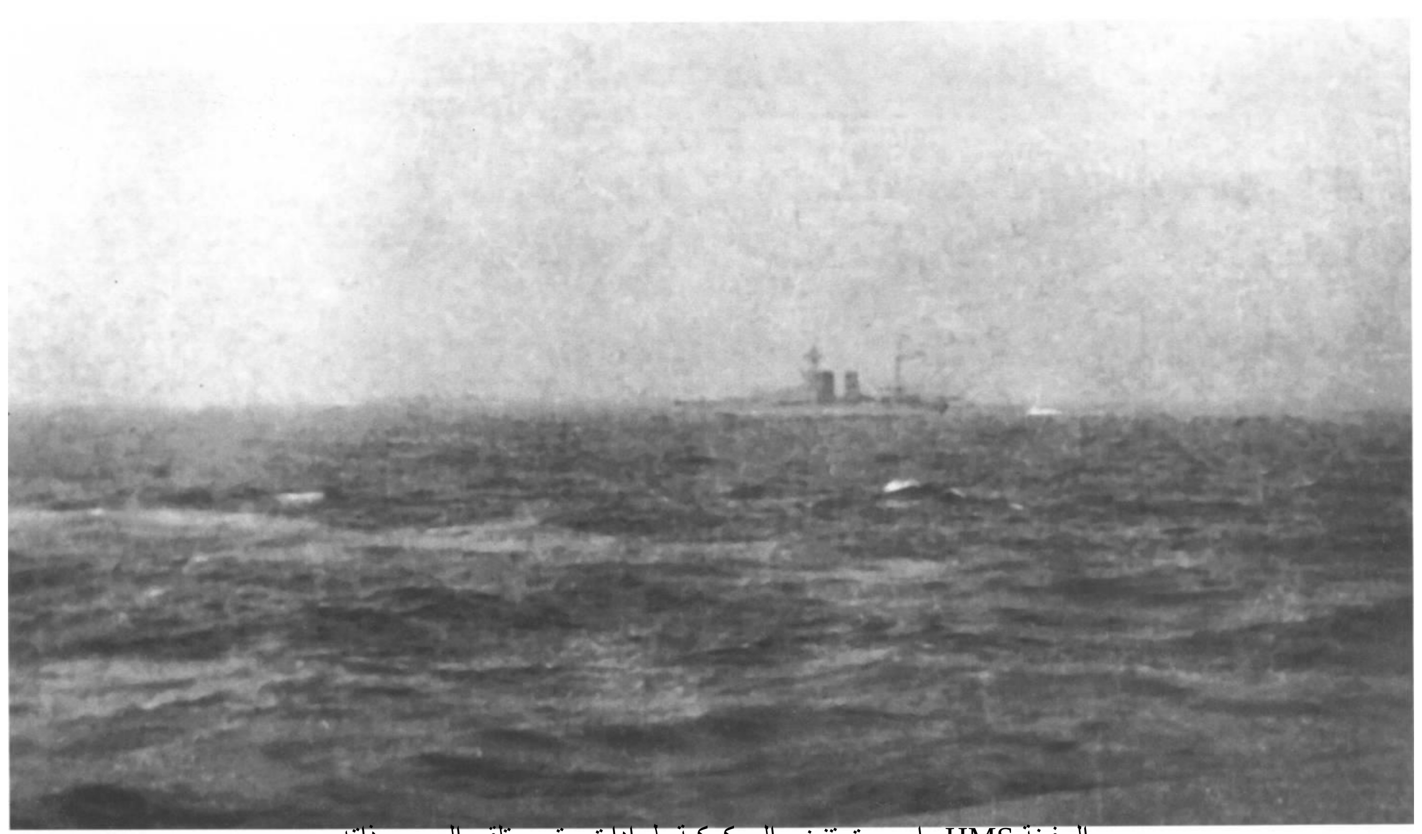

الرائعة تفتح النارHMSالـ



السفينة HMS الملكة ماري قبيل تفجيرها بقنبلة ألمانية، جرت السفينة معها أكثر من ١٢٠٠ رجل إلى القاع



الطراد البريطاني HMS الأميرة الملكية، تحت نار كاوية، اضطرت إلى مبارحة مسرح العمليات.



السفينة HMS وارسبيت تنضم إلى كوكبة طرادات بيتي ، تلقى المصير ذاته



الطرادة HMSوقد أحرقها الألمان

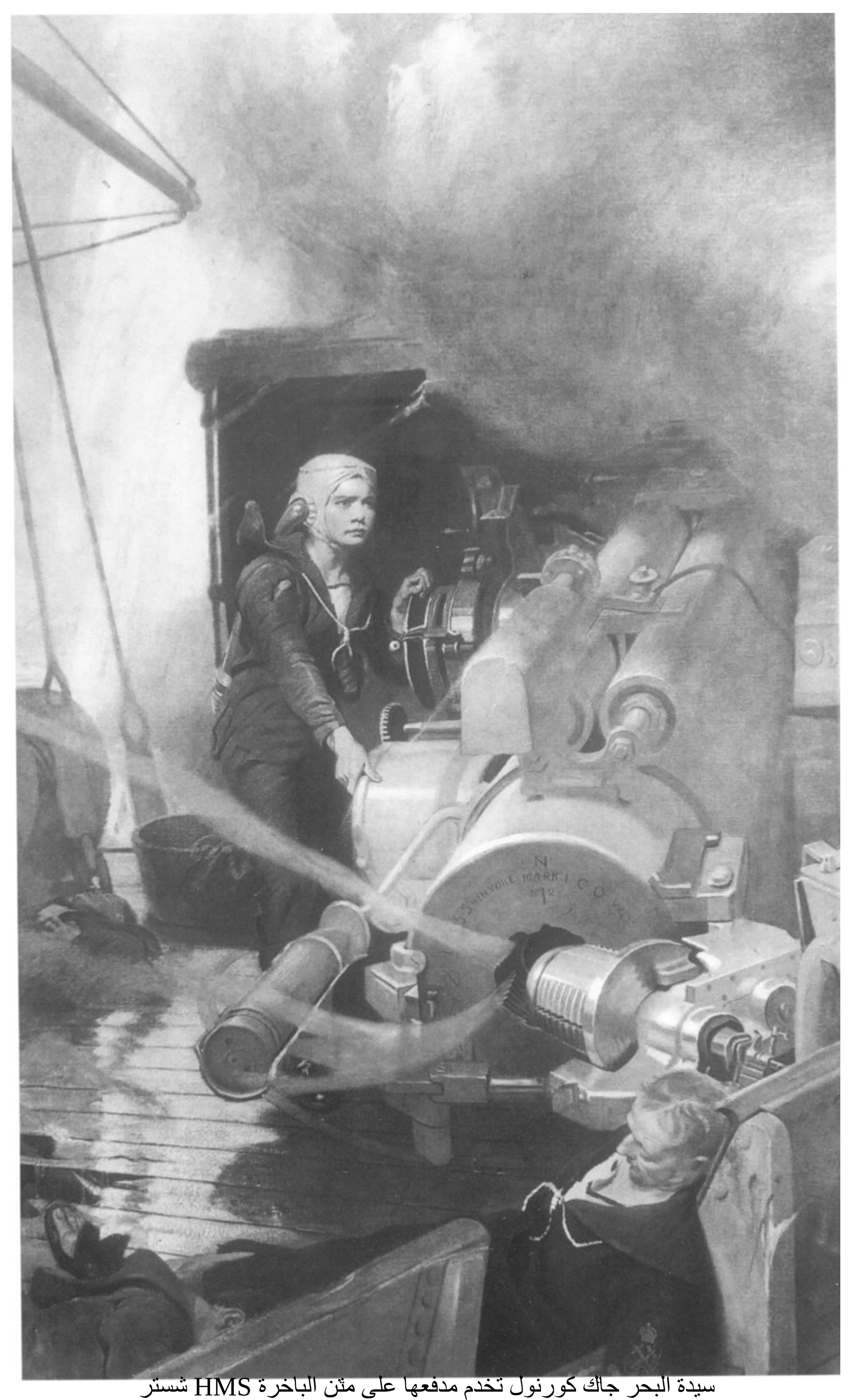
سـحابة الليل، شـبت معارك جديدة، هذه المرة مع العمارة الثانية من الطرادات الخفيفة البريطانية، خلالها تضررت كثيراً سوزامبتون ودبلن، بينما أغرق الطوربيد البريطاني الناسف الخفيف الألماني فروئنلوب.

وفي هذه الأثناء التقط الاستطلاع البحري البريطاني أمر سخير في العودة إلى قاعدته وفكوا رموزه. نقل وضـعه واتجاهه إلى جليكو، لكن هذا لم يبال بهذه المعلومات. بعدئذ في الليل، كان وصـول سـخير بسـفنه إلى وسـط الأسـطول الخفيف البريطاني الرابع مناسـبة لنشـوب دورة قتال جديدة. وضـع الطوربيدان، الناسـفان تيبراري وبردك البريطانيان خارج المعركة وبلغت البلبلة والغضب البريطانيان ناسّو ووصل سبارو ــ هوك البروك المتضررين جداً. وأصيب الطراد الألماني إلبينغ ونسف
روستوك.

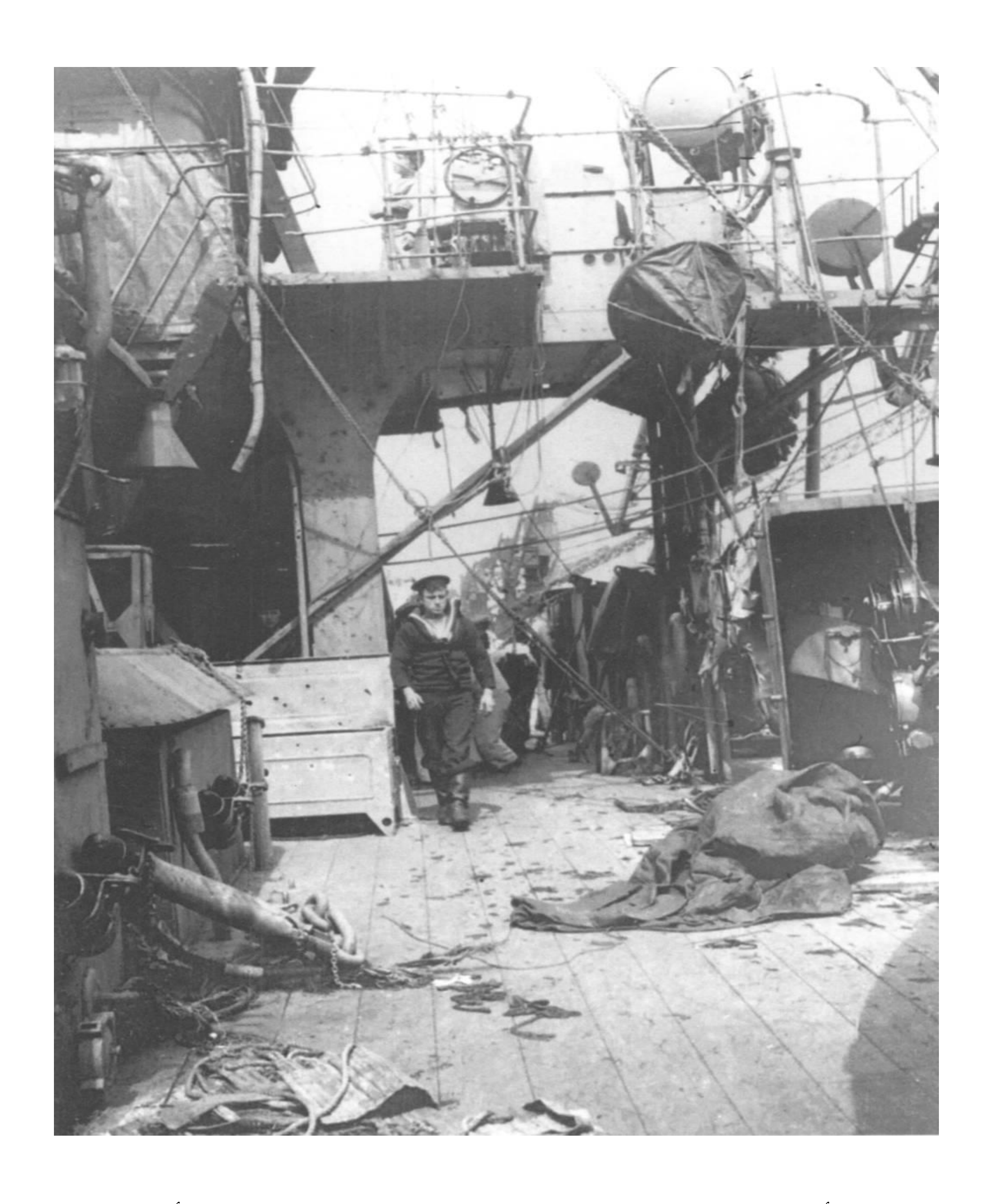




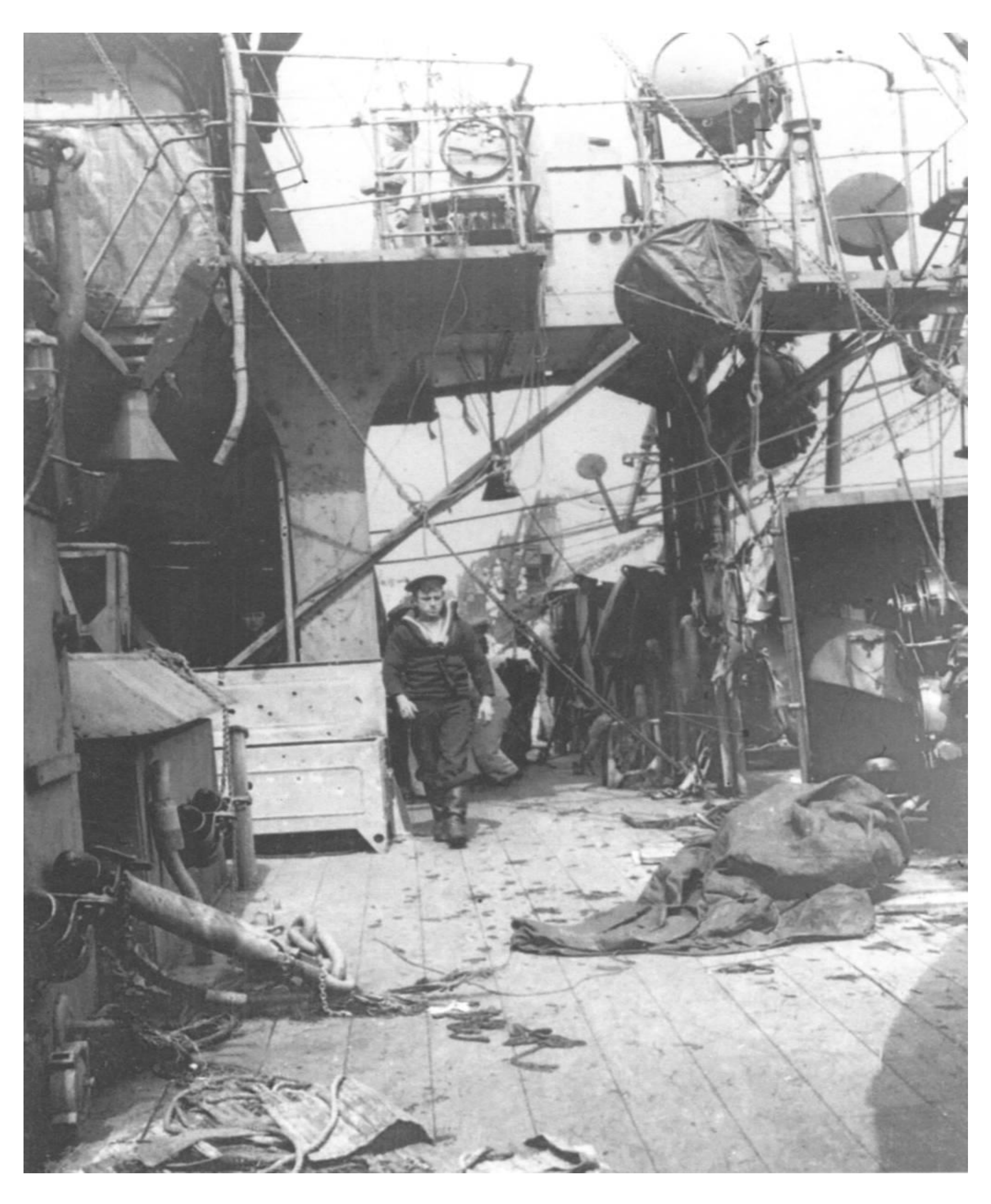
بعد انا دابت الفوضى تابع القتال مدفع واحد



سيدة البحر جاك كورنول تخدم مدفعها على مثن الباخرة HMS شستر

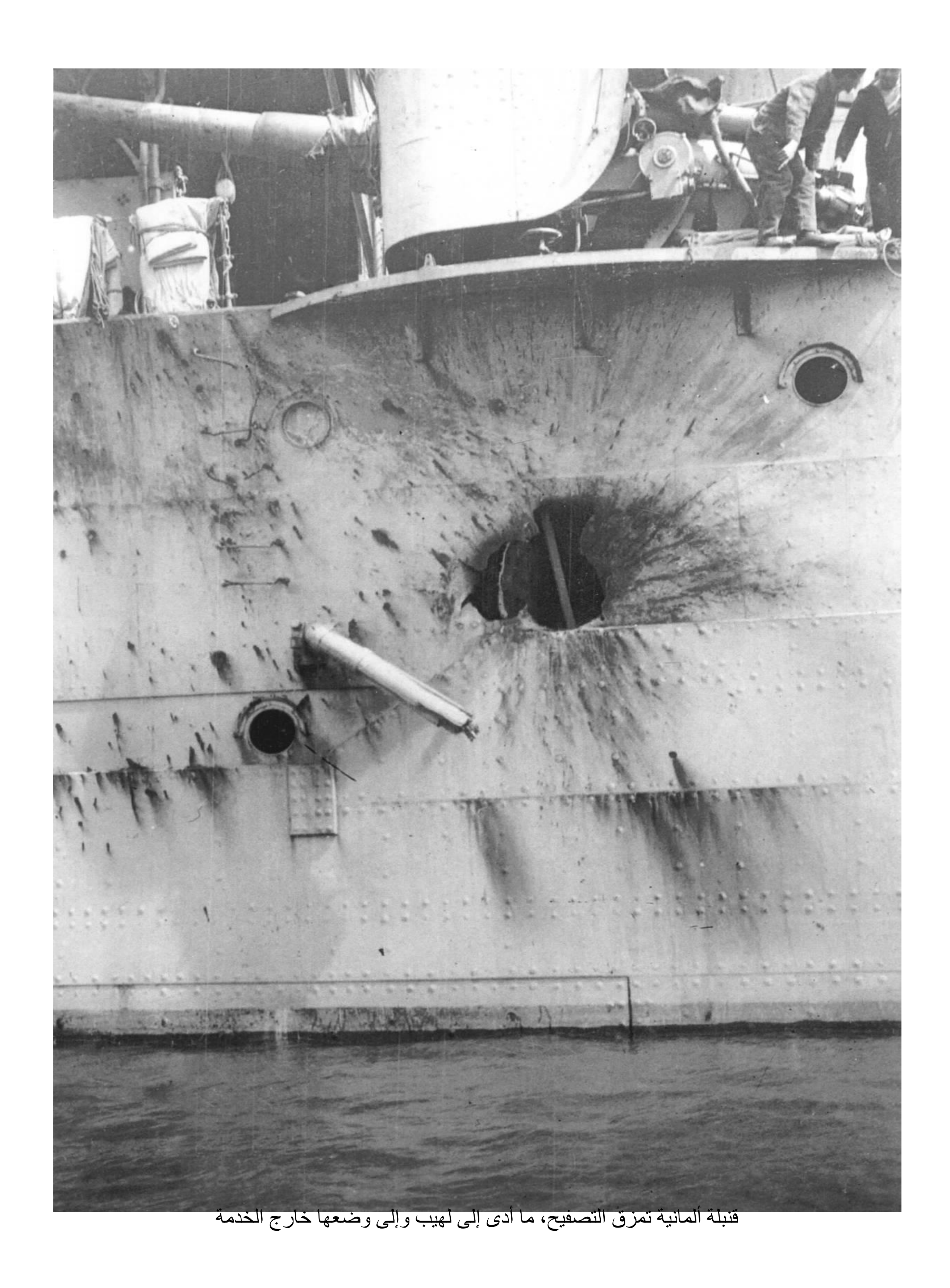


بعد ساعات، عاد الأسطولان إلى العراك، وغرق الطوربيدان البريطانيان **ardent** أردنت ـــــ وفورتون **Fortune** وبعد قليل تبعهما الناسـف المسـلح بلاك برانس الذي اختفى في اليم مع ٧٥٠ رجلاً على متنه. في الصـباح الباكر، أخيراً، في خضـم المعركة، أغرق الألمان الطوربيد الناسـف توربولان. بعد سـاعتين نجح البريطانيون بدورهم في إغراق الكاسحة العتيقة الألمانية بومم، والطوربيد **V.٤**، ما وضع حداً لآخر حلقة في معركة جوتلاند.

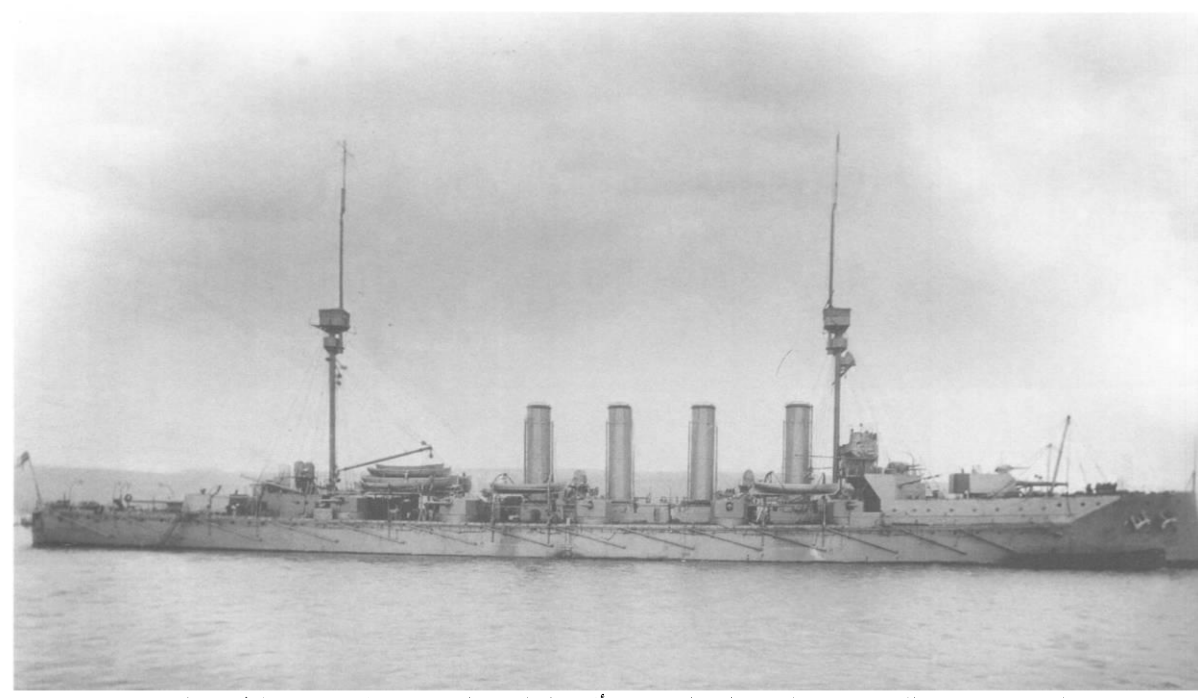


التلف في اعلي شستر

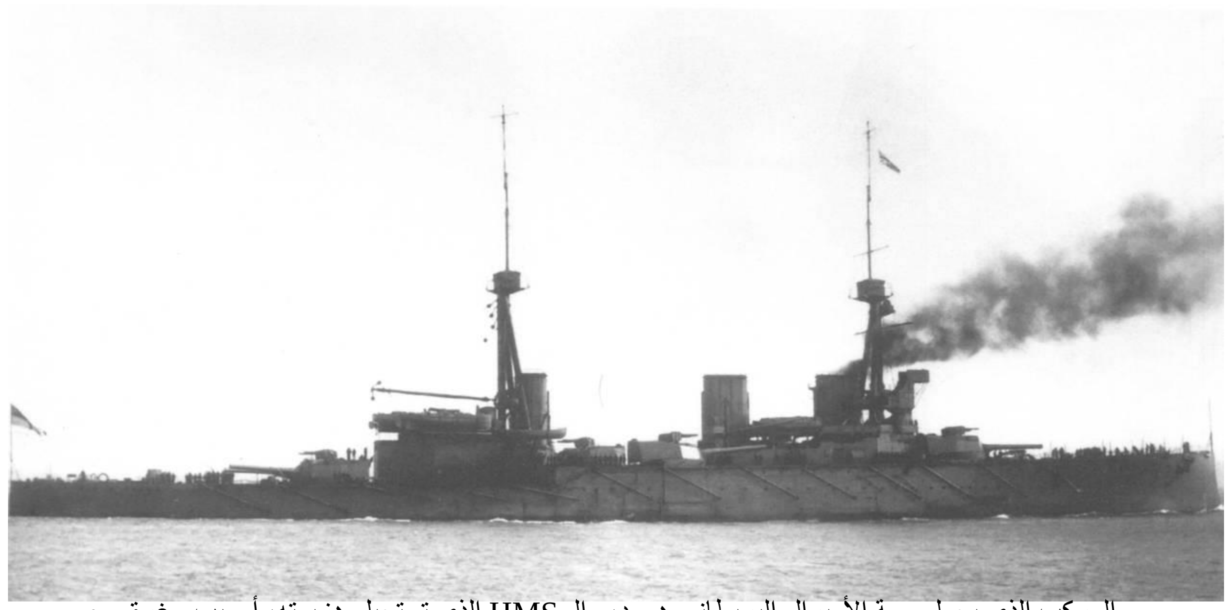
إجمالاً، خلال هذه المعركة، خسر الألمان طراد مقاتل (لوتزو)، كاسحة بومم، أربع طرادات خفيفة (وسبادن، فروئنلوب، إلبينغ وروستوك) ٢٥٥٠ قتيلاً و٥٠٧ جرحى



قنبلة ألمانية تمزق التصفيح، ما أدى إلى لهيب وإلى وضعها خارج الخدمة


الباخرة HMS للدفاع تفتح النار على الباخرة الألمانية الحربية وسبادن ثم دمرتها الطرادة لوتزو

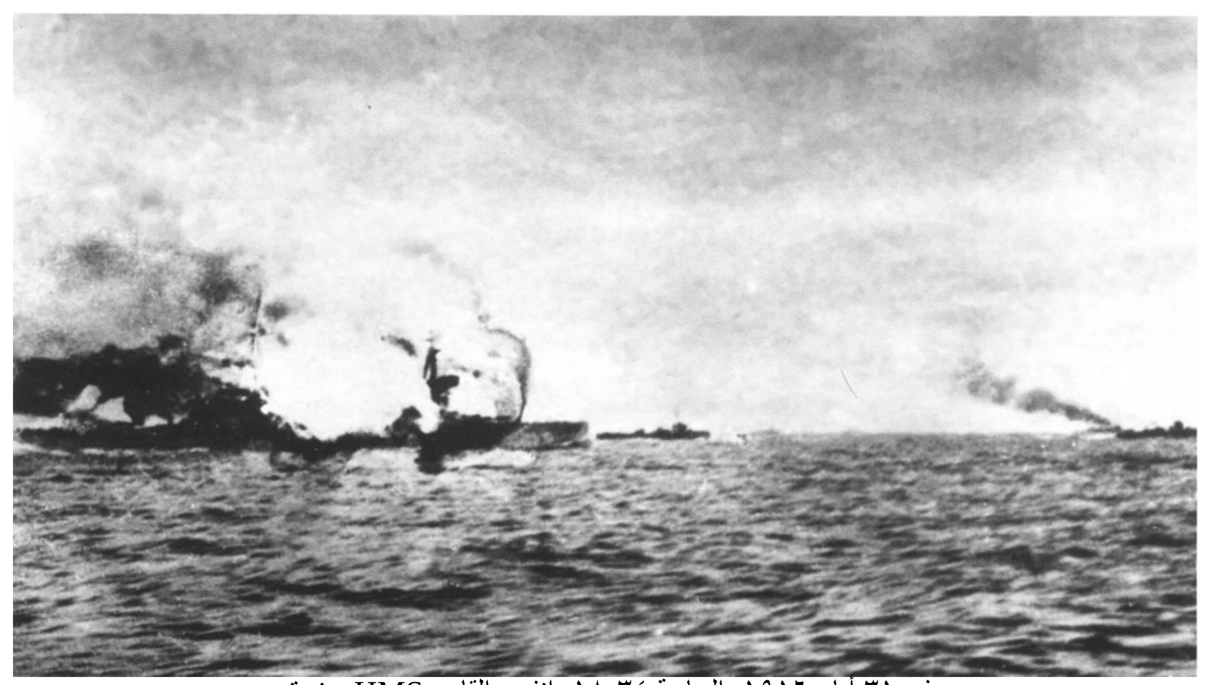

و هذه الـ HMS أصيبت



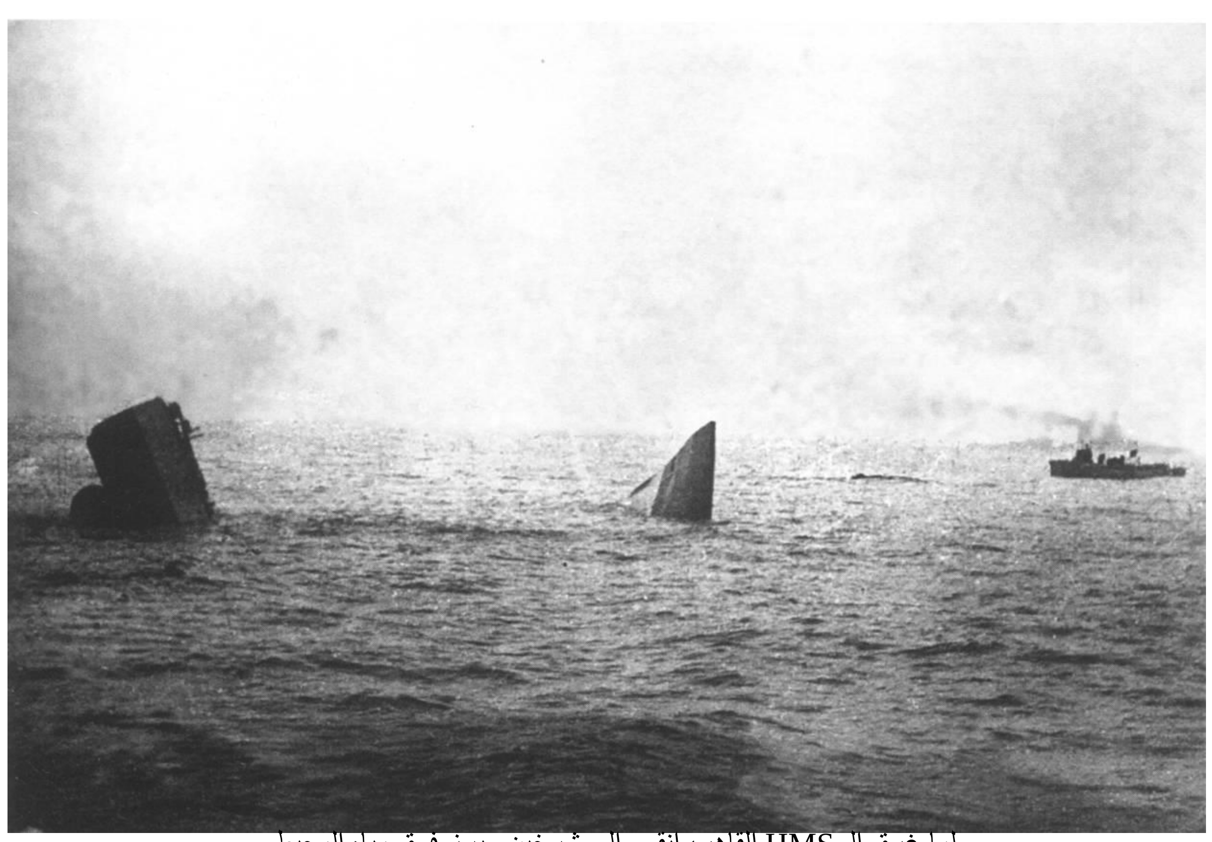
المركب الذي يحمل سمة الأميرال البريطاني هوود، والـ HMS الذي تستحيل هزيمته، أصيب وغرق مع ١٠٢٥ بحاراً. والكاسح الذي لا يقهر كان ثالث بارجة تخسرها بريطانيا في ذلك اليوم



دمر القاهر في الساعة ١٨,٣٤،في لجة الفوضى والدخان



في ٣١ أيار ١٩١٦، الساعة ١٨,٣٤، انفجر القاهر HMS وغرق



لما غرق الـ HMS القاهر، انقسم إلى شرخين وبرز فوق مياه المحيط



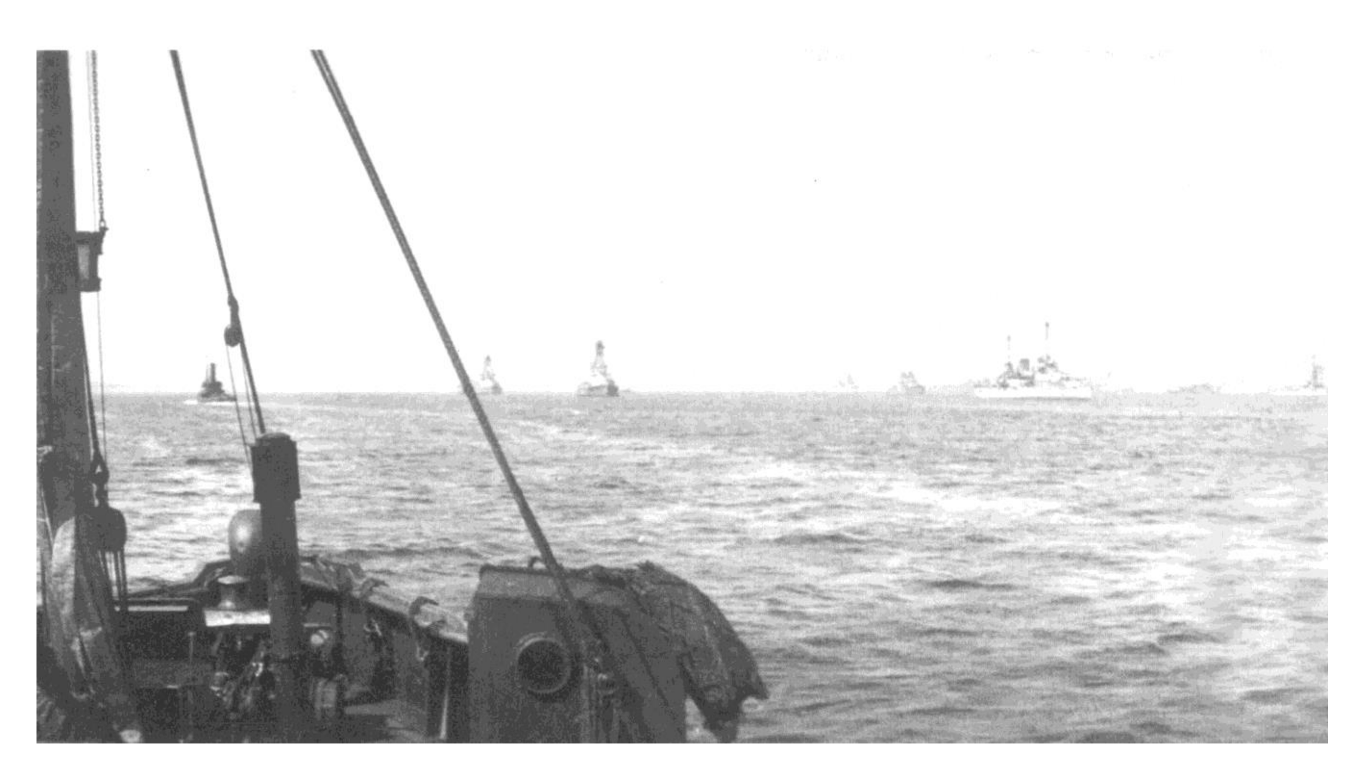
اشتركت بزملنجر بمعركة جوتلاند هنا. أطلقت النار على المدن الشاطئية البريطانية ، في ١٦ كانون أول ١٩١٤

خســر البريطانيون ٦٠٩٧ قتيلاً، ٥١٠ جريحاً و١٧٧ رجلاً التقطهم الألمان في الماء وأســروهم. وثلاثة طرادات (إحداها، الملكة ماري واتي كان يقال أنها ـــ لا ـــ تُقهر)، و٣ طرادات مدرعة (البلاك ـــ برنس، الواريور والدفانس) و ٨ توربيدات ـ ناسفة (الأردنت، الفورتون، نستور، نوماد شارك، سباردهوك، تيبريري وتوربلانت).

المحصلة

من، في آخر المطاف ربح معركة جوتلاند، التي يسميها الألمان، معركة سكاجراك؟ طلب الألمان الظفر، بينما لاحظ البريطانيون أنهم لم ينجحوا بوضـــع حد للحصـــار البحري، وبالتالي لم ينجحوا في تحقيق هدفهم، بكل تأكيد، برهنت معركة جوتلاند أن الأسطول الألماني كان قادراً على إنزال ضربات مرة بأسطول بريطانيا العظمى وأن براعة وأهلية مقاومة البوارج الثقيلة الألمانية دلت على تفوقها على قدرة خصمها

في أثناء معركة جوتلاند، أصيب الدرفلنجر إصابة مباشرة قاضية



اللوتزاد، بعد احتضار معاند، اضطر أن يخليه طاقمه



كان اللوتزاد بقيادة الأميرال هيبر، الذي نقل رايته إلى مولتكه

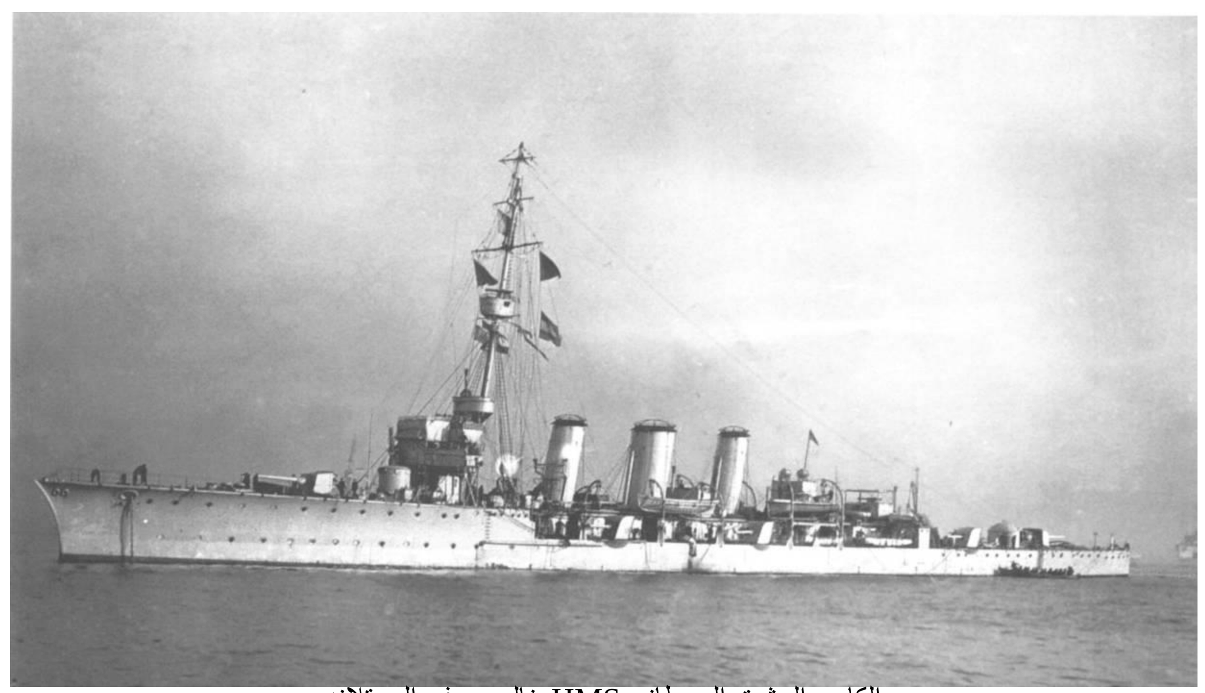


الـ HMS رفانج والـ HMS هرقل اشتركتا بمعركة جوتلاند

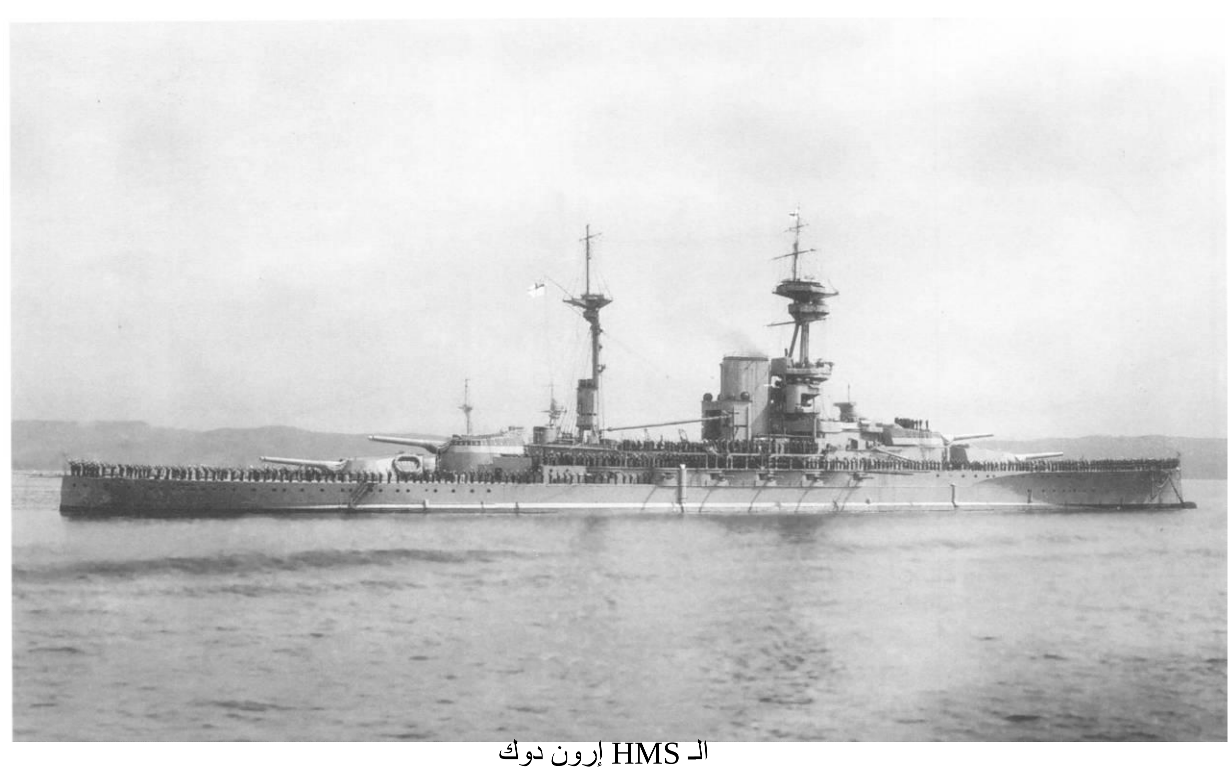
البريطاني. خسر هؤلاء ١٤ سفينة في القتال، وإجمالاً ١١٥ ألف طن، مقابل ١١ بارجة ألمانية، تزن إجمالاً ٦١ ألف طن. كانت الخسائر البشرية في الجانب البريطاني بالقتلى والجرحى أكثر مرتين من خسائر الألمان، أي ٦٧٨٤ مقابل ٣٠٥٨، يعني حوالي ١١,٦% من حمولتها، قبالة ٦,٨% في الجانب الألماني. وفقد البريطانيون ٨,١% من طرادات القتال مقابل ٤,٨ % في الجانب الألماني.

مرتان متتابعتان، نجح سخير في خرق داخل الخطوط البريطانية، غرق عدد من السفن وتوارت في عتمة الأعماق، من دون أن ينجح البريطانيون بإيقاف أو قطع انسحابهم، رغم تفوقهم بعدد وسرعة سفنهم. بدلاً من ملاحقة الأسطول الألماني بكل طاقتها لإبادته، أعطى الأميرال جليكو أمراً بتغيير الاتجاه والالتجاء إلى الدفاعات لدى احتمال هجوم طوربيدي. مكن هذا القرار الأسطول الألماني من العودة إلى قاعدته وبدد السانحة الوحيدة لإبادة أسطول العدو بضربة واحدة.

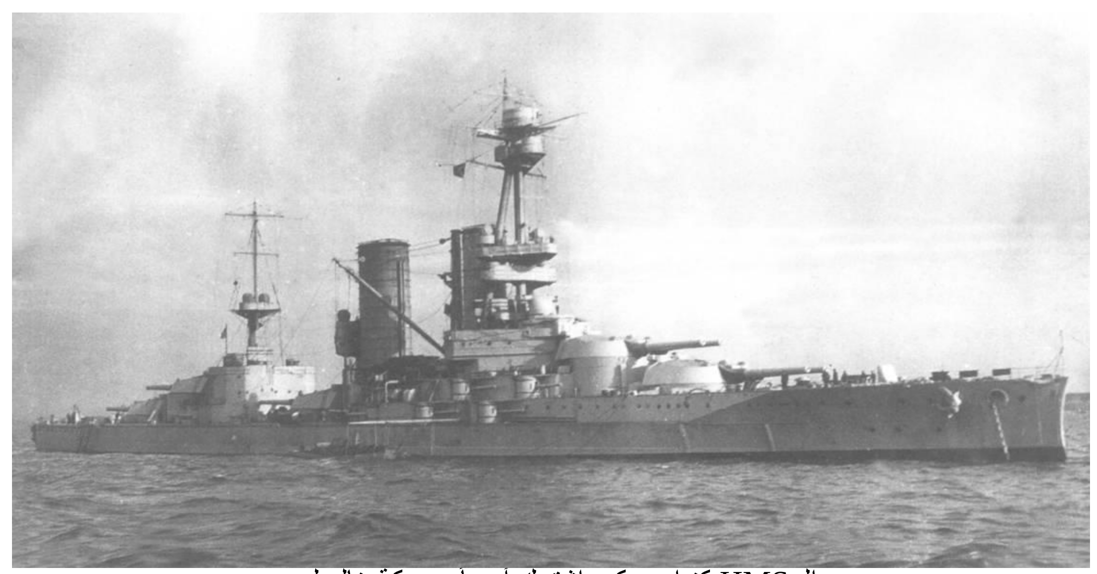
بكل نزاهة، يجب أن نذكر مع ذلك أن قرار جليكو بعدم مطاردة الأسطول الألماني لم يكن ضربة معلم. وفي ١٤ تشرين أول ١٩١٤، كتب إلى الآمرية البريطانية أنه يرى تفوق الـ **HMS** إرون دوك **Iron Duke**



الكاسح الرشيق البريطاني HMS غالوسيو في الجوتلاند



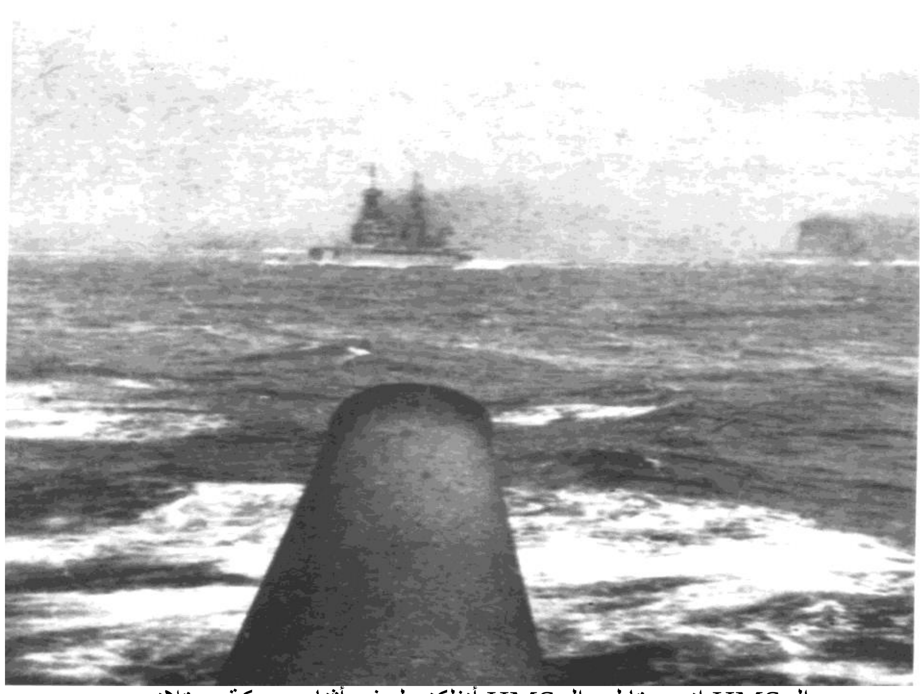
الـ HMS إرون دوك


الـ HMS كندا، مركب اشترك أيضاً بمعركة غالبولي.

الألماني في الطوربيدات عظيم كما هو في المجابهة، وهو جدير بأن يصـــل عند الضـــرورة إلى اتخاذ قرار تجنب المعارك. وكان رأيه أن هزيمة الأسطول الكبير تعادل ضياع الحرب وأن مهمته الرئيسة تكمن في تفادي هذا الاحتمال. وفيما بعد، تبين أنه بالغ في تجنب حرب الطوربيدات، فبينما قاتل البريطانيون في العام ١٩١٦ بتفوق مطلق ٣٧ دريدونغ ضد ٢١ وبطاقة نيران ضعف الطاقة الألمانية. ومع ذلك، جنى هؤلاء ظفراً تكتيكياً لا مثيل له أكرهت البحرية البريطانية أن تقبله.

كانت هذه ضربة رهيبة للبريطانيين. فيما بعد، حاول المؤرخون أن يعيدوا النظر بالمعركة وإضافة السهام إلى الجبهة البريطانية. إن كانت ألمانيا انتصـرت تكتيكياً، نجح الإنكليز اسـتراتيجياً لأن الأسـطول الألماني لم يغامر بعدئذ ويدخل بحر الشمال، الذي تسيطر عليه كله بريطانيا ـ العظمى.

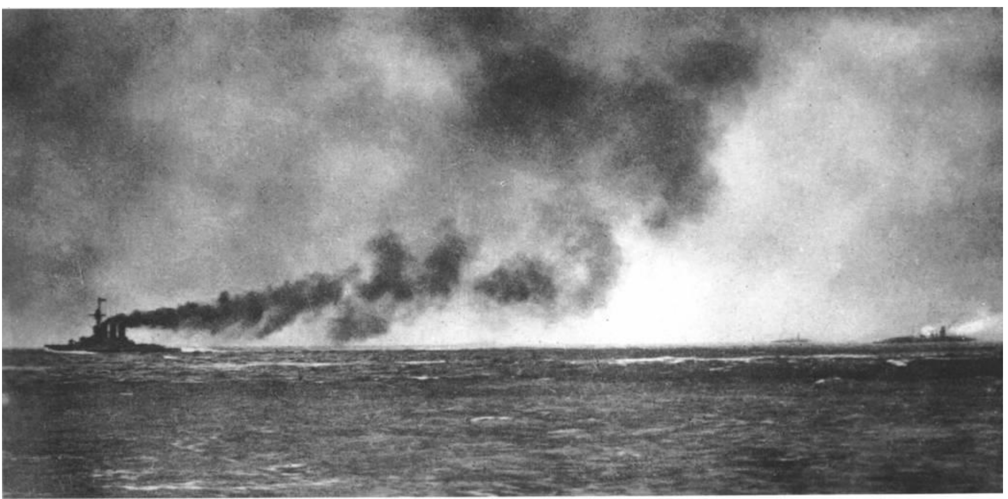
إذاً إن كان التأكيد صـحيحاً، يجب السـؤال: لماذا لم تشـرع البحرية البريطانية، التي كانت مسـتعدة للعودة إلى العمل بعد أربعة أيام من المعركة، كما كتب جليكو، وعلى الفور بمجابهة الشـــط الألماني، عارفة أن أسطول العدو قد جمد في المراسي للإصلاح ولن يكون جاهزاً قبل آب. ليس صحيحاً أيضاً التأكيد أن البحرية الألمانية لم تجرؤ على التواجد في بحر الشمال إلا بعد معركة جوتلاند.



الـ HMS إندوميتابل والـ HMS أنفلكزبيل في أثناء معركة جوتلاند.

خرج سخير أيضاً مراراً مع سفنه. ففي ١٨ آب شن هجوماً نحو سندرلاند، على الشاطئ الإنكليزي بأمل جذب الأســطول البريطاني. لاحظت إدارة الاســتطلاع في البحرية البريطانية تحركات البحرية الألمانية وأعلنت الاستنفار وإنذار بالخطر. نشبت عدة معارك في المقدمة، خلالها، أصيب وستفالن والتزمت بالعودة إلى القاعدة. ولما غرقت **HMS** نوتنغهام بضـربة من غواصــة ألمانية، توجه جليكو عكس أسطوله، وأرسله نحو الشمال خلال ساعتين، قبل أن يعود إلى توجهه الأصلي, خلال هذا الوقت، استدار سخير، الذي أبلغ أن كل الأسطول الكبير كان في الطريق، نحو قاعدته، متملّصاً هكذا من جليكو.

وهذه المرة أيضاً أهمل جليكو فرصة فريدة لتدمير الأسطول الألماني الكبير، متداركاً مرة أخرى هجمات الطوربيدات ـ ونشبت معارك أخرى في تشرين ثاني ١٩١٧ في هلغولاند،



الـ HMS النمر - Tiger

وفي نيسان ١٩١٨، لما شرع سخير بهجمة أخرى، هذه المرة في المياه النروجية.

من الخطأ إذاً التأكيد أن الألمان لم يجرؤوا ثانية أن يغامروا في بحر الشـــمال بعد معركة جوتلاند. بل الأصح أن البريطانيين الذين قرروا تجنب بحر الشمال مؤقتاً، بعد مغامرة جوتلاند. وفي مؤتمر عقد في كانون الثاني ١٩١٧، صرح الأميرال بيتي أن أسطول طرادات المعركة الألماني يجب "اعتباره متفوقاً بشكل مطلق على الأســـطول البريطاني"، وكرر أن البحرية البريطانية يجب أن تتخلى مؤقتاً عن معارك ضـــد البحرية الألمانية. وفي تشـرين الثاني ١٩١٦، أرسـل تقريراً إلى الآمرية جاء فيه "من العبث والغفلة تحدي الأسـطول الألماني". ونصح بتجنب المواجهة وقتياً لأنه واضح وجود شيء ما لا يدور حسناً في السفن التي يقودها. ذكر الاتصالات السيئة، والأجهزة السيئة في التسديد وقياس المسافات، الذخيرة الفاسدة والتصفيح غير الكافي وألحّ على الضرورة القصوى لمعالجة كل هذه النواقص جملة قبل الشروع في عمليات جديدة.

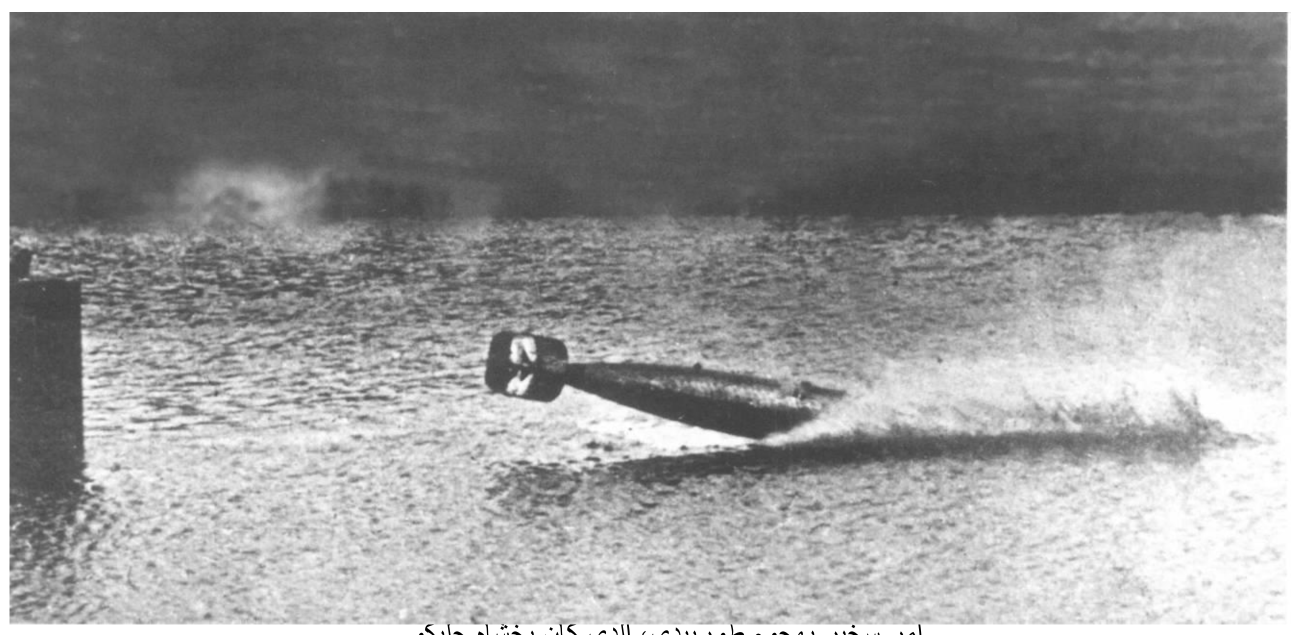
في الحق، كانت معركة جوتلاند ضربة للبحرية البريطانية. ولن تعوض أبداً الضربة التي وجهتها لها البحرية الألمانية بهذه المناسبة، حتى إذا صح أن شيئاً من هذا لم يتم، وأن الحصار بقي تاماً، والأميرال سخير نفسه يعترف، لما نصح الإمبراطور العودة الفورية لحرب الغواصات الشاملة، لأن الأسطول وحده لا يقدر أن يُكره البريطانيين على السلم. فالأسطورة غير المرئية حول البحرية البريطانية ولدت وعاشت.

تدمير الأسطول الألماني في سكايافلو

في تشرين أول ١٩١٨، حينما توبع الإعداد للهدنة، كان الأسطول الألماني في غمرة الفوضى. في ولهلمسهافن آخر خروج للقوات البحرية الألمانية لمواجهة الأسطول الإنكليزي قد توطّد سحابة تشرين أول. كان الأميرال فون هابّر، القائد الأعلى للأسطول، قد درس خطط المعارك، وكانت خطوة كاليه في منطقة العملية المختارة. بينما كانت الجيوش الحليفة تتقدم على الأرض منتصرة نحو نهر الموز وتجاهد القوات الألمانية لإيقافها، قد يسمح نجاح ما في البحر بالتأثير على مفاوضات الهدنة المعلنة منذ بداية شهر تشرين أول أيضاً. وفي ٢٨ تشرين أول، شرع الأسطول الألماني بالتمركز في مرسى ولهلمسهافن. وفي ٢٩، انطلقت التمردات الأولى على ظهر بعض البوارج. تحركات بدأت محدودة السعة لكن تكاثرها أعاق الأميرال فون هابر الذي أرجأ العملية. في بداية تشرين ثاني، كان مرفأ كيل هو الآخر بدوره ضحية اضطرابات، وشبت ثلاث عصيانات. ورايات حمراء ارتفعت، و"مجالس بحرية" أزاحت الضباط من القيادة. الأسطول الألماني، من دون أن يهزم، هوى من دون رحمة إلى معسكر الثورة.



ميرننغهام أصابه الرمي الألماني HMSالناسف البريطاني



أمر سخير بهجوم طوربيدي، الذي كان يخشاه جليكو.

في مراكب عديدة، اعتقل العصــــاة بهدف متابعة الحرب بأي ثمن، وفي مراكب أخرى، أُفرج عنهم بصعوبة. بعد الاستقرار على الأرض، كانت بؤر الثوريين، النشيطة، تنشر الاضطراب بين البحارة. والثورة، التي اشتدت لدى استسلام غليوم الثاني، لم يكن بالإمكان كبحها بواسطة قيادة عليا تجاوزتها الأحداث. وهكذا ستمثل ألمانيا أمام الحلفاء في أسوأ الشروط.

إن هذا الوضــع شــبه التمردي كان يســود إذاً، في أثناء مفاوضـــات الهدنة، طلب الحلفاء حجز الأســطول الألماني. وأسطول الغواصات الألماني المعزز بأكثر من ٢٠٠ قطعة مقاتلة يجب أن يستسلم كله في هارويش، ويؤسر من عليه.

لم يتوصـل الحلفاء إلى التفاهم على مصـير الأسـطول الألماني. وقرروا حجزه بانتظار نتيجة مفاوضــات السـلم، وأن يخفر إلى مرافئ محايدة. وقد تبين أنه ليس ثمة مرافئ محايدة كافية وملائمة وقرر من دون إبلاغ الألمان، تجميع وحجز السفن في القاعدة البحرية البريطانية سكايافلو.

لم يكن أمام الحكومة الألمانية أي خيار سوى قبول قرار الحلفاء بحجز هذا الأسطول، تحت طائلة الرجوع إلى الحرب، وقد التمس اللواء البحري هرمـان لودفيغ روتر، الـذي اشــترك في معركـة جوتلانـد، التمس أن يقود الأسطول ويخفر السفن إلى الحجز. قبل روتر المهمة، لكن العصيان المفتوح على متن السفن، كما رأى بحق،

كان عقبة كأداء وقد رأى مع ذلك أن عليه أن يقبل لأنه أدرك ألاّ مهرب من تنفيذ كل شيء لتحقق شروط الهدنة حرفياً، من أجل تفادي العودة إلى القتال واحتلال ألمانيا من قبل الحلف المعادي.

كان الحجز يعني أن تبقى السفن وقتياً ملكية ألمانية، وأمل روتر أن يمثل الأسطول في أثناء المداولات من أجل السلم الورقة الرابحة. في ١٨ تشرين الثاني ١٩١٨ بدأ روتر مناقشات مع الآمرية واللجان الثورية البحرية، سادة الأسطول الفعليين، وطلب أن يكون الضباط، وليس المتمردون، مسؤولين عن المهمة. وافق العصاة طالما حرموا من أي مكسب في احتلال الحلفاء. وخُوّل روتر أن يؤمن استتباب الهدوء والانضباط في السفن التي عليه أن يخفرها. في بعد ظهر ١٨ تشرين الثاني، قبل طلب الآمرية في قيادة وتوجيه الأسطول مقابل حجزه.

لكي يستطيع الأسطول أن ينطلق، يجب تجريده من السلاح. تولى المتمردون هذه المهمة بغبطة صاخبة. انتزعت بفظاظة أجهزة تسديد ثمينة، ذخائر، أسلحة ورميت إلى أرصفة البحر دونما تدبر أو عناية. كان التموّن يتم بفوضى بارزة وفي بعض الحالات لم يتوفر الوقت لبعض الضباط ليأخذوا مكاناً ملائماً وأبحر أسطول الطوربيدات من دون ضباط.

في ١٩ تشرين الثاني، أعطي الأسطول الألماني إمارة الانطلاق نحو نقطة العلام التي حددها البريطانيون، وكان روتر على متن المركب الأميري فردريك ديرغروس. في لحظة السفر، أخطر روتر المتمردين أنهم إن أبحروا تحت راية حمراء يتعرضون لاعتبارهم قراصنة في نظر الحلفاء فيرمون بالنيران. أيضاً، وقد صرنا في البحر، أنزلت الرايات الحمراء الواحدة بعد الأخرى التي كانت بأمرة



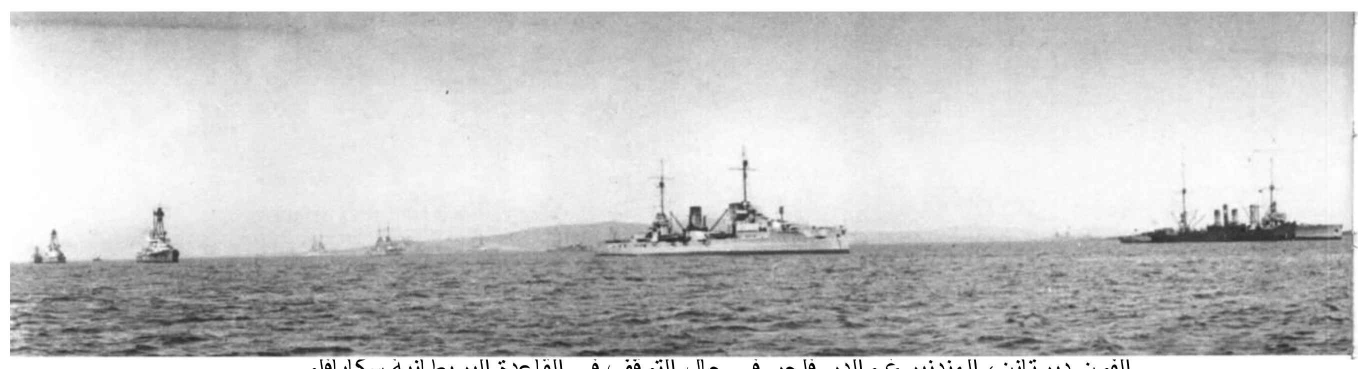
القائد مارسدن، الناجي وحده من طوربيد ناسف بريطاني غرق في جوتلاند.

المتمردين واستبدلت بالراية القديمة الألمانية.

كان الأسطول ـ ٧١ قطعة إجمالاً مكوناً من طرادات قتال في الخط الأول، تتبعها تسع بواخر مقاتلة، سبعة طرادات خفيفة وخمس مجموعات من عشر طوربيد -ــــ ناسف. في ساعة الانطلاق اصطدم **V.٣٠** بلغم وغرق.

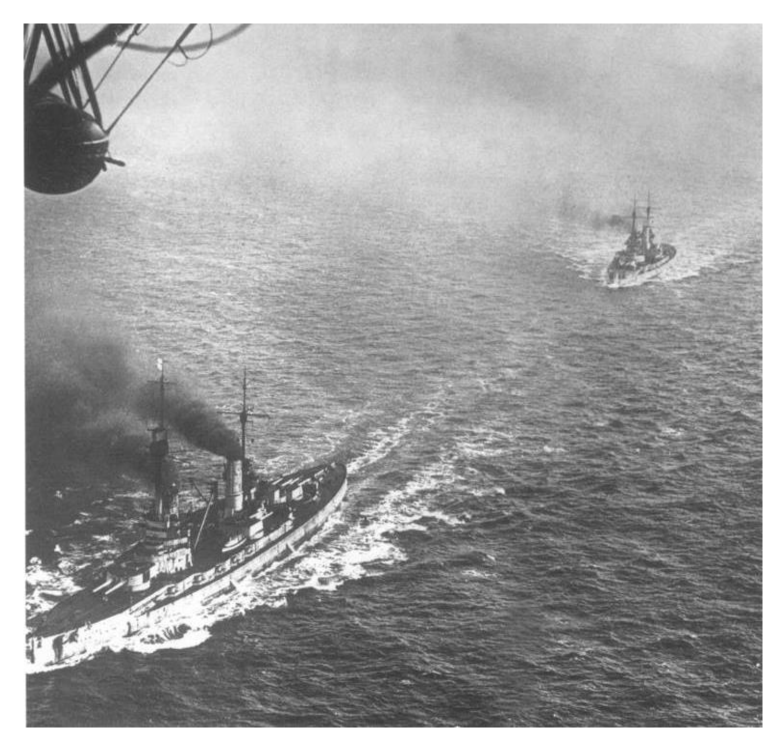
في صباح الـــ٢٠ منه باكراً، رأى المحاربون الألمان الذين يتقصون الأفق ليكشفوا مرافقيهم البريطانيين بدهشة أن

كل الأسطول الكبير تقريباً ينتظرهم. كان مصطفاً في رتلين طويلين بينهما، يجب أن تمر السفن الألمانية بخزي ومهانة.



الفون ديرتانن، الهندنبرغ والدر فلجر في حال التوقف في القاعدة البريطانية سكايافلو.

وبلدان أخرى حليفة، شكلت شطراً من لجنة الاستقبال التي تتجه الآن تحت قيادة الأميرال بيتي على ظهر المركب الاميرالي **HMS**. (الملكة ألزابيت) نحو فيرث لفورت،حيث ألقى الألمان مراسيهم.

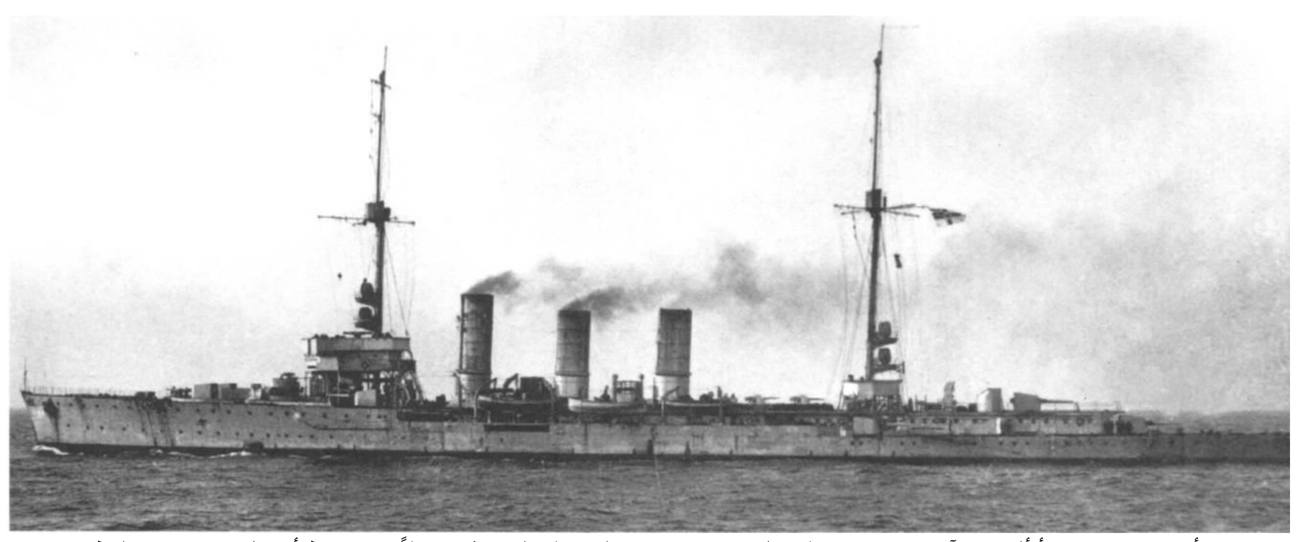


المركب الأميرالي للأميرال بيتي

بعيد هذا، أُعطي الأمر لكل السـفن الألمانية أن تغيّر راية البحرية الألمانية، وأن تُعلم أنها لن ترفع ثانية. رغم إلحاح روتر الشديد، رفض بيتي تبديل أمره وهدد بإرسال قناصة بحر إن لم ينزل العلم في الحال.

بعد ساعات من رمي المرساة، تلقى روتر التعليمات التي تخص الأسطول المخفور ـ المحتجز. كان تبادل الرسائل بين السفن ممنوعاً. محطات الإذاعة يجب أن تحطم وليس لأحد أن يغادر من دون سماح البريطانيين. بالفعل، عومل الألمان كأسرى حرب على متن سفنهم. حتى آنئذ، كان روتر يفترض أن الأسطول كان مجمعاً لتخويل الحلفاء مراقبة إن كانت كل شروط الهدنة مطاعة وبالتالي، تتجه السفن إلى مختلف الموانئ المحايدة. حسـب الاتفاق. إذاً، لما تلقى الأسـطول الألماني الأمر بالتوجه إلى سـكايا فلو، بحجة أنه في يتعرض لرياح شـرقية عاصـفة، تأكد روتر أن سـكايا فلاو سـتكون نقطة الرسـو النهائية ولا مجال للحديث عن السـفر نحو مرافئ محايدة. احتج، لكنه لم ينل سوى الشروع بالسفر مسافة ٤٥٠كم نحو سكايا فلو. وفي ٢٢ تشرين الثاني، رفع الأسـطول من ٧٠ مركباً حربياً وعلى ظهره أكثر من ٢٠ ألف رجل، رفع المرسـاة. بعد أربعة أيام، ٢٦ تشرين ثاني وصلوا نقطة الرسو الأخيرة. لن تبرح السفن سكايا فلو، إلا في حالة الحطام.

في بداية حقبة الحجز أو الحجر، طلب البريطانيون أن يهتم الألمان أنفسـهم بمؤونتهم، بوقودهم ووسـائل الصـيانة. وصـلت سـفن التموين إذاً بإنتظام من ألمانيا لتموين الأسـطول. على الفور ألحت الآمرية البريطانية على تقليص العناصر



الأمدن يغادر مرفأ ألمانيا لآخر مرة. بعدئذ، نقل روتر جناحه إلى هذه السفينة، تنفيذاً لانضباط أفضل واستتباب النظام.

المحتجزة ونفذت إدارة فعلية للتنقل المكوكي مع ولهلمســـهافن التي أعادت إلى الوطن أكثر من ١٥ ألف رجل، وبقي في سكايا فلو ٥ آلاف لتأمين الصيانة الضرورية للسفن.

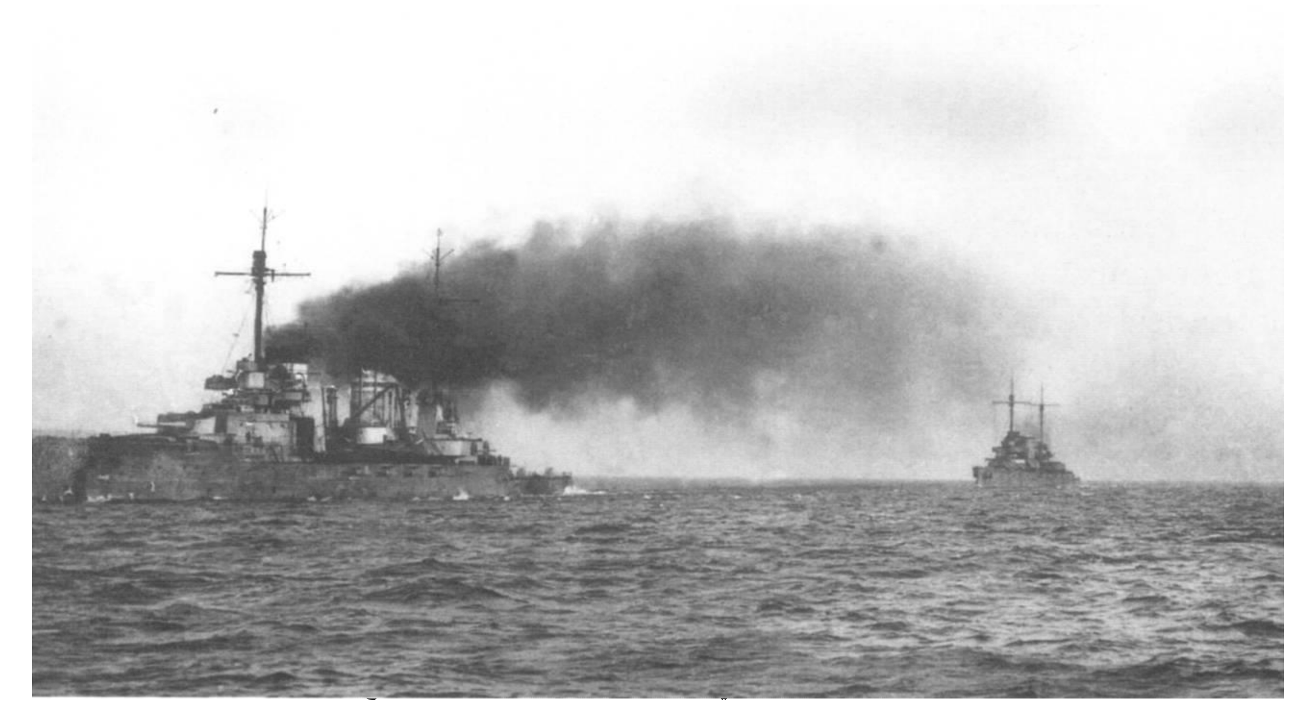
خلال هذا الوقت، قطع الاتصال المباشر والرسمي نهائياً بين روتر والآمرية الألمانية. كانت تنقل الرسائل بالمركب الأميرالي البريطاني ويجب أن تخلو من أي نبأ يخص إجراءات مداولات الســـلم. كان البريطانيون يتابعون البريد ولا يمكن وصــول ســوى الصــحف، مع تأخر أربعة أيام. والأخبار الوحيدة التي كانت تنقل له تصل بسفن التموين وهكذا علم أن مفاوضات السلم لا تتم بسهولة.

في ١٣ كانون أول، منح روتر إجازة إلى ألمانيا. كان الوضــع في الســفن ما يزال متدهوراً والمعنويات في أدنى حالاتها. وكانت العلاقات مع مجلس البحارة شديدة الاضطراب. أعلنت مناقشات بصدد المبالغ الزهيدة، وعانى روتر وضباطه الصعوبات الكأداء لتأمين الحد الأدنى من الانضباط. لم تكن السفن قد عمّرت أو رممت بعدُ.

على هذا في ٢٥ كانون ثاني، عاد روتر إلى مخفره، لأنه، كما كتب فيما بعد، كان يرى أن واجبه الحفاظ على شيء من السلطة على الأسطول. أعطي هذه المهمة بسهولة بقرار من حكومة ألمانيا الجديدة التي تقلص سلطات المجالس الثورية إلى حد بعيد، حتى إذا حافظ هؤلاء على حياتهم. نقل روتر جناحه إلى البارجة إمدن، حيث كانت اللجنة الثورية متساهلة.

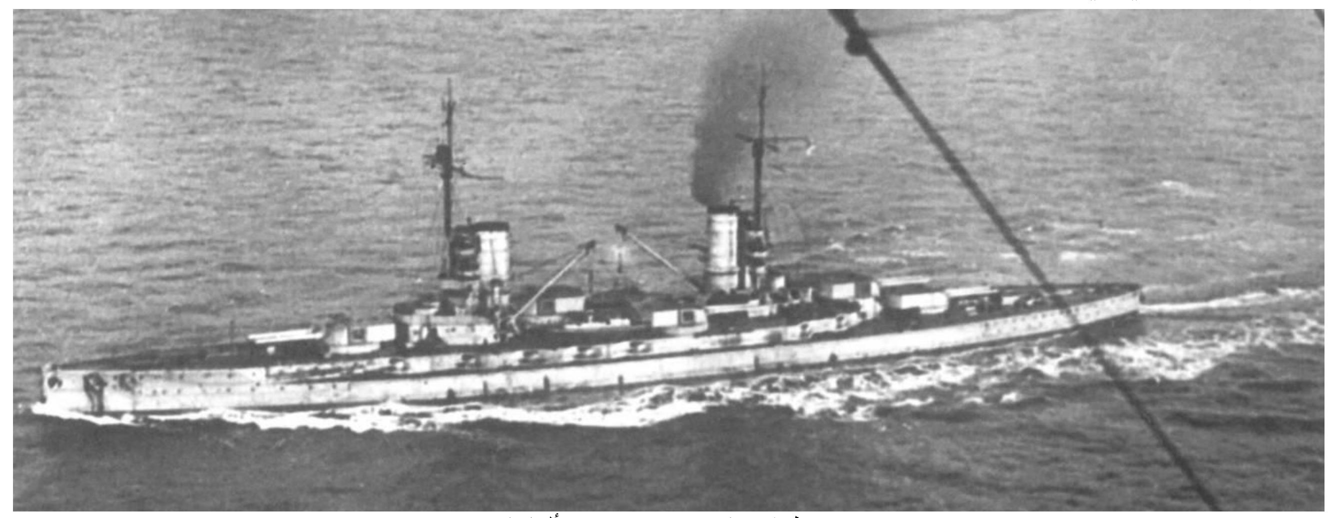
وعلى هذا في ١٩١٩، وصلت آخر الأنباء بصدد مفاوضات السلم إلى سكايافلو وأن الحلفاء يبغون تقليص الأســطول الألماني إلى أضــيق درجة. أثار هذا النبأ قلقاً كبيراً لدى الأســرى وعلم روتر أن مجالس الملاحين تريد تنظيم بالســـر إضـــراباً عاماً في الأســـطول. لكن هذا الخبر قد يعطي البريطانيين دافعاً للتدخل واحتلال السفن، ما أراد تفاديه بأي ثمن. لذا وافق على


أسطول صغير يعترض الطراد ألماني في طريقه إلى روسيتشن



اقتراح البريطانيين بتقليص عدد الأسرى وفي ١٧ حزيران، عاد إلى ألمانيا أكثر من ٢٥٠٠ رجل. لم يبق في آخر المطاف سوى ١٧٥٠ رجلاً لتنفيذ المهام الضرورية. منذئذ فقد روتر أي أمل بعودة السفن يوماً ما إلى الوطن. بل راح يخشى رفض حكومته تسليم البواخر إلى الحلفاء بأمل تقليص قسوة شروط السلام.

خلال هذا الوقت، سارت شائعة تقول أن البريطانيين عزفوا عن انتظار نتيجة أحاديث السلم، وهم يريدون امتلاك الأسطول الألماني بأسرع ما يمكن، وبالدقة في ٣١ أيار، تاريخ أول يوم من معركة جوتلاند وأعلن يوم عيد قومي في ألمانيا.



طراد مباشرة بعد سفره من ألمانيا



المركب الأميري للأميرال بيتي، الملك جورج، وعدة طرادات

إحدى الأوامر الأساسية للبحرية الألمانية اشترطت أن يكون ممنوعاً على قادة سفن الحرب الألمانية تسليم سفنهم للعدو، تحت طائلة الإحالة إلى القضاء العرفي. وأيضاً أعطى روتر مهمة إلى قادته إغراق سفنهم إن ابتغى البريطانيون احتلالها.

وفي ٣١ أيار، أُبلغ روتر، من عدد من الوزراء، خطاباً ألقاه المستشار سخيد في الرايخستاغ، رفض فيه نهائياً شروط السلم مع الحلفاء. وكان خطر شروع البريطانيين بأعمال قتالية قريباً جداً. وكان لدى هؤلاء بالفعل خطط دقيقة جداً لامتلاك السفن المحجوزة فوراً، ما أن توقع معاهدة السلم ومن دون انتظار تصديقها من كل الحكومات، تفادياً لإغراقها من قبل الألمان.

أكد روتر إذاً أوامره الإعداد لإغراق السفن بل أضاف أنه لا يجوز إطلاع البحارة عليها. وبعد خطاب سخيد، اقتنع أن الاعتداءات ستعود. يجب تجنب مهما كان الثمن وقوع السفن بأيدي البريطانيين.

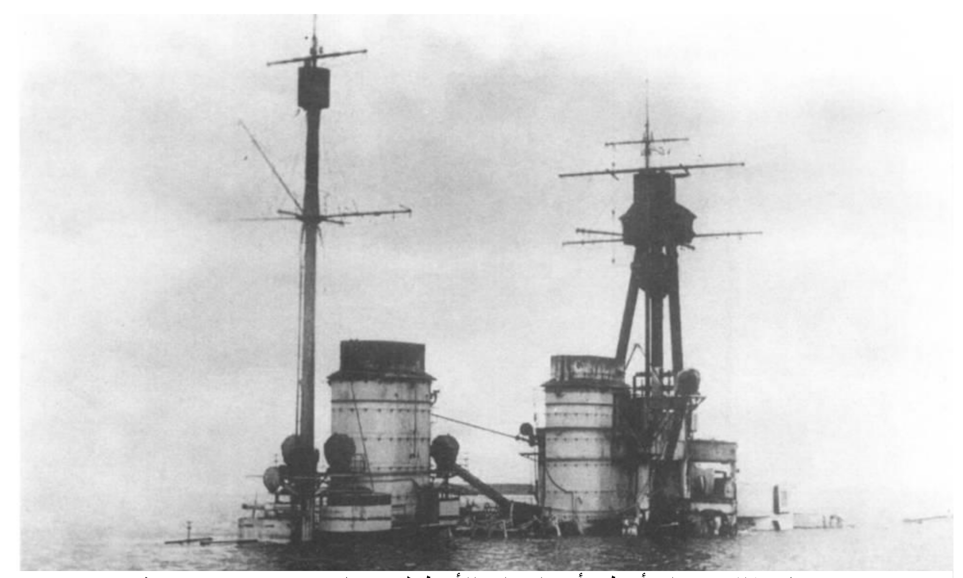

الضباط الألمان للسفن الغارقة اقتيدوا أسرى حرب

في ١٧ حزيران، حملت سفينة تموين آخر الأنباء. بهذه المناسبة، علم روتر أن الحلفاء طيروا إنذاراً ينتهي في ٢١ حزيران ويطلب أن يقبل الألمان شروطهم. قرر إذاً إغراق الأسطول قبل الـ ٢١ وحرر في ذات اليوم تعليمات محددة لقادته. لما ترتفع الرايتان فوق سفينته يجب أن يفتحوا موانع تسرب المياه وجعلها تغرق في صباح الـ ٢١.

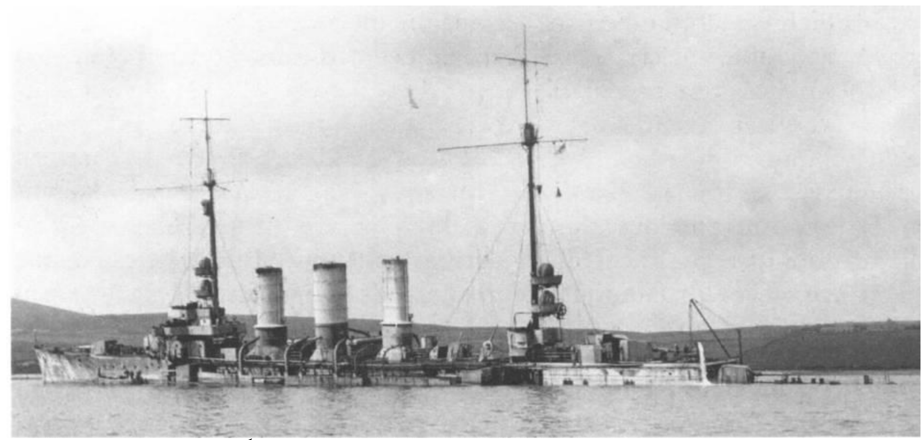
في أوامره المتعلقة بغرق الأسطول الألماني في سكايا فلو، كتب روتر أنه لن يغرق الأسطول إلا عندما يحاول البريطانيون الاستيلاء على البواخر من دون موافقة الحكومة الألمانية. وإن بالعكس قبلت الحكومة تسليم السفن في إطار شروط معاهدة السلم، آنئذ يجب أن تعاد السفن سليمة إلى الحلفاء. إذاً منعه البريطانيون الدخول إلى الأنباء، كان روتر يجهل أن سخيد استقال في ٢٠ حزيران، وأن الرايخستاغ قبل إنذار الحلفاء بـ ٢٣٧ صوتاً قبالة ١٣٨ صوتاً معارضين. وكان لا يعلم أن الحلفاء مددوا مدة الإنذار إلى الـ ٢٣.

هكذا حلّ يوم قرر فيه الأسطول الألماني إغراق ذاته كلياً ليهرب من أيدي العدو وإنقاذ شرف البحرية الألمانية. في باكورة الصبح، ظهر روتر على سطح مركبه الأميري. وفوجئ بتواري الأسطول البريطاني كلياً. اختار قائد الأسطول في ذلك اليوم بدء المناورات بسفنه والعودة في الـ ٢٣، يوم انتهاء مدة الإنذار، للسيطرة على الأسطول اللماني.

أمر روتر رفع العلم برمز "**D**" و"**G**"، ما يعني أن الضباط اتخذوا مراكزهم وينتظرون الأوامر.



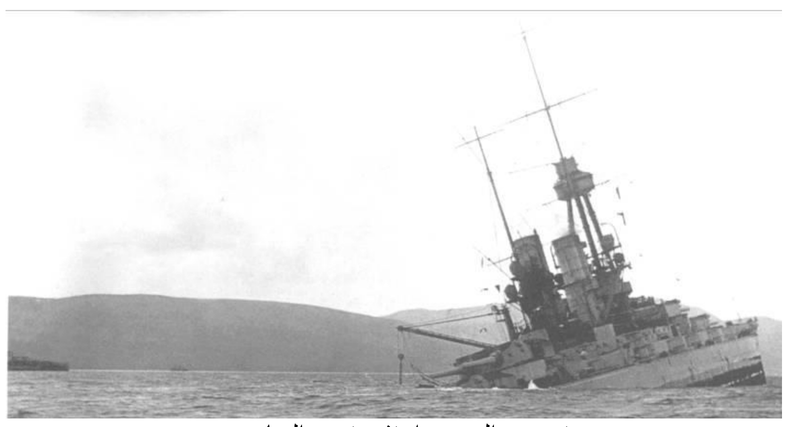
صباح ٢١ حزيران أعطي أمر إغراق الأسطول ، هنا صورة غرق هندنبرغ



الطرّاد السريع فرانكفورت غرق بعد دقائق شكلت هذه العمارة جزءاً من المجموعة الثانية، في أثناء معركة جوتلاند، هذا التشكيل من ستة طرادات أثبت صموداً في المعارك، وقد فقد ثلاثة.

بعد نصف ساعة، رفعت الشارة "تأكيد الفقرة ١١"، رجع هكذا إلى الفقرة ١١ من تعليماته وأعطى أمراً نهائياً بفتح المغاليق. رفعت كل السفن شارة التلقي، وعاد الضباط المعينون إلى السطح الأدنى ليفتحوا المغاليق إلى الخارج.

ما حدث بالتالي كما لو أن أمر الإغراق لم ينفذ، إنما بعد ساعة واحدة، ١٢,١٠ بالضبط، اتخذ طاقم السفينة فردريك دير كروس على حين غرة مكاناً في الزوارق وبعد ست دقائق بالضبط ترنحت السفينة وغرقت بسرعة إلى أعماق الخليج. في تلك اللحظة، رفعت الشارة **Z** على كثير من السفن



ترنحت البيرن واختفت تحت المياه

أي "الهجوم". ومن ثم كما لو أعطيت موعداً، بدأت الســـفن، الواحدة تلو الأخرى،تترنح، أو تغرق على الفور. هوى الأســـطول الألماني إلى أعماق الخليج لكي لا تقع المراكب بأيدي العدو، وينجو شـــرف البحرية الألمانية.

من الجانب البريطاني، بث الأميرال فرمنتال الأحداث فوراً بالإذاعة، وعاد إلى سكايا فلو بأقصى سرعة. وصلت سفنه إلى الخليج بين الساعة ١٤ إلى ١٦ ولم يجدوا سوى عشر من سبعين باخرة طافية. كانت السفن الأخرى في عمق اليم، وبالنســـبة إلى عدد منها، تبرز فقط ســـواريها ومداخنها. كانت مياه الخليج ترتعش بالمراكب الحاملة الجنود الألمان.

مرة أخرى، بذر الأسطول الكبير الرعب بين الألمان. أطلق هؤلاء البريطانيون العنان لرشاشاتهم وبنادقهم وفتحت بعض الطرادات الناســـفة النار على الزوارق الألمانية قتلوا ٩ بحارة وجرحوا ١٦. نجح البريطانيون بترسية ثلاث مدمرات ألمانية لم تكن قد غرقت كلياً على الشاطئ، إنما في الساعة ١٧ بالضبط، غرق بدوره آخر طراد ألماني، الـ **SMS** هندنبرغ.

أســر البريطانيون ١٧٠٠ رجل من الطواقم الباقية. حتى الأميرال روتر ذاته أُسـر. اتهم بخرق معاهدة الهدنة، لكن سنده كان الأوامر السارية المفعول في البحرية الألمانية التي منعته من تسليم سفنه إلى العدو. لما انطلق أسيراً، ألقى الأميرال فرمنتل خطاباً اتهم فيه مرة أخرى الألمان بالخيانة وعدم تنفيذ كلمتهم. رد روتر إن كل ضـــابط بريطاني عليه أن يتمثل به. ســـجلت هذه العبارات نهاية الأســـطول الكبير الألماني، ابتكار الأميرال تريبتز وحلم الإمبراطور، أمل وفخر الشعب الألماني.

أمريكا في الحرب

الولايات المتحدة ترسخ مصير ألمانيا

أمريكا محايدة؟

كثير من الأشـياء قيل أو كتب بصـدد موقف الأمريكان خلال نشـوب الحرب العالمية الأولى، وفي أثناء أعوام النزاع الأولى، كان هذا البلد يرى أن يبقى على الحياد ويريد أن يبقى رسـمياً بعيداً عن الحروب. رغم أن غالبية الشعب الأمريكي ساند هذا الوضع الرسمي، لا أحد يقدر أن ينكر، بشكل عام، تعاطفه مع الحلفاء وأنه يدين ألمانيا الأتوقراطية كبلد بادئ بالحرب ومؤكداً إرادته في الهيمنة على البلدان الديمقراطية.

كان الرئيس الأمريكي وودرو ويلسـون بخاصـة من تبنى الموقف السـلمي ومن أعلن أن الولايات المتحدة يجب أن تظل في منأى عن النزاع، الموقف الذي جرحه بعنف الجمهوريون ولسـان حالهم الرئيس تيودور روزفلت النصير المعروف للخدمة العسكرية والتدخل الأمريكي.

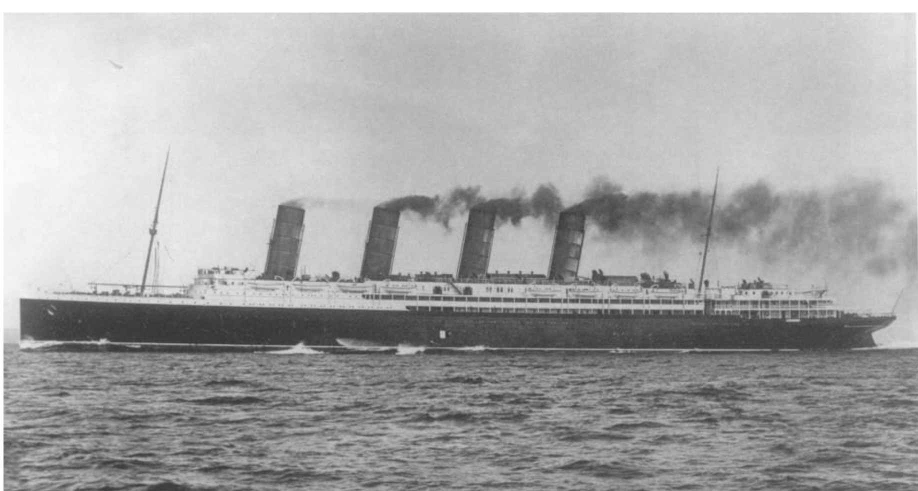
مع مرور الزمن، صار شرعياً تماماً للصناعة الخاصة تسليم الأسلحة للبلدان المتحاربة، إنما تكشف في الحال أن هذه التجارة تنمو بطريقة وحيدة الجانب. أفاد الحلفاء بعمق من هذا، بينما كانت ألمانيا وحليفاتها خارجه بل محرومة منه. لتجنب فرض الأمر الواقع في التوريدات الخاصة، محترمة وضعها المحايد، في بداية النزاع،

منعت الحكومة الأمريكية ديون الحرب المستخدمة في تمويل مشتريات الأسلحة.

لكن سرعان ما مثلت هذه الصادرات مبالغ فلكية. بني العديد من المصانع، وخلق الكثير من الصناعات وصرنا في حقبة متخمة الإنتاج. كانت الحكومة الأمريكية تخشى من أن لا تكون الدول الحليفة قادرة على تأمين تمويل لطلباتها الضخمة فوضعت أمام اختيار تمويل المطلوب وتقديم قروض عملاقة، أو تقليص بجدية التوسع الاقتصادي، وإذاً واجب مواجهة البطالة والاضطرابات التي تنبع منها. لأجل هذه الأسباب الاقتصادية، نصح وزير الخارجية لانسبنغ الرئيس ويلسون تأمين قروض حرب للحلفاء.قبل ويلسون هذا الاقتراح الذي مع ذلك يبتر مبدأ الحياد لأنه ظهر بسرعة حرمان ألمانيا من هذه الحقوق.

ألحت الصناعة الأمريكية الجبارة منذ بعض الوقت على تأمين قروض الحرب وكانت الصحافة حليفها. مع الزمن، أثر البريطانيون تأثيراً عميقاً على الوساطة الأمريكية ولعب فيها قطب الصحافة البريطانية نورثكليف دوراً عملاقاً.

وأضحت الفوائد الأمريكية عملاقة ما جعل الصحافة تختار أكثر فأكثر جانب الحلفاء، الموقف الذي أفضى إلى نمو المشاعر المعادية لألمانيا بين الشعب. كما سمح الأمريكان أيضاً بوصول سفن التجارة البريطانية المسلحة وأن تدخل المرافئ الأمريكية، ما يمثل تشويها مبدئياً للحياد. إذاً، حسب قانون التجارة الدولي، يتوجب اعتبار سفن التجارة المسلحة كسفينة حرب ويجب أن



كما علم مؤخراً أن لوزتانيا كانت تنقل الأمتعة الحربية المخصصة للقوات المسلحة البريطانية، بما فيها قنابل، وذخيرة ومتفجرات.

REMEMBER THE LUSITANIA!

One mother lost all her three young children, one six years, one aged four, and the third a babe in arms, six months old. She herself lives, and held up the three of them in the water, all the time shrieking for help. When rescued by a boat party the two eldest were dead. Their room was required on the boat, and the mother was brave enough to realise it. "Give them to me," she cried. "Give them to me, my bonnie wee things. I will bury them. They are mine to bury as they were mine to keep."

With her hair streaming down her back and her form shaking with sorrow, she took hold of each little one from the rescuers and reverently placed it into the water again, and the people in the boat wept with her as she murmured a little sobbing prayer to the great God above.

But her cup of sorrow was not yet completed. For just as they were landing, her third and only child died in her arms.

BERLIN, MAY 8.

Hundreds of telegrams have been sent to Admiral von Tirpitz congratulating him.

* * *

ARTICLE IN COLOGNE GAZETTE.

The news will be received by the German people with unanimous satisfaction, since it proves to England and the whole world that Germany is quite in earnest in regard to her submarine warfare.

* * *

ARTICLE IN KOLNISCHE VOLKSZEITUNG.

With joyful pride we contemplate the latest deed of our Navy and it will not be the last.

* * *

NEW YORK, MAY 8.

Riotous scenes of jubilation took place last evening amongst Germans in the German clubs and restaurants. Many Germans got drunk as the result of toasting "Der Tag."

ENLIST TO-DAY.

لافتة تجنيد بريطانية تماماً بعد كارثة لوزيتانيا

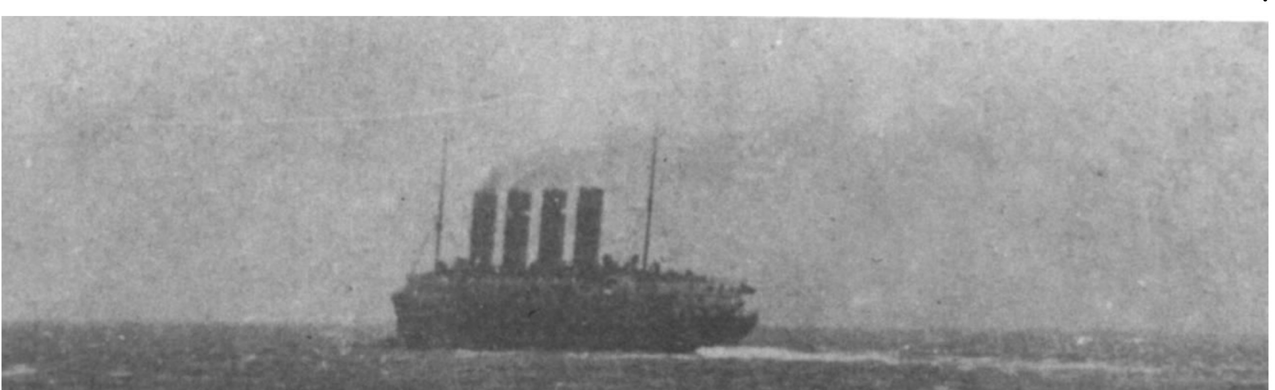
تحجز. رغم أن السفارة الألمانية احتدت وشدت انتباه الحكومة الأمريكية مراراً حول وجود هذه السفن المسلحة، أغمضت أمريكا عينيها، ورغم تحذير الحكومة البريطانية، لم يتخذ أي تدبير لكبح هذا الوضع. وكان أيضاً خرقاً بيّناً لمبدأ الحياد. وذات الموقف بخصوص استخدام السفن البريطانية للراية الأمريكية بشكل غير مشروع، استخداماً مجانياً للحق الدولي. في هذه الحالة أيضاً كان ثمة احتجاجات رسمية، لكن عبثاً.

وكان كذلك أكثر أهمية قبول الحكومة الأمريكية الحصار الاقتصادي الذي فرضته بريطانيا على ألمانيا، وكان خرقاً واضحاً لإعلان لندن للعام ١٩٠٩، مع أن بريطانيا وغيرها صاغوه وأقروه. بهذا الإعلان، حاولت الدول وضع قوانين دولية للبحرية، ومع أن بيت اللوردات البريطانيين لم يصدقه، كان مقبولاً أن جميع البلدان تعتبر هذا الإعلان قانوناً ملزماً. إنما، في هذه الحال، كان الحصار البريطاني جلياً في تعارضه مع هذا الاتفاق وغضبت إدارة الدولة الأمريكية من خضوع السفن التجارية الأمريكية للمراقبة البريطانية في البحر. وعلى الحكومة أن تتنازل عن نقل السفن الأمريكية سلع تعتبرها بريطانية مهربة وأن تحجز وتصادر (وبسرعة نسبية). أثار هذا استنكاراً واسعاً لدى الأمريكان، الذين هددوا بتوقيف الأسلحة التي يسلمونها لإنكلترا.

لما اقترح بعض الوزراء هذا التدبير في جلسة وزارية، رفضه الرئيس ويلسون بعنف. وصرح أن الحلفاء يقاتلون وظهرهم إلى الجدار ضد "الحيوانات المفترسة" ورفض بالتالي الاشتراك بأي عمل يجعل النصر أصعب.

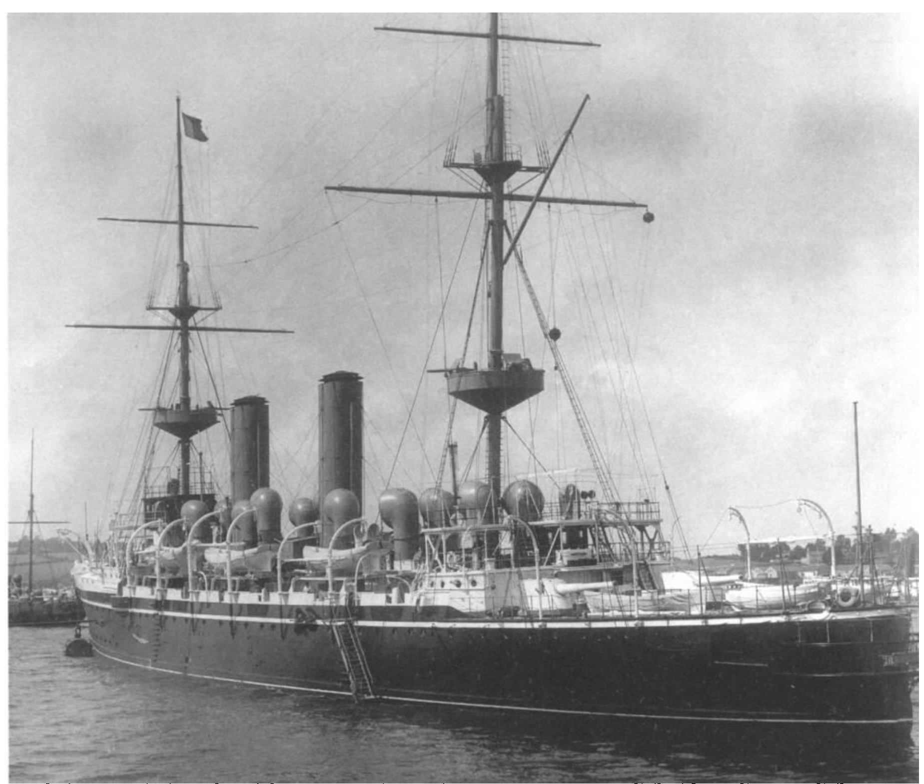
كانت هذه بالتأكيد لهجة واضحة جداً تشير بنفس الوقت إلى أن الرئيس يفكر سلباً بالألمان ولا يترك أي شك لأي حزب يميل في هذا النزاع.

رغم أن ألمانيا احتجت بشدة لدى الحكومة الأمريكية وعابت عليها موقفها المقتصر إيجاباً تجاه الحلفاء، بسماحها لهم بإقامة حصار مكرس لتجويع الشعب المدني بقطع وصول سلع غذائية وسواها ضرورية آتية من بلدان محايدة، لم ترمش عين الولايات المتحدة للتخلص من هذا الحصار الذي يخنق الألمان، قررت الحكومة الألمانية بدورها إقامة حصار معلنة بحر الشمال والمانش منطقة حرب، وشنت حرب غواصات شاملة. وأبلغت حكومات كل البلدان المحايدة منع مراكبها من خرق منطقة الحرب، لأن الغواصات الألمانية لا تقدر دوماً أن تحدد الفرق والاعتراف بها حال كونها محايدة. يمكن طرح هذا السؤال لمعرفة ما يحدث إن لم يسمح الأمريكان للحصار البريطاني ولا خرق البريطانيين حقوق البلدان المحايدة بخاصة. من البديهي أن طبيعة الحصار تتبدل ويمكن التساؤل إن كان الألمان أعلنوا حرب الغواصات الشاملة. أجاب الألمان بالتأكيد وزير الخارجية الأمريكية لا نسينغ الذي أراد أن يعرف إن كانت ألمانيا ستطبق القوانين الدولية البحرية كما كانت قد حددت في إعلان لندن للعام ١٩٠٩. ومن جانبها أعلنت الحكومة البريطانية تحفظها بحقها بإدخال بعض التغييرات.



الباخرة البريطانية لوزتانيا في أثناء آخر رحلة لها، نحو إنكلترا، في هذه الأثناء أي في ٧ أيار ١٩١٥ نسفتها غواصة ألمانية U.٢٠، فقتل من ركابها حوالي ١٢٠٠ إنسان.

تخص هذه التغييرات أســاســاً توســيع لائحة منتوجات التهريب مثل المنتوجات الغذائية، الأدوية، القطن، النحاس، الخ. واضعين ألمانيا هكذا في استحالة أن يصلها شيء من البلدان المحايدة.



سفينة الحرب البريطانية العجوز HMS جونا. بعد أن خرجت لتقود لوزتانيا عبر حقول الألغام، فجأة نوديت إلى المرفأ.

خلال هذا الوقت، كان الرئيس ويلســون يتمم التأكيد أن أمريكا يجب أن تظل بعيدة عن الحرب. رغم أن الوضــع كان شــديد الحرج، لا ســيما أن الجمهوريون، وشــرائح واســعة من الشــعب الأمريكي كانت منفعلة بحججهم. فلما قام ويلسـون في العام ١٩١٦ بجولة انتخابية ليعاد انتخابه طرح شـعاراً يقول ("نحن نحترز من الحرب") ولم يفتقر الرئيس ما يدافع به عن قناعاته خلال إلقاء الخطب في طول البلاد وعرضـها، وهكذا أثار لدى الناس ردود فعل مؤثرة.

ثمة مجال لطرح ســؤال لمعرفة كيف يفكر ويلســـون فعلاً أن أمريكا يجب أن تبقى بعيدة عن الحرب. فالدراســة المتأنية تظهر أنه بالفعل يفكر بخلاف ذلك تماماً. ففي عام ١٩١٥، وصــل إلى خلاصــة أن أمريكا يجب أن تكون إلى جانب الحلفاء ويجب أن تشترك بالحرب.

متى؟ في بحر العام ١٩١٥، أرسـل ويلسـون أمين سـره الشـخصـي، العقيد هوس، إلى بريطانيا العظمى، حيث كان لهذا الرجل حديث مع ادوارد غريّ، وزير الخارجية البريطاني. في أثناء ذلك، سأل غري ماذا تريد الحكومة البريطانية أن تفعل الحكومة الأمريكية لتساعد الحلفاء في تحقيق النصر. كان هذا سؤالاً مدهشاً، يدل أن أمريكا لم تعد محايدة فعلاً.

بعد عودته إلى الولايات المتحدة، والاتفاق مع الرئيس كتب هوس في ١٧ تشـرين أول ١٩١٥ رسـالة إلى غريّ، يعرض فيها بجلاء وبســاطة اشــتراك أمريكا في الحرب إلى جانب الحلفاء، تحت عدة شــروط. كتب هوس في الرسالة ذاتها أنه قادم إلى أوروبا ليناقش فيها أمنيات الحلفاء.

ثم، يعود إلى ألمانيا ويلمح فيها إن كان الحلفاء يرفضــون عقد مؤتمر من أجل السـلم. كان شـبه مؤكد أن الحكومة الألمانية سـترد بالإيجاب فوراً على اقتراحه. إن لم يفعلوا سـيكون ثمة بداهة سـبب كاف لأمريكا أن تختار حزب الحلفاء وتتخلى عن مفاوضات السلم. وإن قدموا إلى المؤتمر، ستكون مطالب الحلفاء مقبولة لدى أمريكا، وإن رفضت هذه المطالب، تغادر أمريكا المؤتمر وتلتحق بالحلفاء كأحد الحلفاء.



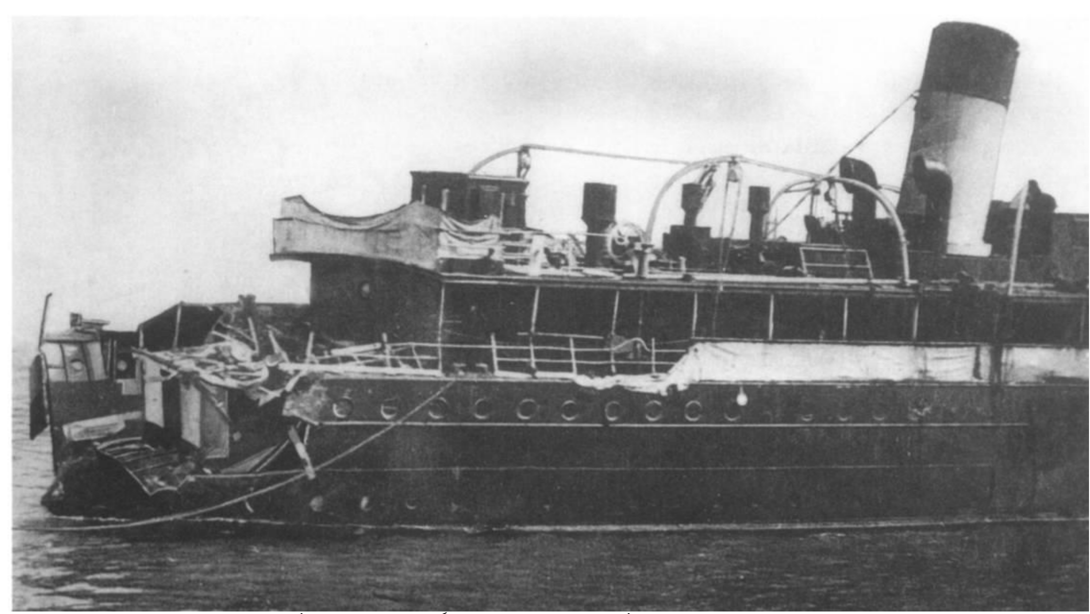
ملصقة تجنيد أمريكية شبيهة بالملصقة الشهيرة (كتخنر) الإنكليزية.

في كـانون الثـاني ١٩١٦، ذهب هوس إلى بريطـانيـا العظمى. في لندن، جدد وعد الاشـــتراك بالحرب. بعد لندن، عاد إلى باريس حيث، في أثناء الحديث مع رئيس المجلس برياند والســفير كامبون، أعلن أن أمريكا تقدر في الحال الاشتراك بالحرب إلى جانب

الحلفاء. طبعاً في ذلك العام. وافق الفرنسيون على هذا التصريح. على ذلك كتب هوس في يوميته أنه وعد فقط أن أمريكا لن تلتحق إلا في حالة يأس الحلفاء من دون تحديد طبيعة هذا التدخل. وفي شـــباط، عند العودة إلى لندن، زار مجدداً وزير الخارجية غريّ وطلب منه ثانية ما معنى هذا "التدخل الأمريكي"، كرر هوس كل شيء بالتفصيل، ثم دبج الرجلان في ١٧ شباط ١٩١٦ مذكرة ذكرت فيها الاقتراحات والوعود الأمريكية. كُتبت بأسلوب دقيق وجيز أن الرئيس ويلسون سيعقد مؤتمراً من أجل السلم، ما أن يبلغه الحلفاء أن اللحظة ملائمة. إن رفضت ألمانيا الاشتراك فيه، تصير آنئذ أمريكا بالطبع طرفاً في الحرب

إلى جانب الحلفاء. أوجزت المذكرة أيضاً أن "يصرح العقيد هوس أن أمريكا في أثناء مؤتمر السلم، تقدم اقتراحات في مصـــلحة الحلفاء. إن رفض الألمان هذه الاقتراحات واختاروا موقفاً غير مقبول، تترك آنئذ أمريكا المؤتمر وتصطف إلى جانب الحلفاء".

لكن "مذكرة غري ـــ هوس" هذه التي تشعر أنها لأول نظرة ملائمة جداً للحلفاء، تحمل رأياً معاكساً لا يمكن أن يهمل وهو إن قُبل الاقتراح، كان للأمريكان بالفعل أن يملوا شـــروط السـلم، ومن الجانب الفرنســي مبدئياً صادف هذا الوضع مقاومة شرسة. وهكذا قذف بالمشروع كله إلى الهاوية، ما آلم ويلسون كثيراً.



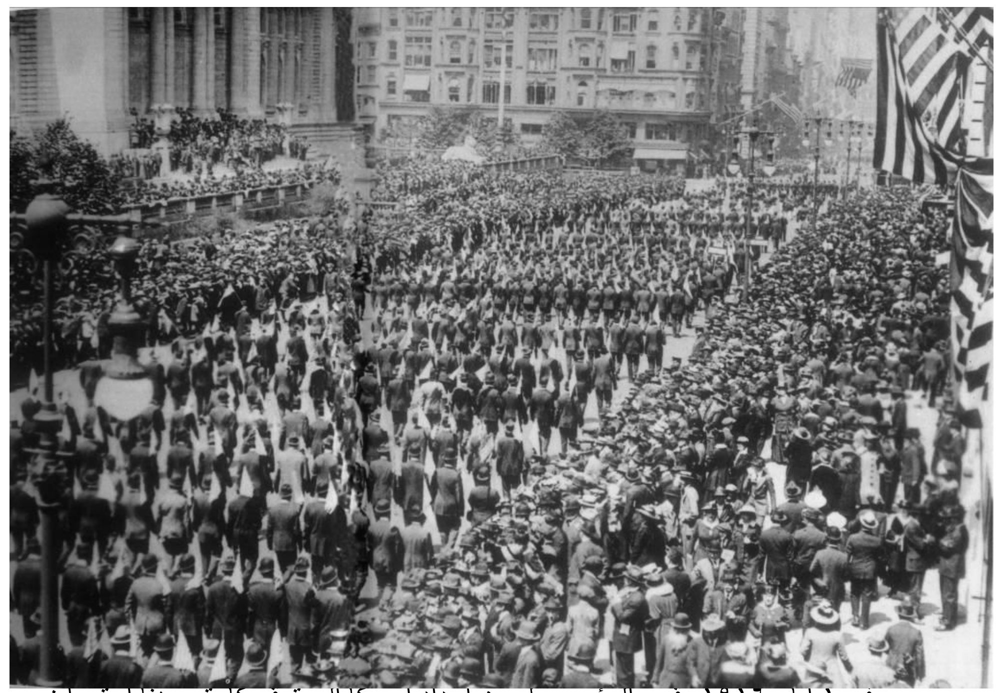
بعد اللوزتانيا السوسكس وأرابيكا دمرتا ومجدداً قتل عدد من الأمريكان



البحرية الأمريكية تتأهب للحرب والبارجة نيومكسيكو تناور

يبرز هذا الشأن أن ويلسون كان في ١٩١٥ من أنصار فرض السلم آخذاً جانب الحلفاء وإكراه الألمان على قبول مطالبهم. في هذه الأثناء، كان يخوض معركة إعادة انتخابه مع شعار "الاستمرار في البقاء خارج الحرب". كان ثمة شيء أساسي متناقض في موقف الرئيس الأمريكي. مؤكد أنه قريب من البريطانيين وفكرة انتصار الألمان على الحلفاء غير مقبولة عنده. لما كانت الولايات المتحدة موافقة مالياً واقتصادياً على قضية الحلفاء، اتسع الضغط الذي تمارسه الصناعة وكذلك الصحافة. كان هذا الوضع شديد الوزر على الرأي العام الأمريكي، وبعد نسف لوزتانيا الذي كلف حياة العديد من الأمريكان، وانضم إليهم جنود سفينتي أرابيك وسوسكس، ابتعد الرأي العام الأمريكي عن مناصرة الحلفاء. خلال هذا الوقت، توصل ويلسون إلى نتيجة مؤداها أنه لن يتوصل إلى انتزاع "سلم عادل، سلم من دون منتصرين ومن دون عقوبات"، إن لم تنضم الولايات المتحدة إلى الحرب. كان مثله الأعلى استتباب السلم في العالم مجدداً وتلعب أمريكا دوراً محورياً في تحقيق هذا الهدف. كان يوافقه الرأي وزير الخارجية الأمريكي لانسينغ، ومستشاره الشخصي، العقيد هوس، الذي تبنى منذ البدء رأياً يقول أنه لن تقدر أمريكا على البقاء بعيدة عن الحرب ولا مهرب من التحاقها بصف الحلفاء. قرر ويلسون إذاً في وقت مبكر نسبياً أن بلده يجب أن يدخل النزاع، منذ أن يوافق الشعب الأمريكي على هذا. عرض هذا عليه الضوء الأخضر منذ أن أعلن الألمان العودة إلى حرب

الغواصـــات الشـــاملة، فردت الحكومة الأمريكية بقطع العلاقات الدبلوماســية، وبعيد هذا أعلنت الحرب على ألمانيا. يمكن تفسير هذا القرار جزئياً بأن الولايات ـــ المتحدة لم تكن أبداً محايدة حياداً كلياً. فكانت عودة ألمانيا إلى حرب الغواصات الشاملة ذريعة، إنما ليس السبب الحقيقي لقرار الأمريكان في خوض الحرب.

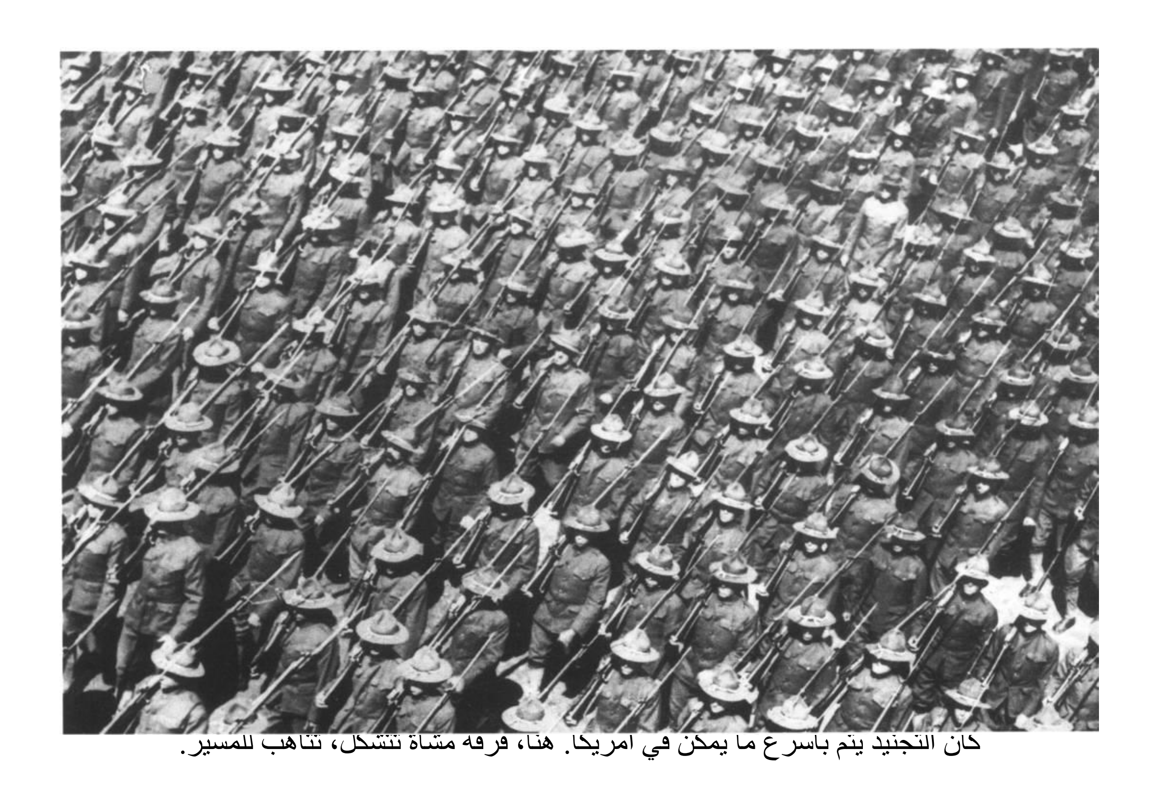


في ١ أيار ١٩١٦، قرر الرئيس ويلسون إعداد أمريكا إلى توقع كارثي. هنا استعراض الإستعداد في نيويورك في ١٣ أيار ١٩١٦

نسف لوزتانيا

يوم جليدي

كان يوم ٧ أيار ١٩١٥ يوماً جليدياً. اللوزتانيا، ومدارجها غاصة بالمسافرين، تقترب من أوروبا بعد رحلة هادئة. كان المسافرون بريطانيين وأمريكان عددهم ١٧٠٠، كانوا يحاولون تمييز الشواطئ التي تدنو. ١١٩٨ منهم لم يصـل إلى هناك، ماتوا بعد سـاعات، غرقاً في بحر بارد وموحش. رجال، نسـاء، أطفال، ١٢٨ رجلاً من أصل أمريكي، لم يعرفوا أبداً أن موتهم يشكل



كان التجنيد يتم بأسرع ما يمكن في أمريكا. هنا، فرقة مشاة تتشكل، تتأهب للمسير.

أحد بواعث قرار الحكومة الأمريكية في الاشتراك بالحرب ضد ألمانيا.

لقد تسلطت كارثة لوزتانيا على الروح والفكر والمشاعر سحابة العديد من السنين واليوم أيضاً ليس المؤرخون متفقين حول موضوعها والجدال ما يزال حاداً.

ما حدث؟ تمت رحلة لوزتانيا من أمريكا باتجاه إنكلترا هادئة حتى تلك اللحظة. كان الناس مرتاحين فوق متنها، محمين بـ "كرويز ـ رول" اتفاق ساري المفعول على نطاق دولي، ينص على منع الغواصات من إغراق السفن التجارية دونما تمكين المسافرين والملاحين من مغادرة السفينة واختيار مكان في زوارق النجاة. فضلاً عن أن الشواطئ كانت مكشوفة وما أسرع وصول جونو، الناسف البريطاني، لتوجيههم عبر الألغام في آخر شطر من الرحلة وإيصالهم إلى المرفأ. على حين غرة، سمعت صرخة مؤثرة من الراصد: "أمامنا ناسف"، وتبعه على الفور انفجار قوي بين المدخنتين الثالثة والرابعة. بُعيد هذا، انفجار آخر، أقوى من الأول، سرعان ما ترنحت الباخرة وتوارت خلال عشرين دقيقة، تاركة مئات ممن نجوا وحوالي ١٢٠٠ ضحية.

صـــدم العالم قاطبة. منذئذ عمت البلبلة والرفض حول هذه الكارثة، وعبر سـنين تبادلت ألمانيا وبريطانيا - العظمى أقسى اللوم والعتب وكل منهما تنفض يدها وتدافع عن رؤيتها للحادثة.

الرؤية البريطانية

ردت بريطانيا العظمى بالتأكيد على الرعب، واصـــفة هذا العمل الجديد بالبربري من جانب ألمانيا، على اغتيال حوالي ١٢٠٠ بريء، بينهم العديد من النســـاء والأطفال، دونما إعطائهم أي ســـانحة إنقاذ، وتمزيق القوانين المرعية الإجراء لدى كل البلدان. أثار هذا العمل الجبان فزع العالم في زواياه الأربع، ويزداد هذا الرعب عندما تنشر إحدى الصحف البريطانية أن الحكومة الألمانية خصصت ميدالية تذكارية للاحتفال بهذا "النصـــر". إن اغتيال هؤلاء الأبرياء، وهذا القتل الجبان بواســـطة الغواصـــة U-٢٠ للطراد لوزتانيا وهذا "التشهير" بالمذاق الغادر أثارت كلها موجة من الرفض عبر العالم.

وخسرت ألمانيا آخر ذرات العطف التي كان ما زال يحفظها لها البعض.

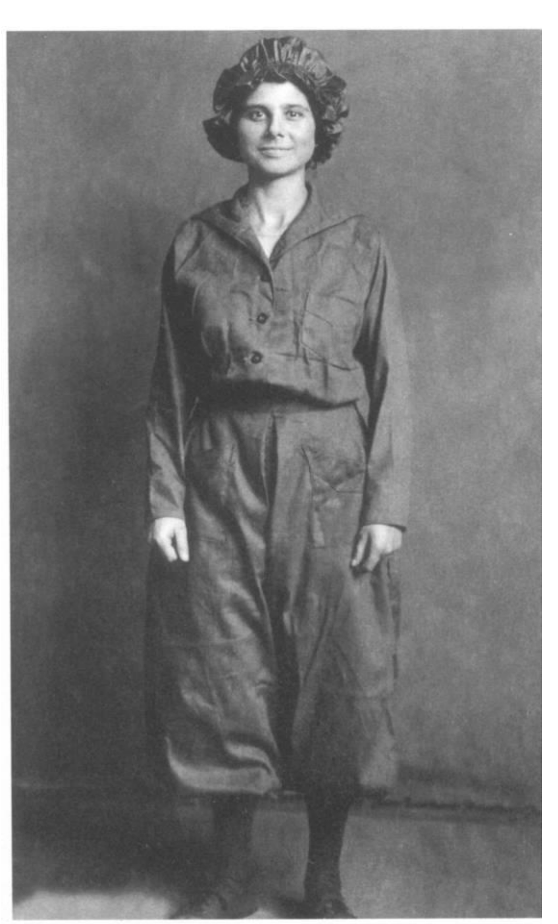


تعمير غواصات في ورشة أمريكية

توصلت لجنة من الباحثين إلى محصلات مرعبة حول ألمانيا. تحققوا أن لوزتانيا نسفت من دون أي إنذار أو إعلام أو سواه، وأن لديهم البرهان على وجود طراد آخر وأن الباخرة غرقت خلال ٢٠ دقيقة. أدانت اللجنة هذا الـ "عمل القرصني" الذي يؤكد مرة أخرى للعالم المتحضر أن "الألمان" لم يستنفذوا كل رصيدهم من الأعمال البربرية، مثل تسميم الينابيع، استخدام الغازات السامة واغتيال مدنيين في بلجيكا. تتم الآن هذه السلسلة من الأعمال بقتل مقصود لمسافرين أبرياء، جريمة لا سابقة لها في البحار الحرة وتسجل عملاً لا يندرس من التاريخ الألماني.

سبق هذا الاستدعاء تعداد محدد للوقائع، يتأكد فيه أن لوزتانيا كانت مركباً غير مسلح، لا يخص البحرية البريطانية ولا ينقل جيوشاً ولا أعتدة. طالما أبحر تحت شعار "كرويز ــ رول" ليس لألمانيا الحق أن تنسف باخرة من دون إنذار أو إخطار فهي بالتالي مسؤولة كلياً عن خرق القوانين العالمية في الإبحار واغتيال ١١٩٨ مسافراً.

رفضت ألمانيا مسؤوليتها نهائياً، لكن هذه الذرائع لا تقنع، وبدءاً من هذه اللحظة، وقد تبدل الرأي العام في الولايات المتحدة، يُذهل الأرواح نسفُ لوزتانيا وقتل١١٩٨ مسافراً واستدار الرأي العام نهائياً نحو بلد مدان باجتراح هذه الأعمال البربرية.



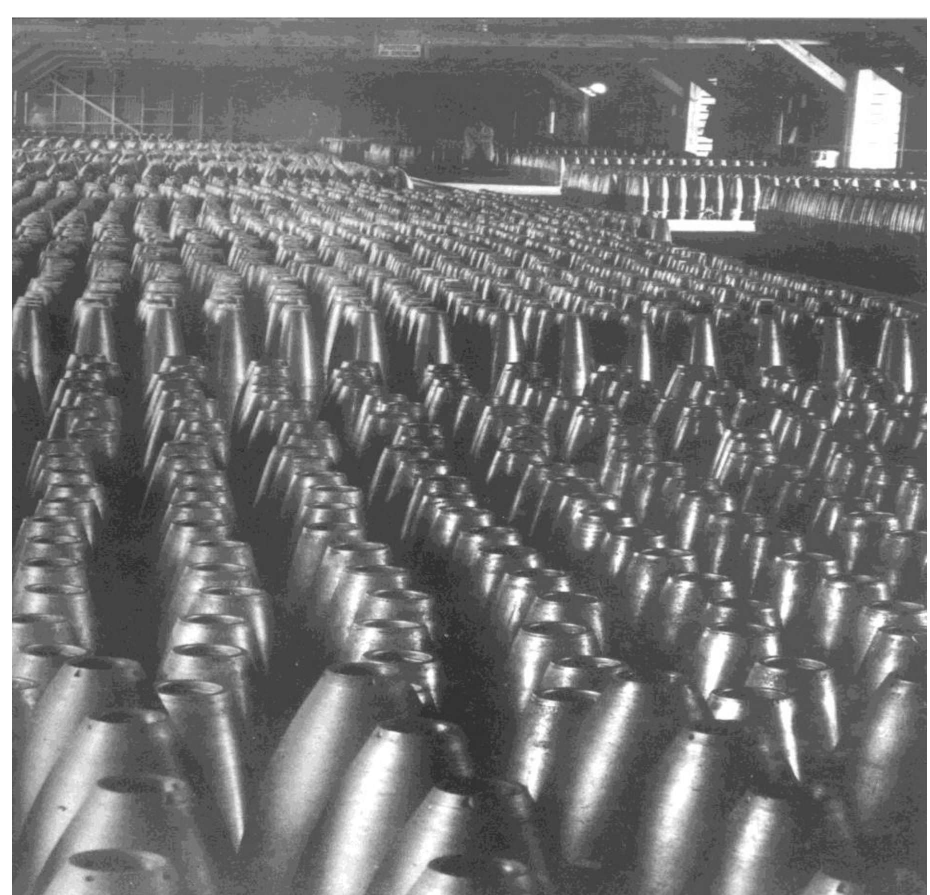
السيدة آنّا حققت الرقم القياسي العالمي لحشو القنابل بـ ١٠٦٠٠ قطعة يومياً.

الرؤيا الألمانية

انكوت الحكومة الألمانية بردات الفعل العنيفة، لا سيما تلك القادمة من أمريكا. في رسالة مختصرة إلى الحكومة الأمريكية، أعلنت الحكومة الألمانية أن الغواصات لم تعد قادرة على احترام

(كروز_ رول) لأن هذا الاتفاق يعرض للخطر الغواصات ذاتها وأطقمها.

فقد اتخذ البريطانيون قراراً بتسـليح السـفن التجارية وتكليفها بالقتال عند توفر الفرصـة، ما جعل احترام (كروز ـ رول) مستحيلاً.

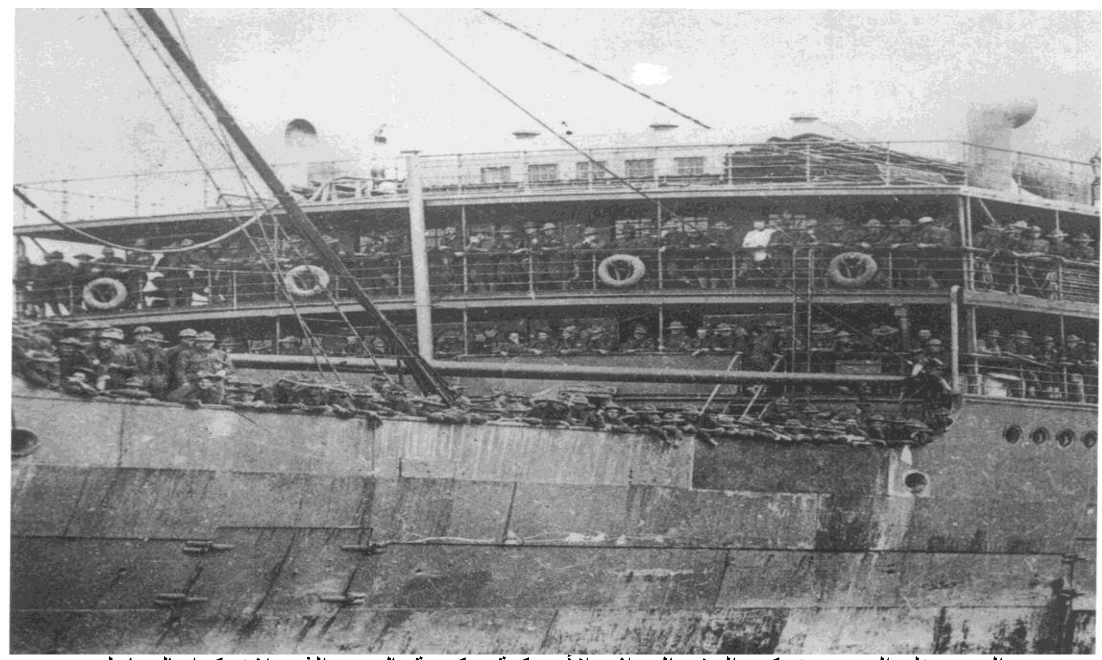


تعمير كثيف للقنابل في مصنع سلاح أمريكي. هنا، أغلفة فارغة تحشى بالمتفجرات، اليد اللطيفة هي الأغلب



٢ نيسان ١٩١٧، يطلب الرئيس الأمريكي ولسن أذن الكونغرس إعلان الحرب على ألمانيا. بعيد هذا. انطلقت طلائع القوات الأمريكية إلى فرنسا. هنا، قوات من اللواء ١٤٢ مشاة تصعد إلى سفينة نقل القوات شارل.

كانت حرب الغواصات الشاملة، حسب الحكومة الألمانية حصيلة مباشرة للحصار غير الشرعي لبريطانيا العظمى والقرار الذي اتخذه البريطانيون بتسليح البواخر التجارية، وأن تحمل سلعاً مهربة، أسلحة وذخائر ولهذا السبب بُرر نسفها.



البعض تلو البعض، تركت السفن المرافئ الأمريكية، مكدسة بالجنود الذين اشتركوا بالمعارك في فرنسا. وسطياً ٢٠٠ ألف – ٢٥٠ ألف رجل شهرياً ساروا نحو أوروبا

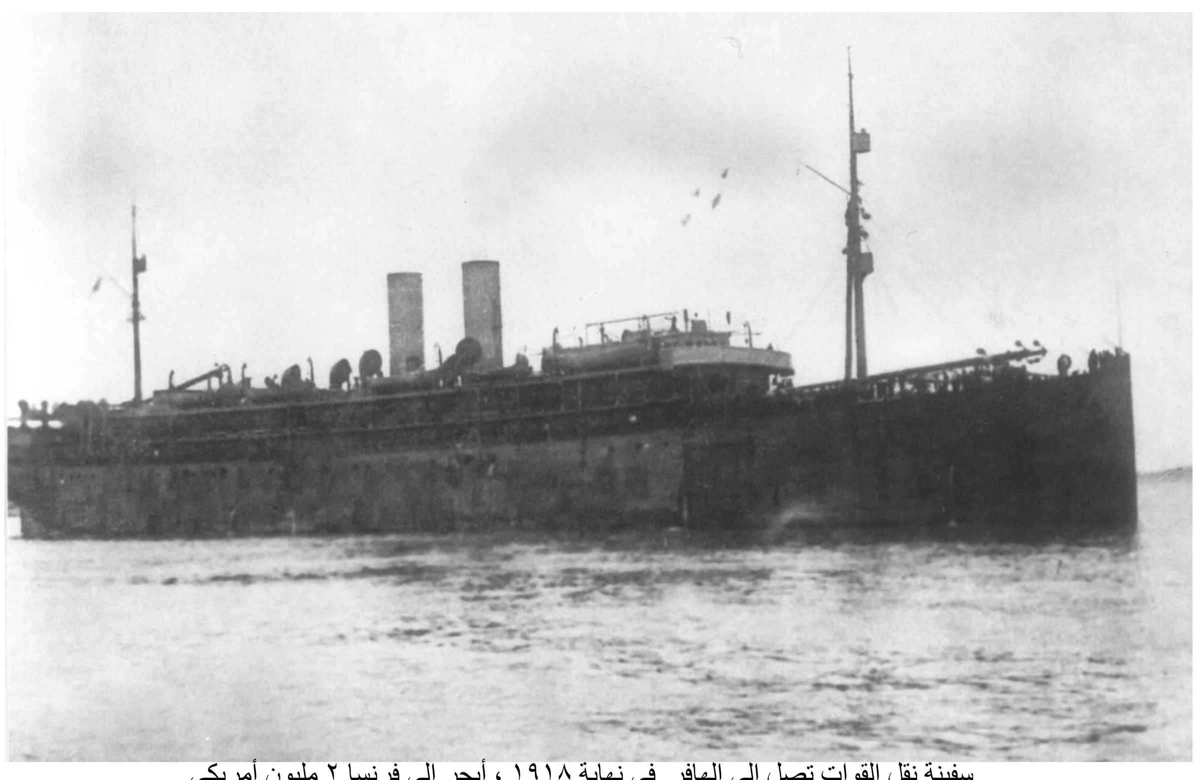
أضـافت الحكومة الألمانية أن إعلانات نشـرت في الصـحف الأمريكية حذرت من هذا الخطر مشـيرة أن تخوم الجزر البريطانية كانت منطقة حرب، حيث تعرضت السفن البريطانية أو الحليفة للنسف، والمسـافرون على ظهر هذه السفن وضعوهم أمام هذه الأخطار والتهديدات.

أخيراً، رجعت الحكومة الألمانية إلى رسـالتها الموجهة إلى كل البلدان المحايدة، فيها تعلن رسـمياً ومحرضة إياها، على "حرب الغواصات الشاملة".

الوضع الأمريكي

كان وضع الولايات المتحدة بصفتها بلداً محايداً صعباً بشكل متفرد لأن عدداً من الأمريكان قتل لما نسفت لوزتانيا. لم تنبه الحكومة أبداً من الخطر القائم بركوب الزوارق البريطانية، وإلى عدم وجود أي تدبير للتحذير من الأهوال التي تنجم عن هذا العمل. كان المسافرون يفكرون أن الـ "كروز ـ رول" كانت دائماً سارية المفعول وأن الخطر الداهم كان بالتالي محدوداً، لأن نسفاً محتملاً يسبقه تحذير وإعطاء بعض الوقت يسمح بأخذ مكان في مراكب الإنقاذ.

وضعت الرسالة الألمانية الحكومة الأمريكية في موقف صعب، لأنها بقبول الإعلان الألماني، ستحمل هي بالذات مسؤولية لأن بعض الأمريكان أصبحوا في بقعة خطرة مع كل النتائج التي قد تنشأ. وتم تبادل رسائل بين الحكومتين، لكن عبثاً.



سفينة نقل القوات تصل إلى الهافر. في نهاية ١٩١٨ ، أبحر إلى فرنسا ٢ مليون أمريكي



وصول القائد الأمريكي، الجنرال برشنغ ومعاونه إلى مدينة بولونيا في فرنسا، ١٣ حزيران ١٩١٧

طلب الأمريكان أن تحمل ألمانيا كل مسؤولية ما حدث، وأن تعترف أن النسف كان خطأ وكان غير شرعي. رفضت الحكومة الألمانية مع أنها، دلالة على إرادة طيبة ولئلا تعكر صفو علاقاتها مع الولايات المتحدة، اقترحت أن تقدم تعويضاً عما حدث، ورُفض هذا أيضاً. وتكررت الاعتداءات، وتعقد النقاش بشأن لوزتانيا وأخيراً، قررت الحكومة الأمريكية لأسباب سياسية إرجاء الجدل حتى بعد الانتخابات الرئاسية في العام ١٩١٦.

مع من الحق إذاً بخصوص هذه الدراما التي كهربت الأجواء وعكرت العلاقات بين أمريكا وألمانيا؟ الجواب على هذا السؤال ليس سهلاً. فالآن أيضاً ارتفعت حدة النقاش وتساءل الناس أينتهي يوماً!؟ يمكن طبعاً إعطاء عدة ردود وتأكيد ما يأتي.



الواقعات

ليس ضد المنطق أن تقدر ألمانيا أن لوزتانيا ناسف ثانوي بريطاني. في الصحيفة الدولية التي تحتفظ برسم هيكلي لكل مراكب الأســـاطيل الحربية في العالم. الإشـــارة الأولى لنســـبتها هي **Ausiliary Navy** البحرية المساعدة البريطانية مؤرخة في ١٩٠٢، لما حاول القطب **J.P.Morgan** أخذ كونرادلين البريطاني، لكنه تلقى رفضـــاً من الحكومة البريطانية أعلن أن مراكب كونرادلين تعزى إلى البحرية فلا يمكن أن تحمل الشـــارات البريطانية. في هذا العام نفسه صمم هيكل لوزتانيا. قدمت الحكومة معونات طائلة، لكنها وضعت عدة شروط لقاء ما دفعت. أيضاً، يجب أن تبلغ سرعة الباخرة ٢٤,٥ عقدة، ويمكن أن يربض فيها عدد من المدافع، ويلتزم كونراد أن يكون لفيف من الضباط في احتياط البحرية البريطانية. والموافقة التي مهرت في ٣٠ تموز ١٩٠٣ اشترطت أيضاً، أن تكون لوزتانيا، كباقي السفن البريطاينة، يمكن أن تصادر كناسف مساعد في زمن الحرب ويمكن أن تعبأ أو تستنفر. لم يغب كل هذا عن انتباه الألمان.

في ١٩ شـــباط ١٩١٣، تلقى مجهز السـفن أمراً بوضـــع لوزتانيا في مرآب السـفن، لكي تتم فيها بعض التعديلات لتكون قادرة أن تعمل كناسف مساعد. ستة مراجل من إجمالي ٢٥ مرجلاً توضع خارج الاستخدام والداعم الأمامي الضـخم. كان المرآب في مجمله مخصـص لنقل بضـائع الآمرية. الضـجيج الغير مؤكد حول وضـع ستة مدافع يبدو غير صـحيح. في ٢٤ أيلول ١٩١٤، علم مجهز السفن أن لوزتانيا غير ملزمة كناسف مساعد، بل مستخدمة كناقل "بضائع للآمرية".



استقبال رسمي للجنرال برشنغ في رصيف ميناء بولونيا

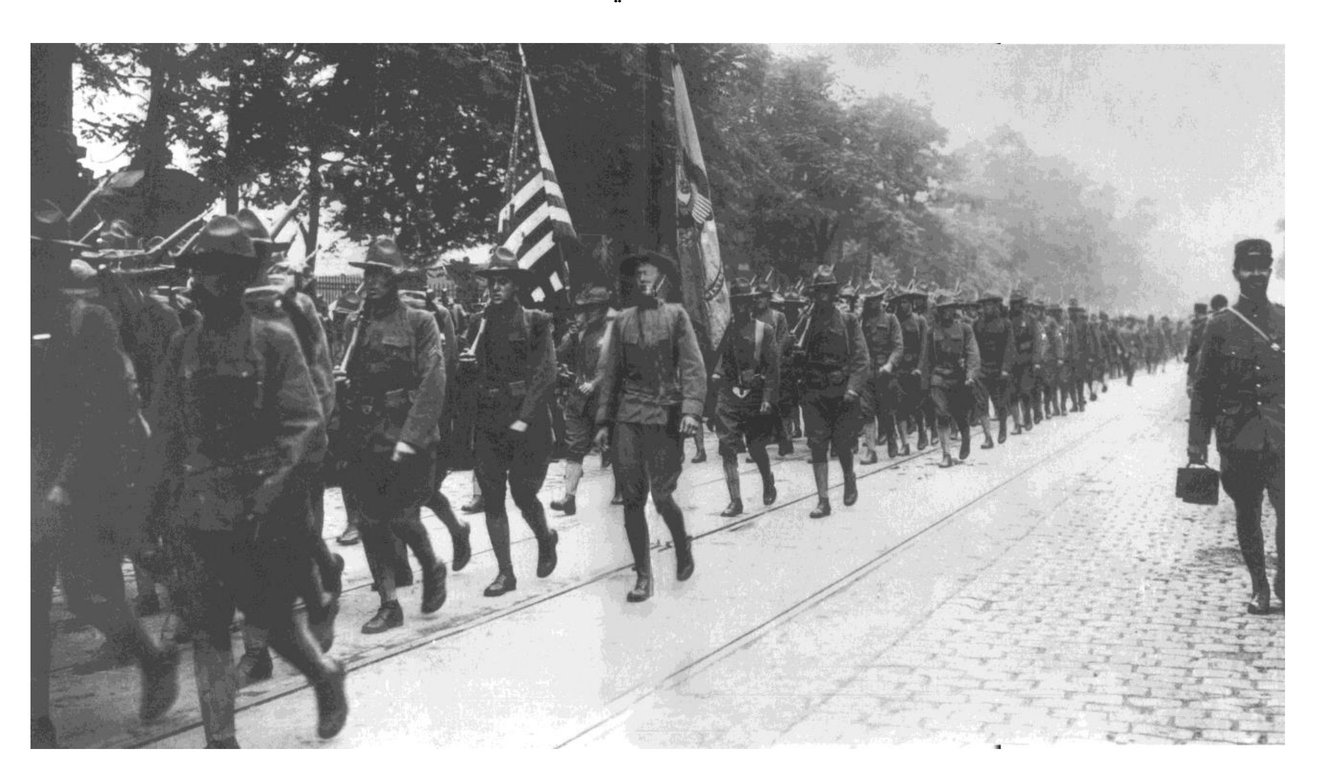


السفير الأمريكي باج، البرلماني البريطاني لورد دارلينغ والجنرال البريطاني فرانش في أثناء استقبال برشنغ.

بين الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى، ويمكن قبول أن هذا يعني نقل أسلحة، ذخائر، بضائع للجيش، إذاً للتهريب. كتب الفريد بووث، رئيس كونراد لين، بهذا الصدد: (بالفعل، كنت مهرباً للسرقات الضخمة للمصلحة القومية).

إن التأكيد الألماني أنه لم تكن لوزتانيا مركباً بريئاً فقط بل ناسفاً مساعداً بريطانياً ليس كله خطأ. بالمقابل، فقد أمرت البحرية البريطانية وضع ١٢ مدفعاً من عيار ٦ بوصات، ولكن لم يتم هذا أبداً إذ قرر في آخر دقيقة عدم التزام السفينة كناسف مساعد. الألمان مصيبون، في أن السفينة كانت تحمل منتوجات تهريب، أي شحنة قد تستخدم في الحرب ضد ألمانيا. ومن الثابت أن الشحنة مؤلفة من ١٢٤٨ صندوقاً (رفعتها الجمارك الأمريكية مؤخراً إلى ١٢٥٠) في كل صندوق ٤ قنابل شرابنل ١٣ ليبرة مخصصة لمدافع سريعة الرمي بريطانية. إجمالاً، المقصود حوالي ٥٠٠٠ قنبلة.

كانت هذه القنابل مجهزة بمنهاج تأخير مليء بــ مادة شديدة الانفجار. عدا عن هذه الــ ٥٠٠٠ قنبلة، كانت لوزتانيا تحمل صناديق أخرى للذخيرة، قطع مفككة ومتفجرات مخصصة للجيش البريطاني. بالنسبة لألمانيا يقصد سفينة معادية (بريطانية)، ملك البحرية البريطانية، تحمل أسلحة وذخيرة من بلد محايد نحو إنكلترا، مصممة لمعارك ضد ألمانيا، وهكذا شعرت أن لها الحق في إغراق سفينة كهذه.

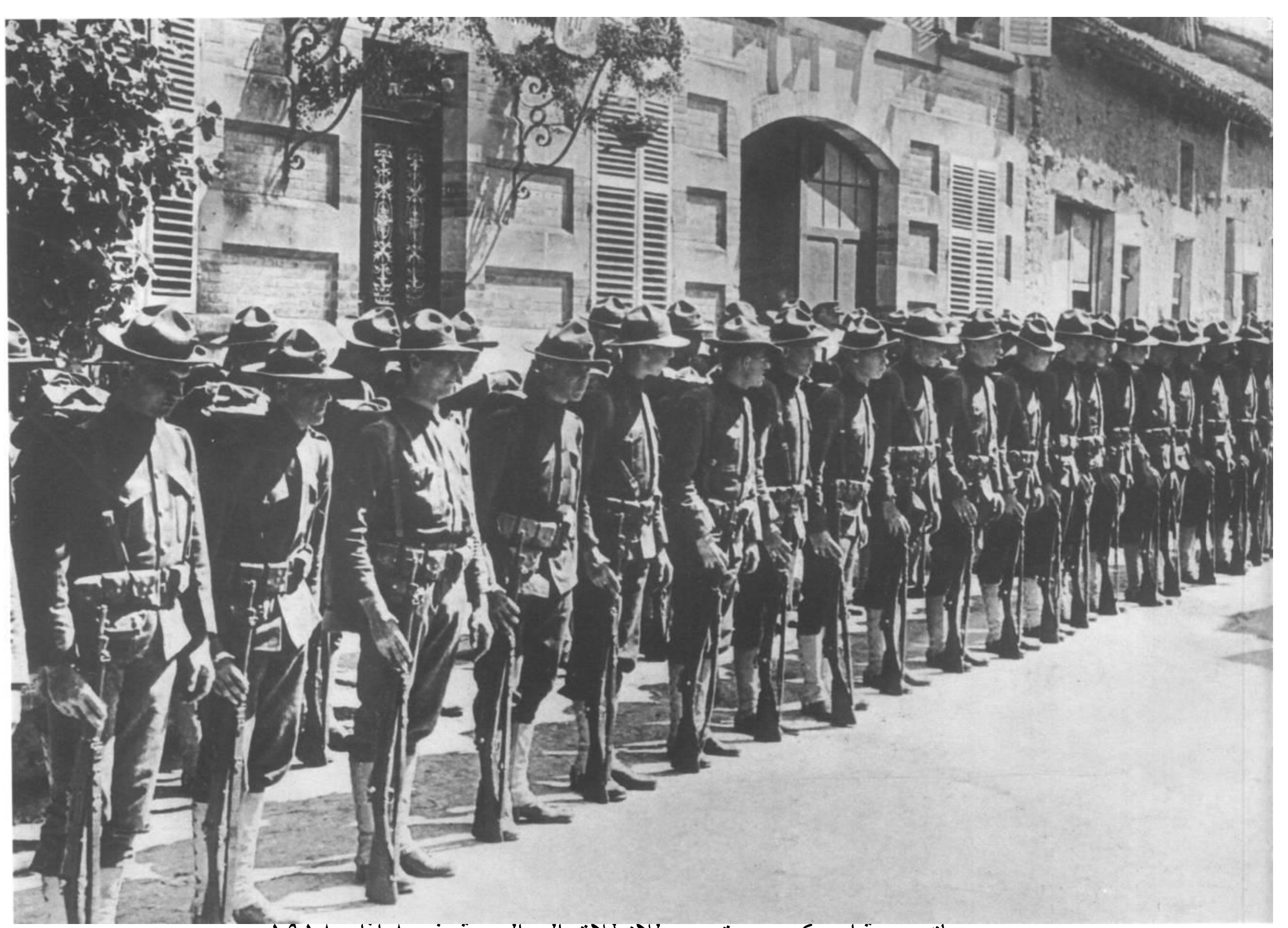


الوحدة الأولى من التشكيلات المقاتلة الأمريكية تعبر شوارع باريس في ٥ تموز ١٩١٧

وفيما يتعلق بتهمة عدم احترام القواعد القانونية البحرية من قبل قائد الغواصة ، ترد الحكومة الألمانية، أنه صار غير ضرورياً بسبب تطبيق القرار البريطاني بخصوص تسليح السفن التجارية. أخيراً، تعيب على البيت الأبيض السماح للسفن التجارية البريطانية المسلحة الخروج من المرافئ الأمريكية وإهماله إدانة الحصار البريطاني غير الشرعي.

صـــحيح أن تشــرشــل أعطى أوامر بعدم تســليم الســفن التجارية لا بل طلب من القيادات تجاهل الأوامر المحتملة حول منع التجهيز القادم من طرف الغواصة ومحاولة صدمها أو تدميرها باستخدام مدافعها. وأضاف تشرشل الإسراع في إحالة القادة الذين يسلمون سفنهم إلى العدو إلى القضـاء البحري واعتبارهم "جنود غير نظاميين" أو خونة.

لقد اطلع الألمان على هذا الأمر. إذ وقع بيدهم نموذج لما أوقفوا السـفينة التجارية البريطانية بن شـرواشـان في ٣٠ كانون ثاني ١٩١٥ وأغرقوها، وكان هذا أيضـــاً لأنهم علموا هذا الأمر فاعتبروه قراراً لا تطبق عليه قواعد السفر البحري.



رماة بحرية امريكيون يستعدون للإنطلاق إلى الجبهة، في ٨ اذار ١٩١٨

كان الألمان محقين أيضـاً في تأكيدهم أن الحصــار الاقتصــادي كان خرقاً للقوانين الدولية. وصــحيح أيضــاً أن البريطانيين لم يُصدقوا على إعلان لندن للعام ١٩٠٩، الذي ينظم قضية الحصار على النطاق الدولي، إنما في العام ١٨٥٦ وقعوا على معاهدة باريس، أو قواعد تخص حصارات كانت أيضاً مقررة، وأقرها العالم.

أقرت الحكومة الأمريكية أيضـــاً أن بريطانيا العظمى خرقت القوانين العالمية بتفتيش المراكب المحايدة ومصادرة حمولتها للتوسيع المطلق للائحة البضائع المعتبرة مهربة. لكن خرق القواعد البحرية من قبل ألمانيا كان هو الآخر تجاهلاً للقوانين الدولية.

اقترحت الحكومة الأمريكية آنئذ على المتحاربين مقابل احترام ألمانيا "قواعد البحار"، أن تجيز بريطانيا العظمى مجدداً نقل المواد الغذائية بسفن محايدة وكانت هذه السلع في آخر المطاف للناس المدنيين الألمان.



رفضـــت بريطانيا العظمى هذا الاقتراح الذي قبلته ألمانيا واستقر الوضع رغم احتجاجات الولايات المتحدة التي لم تشـــرع بأي عمل إضـــافي، راغبة عن تعكير مستقبل علاقاتها بالحلفاء.

مع أن ألمانيا عندها، قطعاً، على الأرجح أفضل الدلائل، كان تأثير النسف على الرأي العام الأمريكي منقسماً والذي كان حتى آنئذ، ثم انعطف بوضـــوح ضــد ألمانيا. لم يقطع الرئيس ويلســون العلاقات الدبلوماســية بعدُ، رغم إلحاح الصحافة والجمهوريين، لكن النسف دعم بالتأكيد تحيزه ولعب دوراً هاماً في تحالف أمريكا مع الحلفاء. وشدها نحو دخول الحرب بدءاً من نيسان ١٩١٧.

رسخ اشتراك الولايات ـــ المتحدة مصير ألمانيا. وأثار موت ١٢٨ مواطناً أمريكياً في نهاية الأمر سقوط الإمبراطورية الألمانية.

برقية زمّرمان، قصمت ظهر البعير.

كما ورد آنفاً، بدل نســف لوزتانيا الرأي العام الأمريكي تجاه ألمانيا، لكنه لم يبلغ على الفور حالة دخول الحرب. إذاً شكلت العودة إلى حرب الغواصات الشاملة ومحاولة الألمان إثارة المكسيك ضد الولايات المتحدة عاملاً حاسماً، وكان هذان الأمران أساس قرار الرئيس الأمريكي الاشتراك بالحرب إلى جانب الحلفاء.

متى كان هذا؟ في الحكومة الألمانية، تواجد أكثر من رأي في انتهاز العودة إلى حرب الغواصات الشاملة. كان بيثمان ـــ هولويج، مستشار الدولة، جذرياً ضده. كان قانعاً أنها ستقود أمريكا إلى خوض الحرب. وكان زمّرمان، الذي خلف في ٢٢ تشرين أول ١٩١٦ جاغو كوزير للشؤون الخارجية، من رأي آخر بالمطلق. كان من رأي هندنبرغ، لودندورف والآمرية، كان هؤلاء مقتنعين



قبل الانطلاق إلى الجبهة، تلقت القوات الأمريكية، قليلة التجربة، فترة تدريب لمدة شهرين في فرنسا.

أن زج ســـلاح الغواصـــات بشـــكل كامل، قد ينهي الحرب في العام ١٩١٧. كانوا يرون أن أمريكا كانت عنصــــراً لا يؤبه له، ويمكن فهم هذا الحكم لأن الولايات المتحدة، في تلك الحقبة كانت لا تملك ســـوى جيش صــغير. وكانوا يقولون أنها أعجز من إجراء التعبئة العســكرية في الوقت المناســب، أي تجهيز جيش مقاتل، وتدريبه وإرســـاله إلى أوربا. من الآن وحتى ذلك الوقت، ســـتربح ألمانيا الحرب من دون ريب، ويصـــل الأمريكان بعد أن يسـبق السـيف العزل، وثم لامناص من امتشـاق سـلاح الغواصـات الشـامل كوسـيلة لإنهاء الحرب.

مع ذلك أعلنت ألمانيا العودة إلى حرب الغواصـــات الشـــاملة فقط، في ١ شـــباط، ما أفضـــى إلى أن تقطع أمريكا علاقاتها الدبلوماسـية مع ألمانيا، لكن قرار البدء الفعلي للاشـتراك بالحرب لم يُتخذ بعد. برقية بسـيطة ســـتبدل رأيها، وتجعلها تقرر نهائياً الاشـــتراك في الحرب إلى جانب الحلفاء. بالفعل، في ١٢ تشـــرين ثاني، أرسل زمّرمان برقية إلى إبكهاردت، سفير ألمانيا في المكسيك، طالباً منه أن



مخفوراً بكتيبة موسيقية عسكرية، اللواء ٣٠٧ الأمريكي يتقدم نحو فرنشون.

يستعلم إن كانت المكسيك تهتم بحصيلة حلف مع ألمانيا

بدا له الجواب الذي تلقاه كافي الإيجاب، وفي ١٩ كانون ثاني ١٩١٧ طيّر برقية إلى إيكهارت:

"نحن ننوي أن نفجر بدءاً من ١ شباط حرب غواصات شاملة. رغم هذا، سنحاول المحافظة على حياد الولايات المتحدة. إن لم نبلغ هذا، سنقترح على المكسيك حلفاً على الأسس التالية:

تشترك المكسيك بالحرب إلى جانبنا وتشترك بمفاوضات سلم معنا.

تدعم ألمانيا المكسيك دعماً مالياً عارماً.

تعزز المكسيك مشروعها في استعادة أرضها المحتلة في التكساس، المكسيك الجديدة، والأرزونا.

أنت مخول بإبلاغ رئيس المكسيك هذا الاقتراح منذ أن يصير دخول الولايات المتحدة بالحرب ضد ألمانيا أكيداً، وتلح عليه أن يبدأ، بمبادرة منه، اتصالاً مع اليابان ويدعو هذا البلد إلى الاشتراك بهذا الحلف.

رجاء شد انتباه الرئيس حول زج الغواصات بالمطلق يقدم منذ الآن فصاعداً إمكانية إكراه إنكلترا على خوض السلم خلال أقل من شهر. رجاء نحن ننتظر جواباً لهذه البرقية. ـ زمّرمان".

لكن زمرمان جهل أن إدارة الاستطلاع البريطانية كانت قادرة على محاصرة وحل رموز البرقية الدبلوماسية الألمانية. في ٢٤ شباط، سلموا نسخة عن برقية زمرمان إلى والترباج، سفير الولايات المتحدة في لندن، وأُرسلت إلى واشنطن. كانت هذه هي الشعرة التي قصمت ظهر البعير وفي ٢٠ آذار ١٩١٧، قرر الرئيس الأمريكي الاشتراك في الحرب. منذئذ، تعرضت حظوظ ألمانيا بكسب الحرب للتلاشي.

إعلان حرب أمريكية، الفصل الأخير

في ٢ نيسان ١٩١٧، خاطب الرئيس الكونغرس واقترح إعلان الحرب على ألمانيا، قال: "بإحساس عميق للخطوة الجادة التي التزم بها، وملء المســؤولية التي أحمل، من دون تردد، وبالوفاق مع ما أعتبره واجبي الدستوري، اقترح



جنود أمريكان تحت خيمتهم، في أثناء تأهيلهم في فرنسا

على الكونغرس أن يعتبر الأعمال الأخيرة للحكومة الألمانية عملاً حربياً على الحكومة والشـعب الأمريكيين الذي يضطر أن يعتبر نفسه في حرب ضد ألمانيا". وأضاف الرئيس أن أمريكا تعدُّ نفسها من دون تأخر وأنها ستضع كل ما لديها في العمل لترغم الحكومة والإمبراطورية الألمانية على عقد الصلح ووضع حد للحرب.

وقف الكونغرس الأمريكي بالإجماع وراء الرئيس، وفي ٢ نيســان أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية رسمياً الحرب على ألمانيا.

فالطاقة الأمريكية من اليد العاملة والقدرة على الإنتاج هي الآن كلها في خدمة الحلفاء، ما يعني تحديد مصــير ألمانيا. بعد عشرين شهراً من هذا الخطاب اضطرت ألمانيا أن تطلب الصلح والكف عن الحرب، لوضع حد لآلام الشـعب الألماني لأن معاهدة فرســاي لم تفض إلى السـلم الذي انتظره العالم طويلاً، بل ظل يحمل بذرة الحرب الأكثر إرهاباً. التاريخ يتكرر، وهذه الحرب لن تكون الأخيرة.



جنود أمريكان في أثناء تمرين على القتال بالحراب. أخذت هذه الصورة في ٣ آب ١٩١٨.

الخاتمة

الـ "سلم من دون منتصرين" وَهِم

الثورة في روسيا

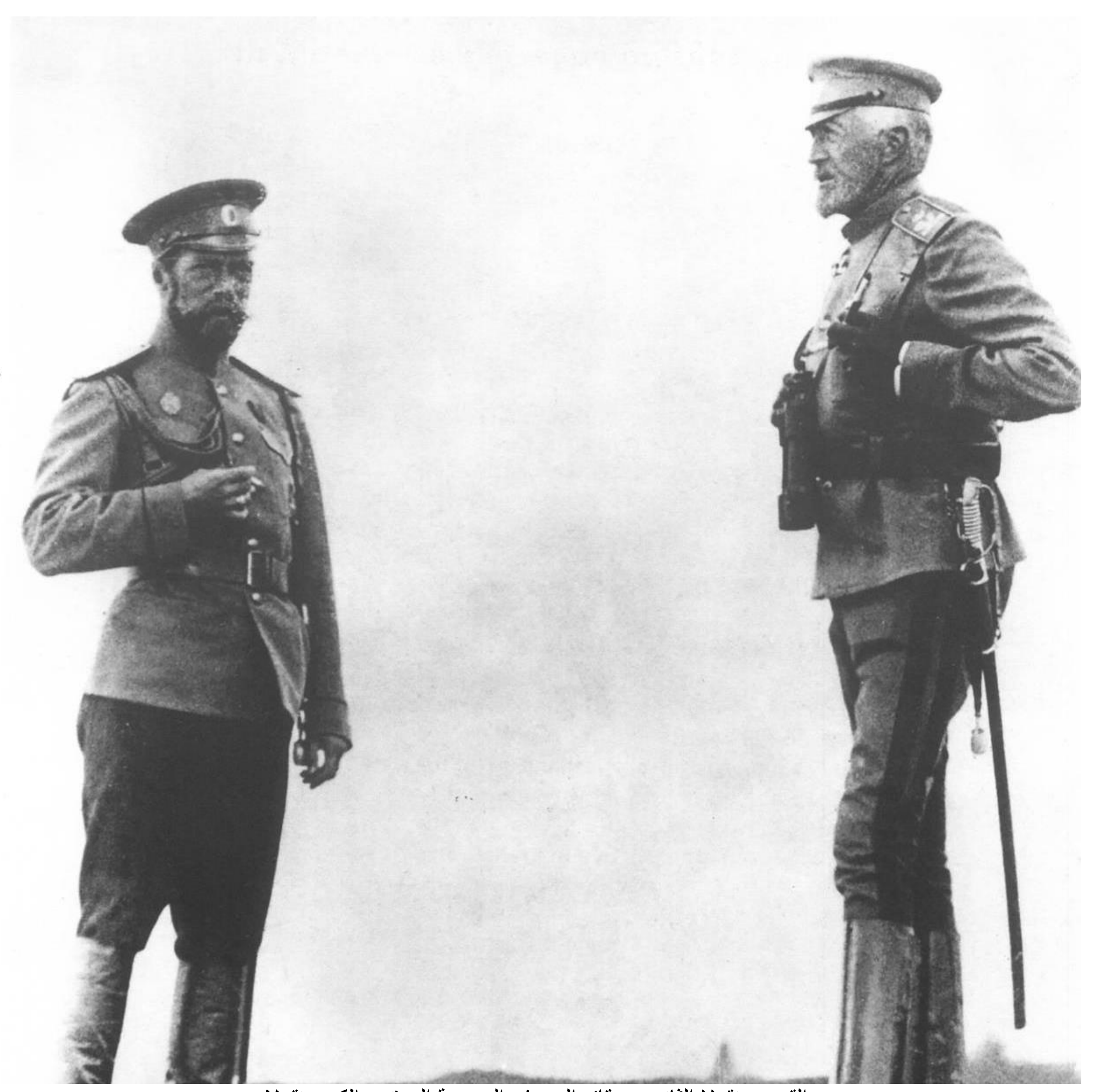
كانت الحرب في روسيا مصدر اضطرابات تزداد خطورة أكثر فأكثر.

الخسائر الضخمة، الجوع المتزايد، الإدارة الفاشلة في البلاد وفي الحرب كانت تحرض من يوم إلى آخر الناس. والقيصر الذي قاد الجيوش إنما من دون كفاءة، كان أكثر فأكثر معرضاً للأزمات والانهيار. والقيصرة خضعت لتأثير أمين سرها المتزايد، الراهب راسبوتين، الذي كان أيضاً مستشارها والذي كان يسعى إلى تدمير حصونها بتدخله في القصر. الثقة تنحط، والقيصر يعطي زوجته كل ما تطلب. إنما في ٣٠ كانون أول صُرع راسبوتين على يد شابين ، الأمير رومانوف والدوق الكبير دمتري بافلوفتش. في هذا الوضع تنبأ راسبوتين أنه إذا ما تعرض لمكروه، سيسقط القيصر معه. تحققت هذه النبوءة بعد عشرة أيام من الاغتيال، لأن القيصر تخلى عن العرش وانطلقت الثورة لتحكم البلاد.

منذ بدء الحرب، ومذّ عام ١٩١٤، بدأت ألمانيا اتصالاً مع الإشتراكيين الروس الذين يعيشون في المنفى، أساساً في سويسرا. بين هؤلاء، يُذكر لينين، أحد أهم القادة، الذي كان يستعد للعودة إلى روسيا عندما يؤون الأوان

القيصر يتنازل

في ربيع ١٩١٧، صار الوضع في روسيا مقلقاً أكثر فأكثر. أعلم رئيس الدوما، ــــــ البرلمان الروسي، ميشـيل رودشـنكو، القيصـر أنه يتمنى حضـوره في الحال فالوضـع يهدد بالانهيار، لكن القيصـر تجاهل هذا الإنذار ولم يكدر نفســه. في بداية شـباط، انطلقت اضــطرابات عارمة في بطرسـبورغ حيث طالب الجمهور بالمؤونة. بدأ الهجوم على المخازن ونهبها.



القيصر نقولا الثاني مع قائد الجيوش الروسية الدوق ـ الكبير نقولا ـ

عمه الذي سلمه قيادة القوات في أيلول ١٩١٥ .



استدعت السلطات المحلية رجال القوزاق، لكن هؤلاء رفضوا التدخل، وفي بعض الحالات اختلطوا بالجمهور وشاركوا بالسرقات. وعادت الاضطرابات بعد أسابيع، ولاقى أكثر من ٢٥٠ متظاهراً الموت برصاص الشرطة. هذه المرة أيضاً، رفض الجيش التدخل ونجدة رجال الأمن. كما رفض فوجان من الحرس أيضاً طاعة الأوامر وبهذه السانحة استلم الشعب السلطة وانفجرت الثورة. بدأ السجن التمرد وحُرر المساجين السياسيين. حرقت ثكنة بطرس وبولص وتضاعفت السرقات إلى مستوى غير معروف. عمت الثورة كل مكان وأبلغ وزير الحرب القيصر أن كثيراً من الأفواج والكتائب في الجيش تمردوا. في ٢٧ شباط، حمل رئيس الدوما رسالة إلى بطرسبورغ لإنقاذ العرش. ولم يكلف القيصر نفسه واجب الرد. ولم تهمز التقارير التالية، التي شكلت حالة من تنامي عدد المتمردين، انتباهه. تجاهل هذه الأنباء الكارثية وتصرف كأن شيئاً لم يكن. صار الوضع قاب قوس من الانفجار. لم يتدخل الجيش، والأسوأ، لم تطع الثكنات أوامر القادة. بل ساهم الجند بالنهب واختلطوا بالعصاة كانت الثورة قد صارت واقعاً وانتشرت كبرميل بارود في طول البلاد وعرضها. أدرك القيصر أخيراً أن الوضع أكثر حرجاً مما



الرقيب تشبانكو من الجيش الخامس السيبيري، بطل روسي حمل صليب القديس جرجس أربع مرات، أرفع امتياز ومكافأة لصف ضابط في الجيش
"



قطار يحمل أنصار لينين عائدين من الجبهة يصل إلى كييف ، حيث أبيد أكثرهم



بعد بدء الثورة، ترك الجنود الروس الجبهة بالآلاف. هنا عودة من غاليسيا، جنود روس
جرحى يغيرون اتجاه قطار لكي يمتطوه إلى الوطن، في ٣٠ آب ١٩١٧

كان يظن وطلب رأي رئيس الدوما. كان الرأي الوحيد الذي تمكن من إعطائه هو التنازل والاستسلام.

كان الشعب ثائراً، الجيش متمرداً، في كل مكان تتشكل مجالس للعمال والجنود الذين استلموا السلطة. ولم يبق بالفعل شيء أمام القيصر سوى الرحيل. وفي ١٦ آذار ١٩١٧، وقع صك التنازل لمصلحة أخيه ميخائيل واقتيد هو إلى الأسر.



قوات بلشفيه في كرانشتدات في ١٩١٧. نقيب من اللواء ٥٦ مشاة يخطب أمام الجنود.

غير أن خلفه تخلى في ذات اليوم عن حقوقه بالعرش. اســتلم كيرنســكي، وزير العمل رأس الحكومة الثورية المؤقتة، وقرر متابعة الحرب إلى جانب الحلفاء. خلال ردهة من الزمن، خيل للناس أن الهدوء اســتتب. إنما مع ذلك، انطلقت الأمور بشــكل مغاير تماماً. التحق القيصـــر بزوجته وأولادهما إلى قصـــر تسارسكوي سيلو حيث عوملت الأسرة كأسيرة واضطرت للخضوع للكثير من الإذلال.

وبعد برهة من الوقت، رحلت إلى إيكاترنبورغ حيث قتلوا بوحشـــية على يد الســـوفييت المحليين في ليلة ١٦-١٧ تموز ١٩١٨. هكذا انتهى حكم أسرة رومانوف العريقة.

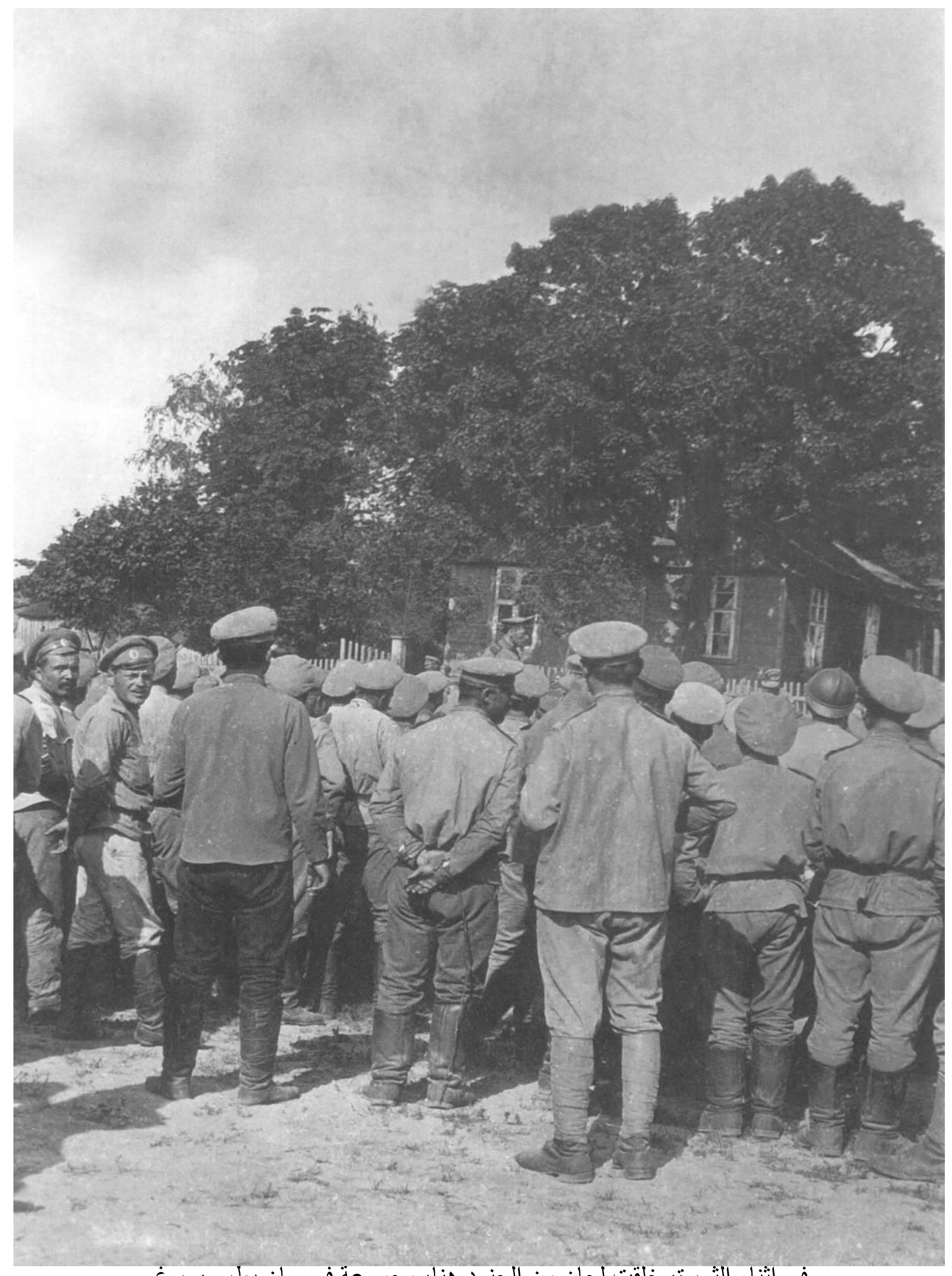
روسيا تنسحب من الحرب.

خلال هذا الوقت، كان الألمان يتابعون أحداث روســـيا بكثير من القلق. اعتقدوا خلال بعض الأيام أنهم توصـلوا إلى اتفاق مع الحكومة المؤقتة الروسـية، إنما لما انجلى الوضــع عن أن كيرنسـكي ماض في متابعة الحرب، قرروا مســاعدة الثورة. خولوا لينين حق عبور أرضــهم ليصـل إلى روسـيا ليدعم العناصــر الأكثر رادكالية. وفي ٩ نيســان ١٩١٧، غادر لينين زوريخ بقطار خاص مع ثلاثين من الأمناء المخلصــين ووصــل إلى سان بطرسبورغ في ١٦ منه. استقبل شريحة من الثوريين بحماس عارم، وسحابة السنين السبع التالية، حتى وفاته في العام ١٩٢٤، قاد حكومة السوفييت الجديدة.

إنما قبل أن يصـل إلى هنا. أمســى كيرنسـكي وزير حرب، في حكومة مؤقتة شـكلت حديثاً. بهذه الصــفة أعطى الجنرال بروسلوف أمراً بشن حملة جديدة.



نشبت الثورة في بطرسبرغ بالحرائق والدمار هنا يتم دفن الضحايا ، في ٣ أيار ١٩١٧



في اثناء الثورة، خلقت لجان من الجنود هنا، مجموعة في سان بطرسبورغ.



في أوقات شديدة الاضطراب. جندي يقرأ واحدة من النداءات العديدة الموجهة للناس والجيش.

يجب أن يكون هذا بداية النهاية. في أول حزيران ١٩١٧، هجم بروســـلوف بخمس وأربعين فرقة على التشكيلات الألمانية والنمسا ـــ هنغارية في جبال الكاربات. خلال أسبوع، تقدم ٣٠كم وسمح عمله أن يكون نجاحاً باهراً، لكن الروس تصـــدوا له ودُمر الهجوم كله. رفض جنوده الطاعة، العديد منهم غادروا الجبهة، عادوا إلى مدنهم وبلداتهم، وقدر الألمان أن يستعيدوا بسرعة الأرض التي فقدوها.

دُعي برسلوف وشكلت حكومة جديدة مؤقتة، وثانية برئاسة كيرنسكي. لكن حامية سان ـــ بطرسبورغ سحبت ثقلها من الحكومة، واستلم لينين السلطة. شكل مجلس أمانة سر من الشعب وأعلن طوعاً وفوراً وضع نهاية للحرب حتى ولو أفضى هذا إلى ضياع أراض روسية.



رئيس المجلس الروسي كيرنسكي (سابقاً وزير حرب، في الوسط، ماداً إصبعه، قام بزيارة الجبهة في ١٢ أيلول ١٩١٧. تنازل القيصر في آذار، وعاد لينين إلى روسيا في نيسان، دعماً وبناءً للثورة.

ليون تروتسكي، الذي هاجر إلى أمريكا في أيام القيصر وكان عاد إلى روسيا في شباط، كلفه لينين بوزارة الخارجية. اتصل بالألمان وعرض توقيع سلم منفرد معهم. عقدت مداولات في برست ـ لتوفسك، لكن المطالب الألمانية استدعت أن يعتبرها تروتكسي غير مقبولة. أعلن آنئذ أن روسيا تنسحب وحدها من النزاع على أمل أن يرضـــى محدثوه بهذا القرار، لكن القيادة الألمانية أمرت بمتابعة المعركة، واندفعت القوات الألمانية داخل الأرض الروسية.

هذه المرة، تدخل لينين شـخصـياً وأصـدر أمراً بإنهاء الحرب مهما كان الثمن. في ٣ آذار ١٩١٨، وقفت المعارك رسمياً ووضعت الحرب أوزارها بين ألمانيا وروسيا. فقدت روسيا ثلث أراضيها لصالح ألمانيا.

أكثر من ٩٠ % من مناجم الفحم الروسـي سقط بأيدي الألمان، ثلث الأرض الزراعية ونصـف الصـناعة تقريباً.



أول حزيران ١٩١٧، كيرنسكي يأمر الجنرال بروسلوف شن هجوم جديد ضد الألمان





مفاوض روسي يقتاد إلى القيادة الألمانية


واستقبل لبحث وضع نهاية للحرب


دنو نهاية الكارثة ، تروتسكي يصل إلى برست ــ ليتوفسك لبدء مباحثات السلم مع الألمان



الغرفة التي عاشت فيها القيصرة آخر أيام التوقيف في دارة إيكاترينبورغ، قبل أن تقتل مع أسرتها



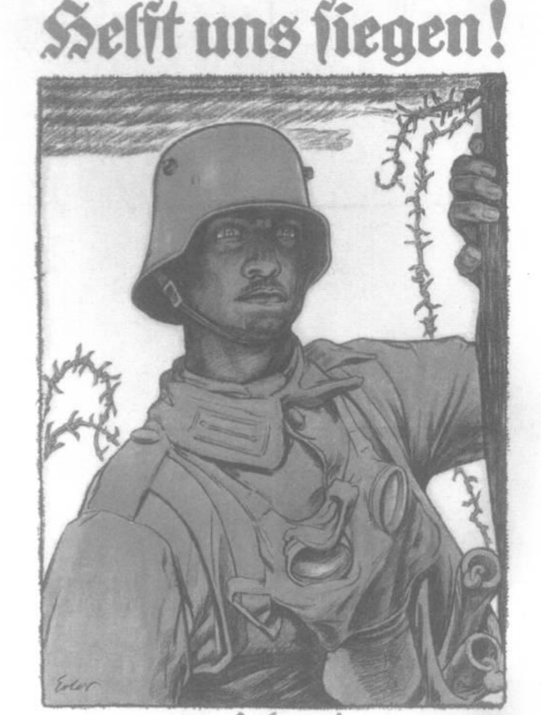
حول دارة إيكاترينبورغ، أقام البولشفيك سداً من السياج الشائك يجعل أي اتصال بالعالم الخارجي محالاً



الغرفة التي سجنت فيها بنات القيصر حتى ليلة ١٦-١٧ تموز ١٩١٨، حيث قتلن بوحشية.

ظفرت ألمانيا، ورحلت قطعاتها على جناح السرعة من جبهة الشرق إلى جبهة الغرب بأمل تبدل الموقف. باشر الجنود المرحلون صلات مع الثورة الروسية، وبثوا بدورهم الأفكار الثورية بين الجنود الألمان. في ذات البرهة ظهر عدو جديد هو الولايات المتحدة على الجبهة، قاضية نهائياً على أي إمكانية لألمانيا في كسب الحرب.

إن انسحاب روسيا من الحرب منفردة وقيام حكومة شيوعية استلمت السلطة أفضى إلى القطيعة النهائية بين روسيا والحلفاء الغربيين. لذا، استمر الشعب الروسي يصارع الأوجاع. سواء في الحرب الأهلية بين البولشفيك والروس البيض، الباقين مخلصين للقيصر، أوفي الحرب مع بولونيا (١٩٢٠)، تلاها استلام ستالين السلطة، الذي أغرق الإتحاد السوفييتي في أهوال الحرب العالمية الثانية بعد الائتلافات غير المثمرة مع ألمانيا النازية.



الهجوم الألماني في آذار ١٩١٨

محاولة أخيرة

في بداية آذار، كانت الحرب مشتعلة على كل الجبهات، عدا جبهة الشرق حيث وضعت الثورة الروسية حداً للاعتداء بين روسيا وألمانيا.

في الغرب، كان الحلفاء في حالة صعبة وكانوا يتجنبون المعارك الطاحنة بانتظار أن يمد الأمريكان الذين دخلوا الحرب فعلاً في عام ١٩١٧، يد العون للمعارك. كانوا يعتقدون أن الحرب مستمرة حتى العام ١٩١٩ ولم يكن الوضع بعد قد تبدل لمصلحة الحلفاء، من الجانب الألماني فشلت مداولات خجولة مع الحلفاء. البابا أيضاً اقترح وساطته، لكنها ظلت عجفاء.

ليس لألمانيا أن تعتمد على رغبة الحلفاء في السلم، فالقرار الأمريكي في خوض الحرب قلب الوضع بسرعة لمصلحة الأخيرين، ولم تكن وافت ساعة الحديث عن السلم. وعت القيادة الألمانية هذا الوضع بوضوح. وقبل أن يصير الأمريكان في وضع اشتراك فعال في المعارك، قررت أن تلعب مرة أخرى واضعة

كل رصيدها على الطاولة ـــ الكل لصالح الكل. في معركة حاسمة تقلب الأمر لمصلحتها وتجعل السلم ممكناً بشروط ملائمة للألمان.



في آذار ١٩١٨، قرر الألمان بدء هجوم كاسح يهدف إنهاء الحرب. هنا، الجحافل الألمانية تتقدم نحو الجبهة.



حشد القوات الالمانية في ثامبلكس، في اذار ١٩١٨



آخر تفتيش للفيلد مارشال هندنبرغ



انطلاق عملية ميشيل تشكيلات هجومية من الجيش ١٨ الالمانى ذى التدريب الخاص تبدا الهجوم

وبالخطوط العريضة، كانت مقدمات هجوم آذار ،كمايلي:

لم يستطع الأمريكان زج تشكيلات وافرة قبل صيف ١٩١٨.

كانت الجحافل الألمانية أكثر عدداً من جحافل الحلفاء على الجبهة الغربية.

نقل أكثر من مليون رجل من الجبهة الشرقية نحو الجبهة الغربية ما أنجز تأمين التفوق العددي للألمان.

من وجهة النظر الحربية، كانت هذه النقاط وجيهة. وقد أثر قرار انطلاق الهجوم أيضـــاً بســـبب وجود اضطرابات متزايدة وعديدة في ألمانيا، وفاقمت من الضيق الغذائي الذي يعيشه الشعب ويمكن أن يفضي إلى طلب توقيف النزاع من جانب الحكومة إن استفحل الوضع.

انطلاقة "عملية ميشيل"

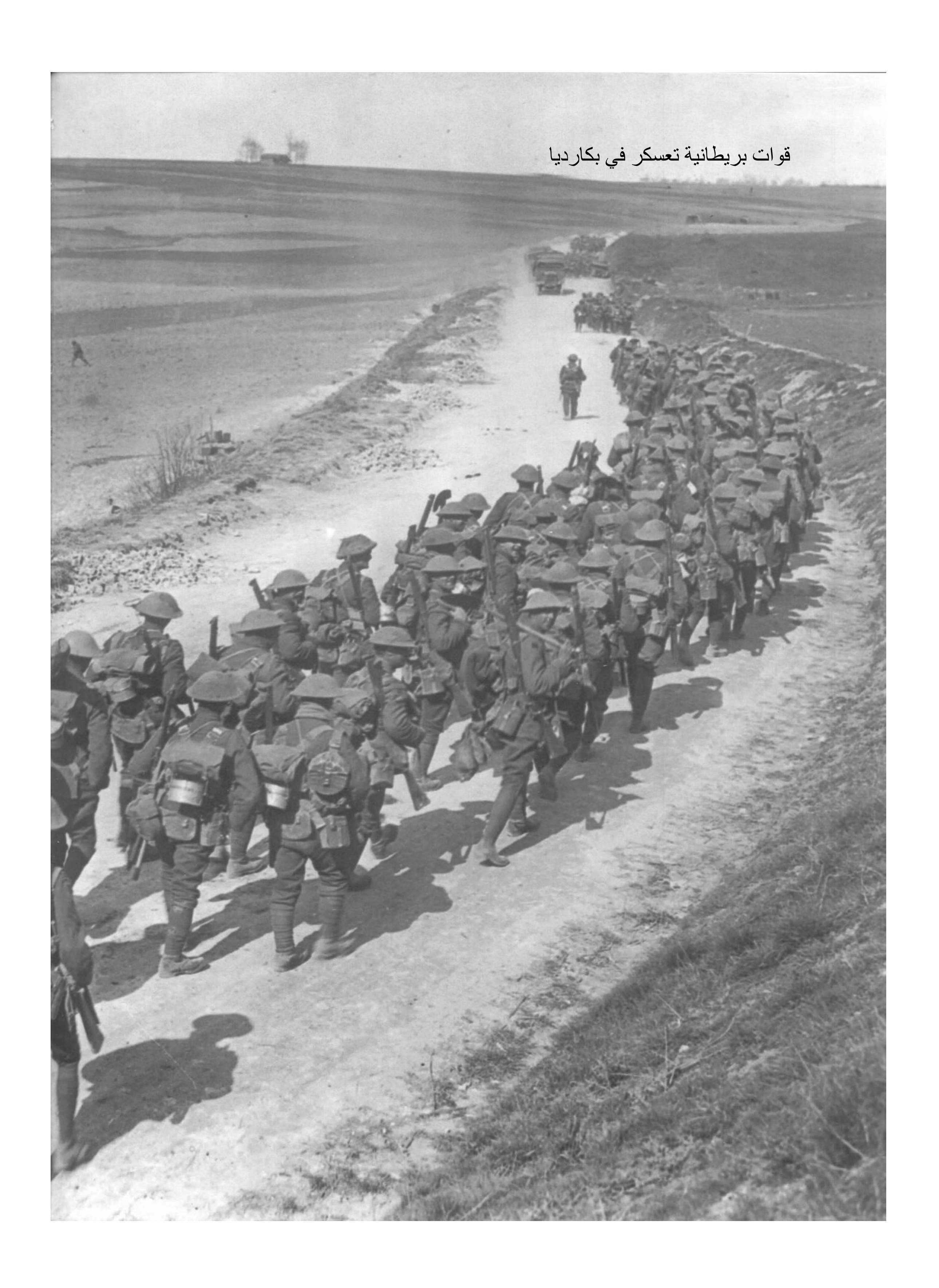
لم يفاجئ هذا الهجوم الذي حمل رمز "عملية ميشيل" أبداً الحلفاء،



...... جنود ألمان يجرون خلف العدو



مدفعية الألمان ذات العيار ٧٧مم توضع في مجموعات متتالية طيلة الهجوم على إيبرس



قوات بريطانية تعسكر في بكارديا



جنود مشاة بريطانيون يتراجعون أو ينسحبون

لكنهم لم يتصـوروا طاقتها. في الحق، خلال أشـهر، مئات آلاف الرجال تدربوا، مؤونات وجحافل انتقلت إلى الجبهة. مواضـع، خنادق وملاجئ أعدت وأكداس من صـناديق الذخيرة سُـيرت، من دون أن يلحظ العدو أكثرها. تمت كل التنقلات في جنح الظلام. في النهار، كانت الجبهة تبدو هادئة جداً، وكانت التشـكيلات تختبئ أكثر ما يمكن في الغابات. وفي بعض الحالات، إن شـعروا أنهم كشـفوا، يمشـون طويلاً في الاتجاه المعاكس لكي يعودوا بسرعة على أعقابهم وقد أرسلت العتمة سجفها.

كانت العناية تامة ودقيقة في تدريب المقاتلين، ولم يترك شيء للصدفة. أخيراً في ٢١ آذار ١٩١٨، بعد أن بدل الجنرال لودندورف مقره العام إلى أفســنس، وقد أعطيت شـــارة الهجوم. ثلاثة جيوش، الجيش الثاني للجنرال فون مرنتز، السابع



مستودع ذخيرة احتله البريطانيون في آذار ١٩١٨



لم يسقط كل شيء بيد الألمان. فقبل الانسحاب هدم الجنود البريطانيون مستودع الذخيرة



كانت خسائر الحلفاء رهيبة، حتى أنهم عجزوا عن العناية بالجرحى. هنا، قدمت الإسعافات الأولية تحت القبة الزرقاء للسماء



جرحى بريطانيون يحتشدون قبل أن ينقلوا



البريطانيون يقاتلون بكل ما لديهم من قوة. مدفع ميدان عيار ١٨ ليبرة في أثناء الدفاع عن سان-ألبرت في ١٨ آذار ١٩١٨



التقدم الألماني يصطدم بعقبات كأداء من صعوبة الساح


حقل المعركة في أرمانتير بين ٩ و١١ نيسان ١٩١٨


جرحى الفرقة ٥١ الإسكتلندية في طريقهم إلى آخر مركز ميداني خلف الجبهة



جنود بريطانيون جرحى في مركز صحي في مرفيل، التي قدر لها أن تسقط في ذلك اليوم، ٨ نيسان، بيد الألمان.

عشـر لبلوو والثامن عشـر للجنرال فون هوتيه، أي ٧١ فرقة بدأت المسـير. في الخامسـة صـباحاً، آلاف المدافع و٣٠٠٠ رامي فتحوا النار، وقصفوا خلال أربع ساعات بقعة من الأرض تقع بين فير وأرّاس ، إعداداً للخروج من خنادق المشاة الذين انطلقوا إلى الهجوم. خطط الجيش الـــ ١٧ أن يتقدم نحو بابوم، قبل الدوران على محور إلى الشمال نحو أرّاس. كان هدف الجيش الثاني بيرون، وبعد محاصرة المدينة، كلف أن يتجه إلى الشمال الغربي نحو دوللان، بينما كانت مهمة الجيش ١٨ الاندفاع نحو السّوم لتغطية الخاصرة اليمنى



مقاتلون بريطانيون يدافعون عن قناة مرفيل، في ٨ نيسان ١٩١٨



مدفع ميدان بريطاني على جسر فرمونت


خيول تحمل ذخيرة قتلها انفجار القنابل

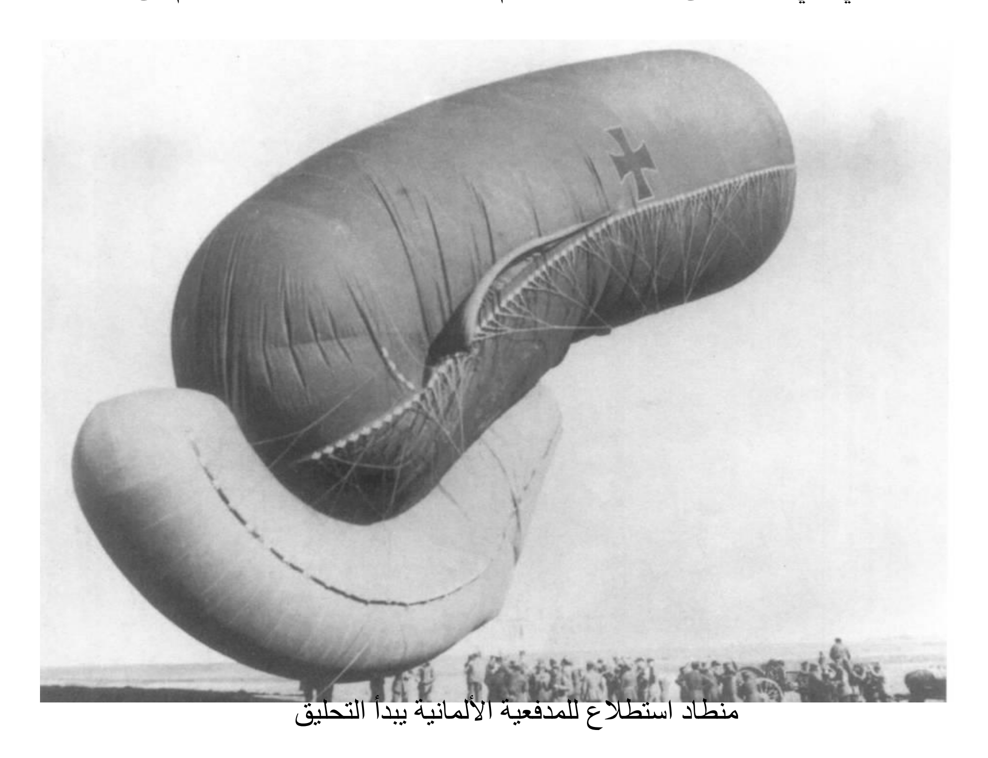

تشرين أول ١٩١٨، منظر عام . أخذ من جنوب الكنيسة



عدد الجرحى لا يكف عن التكاثر



رتل نقل ألماني، في طريقه إلى الميدان، يعبر امام أسرى بريطانيين ينتظرون نقلهم إلى المؤخرة



منطاد استطلاع للمدفعية الألمانية يبدأ التحليق



نقل تشكيلات ألمانية على طريق ضيق إلى جبهة ايبرس.

للجيش الـــ ١٧ وللجيش الثاني لدرء احتمال هجوم معاكس من الفرنسيين. حسب لودندورف هكذا ان حقق خرقاً ووســـع عرض الجبهة إلى الأعلى، ما دفع البريطانيين إلى بحر الشـــمال، بينما من الجهة الأخرى هدد باريس وقدر أن يشتت الجيشين الحليفين وتدميرهما.

في المكان، كان البريطانيون في وضـــع ضـــعيف. كان القطاع الشـــمالي محمياً بالجيش البريطاني الثالث بقيادة الجنرال بينغ (١٤ فرقة)، أما إلى الجنوب تمترس الجيش الخامس البريطاني بقيادة الجنرال غوج. وإلى الجنوب من هذا تواجد الجيش ٦ الفرنسي للجنرال دوشين.

منذ بداية الهجوم الألماني، بدا الجيش الـ ١٨ أنه الأقدر على التقدم.

قدم الجيش الـــ ٣ الإنكليزي مقاومة هائلة، أما في الجنوب، كانت الخطوط البريطانية قد وقعت قبل الظهر وســـقط الخط الثاني قبل المســـاء. غير لودندورف آنئذ خطته وركز هجومه في الجنوب. وفي اليوم الثالث. اضـــطر الجنرال غوج أن ينســـحب خلف الســـوم. وتلقى الألمان أمر التقدم إلى الســـوم من جهتين، وأن يهاجم أيضـــاً البريطانيين والفرنســـيين بحســـم، وأن يحاول تحقيق القطيعة المرجوة. انتشـــرت القوات الألمانية الآن باتجاه أرّاس.



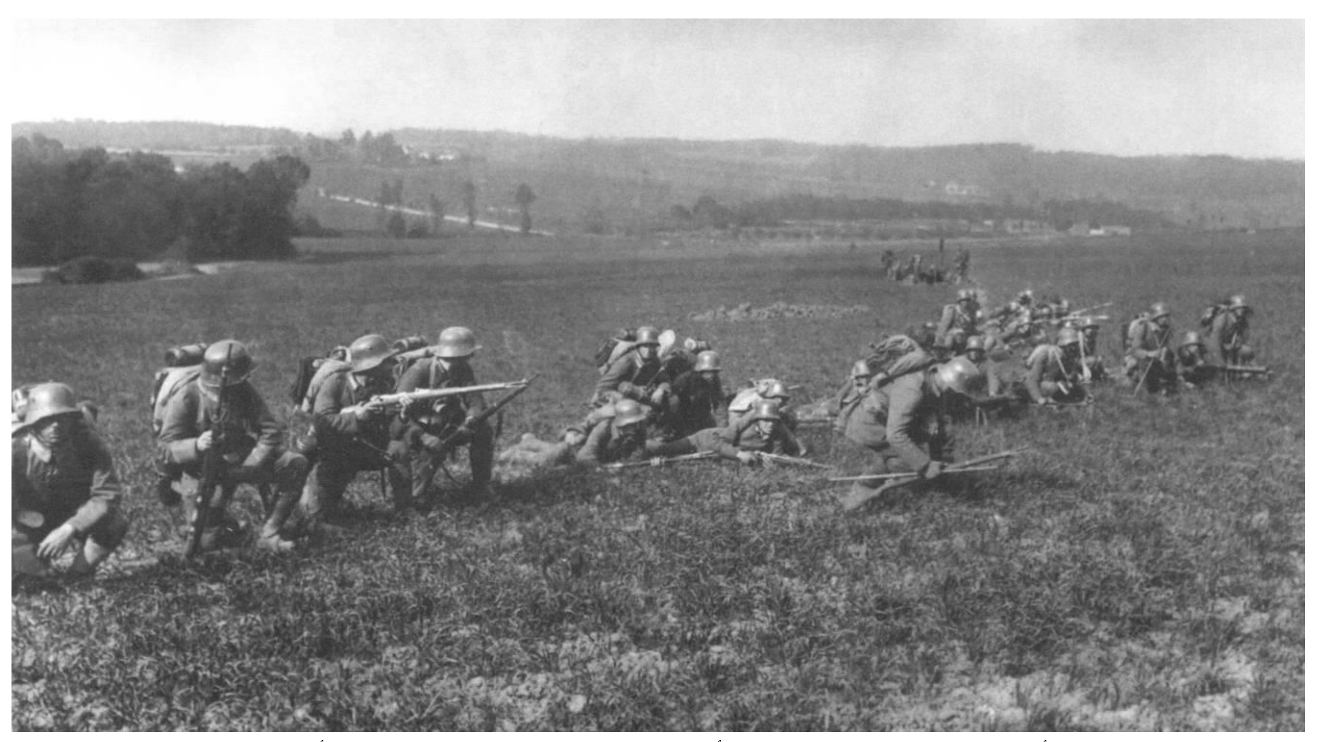
موقع رشاشات بريطاني يكمن للعدو



جنود مشاة ألمان يهاجمون قرب قناة إيس في أيار ١٩١٨



جنود مشاة ألمان يختارون طريقاً تحت القصف البريطاني



الجنود الألمان يتابعون التقدم. هنا جنود مشاة ألمان ينتقلون إلى مهاجمة "فسمج"، في ٢٧ أيار ١٩١٨.



سواسون، أيار ١٩١٨. في بدء طقس الربيع تنمو النباتات وترعى الدواب. هنا جنود يأخذون الحليب من بقرة ويشربونه طازجاً.

في الشمال، ومن أميانس، في الوسط، بينما كان الجيش الـــ ١٨ يتقدم باتجاه باريس. مع ذلك توقف التقدم السـريع في الحال. في أميانس، انطلقت أفواج من الاحتياط بسـرعة للدعم ونجحت بإيقاف الألمان، واضـطر الجيش الــــ ١٨، الذي حاول الخرق في نوايون، إلى التخلي عن رغبته، لأن القوات قد أنهكت واحتاجت إلى الراحة. في ٤ نيســـان، فشـــلت محاولة خرق جديدة في أرّاس لافتقارها للدعم والقدرة وفي ٥ نيســـان، أكره لودندورف على إعطاء أمر وقف القتال.

المحاولة الثانية، "عملية جورج"

منذ ٧ نيسـان، شـرع لودندورف الإعداد لمحاولة ثانية. حاول المهاجمون خرق ارمنتير من الشـمال والجنوب. وفي ٩ نيسـان، هاجم الألمان قرب ارمنتيير بـــ ٩ فرق. كانت المنطقة محمية بأربع فرق برتغالية تراجعت تحت الضغط الألماني وهربت، وقد لبسها الرعب. هكذا تشكلت فتحة بعرض ٦ كم، سارع الألمان للدخول فيها.



قرب إيبرس يحررون كيمل من الفرنسيين



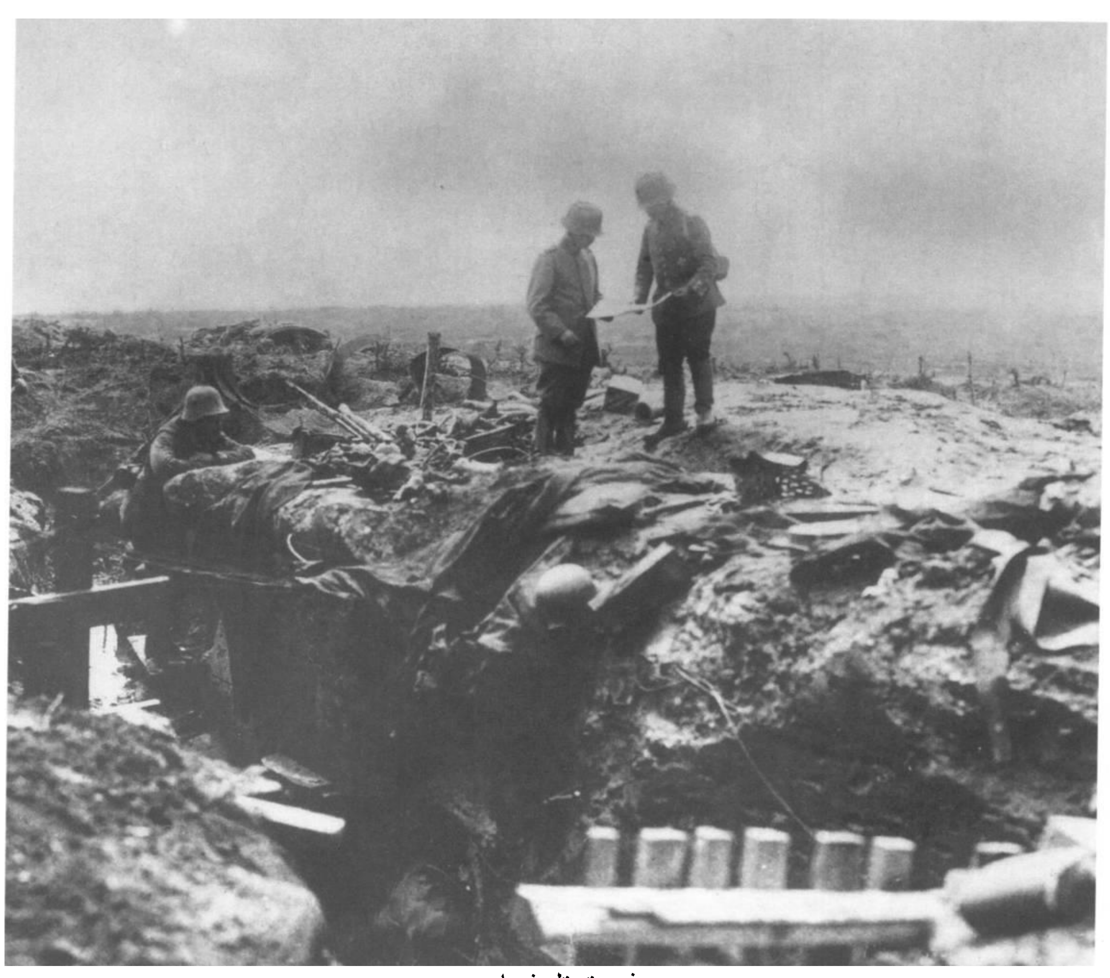
جندي ألماني يرمي رمانة في أثناء مهاجمة "سواسون"



جنود ألمان في خندق انتزعوه من الفرنسيين في "رابية كيميل"

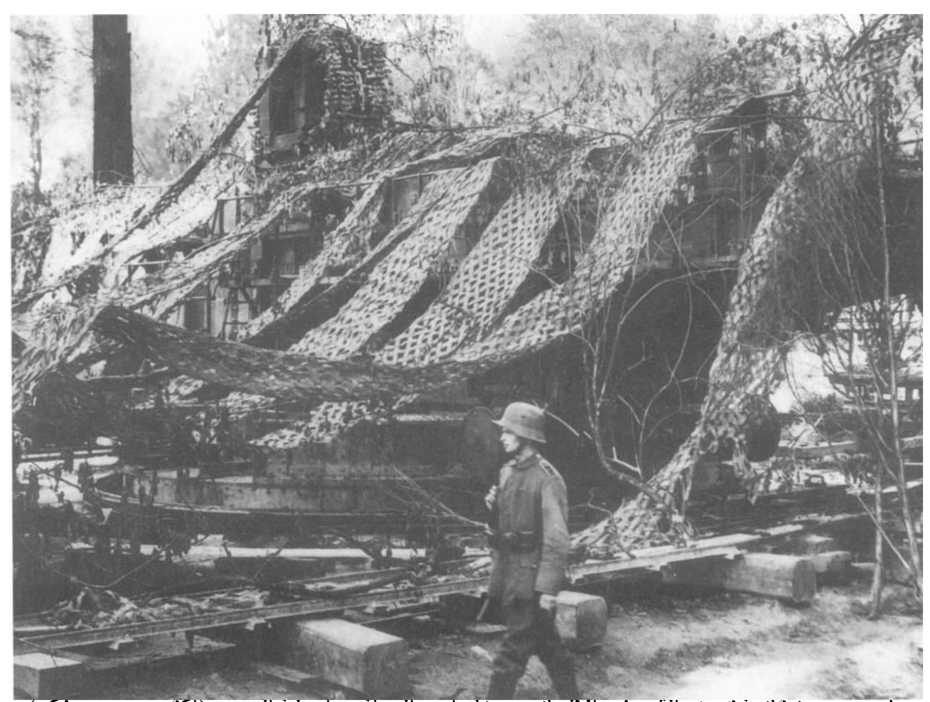


جنود ألمان يحرفون طريق القطار باتجاه الخنادق البريطانية في "إيبرس"



هذه ستحتل فيما بعد

نجح الهجوم أيضاً على شمال المدينة، وفي ١١ نيسان حاول الجيشان شن الهجوم.
في صباح الغد، حاولوا استثمار نجاح هذا الخرق. أرسل هايغ احتياطات، لكنها لم تنجح في تبديل الوضع.
وبقيت نداءات العون من دون جواب. فتوجه هايغ آنئذ إلى جنوده عبر الأمر اليومي دعاهم فيه إلى الدفاع حتى آخر جندي، لأن خرقاً ألمانيا سيكون رهيباً. سمي الجنرال بلومر للدفاع عن كل القطاع، استطاع هذا بذكائه أن يضغط على الجبهة حتى ولو تخلى عن سهول من الأرض ضحى من أجلها بآلاف الجنود البريطانيين.
كان هذا القرار ناجحاً، لأن التقدم الألماني، الذي أرجأته صعوبة الأرض توقف، وفي ٢٩ نيسان، أصدر لودندورف أمر توقيف عملية "جورج".
صعدت خسائر الألمان إلى ٣٥٠ ألف جندي، وخسائر البريطانيين ٣٠٥ آلاف.



باريس مرة ثانية تحت القصف الألماني. هنا، أحد المدافع طويلة المدى (أكثر من ١٠٠كم) التي زجت في تدمير العاصمة.

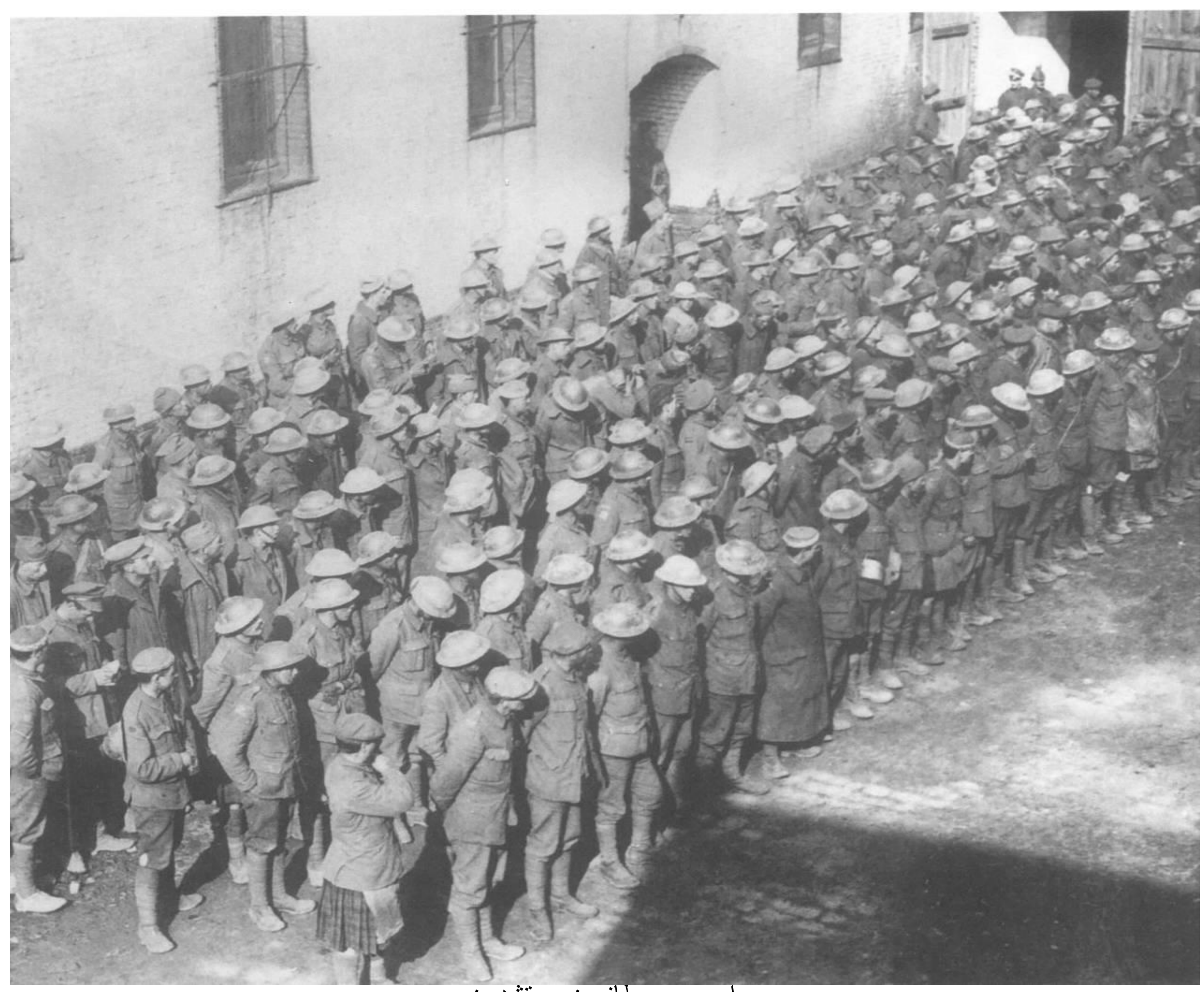
المحاولة الثالثة "خطة هاجن"

مرة أخرى وجه لودندورف جهده على قطاع تمركز البريطانيين. كان ثابتاً أن هؤلاء كانوا ضـــعفوا فعلاً وأن هجوماً شديد البأس له مكاسبه. سميت هذه العملية بـــ "عملية هاجن". ولكي يجعلوا ما أمكن من القوات البريطانية والفرنســية ترحل عن القطاع الشــمالي، شــرعوا بداية بانطلاقة هجوم كاذب على طريق دامس. قدروا هجوماً من الجيش ١٨ بقيادة "هويتـه"، الجيش ٧ للجنرال بوخن والجيش الأول لمودرا، إجمالاً ٤١ فرقة، على جبهة لـ ٣٦ كم بين أنيزي وبيري ـ أو ـ باك: حميت هذه الأرض بأربع فرق بريطانية و ٧ فرق فرنسية من الجيش ٦ للجنرال دوشين. كان هدف لودندورف إحداث خرق حتى خط سواسون ـ ريمس وكلفت هذه العملية مرة أخرى الكثير من العناية والتجهيز.

في ٢٧ أيار، أكثر من ٤٠٠٠ قطعة مدفعية صـــبت نيرانها خلال أكثر من أربع ســـاعات على المواقع الفرنســـية والبريطانية. تلا هذا حاجز النيران المدفعية الذي كانت قوات الهجوم الألمانية تتقدم خلفه. حقق الهجوم نجاحاً مؤزراً، ناجماً عن سوء توضع الجيش السادس



قاذفو قنابل مدفعية ألمان يعمرونها لمهاجمة باريس



اسرى بريطانيون محتشدون

الفرنسي. مر المقتحمون عبر الخطوط الفرنسية وفي ٣٠ أيار أسروا ٤٥ ألف رجل. استحكامات دبرت على عجل نجحت في تأخير المدحلة الثاقبة الألمانية. بعد احتلال قصر ـ تيري، نجح الأمريكان في كبح جماح الألمان. كانت باريس في تلك الهنيهة مهددة مباشرة و بدأ القلق يهيمن على الحلفاء. في ١ حزيران، احتل الألمان مواقع في حوالي ٦٥كم من باريس، وأسروا ٦٥ ألف مقاتل. ريمس أيضاً كانت مهددة.

لكن المؤونة أصبحت أكثر ندرة، وإنهاك المقاتلين أوقف تقدم الألمان، بينما بدأ الجنود نهب مستودعات الحلفاء من الغذاء والمسكرات ولم يعودوا يخضعون للأوامر. لودندورف، وقد صار يفتقر لاحتياطي مقاتل، قرر وضع حد لهذه العمليات وأعطى جنوده الراحة.



والكلاب أيضاً استخدمت في القتال. هنا، واحد منها ينقل الغذاء إلى الخط الأول



محطة برق للحملة الألمانية. لاحظ راكبي الدراجة اللذين يضغطون على الدواسة لتغذيتها بالتيار الكهربائي.

المحاولة الرابعة، "عملية غنيسنو"

في ٩ حزيران، أُصدر لودندورف أمراً بالشروع بهجوم جديد للجيش الـ ١٨، أي ١١ فرقة، للخط الأول و٧ فرق احتياط، معززة بـ ٥٠٠ طائرة و٦٢٥ بطارية مدفعية. بعد الخسائر الجسيمة التي نزلت بها خسرت هذه الفرق قدرتها على المبادرة، بعضها بقي على ٥٠% من ملاكه، وبعضها زج أغراراً غير مؤهلين. الخيول من دون حدوات ونقص المؤونة للمقاتلين شدهم إلى أعمال النهب أو الفرار.

بدأ الهجوم بـ ٩ فرق على جبهة بطول أكثر من ٣٦كم بين مونتدريه ونوايون وبعد عدة ساعات وصل الألمان إلى واز حيث استطاعوا إحداث خرق بـ ١٠كم، بين روللوت وتيسكورت حتى جنوب ـ شرق ماري. أرسل الفرنسيون تعزيزات نجحت في دحر وإيقاف الهجوم الألماني كلف ٤٠ ألف قتيل وفقد الألمان خمس وعشرين ألف. إجمالاً، أعطت الهجمات الألمانية نتائج طيبة على صعيد التقدم البري، لكن من دون التوصل إلى تفريق حاسم ونهائي بين الجيشين الفرنسي والبريطاني.

المحاولة الفرنسية، "عملية مرنسخوستز"

معركة ريمس

قرر لودندورف بدء المحاولة الأخيرة لكسب القرار. رغم أنه نُصح بدعم قواته وإعطائها بعض الراحة، لكنه تحمل خطر هجمة جديدة. من وجهة نظره، يجب إنهاء الحرب في ١٩١٨، لأن وصول الأمريكان سيعزز الحلفاء، بينما كانت جحافله تهزل ولم تعد قادرة على صمود طويل. وضع في تصرفه ٤٩ فرقة وأعطى أمراً للجنرال بوهن وإلى جيشه السابع اجتياح المارن شرق قصر ـ تييري لمحاصرة لافير شامبنواز . بالتالي توجب على الجيشين الأول والثالث (لفون مودرا وفون اينيم) الانتقال إلى الهجوم شرق ريمس من أجل احتلال شالون ـ على ـ المارن.

كان لودندورف شديد التفاؤل وقانعاً بالمطلق أن هذه الحملة ستنجح. فصرح أن هذا الهجوم سيفضي إلى هزيمة مطلقة للحلفاء وأنها ستجلب أخيراً النصر الذي انتظر طويلاً في ألمانيا. كان هذا التفاؤل صعباً على الفهم لأن قواته المسلحة كانت خائرة فعلاً. كلفته الحملات السابقة قرابة نصف مليون (١٩٥ ألف منهم قتلى) وهو فقير بالاحتياط. على هذا، الاحتياط القادم من جبهة الشرق طرح كثيراً من المشاكل. كانت هذه القوات كلها سيئة الانضباط، ضعيفة التدبير، وقد أخذ عدد الهاربين نسباً مخيفة.



نقطة مراقبة واستطلاع بريطانية قرب إيبرس



نقطة تجمع ضماد بريطانية

في ١٥ تموز، بدأت الجحافل الألمانية التحرك. سبق الهجوم رمي بغاز الخردل غير الفعال بسبب سوء الريح. لاقى الجيشـــان الأول والثالث ســـريعاً مقاومة قوية ولم يســـتطيعوا التقدم كثيراً بفعل نقص الدعم الكافي للقصـــف المدفعي. بالمقابل، تقدم الجيش السـابع وتغلغل في دشـم فرنسـية حتى ٧ كم بعد نهر المارن. وتأخر الجيشـان الأول والثالث مما أضـر بالاتصـال مع الجيش السـابع، ما أفضـى إلى أن يطلب الجنرال بوهن السـماح بالانسـحاب. كان لودندورف، في أسـوأ حالاته لأنه كان يرى هذا الهجوم، الذي بنى عليه آمالاً كبيرة، و قد فشـل مرة أخرى، تردد في إعطاء موافقته، ولكنه أعطاها بعد لأي، في ذات الوقت، قرر إعطاء الضوء الأخضر لـ "خطة هاجن" المبادرة التي من أجلها جمع جيشـاً عرمرماً في فلاندر. لكن الخسـائر تتالت، لأن الفرنسـيين، في ١٨ تموز،شـرعوا بهجوم معاكس وأجبر لودندورف أن يترك خطة هاجن تسقط ونقل القوات الحاضرة نحو سواسون.

هجوم الحلفاء المعاكس

رغم الضعف الشديد، أطلق الفرنسيون في ١٨ تموز هجومهم المعاكس المهيأ منذ زمن، مع ١٦٠٠ قطعة مدفعية. الجيش العاشـــر للجنرال منجن (١٠فرق، بما فيها فرقتان أمريكيتان في الخط الأول و٦ فرق مشـــاة، أكثر من جيش خيالة

للخط الثاني، و٢ فرقة بريطانية احتياط) والجيش السادس للجنرال دي غوت (٧ فرق، منها ٢ أمريكيتان و١ احتياط للخط الثاني) أطلقوا هجوماً ضد الجيش التاسع الألماني (٦ فرق و٢ فرقة احتياط). للمرة الأولى، حضر الأمريكان بعدد لجب (أكثر من ٨٥ ألف رجل). ثلاث فرق أخرى أمريكية (تعد كل منها ١٧ ألف رجل وكانت أكبر عددياً من الفرق الحليفة أو الألمانية، كانت كلها في طريقها إلى الجبهة. كان هذا التفوق العددي للتشكيلات الحليفة حاسماً في تراجع متزايد للجيوش الألمانية و نصح رئيس الأركان لودندورف بالانسحاب إلى خط سيغفريد. لكنه خشي من نتائج هذا الانسحاب على المستوى السياسي، في وطنه ومعنويات مقاتليه، فرفض القيام به. لم يبق عنده احتياط جاهز لإيقاف هجوم الحلفاء والضغط يشتد ويشتد.



جنود فرنسيون قتلى في الخنادق التي احتلها الألمان ، في تموز ١٩١٨ .



المارشال جوفر في زيارة للجبهة، في تشرين أول ١٩١٨

وكان الحظ إلى جانبه نوعاً ما، لأن الفرنسيين هم أيضاً ابتلوا بخسائر فادحة (أكثر من ١٦٠ ألف رجل) وليس ثمة قدرة على تعويضهم. تراجعت حدة هجوم الحلفاء وتوقف الهجوم في ٢٢ تموز كلياً. خسر الألمان ١١٠ آلاف رجل ولم يجدوا من يقوم محلهم.

وقد أكره لودندورف، والذي كان ينوي إبقاء الجيش السابع في مواقعه، على التراجع، من قبل هندنبرغ، الذي أيد فكرة انسحاب قواته إلى خلف نهر المارن. كان موهناً جداً لأن التحول الكبير قد بدأ وفقد القائد الأعلى الألماني المبادرة لمصلحة الحلفاء.

الثامن من آب، يوم أسود للجيش الألماني

بعد الهجوم المعاكس، أتى هدوء نسبي، خول الحلفاء الحصول على الدعم ومنح راحة ضرورية لقواتهم المنهكة.

في الوقت ذاته، وضعوا مجدداً خطة لدحر المقاتلين الألمان في العمق. هذه المرة، هجم الجيش الرابع البريطاني للجنرال رولنسن (خليفة الجنرال غوج الذي صرف من الخدمة في آذار) والجيش الأول الفرنسي، للجنرال ديبني، هاجما الجيش الثاني الألماني (للجنرال مارويتز) والجيش الثامن عشر للجنرال "هويته" بين الهافر وسانت ـ ألبيرت.


الملك جورج الخامس البريطاني وملك بلجيكا ألبير الأول يزوران الجبهة أسوة بالجنود والأركانات العامة



قوة ألمانية تتجه إلى مواقع جديدة أيلول ١٩١٨



الألمان يتركون وراءهم دماراً وأضراراً ضخمة



فوج ألمان في أثناء الانسحاب يدمر عقدة من سكة الحديد



لا يجوز إبقاء حجر على حجر. كان هذا هو السمة المميزة للانسحاب الإستراتيجي، المكرس للحؤول دون متابعة الحلفاء للقوات الألمانية



نجح الألمان في حماية القسم الأكبر من المدفعية. هنا، جمهرة من قاذفي القنابل عيار ٢١٠مم تستعد للانسحاب، في تشرين الأول ١٩١٨.



جنود ألمان في منأى من القنابل، في تشرين أول ١٩١٨.



ألوية ألمانية في أثناء الانسحاب إلى خط هندنبرغ



فرق ألمانية تنسحب تحت قصف مدفعي كثيف



قنبلة فرنسية ثقيلة في وسط المواقع الألمانية

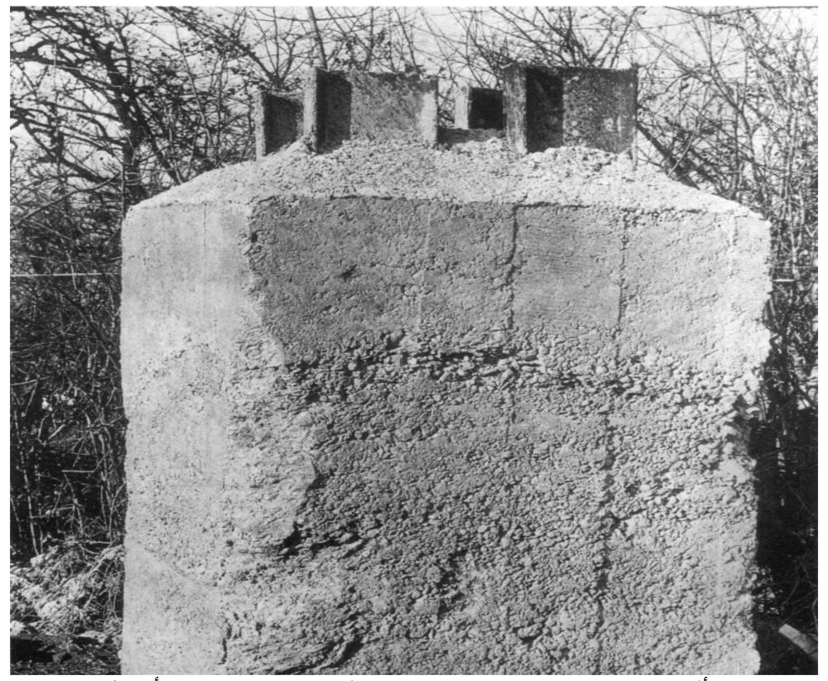


في تشرين الثاني، بدأ برد صقيعي. هنا، حارس ألماني، يتأمل المنظر الثلجي.

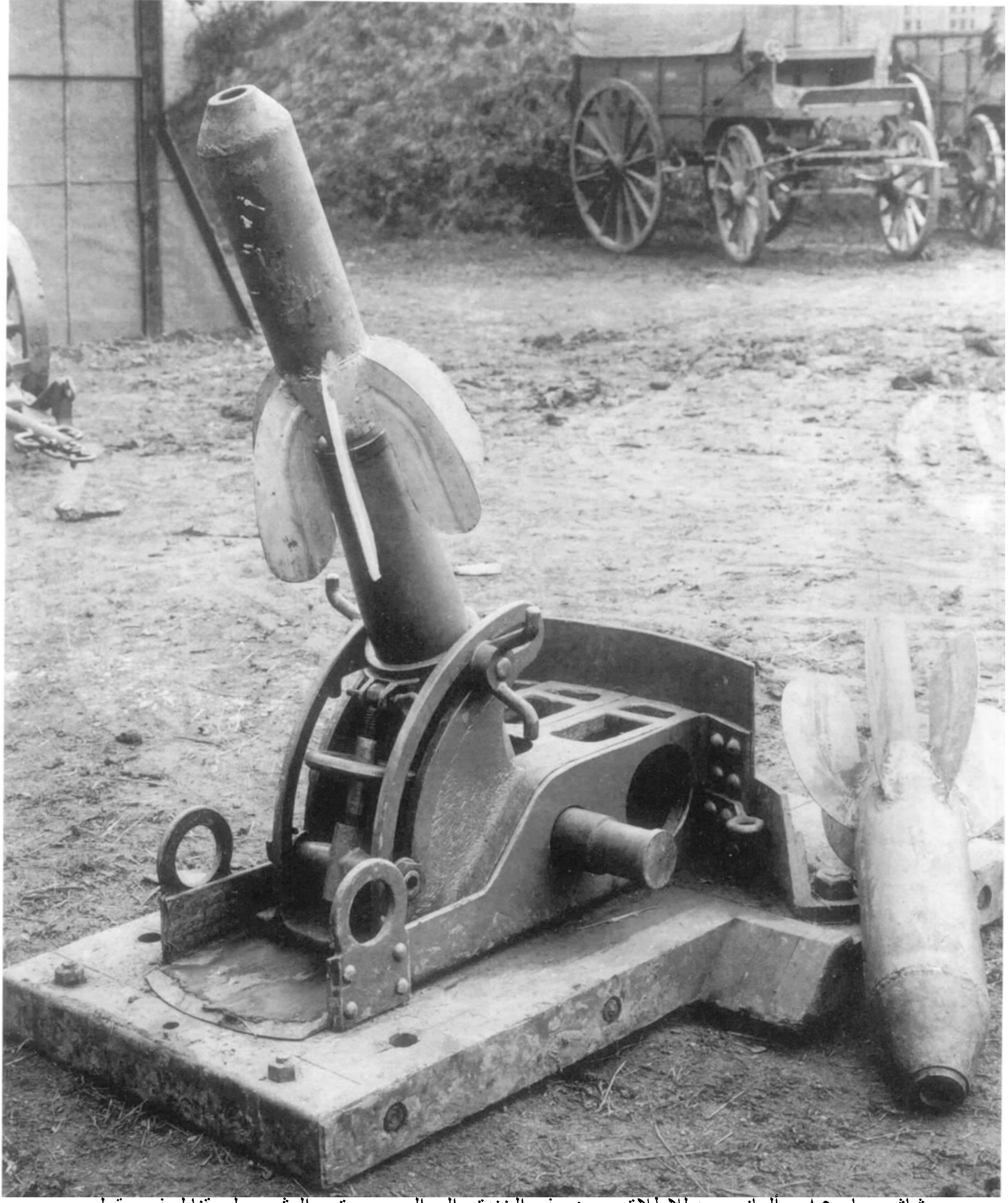
في صبيحة ٨ آب، ٢٠٠٠ مدفع دووا في جبهة عرضها ١٠كم، تحضيراً لهجوم ٤٥٠ دبابة يتبعها المشاة. في المساء، تغلغلت القوات البريطانية ١٥ كم داخل الخطوط الألمانية وأسرت أكثر من ١٦٠٠٠مقاتلاً واستولت على مئات المدافع.



رشاش ألماني في موقع احتل ثم استعاده الحلفاء في "لاندرفيل"، في تشرين ثاني ١٩١٨



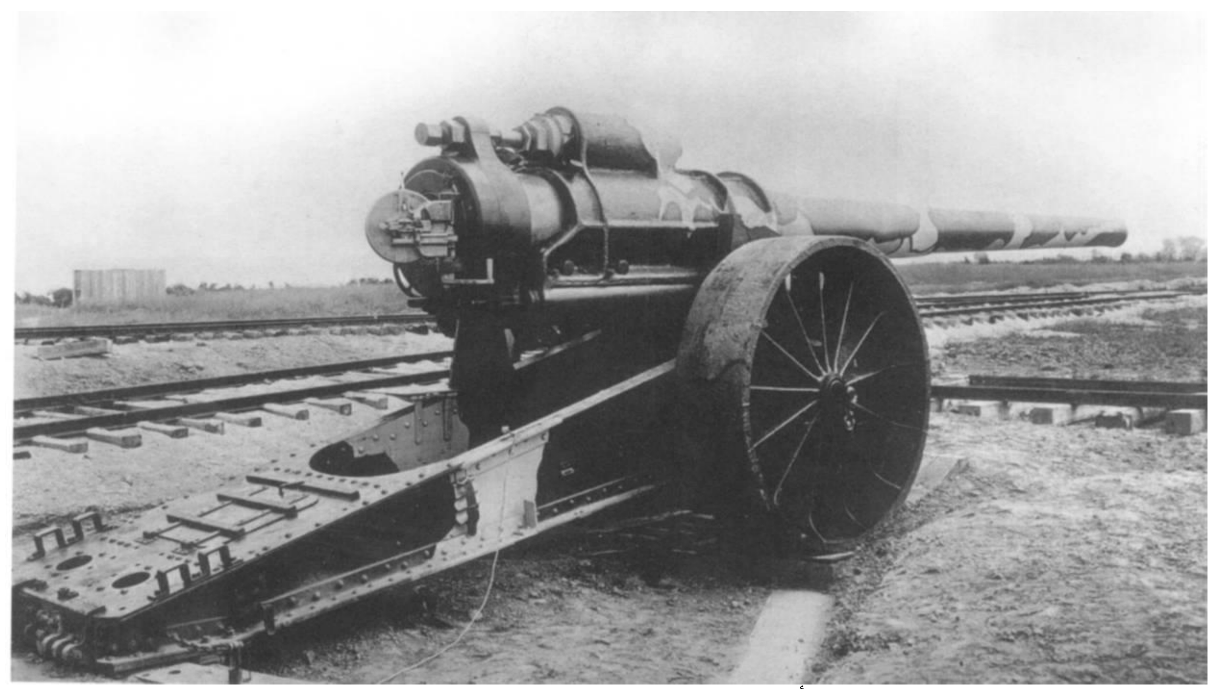
الألمان يضعون عقبات في وجه تقدم الدبابات في بعض الأمكنة



رشاش عيار ٨٥مم ألماني معد للإطلاق يربض في الخندق. إلى اليوم ، يستمر العثور على قنابل في حقول القتال السابقة في فرنسا


مدفع ألماني ٢١٠مم استولى عليه الأمريكان


قاذف قنابل "شنيدر" ألماني



مدفع أمريكي مع مموهاته، في فرنسا، تموز ١٩١٨



قوات أمريكية مستعدة للهجوم خلف ساتر دخاني


جنود ألمان قتلوا في "هامل"



نقل مدفع ألماني إلى "فارنغيل"، استولى عليه الأمريكان في ٢٢ تشرين أول ١٩١٨



خنادق ألمانية في غابة اسبرج منها أطلق التشكيل ٢٦١ مشاة أمريكي هجوم ١٠ أيلول ١٩١٨



مدفع ١٤ بوصة محمول على خط حديدي يتجه إلى المواقع الألمانية في غابات الأرغون



تقدم الأمريكان يثير الأوضاع ويبلبلها. هنا، عرقلة مرور شديدة قرب "سان ــ ميشيل"

تقلص تقدم الفرنســيين وراح نجاحهم يتباطأ. وعلى ذلك تمكنوا من أســر أعداد من جنود العدو، أكثر من ٥٠٠٠ إجمالاً و ١٦٠ مدفعاً ســقطوا بأيديهم، لكن تعزيزات ألمانية جهزت على عجل نجحت بتأخير هجوم الحلفاء وإيقافه بالتالي. بهذا الغرض طلب الجنرال رولنسن من هايغ وقف الهجوم. وافق هايغ، لكن المارشال فوش طلب أن يحتل البريطانيون أولاً بيرون من أجل دحر الألمان إلى وراء الســوم. وفي الصــباح من اليوم التالي، قام الجيش الرابع البريطاني بالهجوم لكن المحاولة فشــلت هذه المرة وأوقف هايغ الهجوم. وكانت الخسـائر مرة أخرى باهظة جداً. لم يبق سـوى ٦٧ دبابة من ٤٥٠ زجت عند بدء المعركة. خسـر الفرنسـيون والبريطانيون ٤٥ ألف رجل والألمان ٧٥٠٠٠.



بعد احتلال "بايونفيل". جنود أمريكان يتفحصون إخطاراً ألمانياً ضد الهجوم الجوي

لم ينجح الهجوم المعاكس الفرنسي ــ البريطاني بإجراء خرق مع أن الحلفاء كانوا هذه المرة أصحاب المبادرة.

رغم أن الألمــان نجحوا بكبح هجوم الحلفـاء، ونجحـت قوات الألمان بتثبيط التقدم لكن الخرق السريع في البداية سبب لهم صـدمة عميقة. لأول مرة، كان واضــحاً أن إرادة النصــر كانت غير متوفرة لدى المقاتلين الألمان.

وحدات برمتها اســتسـلمت للعدو، لم يعد الجند يطيعون قادتهم ومئـات الألوف منهم هربوا. تحقق لودنـدورف لأول مرة أن الجيش الألمـاني خرج من الوجود ولم يعد النجاح ممكناً. كتب فيما بعد في مذكراته أنه شعر بتخلي جنوده عنه. وأن متابعة الحملة



حتى النهاية، حاولت الحكومة الألمانية جمع الأموال لتمويل المعارك. كانت هذه اللاصـقة مخصـصـة لاهتمام الجمهور بقرض جديد للحرب.


تموين القوات في الخطوط الأولى. هنا، الجنود الأمريكان ينقلون الخبز إلى الأمام



مستوصف أمريكي للإسعافات الأولية بين أطلال كنيسة في "نوفيل"، في ٢٦ أيلول ١٩١٨



جنود أمريكان جرحى في مشفى بباريس



ممرضة من الصليب الأحمر تسقي جريحاً في حالة الخطر



بعد الهجوم الألماني بالغاز القاتل، ثياب الجنود المصابين جمعت وأحرقت



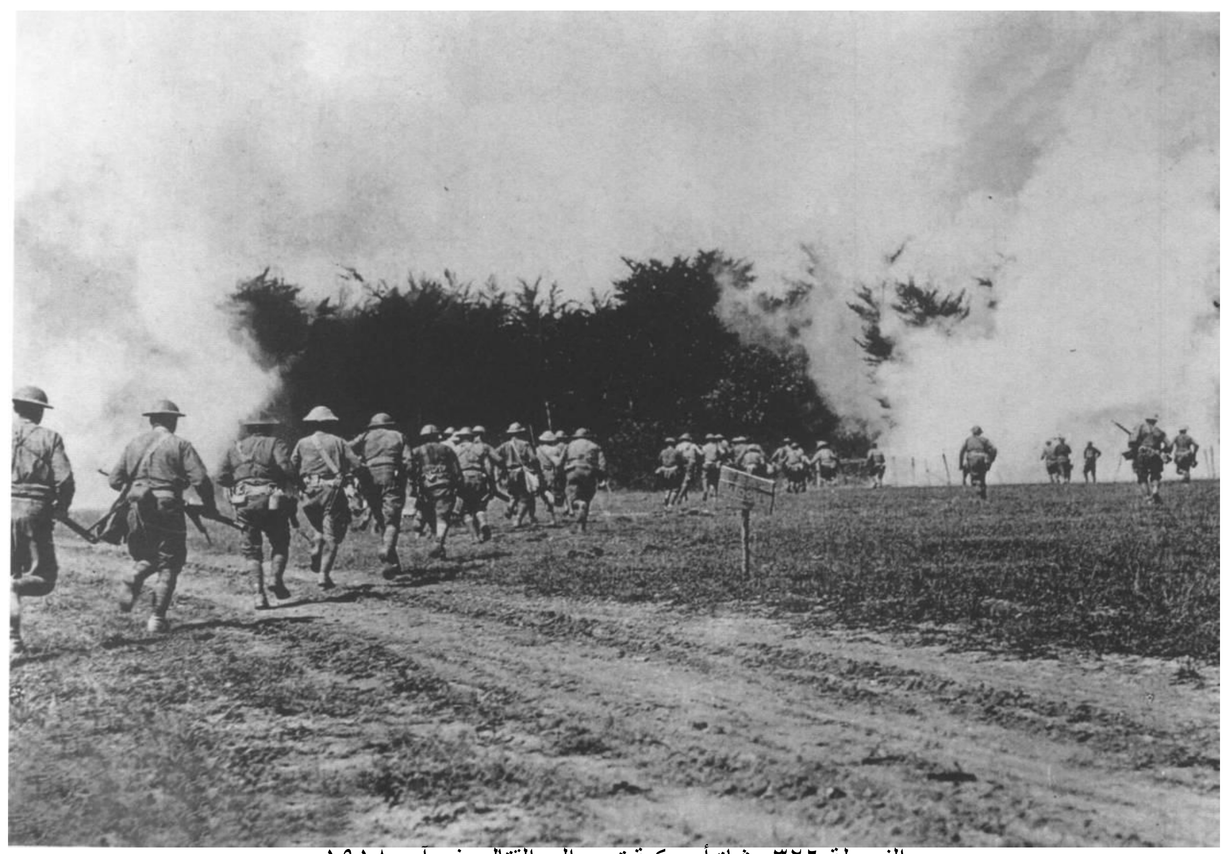
مشفى محمول على قطار أمريكي يُخلي جرحى إلى باريس

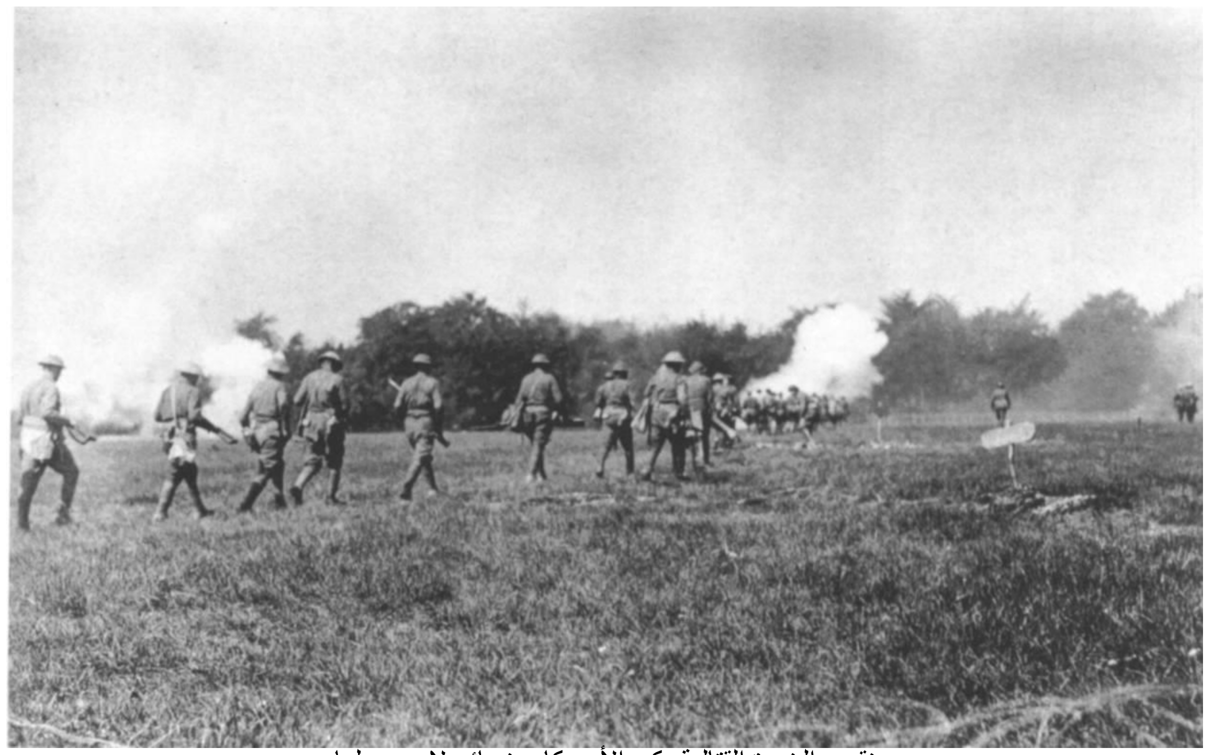


مرشد في الجيش الأمريكي يقيم الصلاة في الهواء الطلق



الفصيلة ٣٩ من الفرقة ٩٣ الأمريكية كانت مؤلفة من الأمريكان السود وكانت تحت القيادة الفرنسية، وهنا، في معمعة حامية، في "مافركورت" في أيار ١٩١٨. تلقى الكثير من المحاربين المقدامين أرفع الثناءات والأوسمة الفرنسية


الفصيلة ٣٢٦ مشاة أمريكية تعبر إلى القتال، في آب ١٩١٨


نقص الخبرة القتالية، كبد الأمريكان خسائر لا مبرر لها


قوات امريكية تسير نحو سواسون. تدخل عقدة حديدية المانية.

صارت غير مجدية وبالتالي يجب أن تضع الحرب أوزارها. منذئذ، رضيت ألمانيا أن تدافع عن نفسها وكانت متابعة المعارك ليست إلا لكسب الوقت لبدء مفاوضات الصلح مع العدو. رفض مرة ثانية سحب قواته. أراد لها أن تبقى مكانها وتدافع عن المواقع المتقدمة وأن تساعدها التعزيزات من الجبهات الأخرى .

في ذات اليوم، أبلغ هندنبرغ والأمبراطور بالوضع وأعلن أن النصر لم يعد ممكناً. أصغى غليوم الثاني إلى الكلام ساكناً كما الميت واستدعى المستشار ووزير الشؤون الخارجية إلى المقر العام في سبا **Spa**. عقد هذا اللقاء في ١٣ آب. ألقى لودندورف كلمة عن الوضع وصرح مجدداً أن النصر لم يعد ممكناً. وأكد مع هذا أن الحلفاء كانوا أيضاً مرهقين والآن تتمحور استراتيجيته على دفاع ثابت وقاسي عن الأراضي المحتلة. قال إنه قانع أن هذا الموقف سيسحق إرادة الحلفاء في متابعة القتال وأنه مكره على بحث السلم. كان هذا عرض متفائل جداً للأشياء



الفصيلة ٣٠٨ مشاة الأمريكية بعد احتلال الخط الألماني الثاني في غابة "أرغون" في شمال فور بباريس



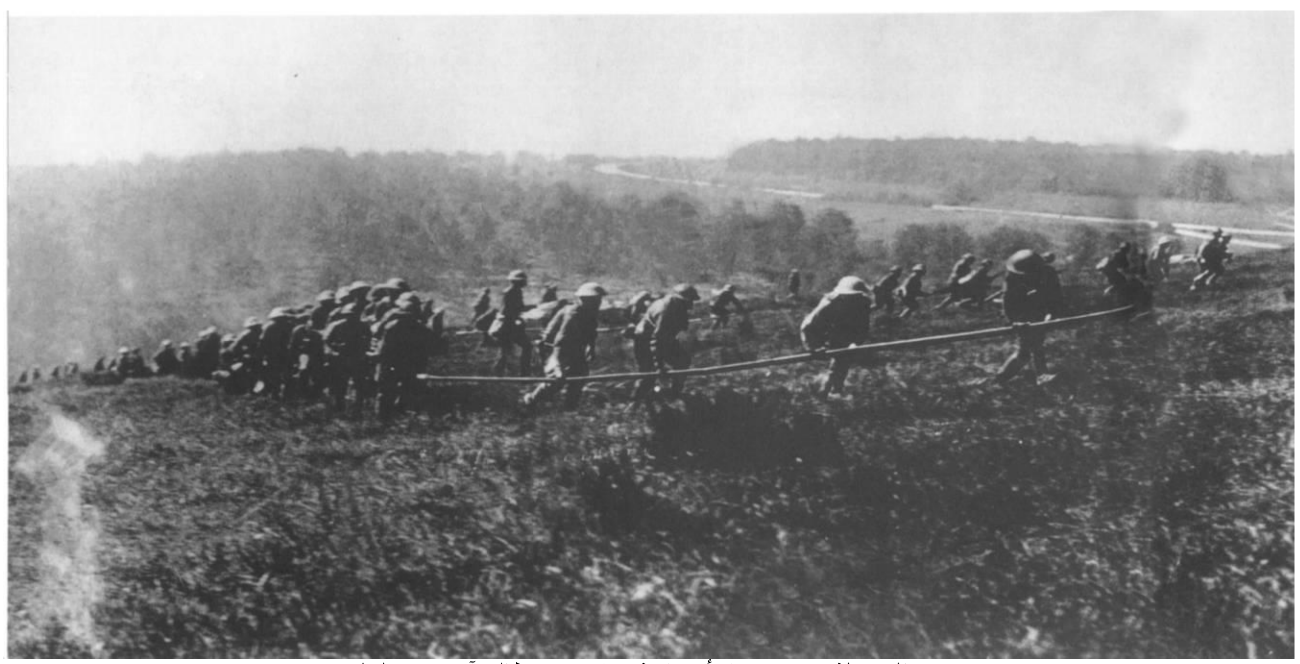
كانت وسائل التواصل بدائية ولم تكن الدبابات مزودة بالإذاعة. هنا، حمام زاجل أطلق من الدبابة يحمل رسالة إلى مركز قيادي


الدبابات الفرنسية ساهمت مساهمة واسعة في التقدم الأمريكي، هنا كما في "سواسون" العام ١٩١٨


دبابات حليفة تهاجم في "سواسون"



تشكيلات أمريكية تدفن قتلاها قرب "نانتيي ـ على ـ المارن" في ٢٩ حزيران ١٩١٨



الفصيلة ٣٢٦ مشاة أمريكية تهاجم في طالع آب "بشولولي"



فى ١٣ آب ١٩١٨، الأمريكان يهاجمون قرب "سانت ـ بارب"



في هذا المقتلة، كانت الخسائر فادحة



في ٨ تشرين الأول، ساهم الأمريكان أيضاً بالقتال. هنا، الفرقة ٣٠ تهاجم في "فريمونت"



في تشرين أول ١٩١٨، قبل شهر من تنازله، زار الإمبراطور غليوم مصنعاً
للسلاح في "كيل" حيث ناشد العمال ألا يضربوا

ولا يستند إلى أي عامل حسي أو ملموس. اقترح المستشار اتخاذ مواقف تهدف فتح مداولات في السلم، لكن لودندورف عارض بعنف. مفاوضات كهذه، قال، ليست ممكنة سوى بعد نصر جديد عسكري وأكد للحضور أن الوضع كان حرجاً، لكنه أبداً ليس محبطاً. عاد فون هرتلنغ والوزير هنتر مضطربين. إنما بشيء من الثقة بعد أن صرح هندنبرغ بحسم عدم قبول نسيان أن القوات الألمانية ما تزال في أرض العدو وأنها باقية على الأرجح.



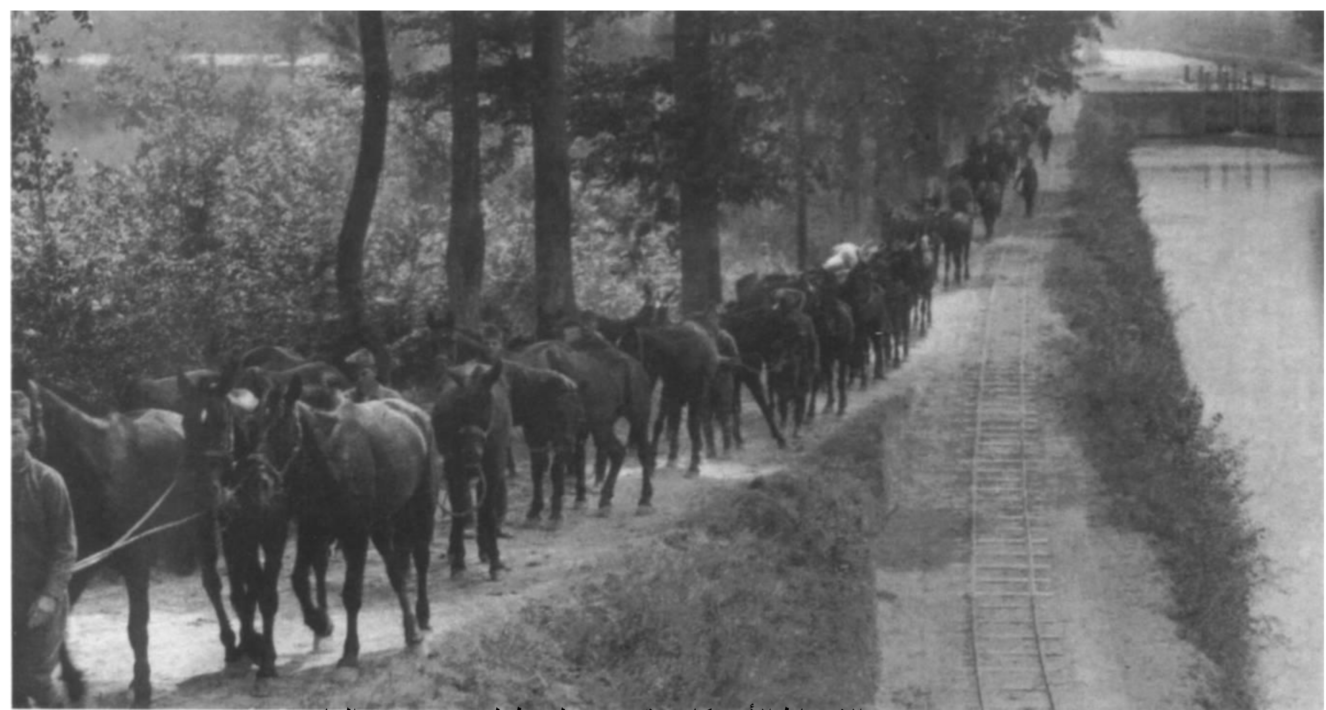
جنود ألمان قتلى في أثناء تقدم الأمريكان



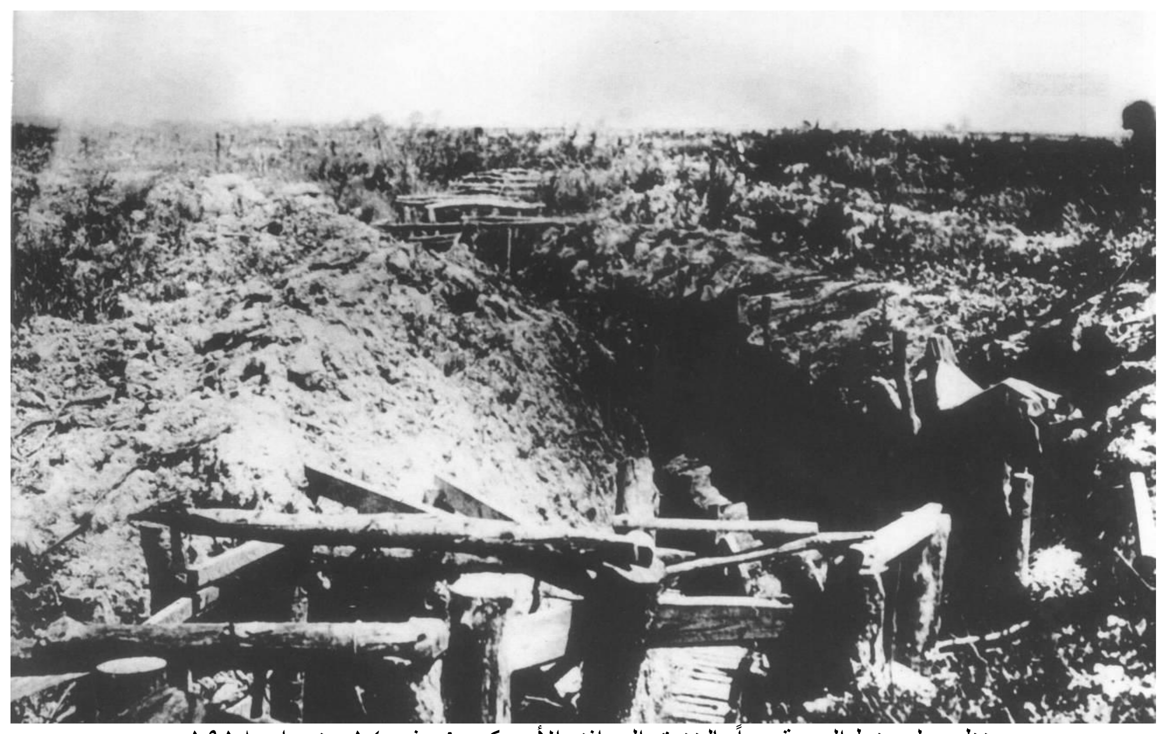
في ألمانيا الضائقة خانقة. هذا الملصق يدعو النساء
إلى بيع شعورهن من أجل صناعة الدفاع



إمبراطور ألمانيا كان يحادث العمال طيلة وقت الزيارة



جنود الاحتياط الأمريكان يتقدمون على طول مجرى نهر المارن



منظر على خط الجبهة بدءاً بالخندق المرافق الأمريكي A، في ١٤ حزيران ١٩١٨



مخبز ميداني أمريكي، الـ ٥٤ خباز يستخدمون ٨ أفران، يخبز كل يوم ٥٤ ألف ليبرة خبز
للجيوش المقاتلة



وسائل العمل في الحرب كانت دوماً بربرية. هنا، "كمين لاصطياد الرجال"



معارك في غابات "آرغون". هنا، طريق "فارين بقور" بباريس





أسرى حرب ألمان أسرهم الأمريكيون



القبض في آخر دقيقة على أربعة جواسيس ألمان بالزي الأمريكي اكتشفوا وقضي عليهم



أمام الموت والدمار، جندي أمريكي يصلي ليسوع المصان في سوم، في تشرين ثاني ١٩١٨.

إنما سرعان ما ظهر الوضع الفعلي في الجبهة، وتبين أن الثقة التي يبثها القائد الأعلى لا سند لها أبداً ولم يعد ممكناً طرح مسألة التمسك مدة طويلة بالأوضاع الراهنة، لا سيما وأن الحلفاء خلال هذا الوقت كانوا يعدون هجوماً صاعقاً جديداً، هذه المرة بمساعدة ملحوظة أمريكية، هجوماً لا يستطيع الألمان أي ردة فعل تجاهه.



جندي كندي يدعو جنود ألمان للخروج من ملجأ ـ سرداب احتل في إيبرس في ٢ أيلول ١٩١٨ .

فهم هندنبرغ ولودندورف أن الوضع صار ميئوساً منه. لمحاولة إنقاذ ما يمكن إنقاذه أو ما تبقى، طلبا آنئذ من الحكومة أن تطلب الهدنة وأبلغوها ضرورة السرعة الفورية لأن كل يوم قد يحمل في ثناياه كارثة فعلية، أدهش هذا الطلب الحكومة كثيراً. كانوا مجبرين على طلب الهدنة وهم صفر اليدين، في وضع الهوان والخور وفي الظروف الأسوأ. أن دراما فاجعة تلوح في الأفق.

ألمانيا تطلب الهدنة

إن الهجمات الألمانية من آذار ـــ تموز انتهت بانتصارات ألمانية تكتيكية بالغة الأهمية، لكنها من دون أي دور استراتيجي، وأن فشل هذه الهجمات وضع نهاية حاسمة للآمال الألمانية في قطف النصر، بواسطة السلاح. في آذار، كانت ألمانيا متفوقة عددياً، لكنها في تموز، قد انقلب وضعها دائرة كاملة. كلفت آخر الهجمات ٧٠٠ ألف رجل، أضيف إليهم ٨٠٠ ألف من تموز إلى تشرين أول. إجمالي الخسائر منذ بدء الحرب في عام ١٩١٤، تصاعد في الجانب الألماني إلى ٤,٥ مليون قتيل، جريح، متواري وأسير. ولم يبق ببساطة أي مجال للتفكير بمن يحل

محلهم. وعملياً، ليس ثمة طاقة لتجميع ما يكفي من اليد العاملة لبناء الأوضـــاع الجديدة في المؤخرة. كثير من فرق الجبهة لم تعد موجودة إلا على القرطاس أو كانت غير كاملة.

في ذات الوقت، لم تكف قوات الحلفاء عن الدعم. في بداية تشـــرين ثاني ١٩١٨، ١,٨ مليون أمريكي أبحروا إلى فرنسـا وأضـيف إليهم عبر شـهور ٢٠٠ إلى ٢٥٠ ألف رجل. طبعاً لم تكن هذه القوات الأمريكية مستعدة للمعارك إلا جزئياً وأيضاً ناقصة الكفاءة الجسدية والمعنوية.



جندي بريطاني على حدود استحكامات هندنبرغ التي ظن أنها احتلت

من المدهش أن اطلاع الحلفاء على الوضـع المؤثر الذي تعيشـه القوات الألمانية. كان جيداً بالتأكيد، عادوا إلى المبادرة، لكن المقاومة الرائعة التي كان يقدمها أبداً الجيش الألماني كانت تفرض الظن أن الحرب لن تنتهي قبل زمن مديد وربما اسـتمرت خلال شـطر كبير من العام ١٩١٩. ما يفسـح طرح سـؤال إن كانت الشـعوب المتحالفة مستمرة بدعم الحرب. كانت الخسائر مذهلة وصعدت من آذار إلى تموز إلى ٨٥٠ ألف رجل. ومن



المارشال فوش ، يطلب منه الوفد الألماني تحديد مقترحاته



في ٢ تموز ١٩١٨، اجتمع الحلفاء للاتفاق على شروط إلقاء السلاح



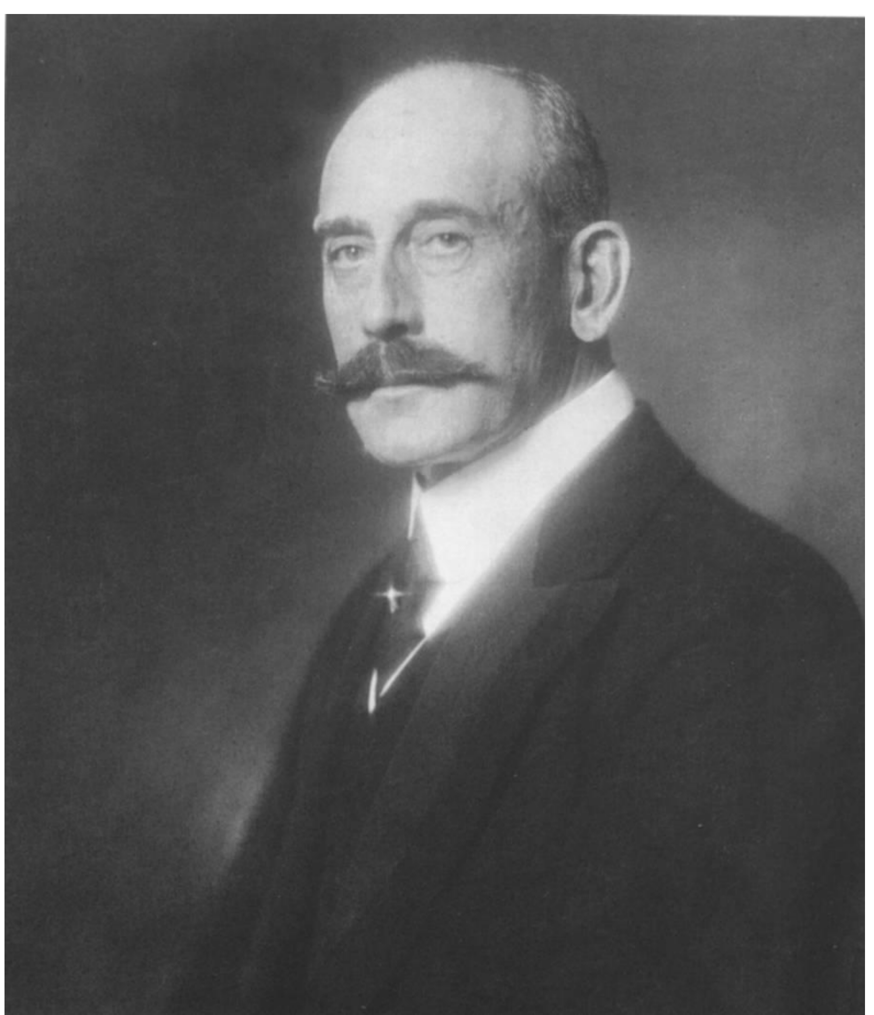
رئيس الوزراء البريطاني "لويد جورج" في أثناء عقد اجتماع للحلفاء في ٢ تموز ١٩١٨



الجنرال هـ.بليس، يمثل الأمريكان في القيادة العامة المتحالفة

تموز إلى تشـــرين ثاني، كانت الخســـائر أفدح. فقد الفرنســـيون ٥٣٠ ألف رجل، البريطانيون ٤١٠ آلاف والأمريكان ٣٠٠ ألف، إجمالاً في العام ١٩١٨، ٢,١ مليون رجل. ليس هذا كل شـيء. الفرق الألمانية أصـابتها كل المصائب. والفرق البريطانية

نقصـــت من ١٢ إلى ٩ كتائب وفي أيار نقصـــت عشـــر بســـبب نقص العناصـــر. والطاقة الهجومية للجيش الفرنسي لم ترتح من التمردات في عام ١٩١٧، وبقيت إشكالية، مرتبطة كلياً بالدعم البريطاني والأمريكي ولدى الحلفاء أيضـــاً، الاحتياط كله أنهك بل أبيد تقريباً. في حزيران ١٩١٨ أيضـــاً، طلب من الرئيس ويلســـون إرســـال على الفور ٤ ملايين رجل لتفادي خســـــارة الحرب. أربعة ملايين رجل! مثل هذا العدد أكثر من إجمالي القوات الحليفة المجتمعة في فرنســـا يومئذ، ويشـــير أيضـــاً إلى الوضـــع الســـيء الذي عاشـــه الحلفاء في تلك الحقبة، لكن الألمان كانوا أيضـــاً في آخر أنفاســـهم. كان جنرالات الحلفاء جديرين تماماً بوضـــع خطط هامة للهجوم، إنما كانوا بحاجة للرجال المقاتلين



المستشار الألماني الجديد الأمير ماكس فون بادن، الذي تلقى مهمة بدء مفاضوات الهدنة مع الحلفاء


تشرشل في "ليل"، قبيل إلقاء السلاح، في ٢٤ تشرين أول ١٩١٨


الجنرال فون ونترفولد، رئيس اللجنة الألمانية لإلقاء السلاح، في ٢٩ تشرين الثاني ١٩١٨



ماتييه أرزبرجر، عضو الرايخ ولجنة إلقاء السلاح، بعد نقاش وجدال مع المارشال فوش في سيارة



لتصل هذه الهجمات إلى غايتها. ثمة أيضاً وجهة نظر هامة أخرى. كان الرئيس ويلسون قدم اقتراحات صلح لم ترض الحلفاء نهائياً. أفسح الأمريكيون المجال آنئذ ليشعر الحلفاء أنهم إن رفضوا اقتراحاتهم السلمية، ربما وصلوا إلى مواجهة توقيع سلم منفرد مع العدو. يجب طبعاً تجنب هذا بأي ثمن، لأنهم بعيداً عن الأمريكان لن يربحوا الحرب. كان البريطانيون يتبنون رأياً يقول إن استمرت الحرب طويلاً، كان الأفضل بدء مفاوضات سلم سريعة مع الألمان، لأن الوضع القوي يمهد لطلب شروط أفضل من التي قدمها الرئيس ويلسون ويجب تجنب أن يصبح الأمريكان في موقع الأقوى.

إذاً، تزايد عدد الجند الأمريكان على التراب الفرنسي يدعم يوماً فيوماً هذا الخطر.

هكذا كان الوضع لما قررت القيادة العليا الألمانية التماس حكومتها إثارة

الهدنة. بالنسبة للشعب الألماني، وصل هذا الطلب كزوبعة تحت سماء زرقاء. حتى آنئذ، زعمت القيادة العليا دوماً أن النصر النهائي كان ممكناً، رغم كل التضحيات والخسائر الباهظة. وفي ١٣ آب أيضاً، أكد هندنبرغ ولودندورف أنهم في تلك اللحظة، كانوا يرغبون عدم سماع الحديث عن مفاوضات السلم.



أعضاء حلفاء من لجنة الهدنة في سبا. من اليسار إلى اليمين: اللواء السيد هاكينغ (بريطانيا العظمى) الفريق ريودس (الولايات المتحدة) والجنرال دونانت (فرنسا).

جاء طلب الهدنة بشكل مفاجئ وسبب هذا الخبر موجة من التكذيب والشك واللاثقة بين الشعب الألماني. بالفعل، كان هذا هو الشـــارة التي تنتظرها قوات البلد الثائرة للانطلاق إلى العمل والانتهاء هكذا من كل ما يخص الحرب.

لقد أثار هذه الثورة تحريض القيادة العليا التي وبشـــكل منهجي قدمت الوضـــع في الجبهة بطريقة خادعة للشعب.



إعلان إلقاء السلاح في "هافر"

جمهرة من المحتفلين احتشدت في ١١ تشرين أول ١٩١٨ امام ميدان بوكنغهام من اجل الاحتفال بإلقاء السلاح


مشهد من شارع ونشستر في إنكلترا في أثناء إعلان إلقاء السلاح


في ألمانيا أيضاً أقيمت المباهج. هنا، ضباط عائدون استقبلوا كأبطال



لافتات تخفق والطبول تقرع. القوات الألمانية تدخل برلين. لا أحد يحس بالإخفاق أو الهزيمة

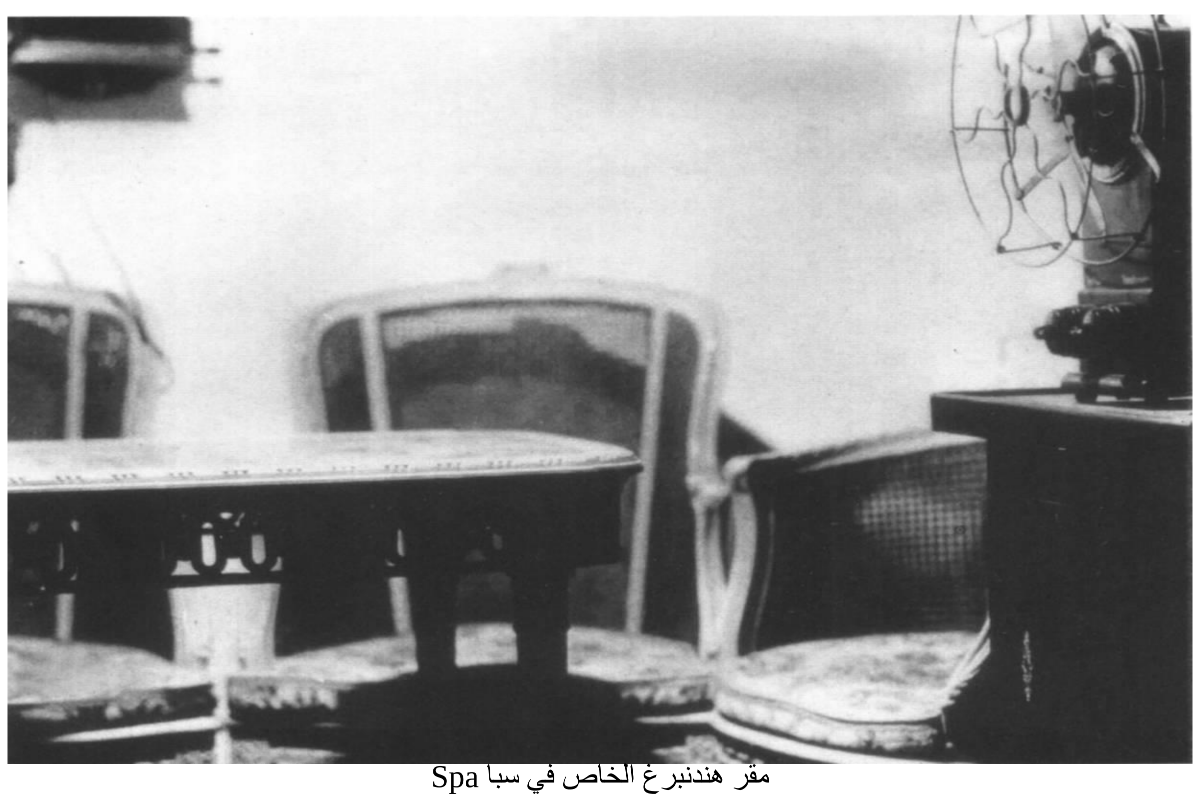


الجماهير المغتبطة قرب القصر الإمبريالي في أثناء عودة الجنود الألمان إلى البلد

لما ظهرت الحقيقة أخيراً، كان لها أثر الصـــدمة التي كنســـت آخر الآمال وما بقي من ثقة الناس، مع كل الخلاصـات التي تضـمنها هذا. كما أثار طلب الهدنة أيضـاً مفاجأة كبرى، لدى الحلفاء، لأنها غير منتظرة أبداً. طالما كان هذا بديهياً، أن الألمان يريدون وقف المعارك، وأن الحلفاء في وضـــع الأقوى ليصـــيغوا المطالب عالية الشـأن. نتج هذا بوضـوح أيضـاً من مفاوضـات الهدنة. كانت أحجار النرد قد رميت، خسـرت ألمانيا الحرب وألزمت بقبول مطالب الهدنة التي تحمل بذاتها بذرة حرب أخرى، أرهب، حرب تشـب بعد عشـرين عاماً على أبعد احتمال، وخلالها سيدعى الأمريكان مرة أخرى أيضاً إلى هجوم آخر. لم تؤخذ دروس الماضي وكانت النتائج لا سابق لها.



جنود ألمان يعودون من روسيا بالقطار



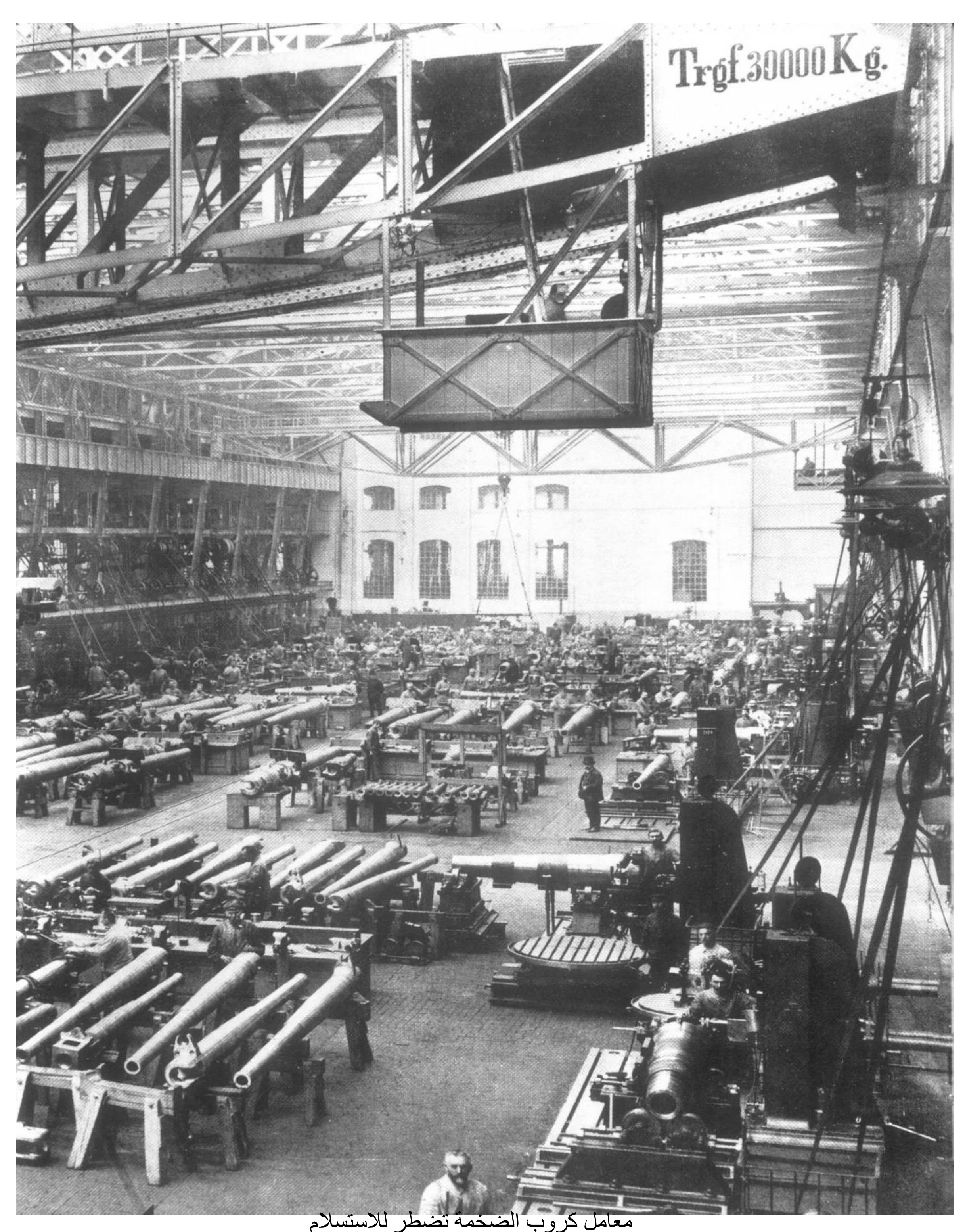
مقر هندنبرغ الخاص في سبا Spa



بيت هندنبرغ في سبا



جنود بريطانيون يعودون إلى الوطن بجروح بسيطة



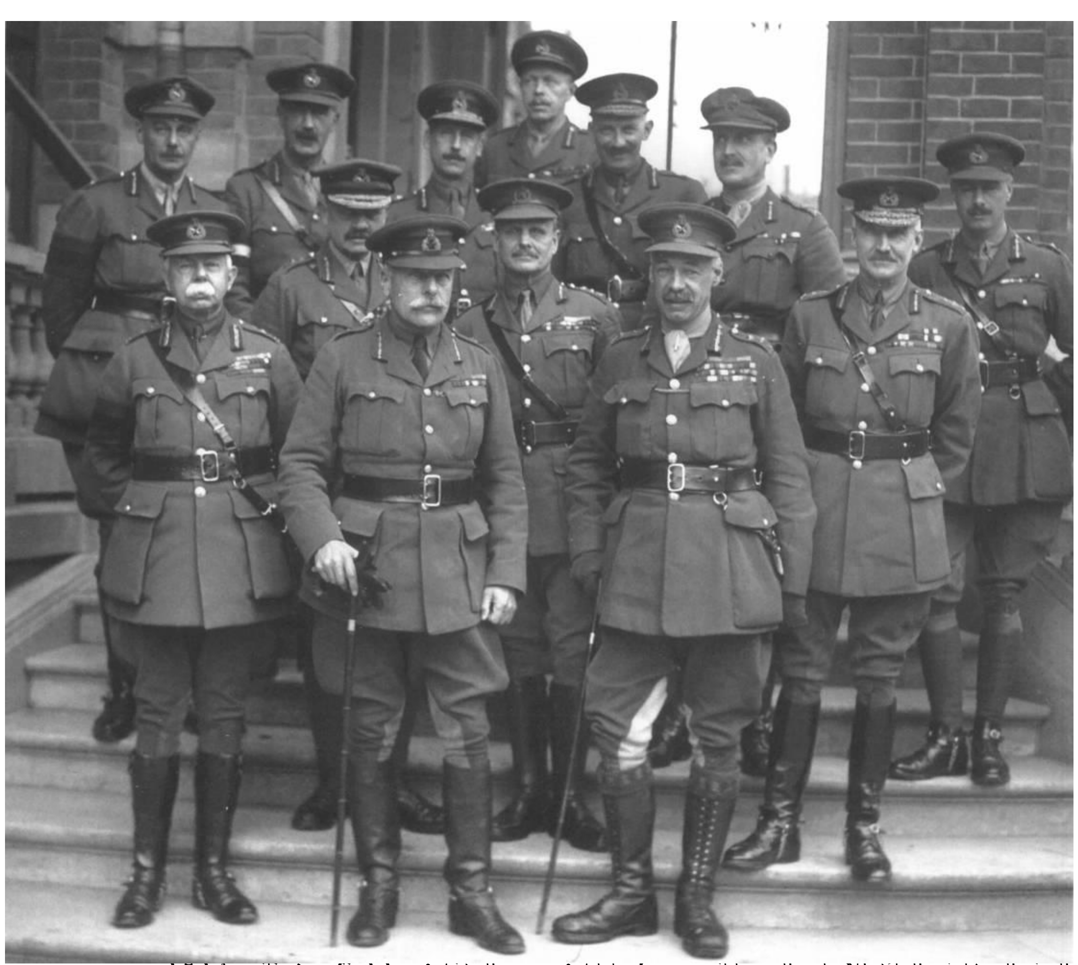
معامل كروب الضخمة تضطر للاستسلام

سلم من دون منتصرين

مداولات الهدنة

في العام ١٩١٧، كان ثمة رجال سياسة ألمان لم يعودوا يصدقون النصر النهائي والذي يدعو إلى سلم عاجل. أحدهم، ارزبرجر، علم جراء اتصال بقوى الجيش أن الوضع الحربي الألماني لا يفعل سوى التردي وأن الحليف النمسا ــ هنغاري عليه بداهة أن يوقف المعارك من جانب واحد.

شكل ارزبرجر لفيفاً من أعضاء الرايخستاغ المركزي، من الكتلة الاشتراكية الديمقراطية والتقدميين، الذين صاغوا سوية "قرار السلم"، أي



الجنرال هايغ، القائد الأعلى البريطاني مع ضباطه في يوم الهدنة في ١١ تشرين ثاني ١٩١٨.



الرقيب الأمريكي قرب المدفع الذي أطلق آخر طلقة في الحرب، في القطاع الأمريكي من "نوفيل" على نهر "الموز"، ١١ تشرين ثاني ١٩١٨



التشكيلات الأمريكية تجتاز الحدود مع اللوكسمبورغ، في ٢٠ تشرين ثاني ١٩١٨، متجهة إلى ألمانيا


تشكيلات بريطانية في طريقها إلى كولوفيا



ملك إنكلترا جورج الخامس وزوجته ماري في الطريق إلى كاتدرائية القديس بولص احتفاءً بمناسبة الهدنة.

مبادرة للوصول العاجل إلى السلم. كانوا يرون أن الوصول إلى هذا، يوجب أولاً تبديل الدستور والانتقال إلى نظام برلماني. لاقى مشروعهم في الحال دعماً عريضاً وقُبل أخيراً لدى الإمبراطور، على مضض.

لكن المستشار بثمان ــــ هولويغ، رأى أن اللحظة لم تكن بعد ملائمة لممارسة هذه الخطة، التي كان موافقاً عليها بالخطوط العريضة فدفنت في أدراج المكاتب، وكذلك مشروع إقامة نهج برلماني في ألمانيا.

وآخرون أيضاً عملوا في خطة السلم. كان الرئيس ويلسون أولهم. كانت محاولته الجادة الأولى وتوسطه بين المتحاربين في العام ١٩١٥، بُعيد نسف المركب البريطاني، لوزتانيا. استدعى ويلسون السفير الألماني واقترح عليه أن يوقف بلده حرب الغواصات مقابل ضغط الأمريكان على إنكلترا لوضع حد لحصار ألمانيا، لكن هذه المحاولة لم تعط شيئاً.

بعيد هذا، طيلة فصل الشتاء ١٩١٥-١٩١٦، أرسل الرئيس ولسون العقيد هاوس، إلى بريطانيا ـــ العظمى، أجرى هناك حديثاً مع الوزير البريطاني للشؤون الخارجية ادوارد غريّ، عبره سبر الإمكانات المفضية ربما إلى مفاوضات السلم. كرر هاوس الزيارة إلى غريّ بعد أشهر، واستبعد قليلاً حرفية مبادئ الحياد المقبولة سابقاً. طلب أن يعرف أمنيات غريّ وقال له إن الولايات المتحدة تود أن تقدم دعماً ضـــخماً للحلفاء يمكنهم من ربح الحرب، أو، كما صاغ ما ترجمته إلى الفرنسية: ("ترغب الولايات ـــ المتحدة أن تتصرف الحكومة البريطانية بما يدفع الولايات ـ المتحدة أن تفعل الضروري لكي يربح الحلفاء الحرب").

واقترب أكثر من الحلفاء لما صـــرح في آخر زيارة لباريس أن تعرض الحلفاء للخســـارة يزج الحكومة الأمريكية في الحرب. فاستخلص الحلفاء أن الولايات المتحدة ستشترك آنئذ بالحرب إلى جانبهم، إنما صرح هاوس فيما بعد أن هذا الاستخلاص كان مبكراً.



زار الرئيس الأمريكي ولسون إنكلترا خصيصاً بالمناسبة. هنا، زيارة إلى مانشستر في ٣٠ كانون أول ١٩١٨.

اقترح هاوس عندئذ تنظيم مؤتمر سـلم سـهر فيه على أن تصـاغ نقاط النقاش بحيث تترجم وجهة نظر الحلفاء. إن رمت ألمانيا بالتالي هذه النقاط، أكد، آنئذ ستشترك أمريكا بالحرب إلى جانب الحلفاء. دوّن كل هذا في مذكرة، "مذكرة غريّ ـ هاوس" الشهيرة في ٢٢ كانون ثاني ١٩١٦. في هذه الصياغة للمذكرة، الواضحة التأييد للحلفاء، كمنت واقعة جعلت أمريكا، بعد قبول الاقتراح، مخولة بإملاء شروط السلم، فلاقى هذا الوضع معارضة قاطعة في بريطانيا ـ العظمى وفرنسا. لم تقبل الخطة إذاً بمجملها ومن جديد، لم تصل مبادرة الرئيس الأمريكي إلى شيء.

وفي ١٩١٦، بعد انتصارها على رومانيا، استدارت ألمانيا نحو أمريكا وطلبت من الرئيس الأمريكي تقديم اقتراح وساطة جديد. رد الرئيس بالإيجاب وأرسل رسالة إلى المتحاربين فيها يطلب معرفة رغباتهم وطلباتهم بدقة للوصول



الرئيس الأمريكي ولسون مؤهّلا به في أثناء زيارة بعربة مكشوفة في لندن.



بروكدورف ـ رانتزو، وزير ألمانية للشؤون الخارجية، رئيس الوفد الألماني في أثناء مفاوضات السلم في العام ١٩١٩. "لما دخلنا أحسسنا بالكره الذي تحملونه. إن اعترافاً بالذنب من طرفي سيكون كذبة".

إلى سلم دائم. من طرف الحلفاء، هوجمت هذه الرسالة بشدة. نظروا نظرة سيئة لأن ولسون لم ينضم بوضوح بعد إلى جانب الحلفاء. رغم هذا، رُدَّ على مضض على الطلب وقدمت بعض المطاليب، أحدها استسلام ألمانيا من دون شروط. ولم يكن جواب ألمانيا بنّاءً. في الأغلب، لم يكن المتحاربون مستعدين للسلم. كان الألمان متأكدين أن وضعهم لن يتحسن ومن أجل "دعم المصير"، استخدموا سلاح حرب الغواصات.



قصر فرساي حيث وقعت ألمانيا معاهدة السلم، محتجة في ٢٨ حزيران ١٩١٩

كانت هذه خطة مترعة بالنبل، مع شيء من السذاجة، ورفضها كل العالم، خيم صمت عميق جليدي حول ولسون وهذا النقص من رد الفعل الإيجابي جعله يسأل إن كان عليه أن يتخلى عن سياسته الحيادية ويختار صف الحلفاء.

دعم هذا التردد بكوارث لوزتانيا وأرابيك وسوسكس. وبرقية زمّرمان وامتشاق ألمانيا سلاح الغواصات الشامل مما أغلق باب السلم، واتخذ ولسون القرار النهائي بالانضمام إلى خط الحلفاء. وفي ٣ شباط ١٩١٧، بعد إعلان ألمانيا رسمياً بدء حرب الغواصات الشاملة، قطع علاقاته الدبلوماسية معها.

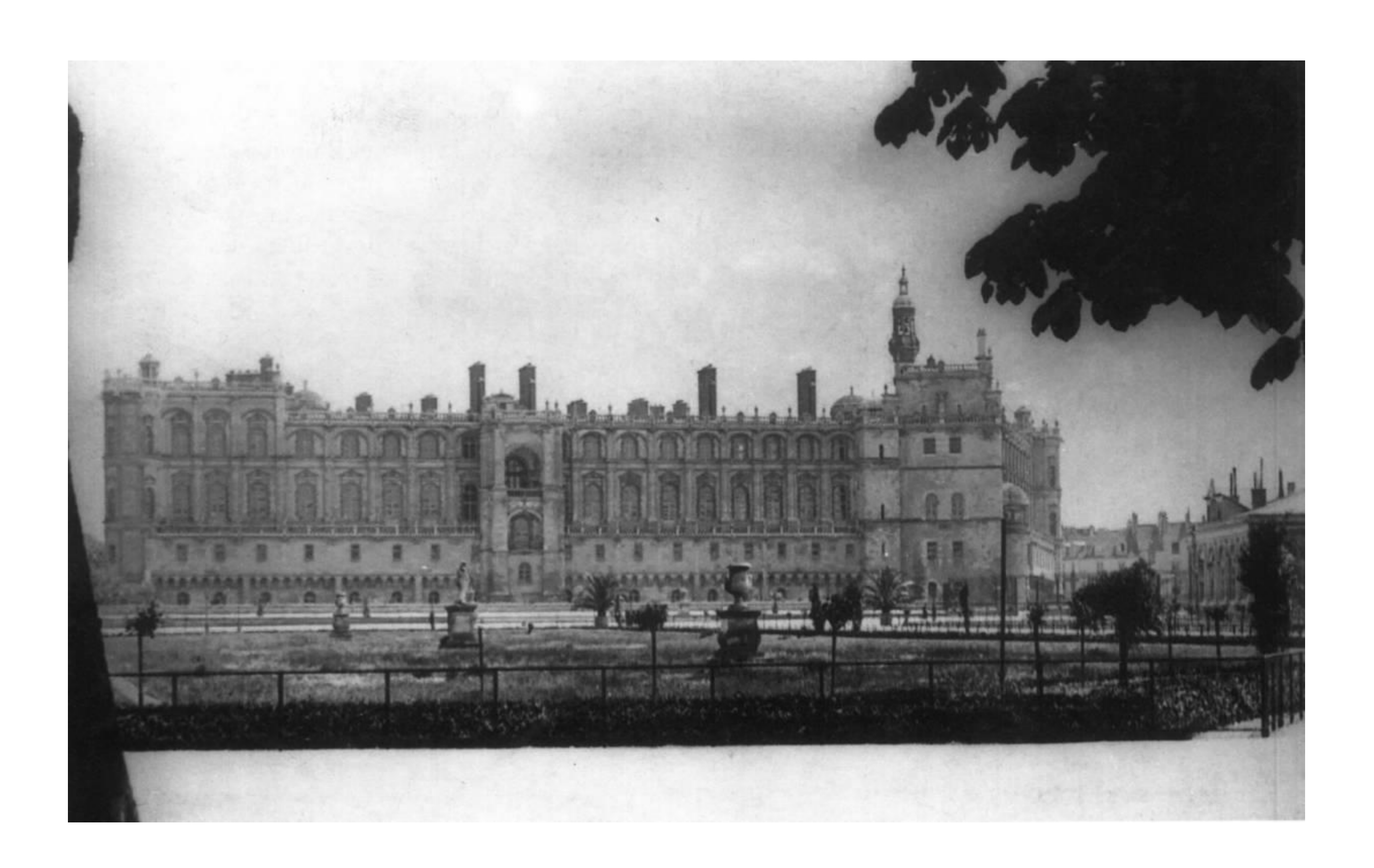
في ٢ نيسان ١٩١٧، أعلنت أمريكا الحرب على ألمانيا.



خطة ويلسون المكونة من ١٤ نقطة.

إن الوجود الرســـمي لأمريكا إلى جانب الحلفاء لم يمنع الرئيس الأمريكي من متابعة مبادراته من أجل السلم. بالفعل، إن قراره الاشتراك بالحرب قد أملته الفكرة التي يستطيع أن ينفذها فقط، بالانضمام إلى الحرب لا البقاء في منأى عنها. وبصــيرورته طرفاً أســاســاً، لم تكن المطالب التي قد يصــيغها للحلفاء إلا ذات وزن وازن.

خلال هذا الوقت، سحابة الصيف وشطر من شتاء ١٩١٧-١٩١٨، عمل في تعديل وإعداد خطته "سلم دون نصر"، وفي ٨ كانون الثاني ١٩١٨، ألقى خطاباً من أربع عشرة نقطة، اشتهر في العالم قاطبة



واســتقبل بحماس في الولايات المتحدة. أما في أوروبا، كان أقل حماســاً. لم يكن الحلفاء موافقين على أي من النقاط. وضع رئيس الوزارة الفرنسي كلمنصو علامة تهكم. وصحيفة الـ **Times** لاحظت أن ولسون يعتقد بوضوح أن "مملكة العدالة" قد نزلت إلى الأرض. أما ألمانيا، ردت بفتور وبصورة متساهلة بعض الشيء.

تضــمنت خطة ولســون عدداً من النقاط الهامة، مثل إعلان حرية اســتخدام البحار، إزالة كل الحواجز الاقتصادية، إعادة الإلزاس ـــ اللورين من ألمانيا إلى فرنسا، الترتيب الحر والعادل لكل الاتفاقات الاستعمارية التي تراعي مصــالح الشـعوب المعنية، حق تقرير المصــير لكل دول البلقان، فتح الدردنيل، وخلق منظمة الأمم تضم كل الأمم، كبيرها وصغيرها، لها أن تتمتع بنفس الحقوق بخصوص الاستقلال السياسي وسلامة الأرض.

لأول نظرة، كانت خطة براقة، بينما وضـعها في الممارسـة كان سـبباً للعديد من المشـاكل. مثلاً، كان الإبحار الحر في البحار غير مقبول لدى بريطانيا ـــ العظمى، لأن سـيادتها في البحار تصـاب بالأعماق. ولألمانيا، كانت إعادة الإلزاس ـ واللورين

كان غير مقبول، ولا أحد موافقٌ على الاقتراحات المتعلقة بالمســـتعمرات. وردود الفعل هذه لم تفت مع ذلك بعضد ولسون. بالعكس، في ١١ شباط ألقى خطاباً جديداً فيه أضاف أربع نقاط جديدة. إلى الــ ١٤ السابقة. بين هذه الاقتراحات ورد اقتراح الأخذ بالحســبان تطلعات زعماء الأراضـــي التي تحكمها الدول المســتعمرة، وكل اتفاق يخص هذه الأقاليم (المستعمرة) يجب أن يهدف لمصلحة شعوبها.

في بريطانيا ـــ العظمى، فكروا على الفور بالإمبراطورية الاستعمارية البريطانية، لأن ما اقترحه ولسون كان يعني بالفعل تمزيقها. إنما هذه المرة أيضـــاً، لم يقم الرئيس وزناً للانتقادات. وفي ١٤ حزيران ١٩١٨، أضاف أيضاً أربع نقاط إلى برنامجه.

يمكن تلخيصها بالطريقة التالية:

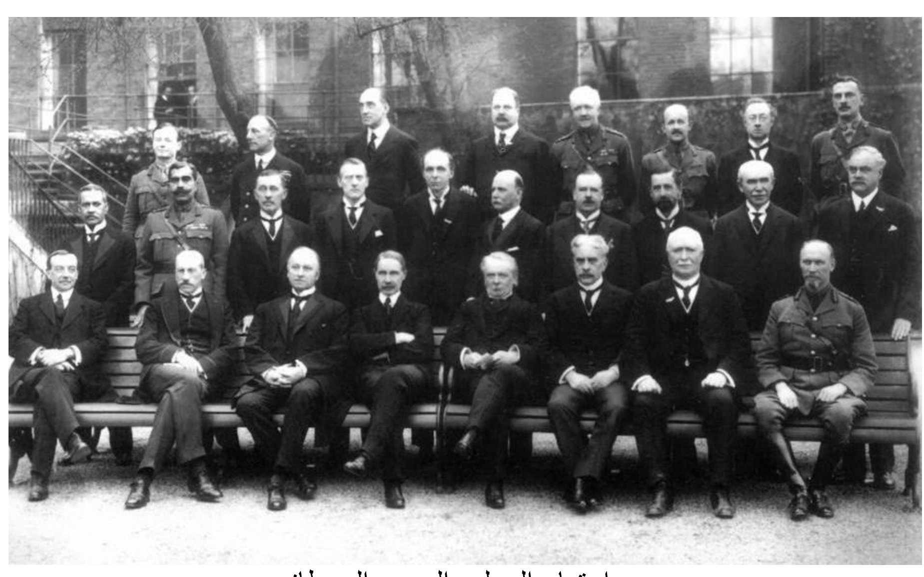
١- إمبريالية وعدالة بين الشعوب.

٢- تسوية نهائية لحق تقرير المصير.

٣- ذات المبادئ الأخلاقية لكل الشعوب.

٤- لخلق منظمة عالمية من أجل السلم في العالم.

هذه المرة، لعب وضع الحرب لمصلحة ولسون. ففي آذار، شن الألمان هجوماً صاعقاً أجبر الحلفاء على الانطواء. خافوا آنئذ من خسارة الحرب، فالتمسوا



اجتماع المجلس الحربي البريطاني

من أمريكا إرسال المزيد من القوات أظهروا تأكيداً أوضح في الإصغاء إلى اقتراحات وخطط ويلسون.

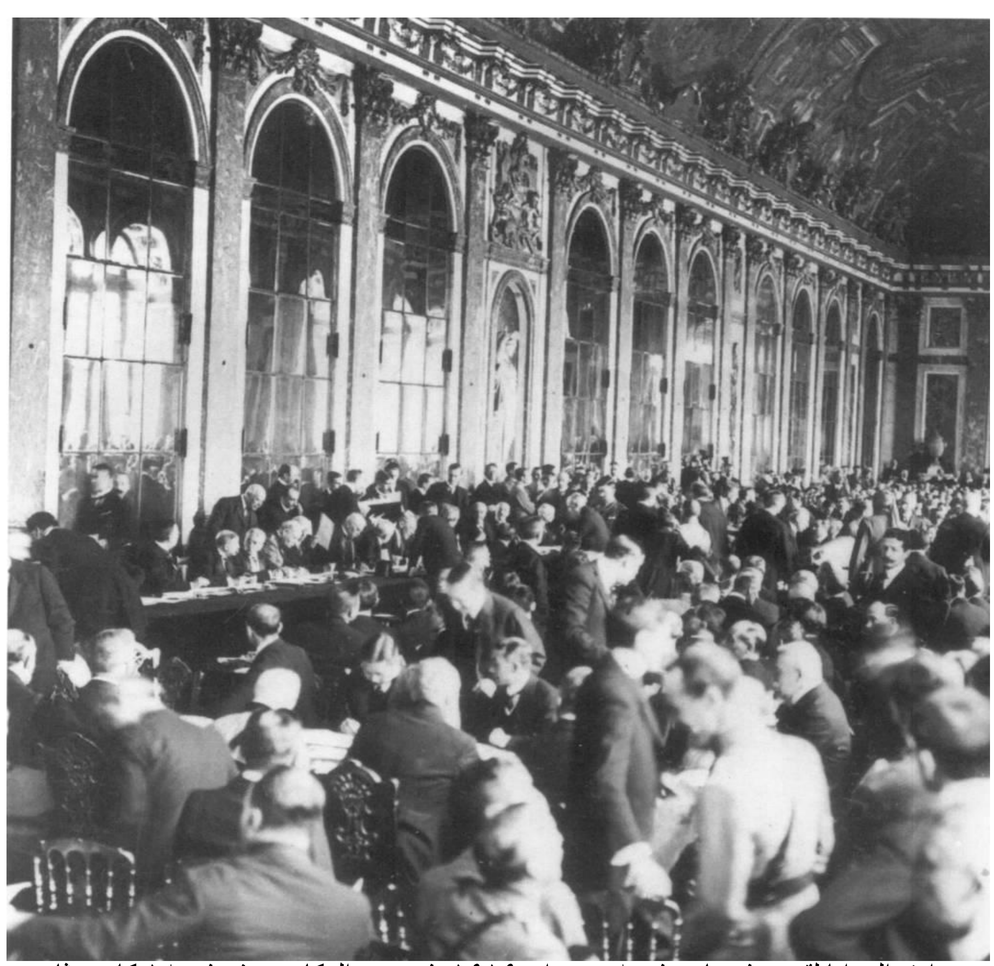
في ١٧ أيلول، تحرك ولسون فأضاف أيضاً نقاطاً جديدة إلى مشروعه. "الخمس المتفردات". نقطة مهمة اشترطت وجوب وجود العدالة المطلقة لجميع المشتركين بمفاوضات السلم القادم، ويجب الكشف عن كل الاتفاقات السرية بين البلدان وتعميمها وأن تمنع التحالفات أو المعاهدات السرية في المستقبل.



رئيس الوزارة البريطاني لويد جورج وعد الشعب البريطاني أن "يعصر ألمانيا كما تعصر الليمونة"

أما ألمانيا، التي خرجت محطمة بعد عدة أشهر من الهجوم الأعجف، كانت تسعى بخاصة إلى مبدأ العدالة طيلة مفاوضات السلم الذي كان همها. أيضاً، في ٤ تشرين أول، اطلعت الحكومة الألمانية الرئيس ولسون أنها قبلت خطته ذات الـ ١٤ نقطة أساساً لمداولات السلم مع الحلفاء وطلبت منه تسهيل الوساطة ليبدأ الحديث.

في باريس، إعادة صياغة الأربع عشرة نقطة لولسون في خطته بسبع وعشرين نقطة أثار الهزء والسخرية. لم يستطع كلمنصو إلا أن يلاحظ أن "الله العظيم نفسه لم يحتج إلا لعشر نقاط" (العشر وصايا)، ورمى فوراً طلب ألمانيا،



سرادق المرايا لقصر فرساي، في ٨ حزيران ١٩١٩. في عين المكان حيث، في ١٨ كانون ثاني ١٨٧١، أعلنت الإمبراطورية الألمانية، هذه الإمبراطورية ذاتها عرفت نهايتها من دون نصر ومعاهدة صلح مذل!



التواقيع في ذيل معاهدة فرساي التي وضعت نهاية للحرب العالمية الأولى، إنما كانت في أحشائها حرب أرهب، بعد عشرين عاماً



تشكيل مقاتل فرنسي في أثناء استعراض النصر في لندن، في ١٩ تموز ١٩١٩.

بدء مفاوضات الهدنة لأنه رأى أن ليس لألمانيا أن تخاطب أمريكا بل الحلفاء.

لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا ألقى نظرة خاطفة على هذه الاقتراحات بشكل أكثر واقعية. كان يخشى من أن يفرض ولسون مع ذلك وجهة نظره، في الأرجح من دون تعاضد الحلفاء، فلم يبالِ كثيراً بامتيازات لألمانيا. كان قانعاً أن خطة ولسون قادرة لأن تخضع لعدد من التعديلات استناداً إلى مفاوضات صلبة وقاطعة مع صاحبها.

في نهاية الحساب، أجاب الألمان أنهم تحت بعض الشروط، كانوا مستعدين لقبول خطة ولسون كنقطة انطلاق إلى مفاوضات السلم. في هذه الحال كان الرئيس نفسه في وضع صعب بعد تلقيه الرسالة الألمانية، وعرف تماماً أن الحلفاء أنفسهم تحفظوا بشدة على خطته.

فبرزت استفهامات. كيف يقدم لشعبه، المدعو إلى الإعداد للحرب وخوضها، خطة سلم بهذه الجرأة؟ كيف له أن يكون واثقاً أن الألمان كانوا صادقين بطلب الهدنة؟



بطل معركة فردان، الجنرال بيتان، يتلقى في ١٩ تموز ١٩١٩ أعلى وسام من
يد الملك جورج الخامس البريطاني

لذا بعث رسالة إلى الحكومة الألمانية في ٨ تشرين أول، محدداً أن المشروع ليس فقط خطة من ١٤ نقطة، بل أيضـاً، إخلاءً فورياً للأراضـي التي احتلها الألمان. وطلب أيضـاً أن تتحدث الحكومة الألمانية باسم الشعب الألماني وليس باسم الإمبراطور أو القيادة العليا.

وفي ١٢ تشرين أول، أجابت ألمانيا بالإيجاب على مطالبه الحديثة، إنما تحت ضغط الحلفاء، عبر ولسون عن مطالب جديدة.

وفي ١٤ تشـرين أول، ردّ أنه لا بد من انتظار عدد من المطالب العسـكرية على أن تصـاغ بقلم الحلفاء. وعلى ألمانيا في ذات الوقت وضع نهاية فورية لحرب الغواصات وتدميرها في الأراضي المحتلة.



ابن الجنرال برشنغ وابنتا القائد الأعلى البريطاني هايغ كانوا أيضاً حاضرين في أثناء الاحتفاء.



الجنرال برشنغ (الولايات المتحدة) والجنرال هايغ (بريطانيا ـ العظمى)

في عشرين تشرين أول، ردت الحكومة الألمانية أنها راضية أيضاً بهذه المطالب، لكن ولسون طلب الآن أن استسلام الإمبراطور الألماني يكون قبل أي حديث حول وقف النار. إن لم يقبل هذا الطلب، لا مجال لنقاش الهدنة، بل استسلام كامل ناجز. شبت الثورة في هذه الأثناء في ألمانيا، ورغم أن الإمبراطور لم يستسلم بعد، أرسل جواباً مؤكداً إلى ولسون. توجه هذا في الحال إلى ألمانيا بمشروع معاهدة سلم للدراسة.



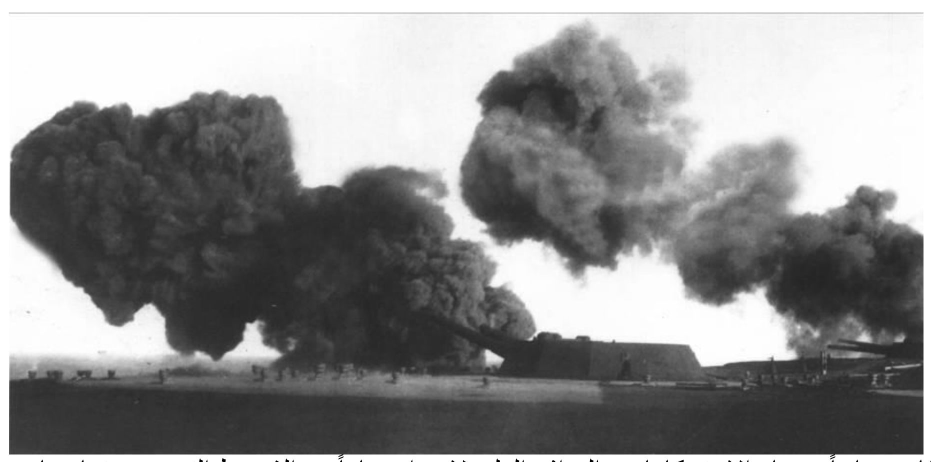
بعد الحرب ولد في فلندر حركة تطالب باستقلال الإقليم

تحت ضـغط بريطانيا العظمى وفرنسـا، أضـيفت بعض التعديلات الأسـاسـية مع ذلك إلى الخطة ذات النقاط الأربع عشـرة. مثلاً، النقطة المتعلقة بحرية الإبحار توارت، ووضـعت نقطة جديدة، هي دفع مبالغ ضـخمة للإصـلاح، ما بدل كلياً روح الخطة، أي المسـاواة الكاملة في أثناء المفاوضـات ـــ "سـلم من دون نصـر". وبالفعل، ألهبت مسألة الدفع للإصلاحات بحسم العلاقات الدولية بعد الحرب.

رضيت ألمانيا مسبقاً بالخطة متطلعة إلى سحب جزء من روح المساواة هذه، وأحست بالتالي بالغبن. فيما يخص النظام السـائد في البلاد، إنما ليس لها مع ذلك سـوى قبول هذه المطالب الجديدة، بأمل القدرة على التعديل في أثناء المفاوضات القادمة وأن تستند معاهدة السلم رغم كل شيء على خطة ويلسون ذات الـ ١٤ نقطة كما وُعِدَ. لكن هذا الرجاء بقي حبراً على ورق.



آلاف الفلامنديين يتظاهرون من أجل الاستقلال لكن بلجيكا تحافظ على وحدتها.



دمر الحلفاء صباحاً ومساءً الاستحكامات والمدافع الهلغولان، انسجاماً مع الشروط التي وضعتها معاهدة فرساي.

الهدنة

كان ٨ تشـرين ثاني يوماً حاسـماً. اسـتسـلم وفد ألماني قرب رثوندس، في غابة كومبيني، حيث اسـتقبلها المارشال فوش باسم الحلفاء في عربة سكة حديد.

ســـألهم فوش ســـبب مجيئهم. رد المتحدث الرئيس الألماني، ماثياس أرزبرجر، إن الوفد يتمنى تلقي المقترحات المعروضة لعقد الهدنة. رد فوش أنه ليس عنده اقتراحات يقدمها.

"نطلب اقتراحات الحلفاء"، كرر عضو آخر من الوفد. وثم صمت عميق.

"نطلب الهدنة؟" سـأل فوش. "نعم"، "عندئذ أريد أن أعلمك مطالبنا"، وتلت هذه المطالب بالفرنسـية من أحد زملائه. كان الوفد الألماني شديد الدهشة. ما كانت لائحة الالتزامات تمثل إلى هذا الحد أو ذاك سوى استسلام تام يستبعد أي تفاوض.

تضمنت هذه المطالب بين ما تضمنت:

١- إخلاء فوري لكل الأرض المحتلة.

٢- إخلاء فوري لضفة نهر الرين الغربية.

٣- الرهن بتصرف رؤوس الجسر على الأرض الألمانية.

٤- إطلاق سراح أسرى الحرب.

٥- الوقف الفوري لخمســة آلاف مدفع، ٢٥٠٠٠ رشــاش، ٣٠٠٠ بندقية رشــاشــة، ١٧٠٠ طيارة وكل الغواصات.



الأمريكان يحرسون نهر الرين، هنا، عناصر من فرقة قوس قزح يحرسون نيدر بريزغ، في ٩ كانون أول ١٩١٨.

٦- تحطيم الأسطول الألماني.

٧- التعويض عن كل الأضرار التي سببها جيش الاحتلال الحليف في ألمانيا.

٨- إصلاح كل الدمار الذي أحدثه الألمان في الأرض التي احتلوها.

٩- تحطيم ٥٠٠٠ قاطرة جاهزة للعمل، و١٥٠٠ عربة و٥٠٠٠ شاحنة.

١٠- استمرار الحصار الاقتصادي.

أخذ الحلفاء مكاسب الثورة والاضطرابات التي ظهرت في ألمانيا. لم تكن الشروط المعروضة شروط هدنة، بل طلب استسلام فعلي. لم تكن المسألة مسألة مفاوضات، وظهر بسرعة أن الحلفاء ليس لديهم أي رغبة في التخلي عن أي شيء بهذا الخصوص. معاملة عدو مدحور. ليس عند ألمانيا إلا الإذعان، لا سواه.

كان الشعب الألماني ما يزال متمسكاً بأوهام تصريح ولسون، أن الحلفاء انضموا إلى خطته من أربع عشرة نقطة، لكن الألمان خابوا ثانية. وفيما يخص الهدنة، الدور الوحيد للوفد هو أن تختار توقيع الاتفاق، الذي حرر في ١١ تشرين ثاني.

معاهدة صلح فرساي، تأمل في مستقبل أوربا

فوراً بعد توقيع صك الهدنة، شرع الحلفاء بتدبيج معاهدة الصلح. بل كان لا بد من انتظار ٢٨ حزيران ١٩١٩ لكي توقع هذه المعاهدة، مع احتجاج ألمانيا. سبق هذا التوقيع حادث مؤسف للحلفاء. بالفعل، في طالع حزيران ١٩١٩، ذهب إلى فرساي وفد ألماني ليتلقى رسمياً شروط الصلح.

لما دخل الوفد قصر المرايا، خيم الصمت. نهض كليمنصو، كما المئتا مندوب. بروكدورف رانتزو، الوزير الألماني للشؤون الخارجية توجه على رأس وفده، أمام الجمهرة الصامتة، نحو المفروشات التي أعدت لهم، حيى بسيماء حازم وجلس.

ثم جلس جميع الأشخاص الحضور أيضاً، عدا كليمنصو الذي، بعد كلمات الترحيب للوفود كلها، خاطب الممثلين الألمان:

"السادة مندوبو ألمانيا، اجتمعنا هنا من أجل التسوية الباتّة لحساباتنا. طلبتم الصلح، نحن مستعدون لإعطائه لكم. سنسلمكم الآن شروطنا. الوقت وفير لكم لدراستها، إنما يجب أن يتضح أن الحلفاء يتمنون جني الرضى الجماعي.

ننتظر ردكم في أسبوعين. أتبغون إضافة شيء؟"



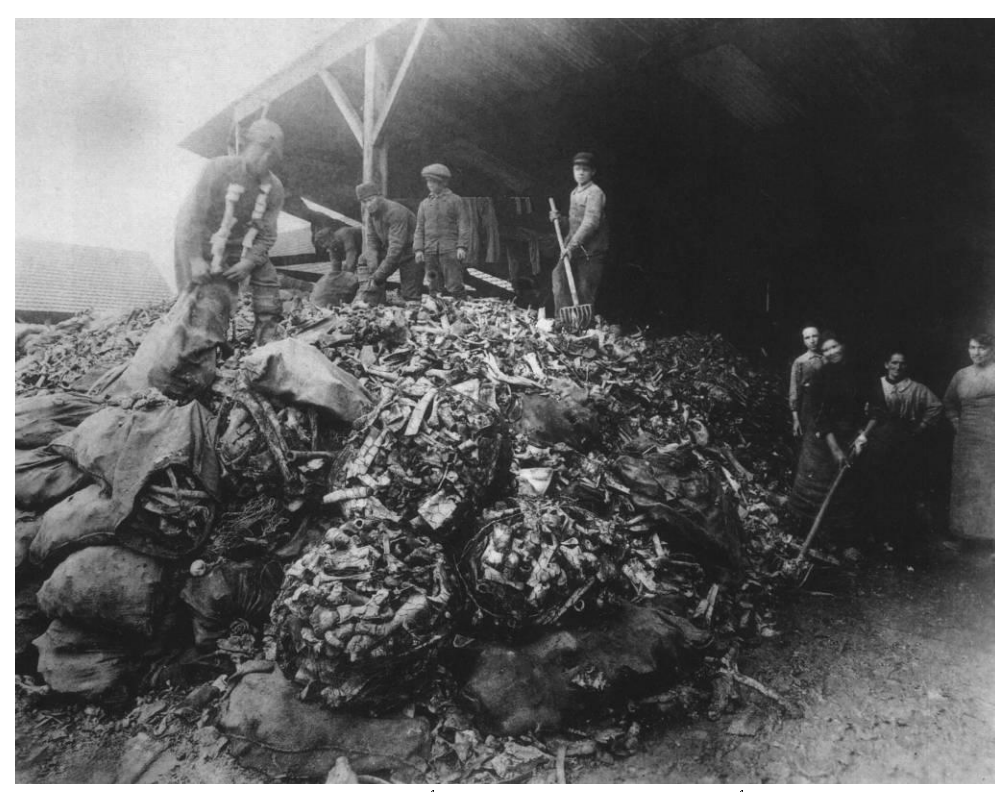
واحد من جنود كثر ما كانوا عادوا بانتظار الدفن



رؤيا مخيفة. رفات مئات آلاف الجنود القتلى جمعت وكدست

رفع بروكدورف ـــــ رانتزو يده، مشــيراً أنه يرغب أن يتكلم. لما بدأ، لم ينهض بل بقي جالســاً، فأدهش الجميع. استقبلت الإهانة كما صفعة، بينما نهض كلمنصو لما توجه للألمان.

"حينما دخلنا، أحسسنا بالغل الذي يعتمر صدوركم ضدنا"، بدأ الوزير الألماني للشؤون الخارجية بصوت عال. "يُنتظر منّا أن نعترف أننا كنا وحدنا مسـؤولين عن تفجير الحرب. إن اعترافاً كهذا على لســاني هو كذبة. إن ألمانيا والشعب الألماني أكدوا أبداً قناعتهم أنهم خاضوا حرباً دفاعية وأرفض هنا بقوة أن ألمانيا وحدها تحمل الوزر. لما تتحدثون قريباً عن التعويضات، أطلب منكم أن تذكروا أنكم احتجتم لستة أسابيع لكي تسلمونا مطالب الهدنة ولستة أشهر لتصيغوا مطالب الصلح. مئات آلاف المواطنين الألمان الأبرياء، نساءً وأطفالاً، ماتوا جوعاً بعد ١١ تشرين ثاني ١٩١٨ لأنكم أبقيتم الحصار عمداً، بنية مبيتة. بينما حققتم أنتم النصر وصنتم أمتكم. أرجوكم أن تفكروا بالضحايا لما تتكلمون عن مفاهيم مثل الإدانة والعقوبة." وأنهى خطابه بهذه الكلمات.



آلاف أطنان الرفات، موسم جنائزي لأحدى ضرائب الحرب.

بداية خيم صمت كصمت الأموات، في القاعة، بعيد نزاع عاصف. ألحّ كلمنصو على استتباب السكون وقفل الجلسة. غادر الوفد الألماني القاعة، وسمع بروكدورف ـــ رانتزو يقول بصوت عال لأعضاء الوفد الآخرين: "كيف تجرأ هذا العجوز كليمنصو يهزئنا هكذا. الطريقة الوحيدة التي تجعله يحس بإهانتي كانت في بقائي جالساً. ولن ننســـى أبداً هذا وســـنرد يوماً هذا التحقير!" انتهى في الحال هذا الكلام الكهنوتي. فالمعاهدة لها بالفعل محصلات كارثية على العالم.

احتفظت ألمانيا بـــ ١٣% من أرضـها و١٠% من سكانها. فقدت كل مستعمراتها، بما فيها كل الأملاك الخاصة التي كانت موجودة، تقريباً كل بحريتها التجارية والجزء الأكبر من مواد سكك الحديد، أي سحق حتى أمد بعيد العمود الفقري لإمكانات وجودها من حيث الاقتصاد.

الأشد أثراً أيضاً، استمرار الحصار سحابة أشهر العام ١٩١٩، ما عنى الموت جوعاً وعوز الكثير من الألمان، لا سيما النساء والأطفال. بهذه المخاتلة، بغى البريطانيون تجنب عودة ألمانيا السريعة إلى اتصـالاتها التجارية، لئلاّ تنهض بسرعة.

من دون بحرية تجارية لن يعود لها أمل بالإزدهار، بل ســتكون ألمانيا ملزمة أيضــاً بإنتاج عبر خمس ســنين على الأقل ٢٠٠,٠٠٠طن مراكب للحلفاء. فضلاً عن إخلاء حوض الفحم الحجري في سار **Saar**، النائم على فحم يعادل فحم فرنسا كلها، طيلة خمس وثلاثين سنة. عدا عن كل هذه الكابحات، ثمة التعويض على الحلفاء بـــ ١٠٠٠ مليار مارك إذاً، في هذه الظروف لن تستعيد ألمانيا عافيتها و طاقتها الهائلة.

وكانت هنا الطامة الكبرى، تأكيد مؤتمر الصلح أن ألمانيا كانت المسؤول الوحيد عن نشوب النزاع، فعليها بالتالي أن تحمل وحدها كل الأضرار التي مع ذلك لم تثبتها لجنة مستقلة، بل العدو.



رأى الاقتصادي الشهير كينز، الذي اشترك في المؤتمر كعضو في الوفد الإنكليزي، أن معاهدة الصلح "غير أخلاقية وعقيمة"، واستقال تعبيراً عن الاحتجاج. لم يكن وحيداً في المحتجين، وحتى لويد جورج حاول أيضاً، في آخر لحظة، تقديم تعديلات، لكن كليمنصو رفض كل مسعى تغيير، وللغرابة، دعمه الرئيس ولسون. والجنرال سموتس، رجل الدولة في جنوب أفريقيا، لاحظ أخيراً أنهم عوضاً عن إقامة الصلح استمروا بصنع الحرب باختزال أوربا إلى تلال من الدمار. وأكد "ستفضي هذه المعاهدة بالتأكيد إلى الثورة أو إلى حرب أخرى".

ألمانيا، مجردة من الدفاع والسلاح، مضطرة أن ترضخ إلى مطالب قاهريها تحت طائلة احتلال الحلفاء لها، صرحت أن، "الانثناء أمام التفوق الهائل، إنما من دون الموافقة على وجهة النظر غير العادلة وشروط الصلح غير المسبوقة، تعلم حكومة الجمهورية الألمانية أنها مستعدة لقبول ومهر شروط السلم كما أثبتها الحلفاء والبلدان المعنية".

هكذا أُسس لكارثة أخرى، أي الحرب العالمية الثانية، في فرساي في العام ١٩١٩، ولم تتخلف ألمانيا عن الشروع بإعداد الانتقام أو الثأر. ففي العام ١٩٥٠ فقط، في أثناء لقاء لفيف دولي من أئمة السياسة والمؤرخين في فردان، اعترفوا رسمياً أن إثم الحرب العالمية الأولى لا يحمله شعب واحد فقط، بل نجم بفعل أحداث معقدة. للأسف، في أثناء هذا الوقت، سقط ملايين الضحايا. بالنسبة لهم، هذا الاعتراف أتى متأخراً.



الوفد الألماني يغادر القيادة العامة الألمانية في سبا، حيث كانت تقيم لجنة الهدنة الحليفة (لاحظوا الحرس الألماني في المدخل).

الفهرس